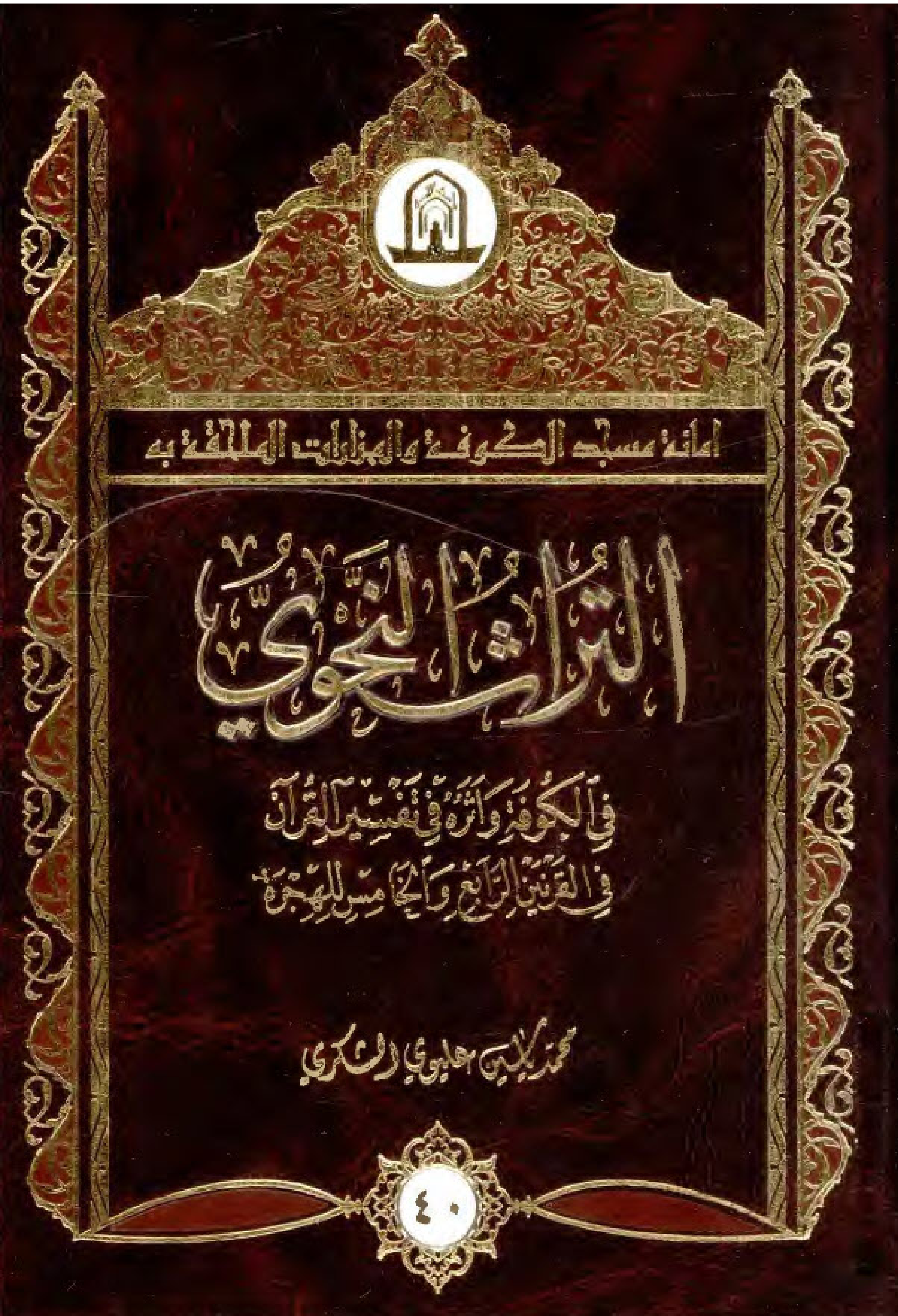

أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به
التراث النحوي
في الكوفة وأثره في تفسير القرآن
في القرنين الرابع والخامس للهجرة
محمد ياسين خليوي الشكري
٤٠


التراث النحوي
في الكوفة وأثره في تفسير القرآن
في القرنين الرابع والخامس للهجرة

اسم الكتاب: **التراث النحوي في الكوفة وأثره في تفسير القرآن، في القرنين الرابع والخامس للهجرة.**

تأليف: **الدكتور محمد ياسين عليوي الشكري.**

الغلاف: **م. نجاح الدجيلي.**

الإخراج الفني: **ميثم بحر.**

الطبعة: **الأولى.**

الكمية: **١٠٠٠ نسخة.**

الناشر: **ديوان الوقف الشيعي، أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به.**

سنة الطبع: **١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.**



التراث النحوي

في الكوفة وأثره في تفسير القرآن

في القرنين الرابع والخامس للهجرة

تأليف

د. محمد ياسين عليوي الشكري



{فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ
وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً}

صدق الله العلي العظيم

طه - ١١٤

مقدمة الأمانة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وصلى الله على حبيبه المصطفى وعلى آله المنتجبين الخُلَفا...

أما بعد : فإن الأمانة العامة لمسجد الكوفة المعظم عرضت عليَّ أن أكتب مقدمة لهذا البحث الممتع وهو كتاب (التراث النحوي في الكوفة وأثره في تفسير القرآن) تأليف الأستاذ المبجل محمد ياسين عليوي الشكري.

واستجابة لهذا الطلب الذي صدر من أعزّة وأحبّاء لا يسعني ردّهم أكتب هذه السطور على عجالة من أمري فأقول:

إن المؤلف سلّمه الله قد ذكر منهج بحثه والغرض منه في المقدمة التي صدر بها كتابه فأفصح أن هدفه هو الإتيان بدراسة مستفيضة عن " النحو " عند المدرسة الكوفية في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

وبيان الأثر الذي تركته هذه المدرسة في تفسير القرآن الكريم كما أوضح " أيضا مقدمته المذكورة " الملامح العامة التي ترتبط بالبحث فلا حاجة للإعادة والإطالة.

ولكني أودّ أن أشير باختصار بأننا لسنا مخالفين للحقيقة ولا بعدين عن الصواب او ادعينا بأن علم النحو وتسميته بهذا الاصطلاح هو كوفي المنشأ اذ أنه استفاض النقل تاريخيا بأن تسمية هذا العلم (الذي يبحث في قواعد اللغة العربية استفاض النقل تاريخيا بأن تسمية هذا العلم (الذي يبحث في قواعد اللغة العربية وتراكيب الجمل وموقع المفردات وحركات آخرها..) تسميته بعلم (النحو) كان استنادا الى قول أمير المؤمنين عليه السلام – وذلك أيام خلافته في الكوفة – واكتفي الآن بنقل هذه الرواية من مصدرين معروفين من مصادر التاريخ الاسلامي الأول منهما كتاب " معرفة القراء الكبار " للمؤرخ الاسلامي الشهير

أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي مؤلف موسوعة تاريخ الاسلام وسير أعلام النبلاء وغيرهما من أمهات المصادر والثاني كتاب (غاية النهاية في طبقات القرّاء) لابن الأثير الجزري فقد روي في هذين الكتابين في ترجمة أبي الأسود الدؤلي : (قرأ على علي عليه السلام وكان من وجوه شيعته... وهو أول من وضع مسائل في النحو بإشارة علي عليه السلام فلما عرضها على علي عليه السلام قال : ما أحسن هذا النحو الذي نحوت (فمن ثم سمي النحو نحواً).

ومنذ ذلك الحين فقد حصل الاهتمام البالغ بعلم النحو ودراسته وتطويره واستكشاف خباياه وأسراره حيث أن اللغة العربية هي اللغة التي اختارها الله تعالى لتكون لغة الكتاب الذي انزله على خاتم أنبيائه ليكون هذا الكتاب معجزة خالدة لإثبات الرسالة المحمدية الخاتمة (وهو القرآن العظيم) فان اختيار انزال القرآن بهذه اللغة دون سواها من اللغات لم يكن عبثا أو مصادفة بل لوجود مزيّة وسر إلهي في هذه اللغة أوجب أن تكون لغة الكتاب السماوي الذي لا تفنى عجائبه على مر الدهور.

وقد اشتهر على ألسن الفضلاء أن العلوم ثلاثة الطب للأبدان والفقه للأديان والنحو لتقويم اللسان فعلم النحو من أمهات العلوم الانسانية.

وأخيرا أسأل الله تعالى المزيد من التوفيق والتأييد للقائمين على ادارة وشؤون هذا المسجد المعظم (مسجد الكوفة) وأن يأخذ بأيديهم الى مراضيه انه سميع مجيب

حسين علي الكربلائي

٢٠شعبان / ١٤٣٦ هـ

مقدمة الباحث

بسم ألله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما وفقنا إليه وأنعم علينا به، ونصلّي ونسلّم على نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، أما بعد:

فقد هداني ألله إلى دراسة هذا الموضوع (التراث النحوي في الكوفة وأثره في تفسير القرآن في القرنين الرابع والخامس للهجرة) سعياً لبيان مساحة وأثر النحو الكوفي في تفاسيرهذه الفترة.

فالموضوع يمثل دراسة مستفيضة للنحو الكوفي وأثره في فترة زمنية كانت بداياتها تمثل ذروة النشاط العلمي والديني. إذ إنَّ القرن الرابع الهجري يعدَ انتقالة في نوع المعارف والعلوم عامة، وفي علوم القرآن والتفسير خاصةً، ففي هذا القرن جرى الفصل التام بين علم الحديث وعلم التفسير، بعدما كان التفسير باباً من أبواب علم الحديث. وبذلك مثّل القرن الرابع للهجرة خطوة انفصال علم التفسير عن الحديث، وأصبح علماً قائماً بنفسه، وكانت البداية على يد الطبري(٣١٠هـ)الذي عُدَ شيخاً للمفسرين.

أي إنَّ استقلال علم التفسير في بداية هذه الفترة كان من مسوّغات هذه الدراسة لأجل بيان مساحة وأثر النحو الكوفي في تفسير القرآن منذ بدء هذه الفترة، وعدم نيل النحو الكوفي نصيبا كالنصيب الذي ناله النحو البصري على الرغم من أن نظرية العامل عند الكوفيين مستمدة من المعاني والدلالات التي يتضمنها النص غالباً- وهذا يتضح من كتاب معاني القرآن للفراء- الذي كان ساعياً إلى معالجة النصوص عبر تفهمه لـدلالـة النص وصولاً إلى الإعراب، لا أن ينجرَ إلى قاعدة تحكمه ؛فهو يربط بين النحو والمعنى.

إنَ كل ما تقدم كان دافعاً لاختيار هذا الموضوع؛ فهو دافع متعلم أحسَ كغيره من الباحثين أن النحو الكوفي كاد أن يكون مهجوراً أو شبه مهجور في الدراسات النحوية، لأن البحث فيه لم يَرْقَ إلى مستوى هذا النحو وما خلفه من قواعد وآراء أضافها إلى النحو العربي.على أن هذه الدراسة تسعى إلى إكمال صورة النحو العربي من جانبها الكوفي، وذلك بعد ضياع أهم مصادره الأولى وعدم وصول أي شيء منها إلينا كـ(الكتاب الكبير في النحو)، وكتاب (الحدود) للفراء أيضا، وكتاب معاني القرآن للكسائي(الذي أعاد بناءه الدكتور عيسى شحاتة عيسى)، وكتاب معاني القرآن لثعلب الذي علمنا بجمعه وإعادة بنائه من أحد الباحثين العرب مؤخراً، إلاّ إننا لم نحصل عليه، وغيرها من مؤلفات أئمة النحو الكوفي.إذ لم نحصل على كتاب للنحو الكوفي متخصص بالأبواب النحوية المعروفة كما هي الحال في كتاب سيبويه؛ وكذلك مؤلفات التفسير في هذه المدة لم تصل إلينا إلا قليلا؛ لرداءة الطبع أو لعدم وصول يد التحقيق إليها، فضلاً عن انه لم يحظ بدراسة علمية معمّقة شاملة وافية، مفصّلة، تجمع شتاته وأطرافه المترامية، وتحدد أثره في النحو الذي ستكون عليه هذه الدراسة.

إذن هذه الدراسة تسعى جادة إلى المشاركة الفعالة مع العاملين في الميدان النحوي القرآني لوضع لبنة متواضعة جداً في بناء هذا الصرح القرآني الشامخ، وستكون بمشيئة الله دراسة مستوعبة لبيان مساحة أثر النحو الكوفي في تفاسيرالقرآن في القرنين الرابع والخامس للهجرة.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تكون على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة دوّن فيها أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، وقائمة في روافد البحث.وتضمن التمهيد بياناً لأهمية النحو في تفسير القرآن الكريم، و تأصيل مفاهيم العناصر التي تكوّن منها العنوان، وهي: الأثر، النحو، النحو الكوفي، التفسير، التأويل، والعلاقة بينهما، ثم عرضاً سريعا لأهم التفاسير التي تكونت

منها المادة العلمية لهذه الدراسة.أما الفصل الأول فقد قام على دراسة ظاهرة(الحمل على الظاهر) لكونها أبرز خصائص النحو الكوفي، إذ قُسّم على ثلاثة مباحث، تم في الأول منها توضيح مفهوم الحمل على الظاهر وبيان موقف الكوفيين(الكسائي والفرّاء وثعلب) منه، وأما المبحث الثاني فكان عرضا لأكثر من ثلاثين موضعاً من مواضع الحمل على الظاهر التي قال بها الكوفيون وتأثر بها مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة، والمبحث الثالث من هذا الفصل كان بيانا لأثر النحو الكوفي في تفسير القرون المذكورة. وأما الفصل الثاني فقد قام على دراسة أبرز مظاهر التأويل المتمثلة بالزيادة والحذف، وكان على ثلاثة مباحث، في الأول منها توضيحٌ لمفهومي الزيادة والحذف وموقف الكوفيين منهما، ثم المبحث الثاني وكان فيه عرض لمواضع الزيادة والحذف التي قال بها الكوفيون اضطراراً وتابعهم فيها المفسرون، والمبحث الثالث كان فيه بيان لأثر الزيادة والحذف في تفاسيرالقرون، ولقد تميز الفصل الثالث بالركيزة الأساس لأي علم، التي تمثلت بـ(المصطلح)، إذ إنَّ المصطلحات هي مفاتيح العلوم، وقد قُسِّمَ هذا الفصل على ثلاثة مباحث أيضا، الأول منها فيه بيان لمفهوم المصطلح وموقف الكوفيين منه، أما المبحث الثاني فتضمن تعريفاً لأهم المصطلحات التي قال بها الكوفيون واستعملها مفسرو القرون المذكورة في تفاسيرهم، ثم المبحث الثالث وفيه بيان لأثر المصطلح النحوي الكوفي في تفاسير القرون.

أما الخاتمة فقد تضمنت ملخَصا لأهم ما انتهت إليه الدراسة من نتائج تمخضَ البحث، ثم قائمة بأهم روافد البحث. على أن البحث أغفل المسائل التي اختلف فيها الكوفيون أنفسهم، لأنها لاتمثل رأي مدرسة الكوفة بعامة، وإنما تمثل رأي علماء من الكوفة يردّ عليهم أصحابهم فيها.

وفي الختام أقدم شكري وتقديري الى ديوان الوقف الشيعي الموقر وأمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به متمثلاً بشخص أمينها السيد موسى تقي الخلخالي والعاملين معه في قسم الشؤون الفكرية والثقافية ومركز هانئ بن عروة

للدراسات على تبنيها طباعة هذه الرسالة ضمن سلسلة إصداراتها المهتمة بتاريخ الكوفة وحركة الامامة وما أثرت فيها من علوم شتى كان من أهمها علم النحو وأثره في العلوم والمعارف عامة وفي تفسير القرآن الكريم بصورة خاصة، بعد أن وضع الإمام علي (عليه السلام) إسس قواعده الصحيحة في مسجد الكوفة، لاسيما ونحن نستذكر الذكرى المئوية الرابعة عشرة لوطء أقدام أمير المؤمنين (عليه السلام) أرض الكوفة ومسجدها المبارك، الذي نشر من على منبره أروع خطبه وأبلغها وصاغها بما أقتضاه الواقع السياسي والإجتماعي للدولة الإسلامية خلال فترة حكمه العادل التي تنعَم المسلمون فيها بعدله وحكمته.

ويأتي جهدي المتواضع هذا ضمن الجهود الأخرى المقدمة من جانب أمانة مسجد الكوفة التي تسعى جاهدة فيها للإحتفال بهذه المناسبة وتسمية عام ١٤٣٦ بعام الإمام علي (عليه السلام) وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

منهجية البحث:

حاول الباحث جاهداً بيان مساحة النحو الكوفي وأثره في كتب التفسير في القرنين الرابع والخامس للهجرة، على انه قصر عمله في البحث على المدوّنات التي تحمل عنوان(تفسير القرآن)، لأجل الحصول على أفضل النتائج المتوخاة من البحث أولا، ولأن هذه المدوّنات من كتب التفسير لها منهج خاص يختلف عن منهج كتب المعاني ومنهج كتب الإعراب- لأنها تُعدّ مرحلة التمهيد لعلم التفسير-، إذ إن هذه الكتب لها منهج انتقائي يقوم على الاختيار، فمؤلفوها يكتفون بآية واحدة من السورة غالبا ويوضحون معناها، على حين أن منهج أصحاب التفسير يتسم بالاستقصاء في تفسير آيات السورة الواحدة، فالالتزام بتفسير كل الآيات التي تضمنتها السورة الواحدة، ومحاولة الربط بين الآيات في السياق القرآني، صفات اتّسم بها منهج المفسرين.

وبهذا لم تدخل كتب معاني القرآن وكتب إعراب القرآن لاتدخل ضمن مادة البحث للأسباب التي تقدّم ذكرها، فضلا عن تناولها من الكثيرين الذين استوفوها - دراسة - على أنَّ التفاسير التي دخلت في إعداد هذه الدراسة وبنائها(في القرنين الرابع والخامس للهجرة)كثيرة العدد، لكن لم تتفق جميعها على الاهتمام بالجانب النحوي- ولو بشكل متوازن- لذلك كان الجانب النحوي في هذه التفاسير هو المعيار الذي يتحدد في ضوئه التفاسير التي تكوّن المادة العلمية للدراسة، وهي: جامع البيان المعروف بتفسير الطبري(٣١٠هـ)، وتفسير ابن أبي حاتم الرازي(٣٢٧هـ)، و بحرا لعلوم المعروف بتفسير السمرقندي(٣٧٣هـ)، ومختصر القرآن المعروف بتفسير ابن زمنين(٣٩٩هـ)، والكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي(٤٢٧هـ)، والنكت والعيون المعروف بتفسير الماوردي(٤٥٠هـ)، والتبيان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الشيخ الطوسي(٤٦٠هـ)، وتفسير

القشيري(٤٦٥هـ)، و(الوجيز والوسيط والبسيط) المعروفة بتفاسير الواحدي(٤٦٨هـ).على أن هناك تفاسير ضمن مدة البحث، إلاّ انها لم تُدرس اما لغَلبة الاتجاه الفلسفي والعقلي والاعتزالي عليها، وأما انها لم تكن قد اهتمت بالجانب النحوي، كما في: تأويلات أهل السُنّة المعروف بتفسير الماتردي(٣٣٣هـ)، ومثله تفسير الرماني(٣٨٤هـ)، و(شفاء الصدور من تفسير القرآن) المعروف بتفسير النقاش(٣٥١هـ) الذي لا يتعرض إلى النحو واللغة إلاّ نادراً، فتغلب عليه الرواية، وتفسير ابن حِبّان(٣٥٤هـ)الذي يشتهر بعلوم الحديث أكثر منه في التفسير.وهناك تفاسير لم تطبع أو لم تصل يد التحقيق إليها، كـ(البرهان في علوم القرآن) لعلي بن سعيد الحوفي(٤٣٠هـ)، و(التحصيل لفوائد التفضيل الجامع لعلوم التنزيل) لأبي العباس المهدوي(٤٣٠هـ). و تفسير السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار(٤٨٩هـ) وغيرها.

على أن تمييز الآراء الكوفية أمر صعب ويحتاج إلى نحوي ضليع وعالم بدقائق الخلاف بين النحويين، وأن يكون عارفا بمصطلحات الكوفيين خاصة، التي يقول عنها الزجاجي(٣٣٧هـ): ((لعل أكثر ألفاظهم لايفهمها مَن لم ينظر في كتبهم)). ولم يكن الأمر كما كنت أتصوّره قبل البدء الفعلي بعملية الكتابة، لذلك رأيت أن أبدأ أولا بجمع ما استطعت جمعه من قواعد نحوية للكوفيين، فضلا عن آرائهم ومصطلحا تهم، ثم قسّمت تلك الآراء والقواعد على قسمين، الأول منها ما حملوا في ضوئه النص القرآني على ظاهره، والثاني ماذهبوا في ضوئه الى القول بالزيادة والحذف اضطراراً، لأجل استقامة المعنى، حيث هناك نصوص قرآنية لو حُملت على الظاهر لكان التناقض قائماً في المعنى، وهذا ما اضطرّهم إلى القول بالزيادة والحذف، إذ حتى قولهم هذا هو الأقرب إلى روح اللغة من قول إخوانهم البصريين بالزيادة والحذف، أي أن الكوفيين حرصوا على وصف اللغة على ظاهرها للتيسير وعدم الذهاب إلى التأويل الذي يغرق اللغة في جوانب

لا علاقة لها بالنحو ومن ثم يعقدها. وفي ضوء دراسة النحو الكوفي، نرى أن أثراً ما سيترتب على تلك الدراسة، ويتمثل الأثر في واحد مما يأتي:

١- أثر فقهي: يترتب عليه خلاف فقهي بحسب التوجيه النحوي للآية القرآنية، وغالبا ما يكون هذا النوع من الأثر في آيات الأحكام كآية الوضوء{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ} المائدة ٦، وكذلك آية الحج والعمرة، وآية التذكية، وغيرها من آيات الأحكام.

٢- أثر لغوي وبلاغي: فالأثر اللغوي يترتب عليه إضافة قواعد نحوية إلى قواعد النحو العربي، وهذا ما أثبتناه في الفصل الأول من هذه الدراسة، وكذلك إضافة آراء نحوية إلى القواعد الموجودة أصلاً، وهذا ما أثبته البحث في الفصل الثاني من هذه الدراسة، وفيه بيان للأثر البلاغي الذي هو من بلاغة القرآن وإعجازه بحسب التوجيه النحوي، إذ إنّ التوجيه النحوي لبعض الآيات القرآنية يسفر عنه أثر بلاغي، من ذلك ما يحدث من إيجاز عند حذف جواب الشرط، أو الفعل، أو الاسم، إذ إنّ المراد من هذا الإيجاز أمر بلاغي هو الإسقاط والتخفيف.ولم يقتصر الأثر البلاغي على الحذف والإيجاز، وإنما أيضا يكون باختلاف المخاطب في كل توجيه نحوي، فجملة(واتخذوا) من قوله تعالى{وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} البقرة١٢٥ على قراءة الأمر تحتمل وجهين من الإعراب: الاستئناف يجعل الخطاب موجها إلى الرسول الكريم- صلى الله عليه وآله وسلم -، أما العطف فيجعل المخاطب هم اليهود. وفي هذا مؤشر على عِظَم بلاغة القرآن، واتساع معانيه، وإثراء تأويلاته.

٣- أثر عقائدي: يترتب بحسب التوجيه النحوي، فذهاب الكوفيين إلى القول بالحذف كان ساعيا إلى ترتيب أثر عقائدي عليه، فقولهم بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه في قوله تعالى {وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً} الفجر٢٢ قد ترتب عليه أثرٌ عقائدي تمثَّل في عدم تجسيم الذات الآلهية. وهذا يعني أنه ليس

بالضرورة أن ينتج عن كل توجيه نحوي تغيير حكم فقهي، إذ قد يكون الأثر لغويا أو بلاغيا أو عقائديا، والله أعلم.

وعلى الرغم من أن المصطلحات تُعَدّ مفاتيح العلوم، وينبغي البدء بها، إلاّ أنّي آثرت أن تبدأ دراستي هذه بـأبرز خصائص النحو الكوفي، التي تمثلت بـ(الحمل على الظاهر). لأن مظاهر الأثر يتسم بالوضوح من خلالها في كتب تفسير القرآن.

وكانت طريقة عرض تلك المسائل في الفصلين الأول والثاني، في أن اجعل كل مسألة مستقلة بنفسها، عبر إرجاعها إلى النحو الكوفي من طريق تثبيت المصادر التي أشارت إليها، ثم المتابعة والتقصي في كتب التفسير لمدة البحث، لتثبيت التفسير الذي تابع الكوفيين متأثراً بهم في تلك المسألة، ولغرض بيان مساحة التأثير التي خلَّفها النحو الكوفي في تلك التفاسير، والتعليق أحيانا على تلك المسائل، ثم بيان الأثر في تلك التفاسير. وكذلك الفصل الثالث(المصطلح الكوفي)، فيتم أولا إرجاعه إلى النحو الكوفي عن طريق المصادر التي أشارت إليه، ثم متابعة تفاسير مدة البحث للكشف عن مساحة التأثير التي خلّفها المصطلح الكوفي في هذه التفاسير، ومناقشة بعض المصطلحات أحيانا، و بيان أثر المصطلح الكوفي.

وختمت الدراسة بأهم النتائج التي توصلت إليها، وقد تنوعت مصادر هذا البحث ومراجعه بين النحو وتفسير القرآن وكتب المحدثين، فضلا عن الرسائل الجامعية والبحوث، التي يمكن تكون قد أفادت الباحث في هذه الدراسة، وبالنظر لهذا التنوع أردت أن يكون ترتيب جريدة المصادر والمراجع بحسب أسماء المؤلفات، لأن المادة العلمية المؤلفة هي المقصودة أصلا في بيان مساحة النحو الكوفي وأثره وليس الشخصيات ؛ مع تقديري واحترامي لهم جميعاً.

وفي الختام أشكر الله تعالى على نِعَمِه التي لاتُعَدّ ولا تحصى، على أن هذه الدراسة هي اطروحة جامعية نوقشت في العراق، جامعة الكوفة ـ كلية الآداب

بتاريخ ٢٦/ ٩ / ٢٠١٢ م، ونال فيها الباحث درجة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها بتقدير(جيد جداً).

اللّهم ما كان في هذا البحث من صواب فإني أبتهل إليك بأسمائك الحسنى وبصفاتك العلى، وأدعوك باسمك الأعظم أن تجعله خالصا لوجهك الكريم، وما كان فيه من زلل وخطأ أن تغفره لي وتهديني لمعرفته والرجوع عنه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين على نعمائه كلّها التي لو أنهينا أعمارنا بالعبادة والشكر والثناء لما تمكّنا من إعادة الجزء اليسير إلى الخالق الكريم على ما أكرمنا به.

التمهيد
أهمية النحو في تفسير القرآن الكريم

قد أنزل الله تعالى القرآن الكريم على نبيه محمد بن عبد الله - صلّى الله عليه وآله وسلم - بلسان عربي مبين، فصيحا ليكون بيّناً واضحا، قال تعالى{بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} الشعراء١٩٥، وقال {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} يوسف٢، وقال تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} الزخرف٣، وقال تعالى: {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} فصلت٣، وقال تعالى: {قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} الزمر٢٨، والكثير من الآيات القرآنية الكريمة التي تشير الى ذلك. فالقرآن عربي في الفاظه ودلالاته وتراكيبه ومعانيه، وهوعربي في اسلوبه، وهذا يعني: أنه لاسبيل الى فهم القرآن إلا من جهة لسان العربّ، أي: مَن أراد أن يتصدى لتفسيره أوالبحث عن غريب مفرداته فلابد له من معرفة اللغة، لأن اللغة في نفسها أداة التعبير، ولايمكن الاستغناء عنها في أي منهج من مناهجه، فإن أراد المفسر تفسير آية من القرآن وَجَبَ عليه معرفة مدى ارتباط الآية(موضع التفسير)بالآية التي تليها، ومتى يقطع؟ومتى يستأنف[1]، إذ ورد عن أبن مجاهد: أنه لايقوم بمثل هذه المهمة إلاّ عالم باللغة التي نزل بها القرآن الكريم[2]، وقال النحاس(٣٣٨هـ)[3]: ((ومن الوقف ماهو واضح مفهوم معناه ومنه مشكل لايدرى إلاّ بسماع وعلم بالتأويل، ومنه ما يعلمه أهل العربية واللغة فيدري أين يقطع وكيف يأتنف)). ولأن العلم بلغات العرب يورث العلم بالمعاني والتفريق بينهما في حال الوقف والابتداء في القراءة، فالذي لايعرف أين

١) ينظر: التفسير اللغوي وأثره في اظهار المعاني القرآنية: ١٥-١٦، ٢٢.

٢) ينظر: القطع والإئتناف: ٩٥.

٣) القطع والإئتناف: ٩٧-٩٨.

يقطع وكيف يأ تنف لايستطيع فهم أسراراللغة وأساليبها، وعندها لايتم التوصل الى المعنى المراد من كلام الله تعالى.وهذا يظهر أهمية النحو وبيان أثره، لما لقواعده من أثر في بيان المعاني الوظيفية للألفاظ في النسق القرآني، أي ان مجيء المصدرين الاساسين للفكر الاسلامي المتمثلين بالقرآن الكريم والسنّة النبوية باللغة العربية يُلزمان المفسر معرفة اللغة العربية، على النحو الذي يجعله متضلّعاً منه، عالما بحقائقها وأساليبها ليتمكن من فهم المراد من كلام الله تعالى، وهناك من يؤكد عدم جواز التفسيرلمن لايعلم بلغات العرب، فيقول[1]: ((واعلم انه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله، ولايكفي في حقه تعلّم اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد المعنى الآخر)).

إنّ عناية المسلمين بالقرآن الكريم كان وازعاً لنشأة العلوم العربية، ومنها: علم النحو العربي الذي أقرّ كثير من العلماء بأن غايته صيانة اللسان وتجنب اللحن الذي ظهرت بوادره في عصر الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وكثُر بعد ذلك.فقد أجمع العلماء على: أن سبب وضع النحو- علم ضبط أواخر الحركات وانتهاج سمت العرب في كلامها -هو فشو اللحن بفساد الألسنة واختلالها[2].ومهما اختلفت الروايات التي تقول بسبب نشأة النحو، إلاّ انها تتفق في انها كانت من أجل القرآن الكريم وفهم معانيه، أي أن نشأة النحو كانت بوحي من القرآن الكريم وصيانة له -قبل غيره- من اللحن[3].هذا يعني أن القرآن من أهم البواعث إنْ لم يكن هو الباعث على الاشتغال بالعربية لدراسة اللغة، وهذا ماجعل القرآن الكريم أن يتصدر المصادر التي يستقي منها علماء

---

١)البرهان في علوم القرآن: ٢٩٥/١.

٢)ينظر: النحو وكتب التفسير: ٣٣/١.

٣)ينظر: م. ن: ٤١/١.

العربية والنحويون الاوائل، نظرا لاجماعهم على أنه في أعلى درجات الفصاحة وخير سجل للغة الادبية المشتركة[1].على ان علم النحو لم ينشأ لولا القرآن[2]، وأن علوم اللغة العربية التي نشأت لخدمة القرآن أصبحت وسيلة استعانة لَمن يروم دراسة القرآن وبيان معانيه وشرح المراد منه، فكانت علوم اللغة ومن أهمها النحو، الذي عدّه ابن خلدون من العلوم أصل الفائدة[3]. والسيوطي يُوجِبُ معرفة النحو واللغة للمفسرين[4]، ويذهب ابن حزم الى عدم حلّية إفتاء الفقيه الذي ينقصه النحو واللغة[5]. وهذا يعني ان النحو هو الوسيلة التي يستعين بها المفسرون، والأداة التي لايمكن الاستغناء عنها في تفاسيرهم، لأن علم النحو[6]: ((علم المقاييس الدقيقة لصحة الكلام، وهو الاداة التي توصلنا لفهم التراكيب وتحليلها، ويمكّننا من الحصول على الفائدة منها، والجاهل به تنقصه الأداة الضرورية للفهم، ويكون عجزه بقدرنقصه فيه، وهو بهذه الوظيفة ومكان الحاجة اليه بهذا القدر يسبق جميع علوم اللسان العربي، رغم الحاجة الشديدة اليها كلها وهي مبنية عليه وفي حاجة اليه)) ولأن مهمة النحو كشف الروابط بين اللفظ ومعناه، ومزج الدراسة اللغوية للنص من نحو واعراب مع الدلالات التركيبية الأخرى من تقديم وتأخير، وحذف وذكر، وغيرها. من هنا تتضح أهمية نشأته في ارساء القواعد التي استعان بها المفسرون وأضاءت طريقهم.

وقد أدرك المتقدمون من النحويين هذه المسألة عندما لم يقصروا النحو على أواخر الكلم، بل تجاوزوا ذلك الى تأليف الجملة ودلالتها على المعنى المراد، فهذا

---

١) ينظر: المنطلقات التأسيسية والفنية للنحو العربي: ٥١.

٢) ينظر: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية: ٤٥.

٣) ينظر: مقدمة ابن خلدون: ١٠٥٥.

٤) ينظر: الاقتراح: ٧٨.

٥) ينظر: الإحكام في اصول الأحكام: ٣٤.

٦) النحو وكتب التفسير: ١/ ٥١- ٥٢.

ابن جني(٣٩٢هـ) يقول في حدّ النحو: هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من اعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والاضافة والنسب والتركيب وغير ذلك[1]. وفي هذا القول اشارات واضحة الى إدراكه فكرة المعنى النحوي ونظم الكلام وترتُبه ووظائف القرائن النحوية المختلفة في بيانه.وينتج عن هذا القول: إنّ الدلالة النحوية هي نتاج العلاقات النحوية بين الكلمات التي تتخذ كل منها موقعا في الجملة، وفيه تؤدى وظيفة نحوية.

والحقيقة أن ارتباط علم النحو بالتفسير ارتباط وثيق، إذ إنّ علم النحو من أهم الادوات التي يوظّفها علم التفسير لفهم القرآن الكريم، وتتضح تلك العلاقة عبر نشأة علم النحو وارتباطها بالقرآن الكريم، فتعدد الروايات في نشأة النحو تدل جميعها على ارتباط نشأة علم النحو بشيوع ظاهرة اللحن، والخوف على كتاب الله من هذه الظاهرة، فدعت الحاجة الى وضع قواعد تحكم اللسان، وتصون القرآن من عادية اللحن التي قد تحرّف دلالة النص القرآني، وظاهرة اللحن وإن لم تكن في قراءة القرآن فقط، فإنّ تسربها الى قراءة القرآن نبّه على هذا الخطر الدائم، فغدت الحاجة ماسة الى وضع قواعد تُعيد الالسن التي اعوجّت الى اللسان العربي المستقيم.وبعد الحاجة الى وضع قواعد تضبط اللسان، وتصون قراءة القرآن، انطلق العلماء الى بناء هذا العلم، وكان القرآن الكريم رقعة العمـــــل(مساحة العمل). فبعد شيوع اللحن على السنة بعض قرّاء القرآن الكريم، طلب الدؤلي كاتبا وقال له: ((اذا رأيتني قد فتحتُ فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، فإن ضممتُ فمي فإنقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعت شيئا من ذلك غنّة،

---

١) ينظر: الخصائص: ٣٤/١.

فإجعل مكان النقطة نقطتين))وهذا نَقط الدؤلي[1].وهذه الرواية تؤكد أن الدؤلي بدأ عمله في القرآن الكريم، وارتبط النحو بهذه البداية.

ولاعجب أن يكون علم النحو الذي نشأ وترعرع في رحاب القرآن الكريم، الأداة البارزة في فهم النص القرآني، والوسيلة الموضِحة لمدلولاته، ولاسيما بعد أن شاع اللحن الذي كان سببا في احتياج التفسير لعلم النحو.وهذا يعني أن علم النحو دخل التفسير بعد فساد الالسنة، ولكن السؤال: ماأنواع التفسير؟ وما أثرعلم النحو في كل نوع؟

يقسِّم العلماء التفسيرعلى قسمين: الاول يرجع الى النقل(بالاعتماد على المأثور من القرآن والسنّة)، والثاني يرجع الى الاجتهاد والرأي، على وفق اصول دوّنها علماء التفسير.ففي الاول يكون أثرعلم النحو قليلا وضئيلا، لكن هذا لاينفي مطلق الاحتياج الى علم النحو في تأليف هذا النوع من التفسير، وعلى قلة هذا الاحتياج، فهذا تفسير الطبري يوجِّه الاقوال ويذكر الاعراب والاستنباط، وقد يرجح وجهاً اعرابياً على آخر، ولاسيما عند الكلام على القراءات.اما الثاني والمعتمد على الاجتهاد(بذل المجهود على قدرالوسع والامكان، والتفكر في معنى النص في المنصوص عليه، لادراك المقصود). وهذا يتطلب اصول وضوابط وأدوات فكرية للوصول الى الادراك، واستخراج الاحكام. ومن مظاهر منزلة النحو في هذا التفسير، اشتراط العلماء في المفسر معرفة النحو، اذ جعلوا علوم اللغة والنحو والبلاغة والصرف من أبرز العلوم التي يحتاجها المفسِّر، لأن المعنى يختلف مع الاعراب ويتغير.ولهذا يكون النحو من أبرز العُمُد التي يقوم عليها علم التفسير.وأرى أن التعريفات الآتية للتفسير فيها جلاء للارتباط الوثيق بين علم النحو والتفسير؛ فذكر أبو حيان الاندلسي أن التفسيرعلم يبحث فيه عن كيفية النطق بالفاظ القرآن الكريم، ومدلولاتها واحكامها الافرادية والتركيبية

---

١) ينظر: نزهة ألالباء في طبقات الادباء: ٧ ومابعدها.

ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب[1]. وكلام أبي حيان هذا يشمل الاعراب.وأشار الزركشي(٧٩٤هـ) الى أن: التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزّل على نبيه محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- وبيان معانيه، واستخراج احكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان واصول الفقه والقراءات[2]. فعلم النحو من مصادر التفسيرعلى وفق هذا التعريف، ووسيلةفهم كتاب الله، واستخراج معانيه واحكامه.وتتضح هذه العلاقة أيضا من طريق كتب المعاني والاعراب التي تمثّل مصادرَ يحتاج اليها المفسر، إذ يمكن أن تُعَدَّ مرحلة التمهيد باتجاه التفسير.

وبذلك فأن نشأة النحو كانت نتيجة تفكير الأقدمين في ايجاد ضوابط تعمل على صيانة العربية من اللحن ولا سيما القرآن الكريم. وهذا يعني ان الغرض الاول من وضع الضوابط النحوية كان تعليمياً، وهو ان يكون كافياً للحاجة التي جدَّت(حدثت) في المجتمع العربي الاسلامي بعد ان دخل فيه كثير من الامم التي اعتنقت الاسلام، وهذا ماجعله ان يكون مرتكزاً اساساً من لوازم الثقافة الاسلامية. ولهذا كانت الحاجة الى فهم حقيقة النحو، وما غطى هذه الحقيقة النحوية من اساليب أبعدته عن الطبيعة اللغوية النحوية.

وانصب اهتمام علماء التفسير على كثير من العلوم التي تؤلف أساسيات علمهم، وفي مقدمة تلك العلوم علم النحو، اذ اهتموا بالنحو واللغة اهتماما كبيرا، وغايتهم من هذا الاهتمام تيسير أمور دينهم من أجل التمهيد للأصوليين والفقهاء لاستنباط الأحكام الشرعية من عبادات أو معاملات من النصوص القرآنية. ولا يخفى على دارسي العربية أو المفسرين او دارسي أصول الفقه، ما للغة وعلومها من صلة وثيقة مع العلوم الأخرى عامة، وعلوم الدين خاصة،

---

١) ينظر: البحر المحيط: ١٣/١.

٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣٣/١.

لكون القرآن الكريم والسنّة النبوية عربيين ومتأصلين في العربية كما ذكرنا سابقاً. ومن هذا الارتباط كان لزاماً على الدارس والمفسر والمحقق والفقيه معرفة علوم العربية: نحوها، وصرفها، معرفة دقيقة تجعله قادراً على الإلمام بأصول القرآن الكريم، ودقائق علومه، وأساسيات السنة النبوية الشريفة، وما يترتب عليها. لأن مهمة النحو تتمثل في معرفة تأليف الكلام العربي كما نطق به الفصحاء من العرب، من تركيب الجملة، واللفظ المفرد فيها، وكذلك البناء والإعراب، والتعريف والتنكير، والتذكير والتأنيث[1]. ولقد ذكر أحمد بن فارس(٣٩٥هـ) مسائل مهمة في حاجة أهل العلم الى تعلّم العربية، منها قوله[2]: ((إنّ علم اللغة كالواجب على أهل العلم لئلا يحيدوا في تأليفهم أو فتياهم عن سنن الاستواء)).

والحقيقة أن هذا الفهم لأهمية النحو يفرض على علماء التفسير، التبصر فيه ومعرفته، لأن المعرفة والتبصر في النحو تجعلهم أكثر دراية بالكلام: ظاهره ومجمله، وما فيه من نفي، وحقيقته ومجازه، وتوكيد وقصر. وهذا يجعل مساحة الاستنباط من النصوص القرآنية لديهم أوسع وأكثر مرونة. وفي الوقت نفسه، سيكون هناك اختلاف في الرأي النحوي نتيجة لما يتمتع به هؤلاء المفسرون من قدرات متفاوتة على الاستنتاج فيما بينهم.

وهنا ينبغي إدراك حقيقة تتمثل في أن وجود الخلاف النحوي بين العلماء يُمثّل علامة واضحة من علامات تطور النحو. وفي هذا الشأن يقول الدكتور فتحي الدجني[3]: ((إننا نجد في هذه الدائرة - يقصد دائرة الخلاف - دليلاً جديداً على تطور النحو العربي وانتقاله من باب الرواية والنقل الى باب المناقشة وإبداء

---

١) ينظر: البحث النحوي عند الاصوليين: ٢٩.

٢) الصاحبي في فقه اللغة: ٣٥.

٣) ظاهرة الشذوذ في النحو العربي: ١٣٣.

الرأي)). وينتج عن هذا، أن مجرد القول بوجود النحو الكوفي يُعَدُّ عاملا أساسا لتطور النحو العربي، أي ان وجود النحو الكوفي أدى إلى الاتساع في استعمال النحو العربي، بعد ان كان في البصرة وحدها اذ انتقل الى الكوفة فتوسعت جغرافيته، وكلنا يعلم أن التوسع الجغرافي له اهمية في التاثير الفكري والاجتماعي، ومن تلكم التأثيرات، التأثير اللغوي، إذ إن هذا التوسع وهذا الانتقال لابد له من أن يخلق مناهج جديدة، وطرائق جديدة في دراسة اللغة والنحو، وهذا الذي حدث في انتقال النحو من البصرة الى الكوفة. ويقول مصطفى السقا بهذا الشأن(1): ((لقد كسبت العربية من وراء ذلك الحجاج والنقاش احتجاجات لطيفة ودراسات انتفع بها المؤلفون في كتبهم لتبين الفروق بين المذهبين)). وهذا يؤكد ان وجود النحو الكوفي كان عاملاً اساساً من عوامل تطور النحو العربي، بل ان وجوده اعطى النحو العربي اهمية كبيرة، لكونه علماً يسعى اليه الباحثون والدارسون، يجددون ويطورون فيه سعياً لخدمة لغة القرآن؛ويكون قادراً على استيعاب اراء العلماء الجديدة التي تظهر بين الحين والاخر، وهو دليل على سمو النحو العربي، ورفعة قدره بين العلوم الاخرى، ولقد اعطى النحو الكوفي اشارة واضحة، أو لنقل انه ترك اثرا دالاً على سعة النحو لكل لهجات العرب، وهذا مما يُسجل للنحو الكوفي، ويؤكد أهمية الافادة منه.

ولما كان عنوان هذه الدراسة (التراث النحوي في الكوفة وأثره في تفسير القرآن في القرنين الرابع والخامس للهجرة) رأيت من الجميل ان أمهد للموضوع ببيان العناصر المؤلفة لهذا العنوان وهي: النحو ـ النحو الكوفي ـ التفسير ـ التأويل ـ العلاقة بين التفسير والتأويل ـ وكتب التفسير التي تؤلف مادة الرسالة العلمية.

---

1) في النحو العربي نقد وتوجيه: ٦، في تقديمه للكتاب.

والحقيقة أن التأصيل لهذه المفاهيم يسعى للكشف عن الروابط الحقيقية بين مفاهيم عنوان الرسالة التي تشير باتجاه توسيع دائرة أثر النحو الكوفي بمختلف اتجاهاته، من إضافة قواعد نحوية جديدة للنحو العربي، او إضافة آراء نحوية جديدة الى القواعد النحوية الموجودة أصلا أو إضافة مصطلحات نحوية جديدة قد تكون بمعانيها ودلالاتها أوفى وأعم وأشمل معنى من المصطلحات التي سبقتها.

١. الأثر:

ذكر الفراهيدي(١٧٥هـ) أن الأثر: ((بقية ماترى في كل شيء وما لاترى بعدما يبقى عُلقة و...، وأثر الحديث: أن يأثره قوم عن قوم، أي: يحدّث به في آثارهم، أي: بعدهم، والمصدر: الأثارةُ))[1]. وأشارابن دريد(٣٢١هـ) الى أن: الحبكُ مصدر: حَبَكَهُ - يحبكهُ - حبكا، وهو أثر حُسنِ الصنعة في الشيء واستوائه[2].

وذهب الراغب الاصبهاني(٥٠٢ هـ) الى القول[3]: أثرالشيء: حصول مايدل على وجوده. يقال: أثَرَ و أثّرَ، والجمع الآثار، قال الله تعالى{ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا} الحديد٢٧، وقال تعالى{فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ} الصافات٧٠ ومن هذا يقال للطريق المستدل به: آثار.

وذكرابن منظور[4]: ان الأثر بقية الشيء، والجمع آثار، واثور، وخرجت في إثره، وفي أثره، أي: بعده، وإئترته وتأثرته وتتبعت أثره.وأصله من أثّر مشيه في الارض، فان من مات لايبقى له اثر ولا يرى لاقدامه في الارض اثر، والاثر:

---

١) معجم العين: ١٦٤/٢.
٢) ينظر: جمهرة اللغة: ١١٨/١(باب: ح- ب- ك).
٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٩.
٤) ينظر: لسان العرب: ٥/٤-٦(باب أثر).

الخبر، والجمع آثار وقوله عزوجل {وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ} يس١٢، أي: نكتب ما اسلفوا من اعمالهم ونكتب اثاره.

ويشير ابن منظور[١] الى حديث ابن الأثير: يطلع عليكم من هذا الفج رجل.., عليه مسحة ملك فطلع جرير بن عبد الله، يقال: على وجهه مسحة ملك ومسحة جمال، أي: أثر ظاهر منه.

وكذلك يذكر ابن منظور[٢]: وكل أثر من خدش او عض فهو كدح. ويجوز ان يكون مصدرا سمي به الاثر واصابه شيء. وفي موضع آخر من لسان العرب يقول: والشَجَجُ: أثر الشجة في الجبين والنعت ألشجُ ورجل أشَجُ بيّنُ الشَجَج اذا كان في جبينه أ ثر الشجة.

أما الشريف الجرجاني فأنه أشار الى ان[٣]: الاثر له ثلاثة معانٍ، الاول: بمعنى النتيجة، وهوالحاصل من الشيء، والثاني: بمعنى العلامة، والثالث: بمعنى الجزء.

وذكرالزبيدي(١٢٠٥هـ): عناه الامر يعنوه أهمّه، وفي جبهته عنوان من كثرة السجود، أي: أثر[٤].

وذكر صاحب المنجد[٥] أن: أثّرفيه: ترك فيه أثراً، ويبدو ان الاثرهو البصمة الناتجة من التأثير.

وعلى ماتقدم فان معنى الأثريكون الآتي: عندما نقول(في جبهته عنوان من كثرة السجود) هذا يعني: ان في جبهته اثرا[٦] يظهر بوضوح حين يكثر الساجد

---

١) ينظر: م.ن: ٥٩٣/٢(باب مسح).

٢) ينظر: لسان العرب: ٥٦٩/٢(باب كدح)، و: ٣٠٣/٣(باب شجج).

٣) ينظر: كتاب التعريفات: ٩.

٤) ينظر: تاج العروس: ٨٥٢/١(فصل العين).

٥) ينظر: المنجد في اللغة والادب: ٣.

٦) ينظر: المعنى القرآني بين التفسير والتأويل: ٣١.

من وضع جبهته على الارض، ويقل تبعاً لذلك، أي ان الاثر هنا يخضع لضوابط كي يكون واضحاً، منها: الايمان المطلق بالسجود(وهذا يعني تهيئة ارضية خصبة مستعدة للسجود، تتمثل بالجبهة)، فضلاعن الوقت الذي يقيضه الساجد ساجداً، اذ كلما يزداد وقت السجود يظهر اثره بوضوح اكثر. وهذا ينسحب على بيان اثر النحو الكوفي في تفسير القرآن. اذ يختلف هذا الاثر من مفسر الى اخر، تبعاً لما يحمل ذلك المفسر من ايمان بوجود هذا النحو اولاً، ومقدارما يعتمد عليه من ذلك النحو ثانياً. ومن خلال التتبع لتفاسير القرون الثالث والرابع والخامس للهجرة تبين ان اصحاب هذه التفاسير قد تاثروا بالنحو الكوفي عبر اقتفائهم لأثر هذا النحو، بل أخذوا من الطبري، وهو مرجعهم، إذ اتضح ذلك البيان من خلال متابعة هؤلاء المفسرين الدائمة والدؤوب لما قال به الكوفيون من قواعد ومصطلحات نحوية.

٢. النحو: في اللغة وفي الاصطلاح:

النحو في اللغة: مصدر(نحا) الشيء ينحوه وينحاه نحوا، أي قصده قصدا. قال ابن دريد: النحو: القصد نحوت الشيء انحوه نحوا اذا قصدته، وكل شيء أممته فقد نحوته، ومنه اشتقاق النحو في الكلام كأنه قصد الصواب[١].

وقال الازهري(٣٧٠ هـ): قال الليث: النحو: القصد نحو الشيء، نحوت نحو فلان أي: قصدت قصده، قال: وبلغنا ان ابا الاسود وضع وجوه العربية، وقال للناس: انحو نحوه فسمي: نحوا، ويجمع النحو انحاء. واخبرني المنذري عن الحراني عن ابن السكيت، قال: نحا نحوه ينحوه اذا قصده، ونحا الشيء ينحاه وينحوه اذا حرفه. ومنه سمي النحوي لانه يحرف الكلام الى وجوه الاعراب[٢].

---

١) ينظر: جمهرة اللغة: ١٩٧/٢، و: ٣٠٠/١.

٢) ينظر: تهذيب اللغة: ١٩٠/٢، ٣٨٤.

وقد ذكر الصاحب بن عباد أن: النحو: القصد: نحوت نحوه، ومنه سمي النحو في العربية. وقال: والجهة: النحو، والوجهة: القبلة وشبيهها في أي وجها اخذت(1).

وذكر ابن سيدة(٤٥٨ هـ): النحو: القصد، يكون ظرفا واسما، نحاه ينحوه وينحاه نحوا، وانتحاه، ونحو العربية منه، انما هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من اعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والاضافة والنسب وغير ذلك، ليلحق من ليس من اهل العربية باهلها في الفصاحة، فينطق بها وان لم يكن منهم. وهو في الاصل مصدر شائع، أي: نحوت نحوا، قصدت قصدا، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم، كما ان الفقه في الاصل مصدر فقهت الشيء، أي: عرفته، ثم خص به علم الشريعة من التحليل والتحريم والجمع انحاء ونُحُوّ. وفي بعض الكلام انكم لتنظرون في نُحُوٍّ كثيرة، أي: في ضروب من النحو(2).

وذكر ابن منظور(٧١١هـ)(3):...وعَرَّب منطقه، أي: هذّبه من اللحن والاعراب الذي هو النحو، انما هو الابانة عن المعاني بالالفاظ، واعرب كلامه اذا لم يلحن في الاعراب، ويقال: عربت له الكلام تعريباً واعربت له اعرابا اذا بينته له.

وقال الفيروز آبادي: والنحو: الطريق والجهة، الجمع انحاء... ونُحُوٌّ والقصد، يكون ظرفا واسما، ومنه نحو العربية، وجمعه ونُحُوٌّ كدلوٍ ودلّيةٍ، نحاه ينحوه، وينحاه: قصده كأ نتحاه. ورجل ناحٍ من نحاةٍ نحوي. ونحا: مال على احد شقيه، او انحنى في قوسه(4).

---

١) ينظر: المحيط في اللغة: ٢٥٣/١، ٣١٤، و: ٦/٢.

٢) ينظر: المحكم والمحيط الاعظم: ١٠١/٢.

٣) ينظر: لسان العرب: ٥٨٧/١، و: ٣٠٩/١٥ - ٣١٠.

٤) ينظر: القاموس المحيط: ٤٧٩/٣.

وذهب الزبيدي الى القول:..... والاعراب الذي هو النحو، انما هو الابانة عن المعاني والالفاظ. واعرب الاغتَمُ وعَرُبَ لسانه، بالضم عروبة، أي: صارعربيا. وتعرّب واستعرب[1].

واما النحو اصطلاحا، فان تعريفات النحويين تختلف باختلاف نظرتهم الى هذا العلم. فاكثر النحويين- المتأخرين منهم خاصة - يحصرون موضوع بحث هذا العلم في دائرة ضيقة جدا، فيجعلون موضوعه: الكلم العربية من حيث ما يعرض لها من الاعراب والبناء[2].

ولذلك اطلق هذا الفريق على النحو اسم(علم الاعراب)احيانا[3]. وقد جاءت تعريفاتهم لما حددوه له من موضوع فقالوا[4]: النحو هوعلم يبحث فيه عن احوال أواخر الكلم اعراباً وبناءً.

ويبدو أن ذهابهم الى هذا التعريف كان مبنيا على سبب نشأة هذا العلم، والمتمثل بـ(اللحن) الذي فشا بين العرب لدخول غيرهم الإسلام واختلاطهم معهم، الأمر الذي اضطرهم الى وضع قواعد تقوّم من ألسنتهم وتعصمهم عن الخطأ في القول. ولأن اتجاه اللحن صوب حركات أواخر الكلم، فان القواعد والضوابط التي وضعت أولا، اتجهت إلى المنحى نفسه الذي يجب أن تكون عليه هذه الأواخر.

أما متقدمو النحويين وبعض المحققين من متأخر يهم، فأنهم لم يقصروا موضوع النحو على أواخر الكلم، بل ذهبوا إلى تأليف الجملة ودلالتها على المعنى المراد، لذلك فإنهم عدّوا موضوعه[5]: ((اللفظ الموضوع باعتبار هيأته

---

١) ينظر: تاج العروس: ٧٤١/١.

٢) ينظر: حاشية الصبان على شرح الاشموني: ١٥/١.

٣) ينظر: المفصل في العربية: المقدمة.

٤) ينظر: الصبان على الأشموني: ١٥/١، و: الحدود للفاكهي: ٢.

٥) كشاف اصطلاحات الفنون: ١٧/١ - ١٨.

التركيبية وتأديتها لمعانيها الأصلية)).وان الغرض منه الاحتراز عن الخطأ في التأليف والاقتدار على فهمه والإفهام به.وهذه النظرة إلى موضوع النحو هي اسلم بكثير عن سابقتها المقتصرة على اواخر الكلم.

ويبدو أن أصحاب هذه النظرة اعتمدوا أقوال المتقدمين من النحويين، فقد ذكر خلف الأحمر(١٨٠ هـ) في مقدمته الطرق التي نحاها في كتابه، والغاية التي قصدها منه، قال: ((فعملت هذه الأوراق، ولم ادع فيها أصلا، ولا أداة ولا حجة، ولا دلالة، إلا أمليتها فيها، فمن قرأها وحفظها وناظر عليها عَلِمَ اصول النحو كله مما يصلح لسانه في كتاب يكتبه، أو شعر ينشده، أو خطبة أو رسالة إنْ ألَفَها))[١].

وفي كلام الأحمر هذا وضوح في أن موضوع النحو عنده أشمل بكثير من حركات أواخر الكلم، إذ هو: ما يصلح اللسان والقلم في كل ما يفيد منه المتكلم، والمؤلف والشاعر والخطيب، وما يفيد هؤلاء هو كل ما للعربية من أساليب الكلام وفنونه.

وهناك من النحويين[٢] من يذهب إلى أن: ((النحو إنما أريد به أن ينحو المتكلم، إذا تعلمه كلام العرب وهو علم استخرجه المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب، حتى وقفوا فيه على الغرض الذي قصده المبتدؤن بهذه اللغة)).وهناك من يزيد على هذا الوضوح فيقول[٣]: ((وهو انتحاء كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع، والتحقير والتكسير، والإضافة والنسب، والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وان لم يكن منهم)).

---

١) مقدمة في النحو: ٣٣.

٢) الاصول في النحو: ٣٧/١.

٣) الخصائص: ٣٤/١.

وفي هذا الكلام وضوح على عدم اقتصار موضوع النحو على الاعراب، بل يتجاوزه الى البحث في هيئات الكلمة المفردة ودلالتها على التصغير والتثنية والجمع، والبحث في الهيئات المركبة للجملة وشبه الجملة، وانَ الغاية منه أن يعرف غير العربي فصاحة اللغة العربية، ويتكلم بها كما تكلم أهلها.ولأن موضوع النحو عند هذا الفريق هو التركيب في الكلام العربي، ومسعاه عندهم هو الأمن من الخطأ في التأليف، والقدرة علىالفصاحة والافهام، فهذا جعل تعريفاتهم للنحو منسجمة مع ماذهبوا اليه. فذكر السيوطي[1]تعريف صاحب البديع محمود بن مسعود(٤٢١هـ)من أن النحو: ((صناعة علمية يعرف بها أحوال كلام العرب من جهة مايصحَ ويفسد في التأليف، ليُعرَف الصحيح من الفاسد)).

وذهب السكاكي(٦٢٦هـ)الى الجمع بين حد النحو والغاية منه[2]، فقال وهو: ((أن ينحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا، بمقاييس مستنبطة من استقراء العرب، وقوانين مبنية عليها، ليحترزبها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية))، وقد قصد بكيفية التركيب: تقديم بعض الكلم على بعض ورعاية مايكون من الهيئات إذ ذاك.

ويتضح من هذه الأقوال أن وظيفة النحو: هي معرفة تأليف الكلام العربي كما نطق به الفصحاء من العرب سواء تعلّق بهيأة تأليف الجملة من ناحية التقديم والتأخير، والحذف والإضمار، والفصل والوصل؛ أم تعلّق بمعرفة أجزائه التي ائتلف منها من ناحية الإعراب والبناء والتعريف والتنكير والتأنيث والتذكير وأمثالها، ودلالة كل ذلك على المعاني التي كان يقصدها العرب بكلامهم، مما عزف عنه النحويون المتأخرون، واستأثر به نظراؤهم البلاغيون فيما يسمّونه بـ(علم المعاني). وهذا الكلام عن النحو العربي بمدرستيه البصرية والكوفية.ولما

---

١) الاقتراح: ٦.

٢) مفتاح العلوم: ٤١.

كان البحث يختص ببيان أثر النحو الكوفي، فينبغي إيضاح النحو الكوفي من خلال أهم خصائصه التي جعلت منه نحواً مستقلا عن النحو البصري، وموازيا له في الوقت نفسه.

النحو الكوفي:

لقد كثر الكلام عن المدرستين النحويتين البصرية والكوفية قديما وحديثا، إذ لاتجد ذكراً للمدرسة البصرية إلاّ ويعقبه حديث عن المدرسة الكوفية. ولأن مذهب الكوفيين النحوي تناوله غير واحد من الدارسين فنتحدث بإيجاز عن نشأة هذا النحو، وبيان خصائصه، ودحض حجج المنكرين لوجوده.

نشأة النحو الكوفي:

يذهب كثير من الباحثين الى أن النحو الكوفي تأخرعن النحو البصري بنحو قرن من الزمن.ثم ذهب بعضهم الى أن ابا جعفر الرؤاسي(١٨٧هـ)هو المؤسس لهذا النحو[١].ويذهب فريق آخر[٢] الى أن الكسائي(١٨٩هـ)هوالمؤسس لهذا النحو، ثم الفراء(٢٠٧هـ).وهناك من يرى[٣]: ان الخلاف بدأ مع الجيل الذي يمثّله السجستاني وثعلب والمبرد.وهذا الطرف كأنه يريد القول: ان مؤسس النحو الكوفي هو ثعلب(٢٩١هـ).وهناك من يذهب[٤] الى أن الاخفش(٢١٥هـ)هو امام الكوفيين في النحو، وقد قوبل هذا الرأي بالرد والاستغراب من بعض

---

١) ينظر: ابو زكريا الفراء: ٣٥٧ومابعدها.

٢) ينظر: مدرسة الكوفة: ٧٤ –٧٥.

٣) ينظر: الخلاف النحوي بين الكوفيين: ٧٣.

٤) ينظر: المدارس النحوية، : د/شوقي ضيف: ٩٦، ٩٩، ١٥٥-١٥٦، و: تاريخ النحو واصوله: ١٤٥.

الباحثين[1].وهناك من ذهب الى ان الاخفش هو الذي تأثر بالكوفيين[2]. وهناك من قال: إنّ الطرفين قالا قولة واحدة، فلا نحاول أن نعزو التأثير لطرف و التأثر للطرف الآخر، وعليه يمكن القول: اتفق رأي الاخفش ورأي الكوفيين[3].

والراجح عندي أن الكسائي هو المؤسس الحقيقي للنحو الكوفي، على أن يكون قد مهّدَ للتأسيس قبله علماء كوفيون لم تصل الينا آراؤهم كالرواسي ومعاذ الهرّاء(١٩٠هـ) وابوبكر بن الأنباري وإبن خالويه وغيرهم. ومن هذا يتضح أن من أشهرعلماء الكوفة: الكسائي والفراء وثعلب، وهم يمثّلون أعمدة النحو الكوفي.

انكار النحو الكوفي:

أثبت القدماء وكثيرمن المحدثين من أن للكوفيين نحواً خاصا بهم، ويغاير النحو البصري[4]. إلاّ أنّ بعض المستشرقين أنكروا أن يكون للكوفيين مذهب خاص بهم، إذ اشار(فايل) الى عدم تأسيس الكوفيين مدرسة خاصة بهم[5]. وذهب(بروكلمان) إلى انكار المذهبين البصري والبغدادي إلى جانب المذهب الكوفي، إذ قال[6]: ((....وسنحتفظ أيضا بهذا التقسيم على الرغم مما يبدو من ان الخلاف المزعوم بين مناهج تلك المذاهب لم ينشأ إلاّ على اساس المنافسة بين المبرد وثعلب)). ولم يتوق أمر الانكار الى المستشرقين، بل ذهب اليه بعض

---

١) الخلاف بين النحويين، د/ الطويل: ٤٦-٤٧.

٢) ينظر: نشأة النحو، محمد طنطاوي: ٨٩-٩٠، و: مدرسة البصرة، د/عبد الرحمن السيد: ٤٨٩ فمابعدها.

٣) ينظر: منهج الاخفش الاوسط، عبد الامير الورد: ٣٩٧-٣٩٨.

٤) ينظر: مدرسة الكوفة: ٣٤٩-٣٥٠.

٥) ينظر: مقدمة الانصاف، ط اوربا، نقلا عن مدرسة الكوفة: ٣٥١، و: ابو زكريا الفراء: ٣٥٤.

٦) تاريخ الأدب العربي: ١٢٥/٢.

الباحثين العرب، منهم: الاستاذ سعيد الافغاني[1]، والدكتور كمال بشر[2]، والدكتورأحمد مختار عمر[3]. ولكن الدكتور مهدي المخزومي وغيره من الباحثين ذهبوا الى نقض ماذهب اليه المنكرون، لما يحمل المذهب الكوفي من خصائص يختلف بها عن المذهب البصري[4].

خصائص المذهب الكوفي:

ان أهم مايتميز به المذهب الكوفي: الاتساع في السماع، ثم القياس على كل ماسمعوه، واستعمالهم مصطلحات خاصة بهم[5].وكان من نتيجة قياسهم على كل ماسمعوه، كثرة القواعد، وقلة الاعتماد على العقل، والابتعاد غالبا عن الفلسفة في التعليل، وعن اللجوء الى التقدير والتأويل.

والحقيقة ان الآراء صوب منهج الكوفيين النحوي اختلفت، فبعض الباحثين وصفوه بأنه فساد للنحو بحجة انهم قاسوا على الشاذ الذي لايجوز الا في الضرورة، وان تساهلهم في الرواية بالأخذ عن الأعراب الذين لايرى البصريون سلامة لغتهم لاختلاطهم بالمتحضرين، ومن هذا الفريق أحمد أمين[6]، والشيخ محمد الطنطاوي[7]، والدكتور شوقي ضيف[8]، وغيرهم.

اما الفريق الآخر فقد وصف ذلك المنهج بأنه الاقرب الى المنهج اللغوي السليم، بحجة ان تفسير هذا المنهج للظواهر الاعرابية أقرب الى طبيعة اللغة،

---

١) ينظر: من تاريخ النحو: ٩٥.
٢) ينظر: دراسات في علم اللغة: ٥٤.
٣) ينظر: البحث اللغوي عند العرب: ٩٠-٩١، ٩٣.
٤) ينظر: مدرسة الكوفة: ٣٥٢-٣٥٥.
٥) ينظر: ضحى الاسلام، احمد امين: ٢/٢٩٥، و: الاصول، د/تمام حسان: ٣٨-٣٩.
٦) ينظر: ضحى الاسلام: ٢/٢٩٥-٢٩٧.
٧) ينظر: نشأة النحو: ١١٣، ١٢٢، ١٤٢.
٨) ينظر: المدارس النحوية، د، شوقي ضيف: ١٥٩-١٦٠.

ولأن الكوفيين درسوا المادة اللغوية على اساس وصفي، أي: بطريقة تقريرية تبتعد عن التعليل الفلسفي.وان هذا المنهج لم يلق حتى الآن مايستحقه من عناية الدارسين، ومن هذا الفريق: الدكتور المخزومي[1]، والدكتور أحمد مكي الانصاري[2]، والدكتور عبده الراجحي[3] وغيرهم.

وأشار السيوطي الى: أن مذهب الكوفيين القياس على الشاذ، ومذهب البصريين إتباع التأويلات البعيدة التي خالفها الظاهرفي الترجيح بين البصريين والكوفيين.وقال: اتفقوا على ان البصريين أصح قياسا، لأنهم لايلتفتون الى كل مسموع ولايقيسون على الشاذ، والكوفيون أوسع رواية[4].

ويذكر ابن يعيش(٦٤٣هـ): أن الكوفيين لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للاصول جعلوه أصلاً وبوّبوا عليه، بخلاف البصريين[5].

والذي عُرف عن الكوفيين انهم أكثر رواية من البصريين لشواهد اللغة، وهذا جعلهم من حيث الادلة النقلية، أقوى استعدادا من البصريين الذين كانت حجتهم عقلية كما يقول ابن الانباري في الانصاف[6]. وعليه يمكن القول: إن النحو الكوفي امتاز من النحو البصري بما يأتي:

١- عمل الكوفيون بالقياس، لكن اختلفوا مع البصريين بالتطبيق العملي لطريقة القياس، فالكوفيون لايتشددون في القياس، بل يقيسون على المثال الواحد، وبهذا لهم أقيسة وتعليلات أقل تشدّداً من البصريين.

---

١) ينظر: مدرسة الكوفة: ٣٧٧، ٣٨٦.

٢) ينظر: ابو زكريا الفراء: ٣٦٣، ٤٠١-٤٠٨.

٣) ينظر: دروس في المذاهب النحوية: ١١-١٢، ٩٠-٩١.

٤) ينظر: المزهر: ١/١٥٦-١٥٧.

٥) ينظر: شرح المفصّل: ١/٣٦.

٦) ينظر الانصاف في مسائل الخلاف: ١/١٢٨.

٢- اعتماد الكوفيين على القراءات القرآنية ولاسيما الشاذة في كثير من آرائهم النحوية، لأن معظم الكوفيين من القرّاء، وهذا خلاف البصريين الذين لم يعتمدوا كثيراً على القراءات الشاذة في وضع قواعدهم النحوية.

٣- اعتماد الكوفيين على الرواية والشواهد حجة، دون تقيّد بالزمان والمكان، وفي هذا تقول الدكتورة خديجة الحديثي[١]: ((توسعهم في الرواية والشواهد والسماع زمانا ومكانا، فلم يحددوا لشواهدهم زمانا معينا يقف عنده، فجاوزوا به عصر الكسائي والفراء، وأجازوا الاحتجاج باللغة والشعر من أية بيئة كان المتكلمون بها بلا تحديد لحواضر أو بوادٍ)).أي إنّ الكوفيين أقاموا نحوهم على النص القرآني بوصفه الأصل الاول في السماع، فهم ينطلقون من القرآن، والرواية عندهم تأصيل للنص القرآني وما ورد فيه من أساليب لغوية -صوتاً وصرفاً ونحواً ودلالة -وهذا هوطابع دراستهم اللغوية الذي يختلف عن الدراسة البصرية التي تنطلق من الشعر.

وفي ضوء ماتقدم من الخصائص التي إمّاز بها النحو الكوفي، يمكن القول: إنّ النحو الكوفي أقرب الى المنهجية الوصفية التي تتسم بالمظاهر الآتية:

أ/ الميل الى السماع وسعة الرواية

ب/ الميل الى الوظيفية في دراسة الالفاظ والتراكيب.

ت/ الميل الى المنهاج الشكلي الخارجي.

ث/ الميل الى تفسير الظواهر تفسيراً واقعياً، أي: الابتعاد عن التأويل والتقدير.

وأفاد الخلاف بين المدرستين الدراسات الحديثة كثيرا، ولاسيما في مجال تيسير النحو، إذ((بدأ بعض الباحثين ممن صنّفوا في النحو حديثا، الاخذ ببعض آراء

---

١) المدارس النحوية، د/ الحديثي: ١٨٠.

الكوفيين في بعض المسائل تيسيرا للنحو، وتخليصا له من التقديرات والتأويلات والآراء التي لاطائل تحتها))[1].

التفسير والتأويل:

إنّ الحقيقة التي ينبغي ادراكها قبل أن نتعرّف على مفهوم التفسير، تتمثل في أنّ الصحابة سبقوا النحويين في وضع اسس التفسير، فابن عباس(٦٨هـ)- رضي الله عنه- كان يفسّر القرآن الكريم معتمدا في ذلك على كلام العرب في اشعارها.

على أن كلمة(التأويل)كانت تدور على ألسنتهم، والمراد منها: الفهم والتدبر، فكان المراد من التفسير والتأويل عندهم واحدا. يقول صاحب تفسير المنار[2]: ((فالقرآن كله مفهوم، ان اشتبه منه شيء على بعض الناس علّمه غيره.....فإن السلف قد قال كثير منهم انهم يعلمون تأويله، ونقلوا ذلك عن ابن عباس إذ قال: أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله، وهذا يقتضي أن الراسخين في العلم يعلمون التأويل الصحيح للمتشابه، وهو التفسير في لغة السلف)).

فالتفسير والتأويل عند أغلب القدماء يعنيان معنى واحدا، فهناك من يقول: وأما التأويل في لفظ السابقين فله معنيان، منهما: تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه، ويتضح من هذا أن التفسير والتأويل عند هؤلاء متقارب أو مرادف[3].

والذي يدقق النظر في تفسير الطبري يجد أن الطبري يستعمل كلمة(التأويل)على اصل استعمالها في معنى التفسير والفهم والتدبر.وكذلك

---

١) ابن الانباري في كتابه الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، مجلة جامعة الموصل: ٢٩٧.

٢) تفسير المنار: ١٤٥/٣.

٣) ينظر: الاكليل في المتشابه والتأويل: ٢٤.

الشيخ الطوسي فأنه كان دائما يستعمل مصطلح(التأويل) بوصفه مرادفا للتفسير، ولا يفرّق بينهما، إذ إنه يريد عرض آراء المفسرين يقول(وقال أهل التأويل) وهو يريد أهل التفسير.وقد استعمله اللغويون[1] أيضا بهذا المعنى، فأبو عبيدة يشير الى أن: التأويل: التفسير.وكذلك ابن منظوريذكر: أوّلَ الكلام وتأوّله، دبّره وقدّره، وأوّله وتأوّله وفسّره.والتفسير مأخوذ من(فَسَرَ) المشتق من السفر، وهو الكشف والظهور يقال: أسفر الصبح اذا ظهر، وأسفرت المرأة عن وجهها اذا كشفته وبان للناظرين. أو هو مأخوذ من فسر يفسر كـ(ضَرَبَ يضرِبُ أو نصَر ينصُرُ).

التفسير لغة واصطلاحاً:

ان هذه اللفظة مشتقة من الجذر(فسر)التي تعني: الفصل، الابانة، الايضاح، كشف المغطّى، كشف المراد عن اللفظ المشكل أو المعنى المراد. ولقد ذهب الخليل الفراهيدي الى ان: الفُسرِ: التفسير، وهوبيان وتفصيل للكتاب، وفَسَره يَفسِره فَسْراً، وفَسَّرَه تفسيرا[2].

وينقل ابو حيان في تفسيره(البحرالمحيط) قول ثعلب من أن المراد من التفسير: الكشف او هو راجع الى معنى الكشف، فيقول: ((تقول فسرت الفرس: عريّتَه لينطلق في حصره، وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنه كَشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري))[3].

وذهب الصاحب بن عباد الى ان الفَسْر: التفسير، وهو بيان، وتفصيل للكتاب، يقال: فَسَرْتُ القرآن وفسّرتَهُ،. وما تفسرت عن هذا: أي ماسالمت عن تفسيره، وهي كقولك: ماستفسرته[4].

---

1) ينظر: مجاز القرآن: ٨٦/١، و: ينظر: لسان العرب: ٣٣/١١(مادة أول).

2) ينظر: العين: ٦٢/٢.

3) البحر المحيط: ١٣/١.

4) ينظر: المحيط في اللغة: ٢٥٩/٢.

وذكر صاحب الصحاح في اللغة ان الفسر[1]: البيان، وقد فسرتُ الشيء أفسِرُ فسراً.

والتفسير مثله واستفسرته كذا، أي: سألته ان يُفسّره لي.

وذهب الراغب الاصفهاني الى ان الفسر[2]: اظهار المعنى المعقول، والتفسير في المبالغة كالفسر، والتفسير قد يقال فيما يخصّ مفردات الالفاظ وغريبها، وفيما يخصّ التاويل، ولهذا يقال: تفسير الرؤيا وتأويلها، قال تعالى{وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً} الفرقان٣٣.

اما الزركشي فقال ان التفسير في اللغة[3]: راجع الى معنى الاظهار والكشف.....، وقد ذكر قول ابن الانباري: ((قول العرب: فسرت الدابة وفسرتها، اذا ركضتها محصورة لينطلق حصرها، وهو يؤول الى الكشف ايضا)).

وورد في لسان العرب[4] ان الفَسر: البيان، فسَرَ الشيء: يفسِره، ويفسُره فسراً وفسّره أبانه، والتفسير والتاويل المعنى واحد وقوله عز وجل {وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً}.

والفسر: كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل، أي ان: التفسيرهو البيان.

وجاء في المصباح المنير[5]: فسرت الشيء فسرا، بنته وأوضحته والتثقيل مبالغة.

---

١) ينظر: الصحاح في اللغة: ٤٤/٢.

٢) ينظر: مفردات الفاظ القرآن: ٦٣٦.

٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١٤٧/٢.

٤) ينظر: لسان العرب: ٥٥/٥، و: ٣٦١/٦.

٥) ينظر: المصباح المنير: ٤٧٢/١(مادة ف ـ س ـ ر).

وذكر الفيروز آبادي[1]: أنّ الفسر الإبانة، وكشف المغطى كالتفسير، تقول: فسرت الشيء اذا بينته فهو كما يقول اللغويون كشف معنى اللفظ واظهار بيانه.

وجاء في المعجم الوسيط[2] ان: فسر الشيء فسرا وضّحه.(فسر) الشيء: وضّحه وآيات القرآن الكريم شرحها ووضح ما تنطوي عليه من معان واسرار واحكام.

وهناك من يقرن لفظ(تفسير) بـ(فسر) ويعّدها صيغة مبالغة للفعل[3]. ولما كان لفظ(تفسير) مصدراًعلى وزن(تفعيل) وان هذا الوزن يمكن ان يحمل معنى المبالغة، فيمكن القول ان معناه يكون: كشف معاني الالفاظ والحقائق المستورة، وهذا ماستقرعليه اغلب رأي علماء اللغة من: كشف المغطى وتوضيح معاني الالفاظ والعبارات.

وعلى ماتقدم فالتفسير يستعمل لغة في ابراز المعاني المعقولة والمعاني الحسيّة أيضا، لأن المعاني والحقائق الذهنية تُقَرّب الى الفهم والبيان بتصويرها للعَيان. قال تعالى{وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً} الفرقان٣٣، وان لفظ(التفسير) هنا يحمل المعنى اللغوي عينه، أي: الكشف والبيان، وهذا ماذهب اليه ابن عباس من ان معنى التفسير في هذه الآية: بيان و تفصيل[4].ولم يقتصرهذا المفهوم على اللغويين فحسب، بل ذهب اليه اغلب المفسرين[5].

---

١) ينظر: القاموس المحيط: ١٠/٢.

٢) ينظر: المعجم الوسيط: ٢٩٠/٢.

٣) ينظر: مفردات الفاظ القرآن: ٦٣٦.

٤) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة: ١٩٣.

٥) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٣٨٨/٩، و: التبيان في تفسير القرآن: ٤٨٩/٧، و: مجمع البيان: ٢٩٦/٧.

اما التفسير اصطلاحاً ، فقد عُرِّفَ بانه: ((علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، واحكامها الافرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات ذلك)) وقد شرح صاحب هذا التعريف ماذهب اليه[1].

ويذهب الزركشي ليُشخّص في حديثه احتياجات علم التفسير، الى القول[2]: ((هوعلم نزول الآية وسورتها، واقاصيصها والاشارات النازله فيها، ثم ترتيب مكّيها ومدنيّها، ومحكَمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعامّها، ومطلقها ومقيّدها، ومجملها ومفسرها، وزاد قوم فقالوا: علم حلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعِبَرِها وأمثالها))،

ويذكر الزركشي أن التفسيرعلم يفهم به كتاب الله(القرآن الكريم) وبيان معانيه، واستخراج احكامه وحكمه، ويستند ذلك الى علم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان، واصول الفقه والقراءات، ويحتاج الى معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

وتتضح من أقوال الزركشي التفاتة مهمة، تتمثل بجعله التعريفات موضحة لذكر ما يحتاج اليه علم التفسير، من خلال قوله هو علم يفهم به كتاب الله وبيان معانيه واستخراج احكامه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف والبيان واحوال الفقه والقراءات، ومعرفة اسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

وقد ذهب الشريف الجرجاني الى ان التفسيرهو[3]: ((توضيح معنى الآية وشأنها، وقصّتها والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة)).

---

١) البحر المحيط: ١/١٣ - ١٤.

٢) البرهان في علوم القرآن: ٢/١٦٣ - ١٦٤، وينظر: ١/٣٣.

٣) التعريفات: ٥٠.

وهنـاك مـن المحـدثين[١] مـن عَـرّفَ التفسـير بانـه: ((بيـان معـاني الآيـات القرانيـة والكشـف عـن مقاصـدها ومداليلـها)) وهنـاك مـن قـال[٢]: ان معنـى التفسـير اصطلاحا((علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية)).

والحقيقـة أنّ العلمـاء ذكـروا للتفسـير ألوانـاً مـن التعريفـات في اصـطلاحهم، تلتقـي كلّهـا حـول كشـف المعـاني للقـرآن ومايحتـاج اليـه مـن أحكـام أداء ألفاظـه وبيان مدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، كما تبين من التعريفات السابقة. وذهـب الطـبري الى القـول[٣]: اسـتعمل التفسـير في اصـطلاح العلمـاء لمعنـيين: أولهمـا التفسير الـذي هـو قسـم مـن اقسـام البـديع الراجـع الى المحسـنات المعنويـة ويـراد بـه عنـدهم ان يـاتي المتكلـم بمعنـى لايسـتقل الفهـم بـادراك فحـواه، مـا لم يفسره كلام اخر بعده. ثانيهما للتفسير هو ما نعني بالكلام فيه في مقالنا هذا.

وجاء في مجمع البيان أن التفسير: هو علم بأصول تعرف بـه معـاني كـلام الله مـن الأوامـر والنـواهي وغيرهـا[٤]، وذكـر الزمخشـري وجـوب تـوفر شـروط في المفسر[٥]، وهـي ان يعـرف خمسـة عشرعلماً على وجه الاتقـان والكمـال، هـي: اللغـة والنحـو والتصـريف والاشـتقاق والمعـاني و البيـان والبـديع و القـراءات و اصول الدين و اصول الفقه و اسباب نزول القصص و الناسخ والمنسوخ و الفقـه و الاحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم وعلم الموهبة وهو علم يورثه الله

تعالى لمن عمل بما علم. فاذا كان العالم جامعا لهذه العلوم سينعكس احدها بوضـــوح على طبيعة تفسيره، فالذي يميل الى البيان(اطناب ـ ايجاز) سيكون

---

١) الميزان في تفسير القرآن: ٢/١.

٢) مناهل العرفان، الزرقاني: ٤٧١/١.

٣) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٣/١-١٤.

٤) ينظر: مجمع البيان: ١/١.

٥) ينظر: الكشاف: ٢٣٧، و: النحو و كتب التفسير: ٥٤٠/١.

تفسيره بيانياً، والنحوي الذي يهتم بالاعراب والاوجه الاعرابية المحتملة فيه وينقل قواعد النحو ومسائله سينعكس ذلك على طبيعة تفسيره، والاخباري كذلك، أي ان كل مفسر يقتصرعلى ماهتم به.

مما تقدم يتضح انّ علم التفسير أجَلُّ العلوم قدراً، لأنه الموصل الى فهم مراد الله من كتابه ومعرفة احكام الله في وحيه، وما فرضه على عباده، وهي الغاية التي لايخفى على احد من انها أشرف الغايات، وأحسن الطرق لنيل السعادات. وتكمن الحاجة اليه عبر بسط الالفاظ الوجيزة، وكشف معانيها، وترجيح بعض الاحتمالات على بعض. وان في القرآن آيات محكمات هن ام الكتاب، وأُخَر متشابهات، وفيه ناسخ ومنسوخ، ومجمل ومبين، وعام وخاص، وفرائض وسنن، وقصص ومواعظ وأمثال... فما كان راجع الى الاخبار والمواعظ فاللفظ دال بظاهره على معناه. ويوم كانت السليقة(ملكة اللسان)عند العرب في عصر النبوة، فلم يرجعه الى كتاب او نقل، بل كانت فطرية، فهم يأخذون من القرآن مايفهمون، لكن بعد فساد اللغة بمخالطة الاعاجم، وبُعْدِ زمن العرب عن أهل اللسان المخاطبين بالقرآن، فكان للنسيان مكان واسع، وعندها أُحتيج الى علم التفسير.

التأويل لغة واصطلاحاً:

اختلف اللغويون والمفسرون في بيان مفهوم التأويل لغة، فذهبوا الى معان متعددة منها: الرجوع والجزاء، فقد ذهب الخليل الفراهيدي الى أن معنى التأويل: الرجوع والعاقبة والجزاء بقوله[1]((وأل يئلُ لايَطرد في سعة المعاني اطراد آل يؤول اليه، إذا رجع اليه، تقول: طبخت النبيذ والدواء، فآل الى قدر كذا وكذا الى الثلث او الربع، أي: رجع)).

---

١) العين: ٣٦٩/٨(مادة أول).

وفي لسان العرب[1]: ((الأوْل الرجوع، آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً رجع، وأوْل الشيء رجعه، وألت عن الشيء إرتددت، وفي الحديث النبوي الشريف: (من صام الدهرفلا صام ولا آل)أي ولا رجع الى خير... وأوّل الكلام وتأوّله دبَّرَه وقدّره. وأوّله وتأوّله فسّره...))، وورد في اللسان ايضا ان: ((أوّل اليه الشيء: رجعه)).

وجاء في القاموس المحيط أن التأويل[2]: مأخوذ من الأول، وهو الرجوع: ((آل اليه أولاً ومآلاً: رجع، وعنه ارتدّ.. وأوّل الكلام تأويلاً وتأوّله تدبّره وقدّره وفسّره، والتأويل عبارة الرؤيا)). وقال عدد من المفسرين[3] إنَّ معنى(أحسن تأويلا)في قوله تعالى{فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} النساء٥٩: أجمل عاقبة أوجزاءً.وذلك ان الجزاء هو الذي آل اليه أمرالقوم، وصاراليه[4].

ومن تلك المعاني: التفسير والبيان،. اذ ذهب الخليل الى ان[5]((التأول والتأويل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصح الا ببيان غير لفظه، قال:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم في تأويله)).

وذهب الجوهري الى ان[6]: ((التأويل: تفسير ما يؤول اليه الشيء)). وورد في لسان العرب[1]: ((أوّله وتأوّله: فسّره)).وذهب اليه صاحب الجواهر الحسان في تفسير القران[2].

---

١) لسان العرب: ٣٣/١٣ ـ ٣٤، و: ٣٢/١١(مادة اول).

٢) القاموس المحيط: ٣٣١/٣.

٣) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٨٥/١٥، و: زاد المسير: ٢٧/٥، و: الجامع لأحكام القرآن: ٢٧٥/١٠.

٤) ينظر: العين: ٣٦٩/٨(مادة اول)، و: تهذيب اللغة: ٤٥٨/١٥(مادة اول).

٥) العين: ٣٦٩/٨(مادة اول)، و: تهذيب اللغة: ٤٥٨/١٥(مادة اول).

٦) الصحاح: ١٦٢٧/٤(مادة اول).

ومن المعاني التي قالوا بها: التدبر والتقدير، إذ أشار ابن منظور[٣] الى هذا المعنى بقوله: ((وأوّل الكلام وتأوّله: دبّره وقدّره)). وكذلك صاحب القاموس المحيط ذهب الى هذا المعنى بقوله[٤]: ((وأوّل الكلام تأويلا وتأوّله: دبّره وقدّره)). وذكره صاحب تاج العروس[٥].

ومن المعاني ايضا الجمع والاصلاح، فقد جاء في الصحاح[٦]: ((وآل مآله، أي: أصلحه، والاتيال: الاصلاح والسياسة)). وورد في لسان العرب[٧]: ((قال ابو منصور ﴿الأزهري﴾: يقال: ألتُ الشيء: أؤوله، اذا جمعته وأصلحته، وقال بعض العرب: أوّل الله عليك أمرك، أي: جمعه، واذ دعوا عليه، قالوا: لا أوّل الله عليك شملك، ويقال: في الدعاء للمُضّل: أوّل الله عليك، أي: رد عليك ضالتك وجمعها لك)). وايضا من المعاني، معنى التحري والطلب. وهناك معانٍ اخرى قد وردت لهذه اللفظة في مجموعة من المعاجم[٨].اي ان التأويل من(أوْل) وهو الرجوع الى الاصل[٩]، وهو الارجاع[١٠] اذا التزمنا الجذر الاصلي، اذ قال الشريف الجرجاني: التأويل في الاصل الترجيع، وهذا يرادف معنى الارجاع ولقد

---

١) لسان العرب: ٣٣/١١(مادة اول).

٢) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ٤٢/١.

٣) لسان العرب: ٣٣/١١(مادة اول).

٤) القاموس المحيط: ١٢٤٤/١(مادة اول).

٥) ينظر: تاج العروس: ٢١٥/٧(مادة اول).

٦) الصحاح: ١٦٢٨/٤(مادة اول).

٧) لسان العرب: ٣٣/١١(مادة اول).

٨) ينظر: القاموس المحيط: ٢٤٤/١(مادة اول)، و: تاج العروس: ٢١٥/٧(مادة اول).

٩) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٨٠/١ ـ٨١، و: لسان العرب(مادة اول) ومقاييس اللغة(مادة اول)، و: التفسير والمفسرون: ١٦/١.

١٠) ينظر: التعريفات: ٦٥.

ذكرت معاني عديدة للتأويل، يمكن ان تُقسّم على ثلاثة أضرب، لتفيد ثلاثة معان عامة، وهي:

١. رد الشيء الى الغاية منه أو رد البيان الى غايته المقصودة، وهذه المجموعة تحمل معنى الرجوع الى الاصل.

٢. تفسيروبيان الغاية من كلام، وهذه المجموعة تحمل معنى: التفسيرالى ما يؤول اليه الشيء.

٣. حقيقة اومعنى الشيء او الكلام، وهذه المجموعة تحمل معنى عاقبة الكلام وما يؤول اليه.

اما التأويل اصطلاحاً، فقد عُرِّفَ التأويل بانه[1]: ((نقل الظاهرعن وضعه الاصلي الى ما يحتاج في اثباته الى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ)). ومعنى هذا: صرف ظاهر اللفظ الى معنى من المعاني المحتملة، ولا يظهر الا بدلالة تعيين المراد منها، لان التأويل: توجيه لفظ متوجه الى معان مختلفة لواحد منها بما ظهر من الادلة[2].

واما التأويل عند المفسرين فهو: صرف اللفظ عن معناه الظاهر الى معنى يحتمله اذا كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتاب والسنة. فقوله تعالى{وتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} : ان اراد به اخراج الطير من البيضة، كان تفسيرا، وان اراد به اخراج المؤمن من الكافر او العالم من الجاهل كان تاويلاً[3]. ولقد عرفه

---

١) النهاية في غريب الحديث: ٣٧/١.

٢) ينظر: التاويل النحوي واللغو ي عند ابي البركات الانباري: ١٤، نقلا عن: التأويل النحوي عند المفسرين.

٣) ينظر: التعريفات: ٥٥، ٧٢.

الزركشي[1] بانه: ((صرف الآية الى معنى موافق لما قبلها وما بعدها، تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط)).

واشترط المفسرون لصرف اللفظ عن ظاهره شروطاً هي[2]:

١- ألا يمكن حمله على الظاهر. ٢- جواز إرادة ما حمل عليه. ٣- الدليل الدال على ارادته.

اما التاويل عند النحويين، فقد نقل السيوطي عن ابي حيان بان: التاويل انما يسوغ اذا كانت الجادة على شيء، ثم جاء بشيء يخالف الجادة، فيتأول اما اذا كان لغة طائفة من العرب لم يتكلم بها، فلا تأويل[3]. ويبدو ان المراد بالجادة: القواعد النحوية التي يلتزم بها النحويون. فاذا اصطدم نص بقاعدة نحوية، عمد النحويون الى تأويل النص بما يتفق ومذهبهم النحوي. وفي ضوء هذا يكون التاويل: هو التصرف في النصوص بعد ادراك عدم امكانية حمل تلك النصوص على ظاهرها، لغرض حصول الانسجام والاتساق بين النصوص والقواعد النحوية.

الفرق بين التفسير والتاويل:

التفسير والتاويل كلمتان تدلان معا على بيان معنى اللفظ والكشف عنه. واللفظتان ظهرتا في بحوث القرآن عند المفسرين،. الا انهم اختلفوا في تحديد مدى التطابق بينهما، فذهب بعضهم الى القول بترادفهما، فكل تفسير تأويل والعكس صحيح ايضا، ومنهم الخليل إذ قال[4]:

---

١) البرهان في علوم القرآن: ١٥٠/٢.

٢) ينظر: معجم لغة الفقهاء: ١١٩، نقلاعن: التأويل النحوي عند المفسرين، مجمع البيان للطبرسي إنموذجا.

٣) ينظر: الاقتراح في علم اصول النحو: ٤٧-٤٨، و: ينظر: البحر المحيط، ابوحيان: ٢/١.

٤) العين: ٣٦٩/١(مادة اول).

((والتأول والتأويل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولايصح إلاّ ببيان غير لفظه)) والى القول نفسه ذهب ابو عبيدة(٢١٠ هـ) عندما صرّح أن[١]: ((التاويل: التفسير والمرجع)).

وكذلك المفسرون، فان الطبري ذهب الى ترادفهما، اذ عند تفسيره الآيات القرآنية يقول: القول في تأويل قوله كذا... واختلف أهل التاويل في الآية، وهو يعني بذلك التفسير[٢]. وكذلك الشيخ الطوسي فيقول[٣]:... ولا منعنا بذلك من الكلام من تأويل الآي جملة ولا ينبغي لأحد ان ينظر في تفسير آية لاينبئ ظاهرها عن المراد تفصيلا، او يقلد احدا من المفسرين، الا ان يكون التأويل مجمعا عليه، فيجب اتباعه لمكان الاجماع، لأن من المفسرين من حمدت طرائقه، ومُدِحَتْ مذاهبه كابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم.

واليه ذهب السمرقندي عندما ذكر: ويقال المحكم ماكان واضحا لايحتمل التأويل، والمتشابه الذي يكون اللفظ شبه اللفظ والمعنى مختلف[٤].

وكذلك ابن ابي حاتم[٥] فذهب الى ترادف لفظتي التفسير والتأويل، عند تفسيره سورة التوبة.

ويتفق الماوردي مع الذين قالوا بذلك الترادف فقال[٦] في تفسير قوله تعالى {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ} البقرة٣٠، قوله(واذ) فيه وجهان: منهما، انها ليست بصلة زائدة، وفيها لاهل التاويل قولان(ويريد باهل التاويل: اهل التفسير) وكذلك في مواضع اخرى من تفسيره.

---

١) مجاز القرآن: ٨٦/١.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري).

٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٥/١.

٤) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٢٤١/١.

٥) ينظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٧/ ٢١٩.

٦) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٣١/١، ١٨١، ٢١٦.

و لقد تابع ابن زمنين[1] هؤلاء المفسرين بترادف اللفظتين، وكذلك القشيري ذهب الى وجود ذلك الترادف بين هاتين اللفظتين[2].وتابعهم في ذلك القول كلّ من الثعلبي[3] والواحدي[4].

وعند الفقهاء أن التفسير: هو كشف معاني القرآن وحتى التأويل ينضوي تحته، فالتأويل عامل مساعد في التفسير القرآني[5]وهو(بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها).

من هذا فان التفسير له اتصال وثيق بالدلالة التي تحدد المقاصد ويعتمد فيها المفسر على النص وهو موضوع مشترك بين الدلالة والتفسير[6].

وذهب القسم الآخر من هؤلاء المفسرين الى وجود فرق بين لفظتي(التفسير) و(التأويل) ومنهم الاصفهاني الذي يرى: ان التفسير أعَم من التأويل، وأكثر استعماله في الالفاظ، وان اكثر استعمال التاويل في المعاني، كتأويل الرؤيا، واكثره يستعمل في الكتب الالهية، والتفسير يستعمل في غيرها، واعلم ان التفسير في عُرف العلماء لكشف معاني القرآن. فالتأويل عنده اذن: رد الشيء الى الغاية المرادة منه قولا او فعلا[7]، والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها، وفيما يختص بالتاويل، ولهذا يقال تفسير الرؤيا وتاويلها[8].

---

١) ينظر: تفسير ابن ابي زمنين: ٤٥٧/١.

٢) ينظر: تفسير القشيري: ٢٠١/١.

٣) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٢٦٥/١، ٣٠٦

٤) ينظر: تفسير الوجيز: ٣٦١/١.

٥) ينظر: معجم لغة الفقهاء: ٩٦، و: تفسير الميزان: المقدمة، ٤.

٦) ينظر: البحث الدلالي: ١٢٧.

٧) ينظر: مفردات الفاظ القرآن: ٩٩.

٨) ينظر: م.ن: ٦٣٦.

وفرّق ابوهلال العسكري(٤١٠هـ) بين التأويل والتفسيربقوله[1]: ((إنّ التفسير هو الاخبار عن افراد وآحاد الجملة، والتأويل: الاخبار بمعنى الكلام، وقيل التفسير: افراد ما انتظمه ظاهر التنزيل، والتأويل الاخبار بغرض المتكلم بكلام، وقيل التأويل: استخراج معنى الكلام لا على ظاهره بل على وجه محتمل مجازاً أو حقيقة، يقال: تأويل المتشابه وتفسير الكلام و...ووضع كل شيء منها موضعه)). ويذهب ايضا الى ان التفسير: بيان لفظ لا يحتمل الا وجها واحدا، والتأويل: توجيه لفظ متوجه الى معان مختلفة بما ظهر من الادلة[2].

ويرى الطبرسي(٥٤٨ هـ) ان التفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتاويل: رد احد المحتملين الى ما يطابق الظاهر[3].

وقال الزبيدي قولاً يوضح فيه معنى التفسير: بانه شرح ماجاء مُجْمَلاً من القصص في القرآن، وتقريب ماتدل عليه الفاظه الغريبة، وتبيين الامور التي أنزلت بسببها الآية، اما التأويل فهو تبيين معنى المتشابه، والمتشابه هو مالم يقطع بفحواه[4].

وذهب أبوطالب الثعلبي الى ان التفسير: بيان وضع اللفظ، اما حقيقة او مجازا، كتفسير الصراط: بالطريق، والصّيب بالمطر، والتأويل: تفسير باطن اللفظ(اخبارعن حقيقة المراد)، والتفسير اخبارعن دليل المراد، لان اللفظ يكشف عن المراد، والكاشف دليل[5]، وقواطع الادلة تقتضي بيان المراد منه على

---

١) ينظر: الفروق في اللغة: ٤٨-٤٩، و: مصطلحات الدلالة العربية، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث: ٥٤.

٢) ينظر: م. ن: ١٣٠-١٣٣.

٣) ينظر: مجمع البيان: ١/١٣-١٤.

٤) ينظر: تاج العروس: ٢١٥/٧(مادة اول).

٥) ينظر: الاتقان في علوم القرآن: ٣٤٦/٢.

خلاف وضع اللفظ في اللغة. وهذا يعني ان معنى التاويل اصبح: هو مايخالف ظاهر اللفظ.

وذكرالماتردي(٣٣٣ هـ)ان الفرق بين التفسير والتأويل[1] هو ما قيل من أن: التفسير للصحابة والتأويل للفقهاء، لذلك فالتفسير ذو وجه واحد، والتأويل ذو وجوه.

ومما تقدم من آراء يتضح ان: للتأويل مزية مزيدة على التفسير، ويؤكدها القرآن الكريم بقوله {فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} آل عمران٧، فهذا النص القرآني فيه حصر لعلم التأويل بالله سبحانه وتعالى، وبمن رسخ في العلم.ويدل عليه دعاء الرسول الكريم(صلى الله عليه واله وسلم) للإمام علي -عليه السلام- بقوله[2]: ((اللهم فقّهه في الدين، وعلّمه التأويل))، وفي هذا الحديث اشارة الى مزيد فضل للتاويل، اذ لو لم يكن للتاويل ذلك، لم يكن لتخصيص الامام علي -عليه السلام - مزيد فائدة.

وبهذا فانَ رؤى نظر العلماء الى معنى التفسير والتأويل تختلف، فمنهم يرى: انهما مترادفان. ومنهم من يذهب الى أن: التفسير أعَم من التأويل، ولكل لفظة منهما حيّزٌ معين. فالتفسير يعني: الفصل، الابانة، الايضاح، وفي اللغة بمعنى توضيح معاني الالفاظ والعبارة والحقائق الخفية، وهو المعنى الذي ورد في الآيات القرآنية المباركة.

اما التأويل: فهو الرجوع الى الاصل. وفي اللغة ورد في معان متعددة، منها: رد الشيء الى الغاية المرادة منه، أوالبيان الى غايته المقصودة، أو تفسير الغاية من الشيء وبيانها.

---

١) ينظر: تفسير الماتردي: ٣٤٩/١.

٢) ينظر: مسند احمد: ٢٦٦/١.

ويرى الباحث أن القول بترادف مفهومي التفسير والتأويل فيه ابتعاداً عن الصواب؛بل يُعَدُّ مأخذاً، لأن جذر كل منهما يختلف عن الآخر، وهذا يفرض أن يكون لكلٍ منهما معنى خاص به،

ويميل البحث الى ان التعريف الاصطلاحي الذي يمكن ان يطلق على التفسير باطمئنان هو: انه بيان الغرض الاستعمالي لآيات القرآن الكريم والمحاولة جهد الامكان عن كشف المقاصد الحقيقية لله تعالى من هذه الآيات.

الفصل الأول
الحمل على الظاهر في تفسير القرآن

ألمبحث الأول:

مفهوم الحمل على الظـاهرعـندالكوفيين

(ألكسائي/ الفراء/ ثعلب) والموقف منه.

المبحث الثاني:

مواضع الحمل على الظاهر في تفسير القرآن.

المبحث الثالث:

أثر الحمل على الظاهر في تفسير القرآن.

المبحث الاول
مفهوم الحمل على الظاهر وموقف الكوفيين منه

تستعمل اللغة العربية أساليب متعددة في التعبيرعن الشيء المطلوب. ومن هذه الأساليب اسلوب الحمل على اللفظ. وهو يمثّل الأصل في الكلام، لأن الاصل مطابقة المعنى للفظ[1]، وهو ألأولى لأنه الاكثر في كلام العرب[2]، وعليه فهو ألاقوى من الحمل على المعنى وهو الاقوى من الحمل على الموضع أو المحل.

من هنا فان الحمل على اللفظ يعني الحمل على الظاهر وعدم اللجوء الى التأويل، ومتى أمكن حمل الالفاظ على ظاهرها فلايجوز العدول بها عن ذلك، لأن الحمل على الظاهر أولى من التأويل وأقوى[3]. ولهذا كانت القاعدة عند النحويين: أن الحمل على اللفظ أفصح وأكثر[4] ونجد المبرد[5] يعقد بابا تحت عنوان(مايُحمل على المعنى وحمله على اللفظ أجود).

وقبل أن نعرف معنى الحمل على الظاهرعبرما قاله اللغويون والمفسرون بهذاالشأن، ينبغي إدراك أن هذا العنوان له حضورفي أكثرمن جهة، لأن النصوص تحمل على ظاهرها من جهتين:

الأولى: تتمثل في عمد(قصد) كثير من المفسرين إلى حمل النصوص بألفاظها الظاهرة وهذه هي جهة التفسير(جهة المعنى)، ونريد بذلك الدلالة المعجمية.

---

١) ينظر: الاشباه والنظائر في النحو: ١ /٦٤.

٢) ينظر: شرح التسهيل للمرادي: ٢٣٠.

٣) ينظر: الانصاف في مسائل الخلاف: ٢٤٣/١.

٤) ينظر: فقه اللغة المقارن، د/ السامرائي: ٨٢.

٥) ينظر: المقتضب: ٢٨/٣.

الثانية: تتمثل في ذهاب المعربين إلى توجيه إعرابهم معتمدين على ظاهر النصـــوص، وهذه هي جهة الإعراب، ونريد بذلك دلالة المعاني.

والذي يلحظ على هاتين الجهتين(الاعرابية والتفسيرية) هوالترابط الكبير بينهما، وينجلي هذا الترابط عبر قيام الإعراب على المعاني، ومن بناء الحكم الإعرابي على فهم النص.

ومفهوم الظاهر لغة: الواضح والبيِّن، والغالب، وهو خلاف الباطن والتأويل والغامض، نقول: ظهر: يظهر: ظهورا، فهو ظاهر[1]، ويقال: فلان ظاهر على فلان، أي: غالب عليه، و ظهر الشيء: تَبَيَّنَ، أو أظهرالشيء: بَيَّنَه. والباطن والتأويل يتداخلان، وهنا يطلق ألتأويل ويراد به المعنيان معاً في مقابل الظاهرالذي يتسع معناه حينئذ. لأن استعمالات المصطلح تعددت تبعا للعلوم المستعمل فيها من جهة، وتبعا للطوائف المستعملة له من جهة اخرى، اذ ان معناه عند الصوفية يختلف عن معناه عند الظاهرية، ومعناه عند المتكلمين يختلف عن معناه عند الفقهاء والنحويين[2].

والذي يخص البحث هو معنى الظاهر عند النحويين. وينبغي التذكير بوجوب احترام اللغة والنص عند أهل الظاهر، لأن النص حجة، واللغة هي الاطار العام للنص، ويجب الالتزام بها.

ولانغفل أن مصطلح الظاهر قد استخدم بمعان مختلفة[3]، فقد استخدم مقابلا للمقدر في وصف الاعراب، وقد يستخدم مقابلا للمضمر، وقد يستخدم وصفا للضمير في مقابل المستتر، وان كل هذه المعاني وان كانت تتصل بالمعنى الذي نحن بصدده بصلة، الا انهاليست المعاني المقصودة، لأنها اوصاف للألفاظ

---

١) ينظر: العين: ٥٢٠/٤، و: مختار الصحاح: ١٩٧.

٢) ينظر: الظاهراللغوي في الثقافة العربية: ١٩ ومابعده.

٣) ينظر: لسان العرب: ٣٦٤/١٥.

والتراكيب وليست وصفا للمعنى، والمراد بالظاهر النحوي هنا: عدم جوازالتصرف في النص بالزيادة او الحذف او غير ذلك من تغير معنى اللفظ عن المعنى الذي وضع له في أصل اللغة الا بقرينة، أي ان هناك قواعد لايمكن تجاوزها، يحمل بها النص على ظاهره، وتتمثل هذه القواعد بما يأتي:

١-عدم زيادة لفظ على النص، ٢-عدم اهمال لفظ ورد في النص، ٣-عدم تغيير موضع لفظ في النص، ٤ -عدم تغيير معنى لفظ ورد في النص عن المعنى الذي وضع له في أصل اللغة.

والتمعن بهذه القواعد يفضي الى أن ثلاثاً منها تتعلق بالتصرف في النص، والأخيرة تتعلق بالتصرف في اللغة، وصرف الفاظها عن ألاصل الذي وضعت له. وهذه القواعد هي مايؤثر في الظاهر النحوي، وهي نفسها قواعد ألتأويل أو صوره. أي ان الظاهر النحوي يقصد به:

مايتعلق بالتركيب والاسناد، ويشمل كل صفة وموصوف، ومضاف ومضاف اليه، ومبتدأ وخبر، وفعل وفاعل، وغير ذلك من التركيبات النحوية.وهذا يعني أن كل تأويل انما هومخالفة واحدة من القواعد التي مرذكرها، فاذا كانت المخالفة في باب من ابواب النحو كان ذلك التأويل نحوياً، لأن التأويل ماهو الا تصرّف في النص بوجه من الوجوه[1].أي ان الحمل على الظاهر: الزام بالأخذ بالكلام على ما هو عليه من غير تصرف أو تغيير، مما يعني أن يكون الاصل هو الكلام المنجز المادي، وان التأويل يقوم على دعوى وجود أصل آخر غير الصورة الظاهرة.

وبتعبير آخر فإنّ الظاهر والتأويل انما هما تطبيق لازدواجية الاصل وخلاف الاصل التي يقوم عليها النحو العربي، لأنك لاتجد باباً من أبواب النحو أو الصرف الا ويقال إنّ الاصل فيه كذا وكذا، وأنَ هذا جاء على أصله أو جاء

---

١) ينظر: التأويل النحوي في القرآن الكريم: ٨٢.

مخالفا لأصله، وفي هذا يقول ابن جني[1] في باب الحمل على الظاهر: ((فاذا شاهدت ظاهرا يكون مثله أصلا أمضيت الحكم على ماشاهدته من حاله، وان أمكن أن تكون الحال في باطنه بخلافه)). فالظاهر عندهم هو مقابل الاصل الذي قد يكون مقابلا للظاهر اذا جاء الكلام على خلاف الاصل، والحكم على وفق الظاهر أقوى عندهم

من التأويل، وحمل الكلام عليه أولى مهما أمكن، وهذا دليل قوة الظاهر عندهم[2].

فمن جهة الإعراب، نجد ابن جني(٣٩٢هـ) بشأن معنى حمل النص على ظاهره، يقول: ((الكلام ما اتفق لفظه ومعناه، أي أن الكلام ملاق ظاهره باطنه، أي لايكون لفظه على شيء، ومعناه على شيء))[3]. وفي ذلك يقول السيوطي(٩١١هـ): ((اخذ النص بظاهر اللفظ وتجنب اللجوء إلى التأويل، لان الأصل مطابقة المعنى للفظ))[4]هذا ماقاله بعض اهل اللغة في معنى الحمل على الظاهر، وهوالكثير الجاري في لغة العرب.

أما في التفسيرفاننا نجد الطبري(٣١٠ هـ) يذكرفي هذا الشأن[5]:...وأجود التأويلين في ذلك، هو مادل على ظاهرالآية، والتوجه بشكل جاد نحو تأويل القرآن الى المشهور من كلام العرب أجود وأولى من غيره.

والحمل على اللفظ هوالاقوى يقول الرضي[6]: ((وانما كان كذلك لأن اللفظ اقرب الى تلك العبارة المحموله عليها من المعنى، اذ هو وصلته الى المعنى))وهذا

---

١) ينظر: الخصائص: ٢٥٢/١.

٢) ينظر: م. ن.

٣) المحتسب: ١/ ٢٤٨.

٤) الأشباه والنظائر: ١/ ١٥٢.

٥) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٢٧٠/٥.

٦) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٥٥/٢.

يعني ان تفسيرالكلام بظاهره يوصل الى المعنى الدقيق الموافق للفظ، وان ترك ظاهر النص والسعي وراء التأويل يفتح باب الاجتهاد في الفهم والتأويل، ومن ثَمَّ يضعنا امام احتمالات متباينة ومتعدده في معنى النص.

وغالباً مايعتمد الشيخ الطوسي(٤٦٠هـ) ظاهر القرآن بمفرداته وتراكيبه حجة في التفسير، وهو بهذا يخرج القرآن من دائرة التأويل المبني في بعض صوره على التعسف والنزوع باللفظ الى غير مدلول الظاهر الى دائرة التفسير المبني على اعتبارات اللغة ودلالات الالفاظ والعبارات الجاريةعلى السنة المخاطبين بالنص القرآني، فهويعبّرعن تمسكه بالظاهر بعبارات كثيرة في تفسيره، منها[1] قوله: ((لاينبغي أن يترك الظاهر من غير حجة ولا دلالة))، وقوله: ((إنّ ماقالوه ترك للظاهر))، وقوله: ((هذا ضعيف لأنه خلاف الظاهر قليل الاستعمال)).وهو فضلا عن هذا يأخذ بالأظهر من مفهوم اللفظة او العبارة عند تفسيرها، وعندما تحتمل أكثر من دلالة(لغوية وشرعية)، فيأخذ بالمتبادر منهما، الذي يفهم عن قرب ويترك الآخر[2].وهذا ماذهب اليه الكوفيون، وتابعهم فيه الطبري.وعلى الرغم من توجه الشيخ الطوسي هذا، إلاّ اننا نجد الدكتوركاصداً الزيدي - رحمه الله -[3] يرى بغدادية الشيخ الطوسي في المذهب النحوي.

ويقول ابو البركات الانباري(٥٧٧هـ): ((وجَرْي الكلام على معنى واحد أولى من التنقل من معنى الى معنى))[4]. بل هناك من ذهب الى ان الخروج على ظاهر النص واللجوء الى التأويل والتمحّل يُعَدُّ من العيوب التى يؤآخذ المعرب عليها، اذ نجد ابن هشام يقول:.. والجهة الرابعة: ان يخرج(أي المعرب) على الامور البعيدة، والأوجه الضعيفة، ويترك الوجه القريب والاقوى، فان كان لم

---

١) التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ١١٠، و: ١/٢٥٣، و: ١/٣٦٨.

٢) التبيان في تفسير القرآن: ٥/٢٢٩، و: اصول النحو العربي: ٥٨ ومابعدها.

٣) ينظر: منهج الشيخ أبي جعفرالطوسي في تفسير القرآن الكريم: ٢٤١.

٤) الانصاف في مسائل الخلاف: ٢/٥١١.

يظهر له الا ذلك فله عذر، وان ذكر الجميع، فان قصد بيان المحتمل أو تدريب الطالب فحسن، الا في الفاظ التنزيل فلا يجوز ان يخرج إلاّ على ما يغلب على الظن ارادته، فان لم يغلب شيء فليذكر الاوجه المختلفة من غير تعسف، وان أراد مجرد الإعراب على الناس وتكثير الأوجه فصعب شديد....[1].

ومن هنا يتضح أن الدعوى الى حمل النصوص على ظاهرها من أجل تحاشي كل التعقيدات التي لامسوّغ لها في التأويل، لم تقتصر على الكوفيين، بل تركت أثرها بوضوح على المفسرين في القرنين الرابع والخامس للهجرة عبر القراءة الدقيقة لتفاسيرهم.

وينبغي أن نبين هنا أن الأخذ بظاهر النص لايعني الوقوف على الجانب السهل فيه، من دون أي محاولة في الاجتهاد، وانما يعني النظر للنص والاجتهاد فيه ماوسع الاجتهاد، على أن لايتجاوز ذلك الفاظ النص الى ماوراءها. وقد ذهب الدكتور محمد عيد الى تلخيص الموقف الظاهري من النصوص في جانبين: أحدهما: ارتباطه باللفظ والمنطوق.والآخر: اجتهاده في الفهم لايخرجه عن منطوق الألفاظ. لكن هناك نصوصًا وآيات لايصح حملها على ظاهرها، لأن

المعنى ليس عليه، اذ لوحمل على الظاهر لفسد المعنى، وفي مثل هذه النصوص لا مناص من اللجوء الى التأويل والانصراف الى معان دقيقة خفية ليصح المعنى.وهذا يعني أن الجنوح الى التأويل في حال تعذر تفسير النص على ظاهره يمثل الوجه الصحيح، بل هوالأصح.فقوله: تعالى{هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ} الحديد٤، فيه جمع بين(استوى على العرش) و(وهو معكم) المحمول على حذف مضاف(وعلمه معكم)، و جمع من هذا النوع لايمكن معه الأخذ بظاهر النص

---

١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: ٧١/١.

لوجود التناقض، وعندها لابد من التأويل[1]، بل يُعدُّ التأويل هنا لازما، وهو الحل الأمثل، والأصح، لأنه يبعدنا عن التناقض.فالتأويل إنما يسَوغ اذا كانت الجادة على شيء ثم جاء شيءيخالف الجادة فيتأول[2].

ولا ننسى أن علاقة التفسيربالإعراب تعززت بشكل جلي وواضح حين تفشى اللحن وشاع، وامتدت هذه الملازمة حتى اصبح الاعراب من ادوات المفسر المهمة التي لايمكن ان يستغني عنها، بل لايستطيع التفسير بدونه.وبهذا أصبحا صنوين كل منهما يكمل الآخر، إذ إنّ الاعراب يوضح التفسير، ومناهج التفسيرتتخيرالوجه المناسب اوالمطلوب بين أوجه الإعراب، الى الحد الذي جعل بعض العلماء أن يعد الإعراب علماً من فروع التفسيرلا النحو[3]. وهناك من جعل النحو شرطاً ثانيا للمفسر بعد تمكنه من اللغة، لأن المعنى يتغيرويختلف باختلاف الاعراب[4].

والحقيقة التي ينبغي إدراكها تتمثل في اشتراط النحو لدى المفسركشرط لاجدال فيه، لأن كثيراً من الآيات القرآنية تظل غامضة لو لم تعنها وسائل النحو وقواعده على ان تتضح وتبين[5].

ومما لاشك فيه أن إعراب المفردات(النحو) يساعد على كشف المعنى، لارتباطهما ارتباطا وثيقا، لذا قيل: إن النظم مجاله النحو البلاغي أوالبلاغة النحوية، ومسائل النحو على هذا النمط هي التي يبحثها علم المعاني[6]. ولقد أوضح الشيخ عبد القاهر الجرجاني(٤٧١ هـ) في نظرية النظم أهمية النحو في

---

١) ينظر: التأويل النحوي: ٢٤/١.

٢) ينظر: الاقتراح: ٧٥.

٣) ينظر: كشف الظنون: ١٢١/١.

٤) ينظر: الاتقان: ١٨٥/٤.

٥) ينظر: أثر القرآن والقراءات في النحو: ٢٧٧.

٦) ينظر: بحوث ودراسات في اللغة وتحقيق النصوص: ٤٠٣.

استجلاءالمعاني وكشفها بقوله: الألفاظ مغلقة على معانيها، والأغراض كافية فيها، فالإعراب هو الذي يفتحها، وهوالمعيار الذي لايتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يُعرض عليه، والمقياس الذي لايعرف صحيح من سقيم حتى يرجع اليه[1].

ومن عمق الصلة بين النحو والتفسير التي تبينت من النصوص متقدمة الذكر، تتضح اهمية النحو للتفسير، وعليه فان النحاة في مسالة الحمل على الظاهر على قسمين[2]:

الاول: لايرى ضرورة في التاويل البعيد والتكلف واثقال النصوص فوق ماتحتمل، أي(ان نظر هذا الفريق موجّه الى ظاهر النص فقط) وهؤلاء هم الكوفيون.

الثاني: متمسك بالاصل النحوي، ولاينظرالى ظاهر النص مطلقاً، بل يلجأ الى التاويل النحوي، ويؤول الكلام ويصرفه عن ظاهره لكي يكون موافقاً لقواعد النحو واحكامه. كل ذلك من اجل ألا تتداعى اصولهم النحوية امام الشاهد القرآني الفصيح وغيره من كلام العرب(نظمه ونثره).

وهنا نجد ان النص القرآني قد اصبح مجالاً رحبا للتقديرات والتأويلات والتخمينات التي قد تفوّت علينا فرصة الوقوف على حقيقة المعنى المقصود، تبعاً للتفسيرات المتعددة الناتجة من مفسر لآخر حسبما عليه رأيه واجتهاده[3]، وهؤلاء هم البصريون.

ومما تقدم نستطيع القول: إن النحو الكوفي كان قسيما للنحو البصري، ولابد من دراسته وبيان أثره في تفسير القرآن، وكانت فكرة دراسة النحوالكوفي وبيان أثره في تفاسير القرنين الرابع والخامس للهجرة. وعلى الرغم من أن ولادة النحو

---

١) ينظر: دلائل الاعجاز: ٢٨.

٢) ينظر: التأويل النحوي: ١/٣٦.

٣) ينظر: اصول النحو العربي: ٥٨.

الكوفي كانت في كنف النحو البصري، وانه نما وترعرع على الأرضية الخصبة التي تكونت من إبداع فكري وعطاء ثرّ في مجال اللغة والنحو(المتمثلة بما قدمه البصريون)، إلاّ أنّه كان واقعا لايمكن إغفاله، فضلاً عن منزلة الكوفيين في علوم القرآن ودراساته التي هي الأخرى جعلت منه قسيماً للنحو البصري، لذلك يجب إبراز النحو الكوفي، وعلى ذلك كانت الدراسة موضوع البحث.

إذن فان الكوفيين يرفضون القول بالتأويل في نصوص القرآن، وعندهم أن آيات القرآن ينبغي فهمها على الظاهر بمعرفة معاني ألفاظها دون صرفها الى معان عقلية خارجة عن منطوق الألفاظ[١]. وهناك من يرى أن منهج الكوفيين الذاهب إلى(الحمل على الظاهر) والابتعاد عن التأويل، وعدم لجوئهم إليه إلا اضطراراً، قد أعان العقل العربي على تذوق العربية بعيداً عن الافتراضات العقلية والمنطقية، وفي الوقت نفسه هو منهج يهدف إلى التيسير، لأنه منهج قائم على استقراء أوسع واستقصاء أشمل من استقراء البصريين.

فالدكتور المخزومي[٢] يرى: عدم وجود التأويل عند الكوفيين إلا اضطراراً، ويعتقد ان قول الكوفيين أحيانا بالعامل الفلسفي يكون بسبب مجالس المناظرة مع البصريين، اذ يشير الى عدم رؤيته أثرا للفلسفة الكلامية في نحو الكسائي والفراء وثعلب و ابن الأنباري، وعدم احساسه بانهم كانوا يعتدون بالتعليل المنطقي اعتداد البصريين. ومن هذا يظهر خلو النحو الكوفي من أي أثر للمنطق، وأن قولهم به لم يكن من منهجهم او طبيعتهم، وانما هو أمراقتضته مجالس المناظرات التي يُراد منها التقرب من الخلفاء.

---

١) ينظر: م ن: ٦٠ - ٦١.

٢) ينظر: مدرسة الكوفة: ٢٧٣-٢٧٤.

والدكتورة خديجة الحديثي تذهب ايضاً الى ان: عدم القول بالتأويل البعيد والتعليل هو علامة مميزة في النحو الكوفي[1]، أي ذهاب الكوفيين الى الحمل على الظاهر.

والدكتور أحمد مكي الانصاري[2] يرى: ان منهج الكوفيين كان اقرب الى المنهج اللغوي السليم، لاعتمادهم على كل ماسمعوه من العرب، ولانهم لحوا طبيعة اللغة فابتعدوا عن فلسفتها. وغيرهم من الذين ذهبوا الى هذا الاتجاه[3].

ويبدو أن الصواب فيما ذهب اليه أصحاب هذا الرأي، بدليل وجود المسائل الكثيرة التي حملها الكوفيون على ظاهر نصوصها بعيداً عن التكلف والتأويل، الا ان هذا لايعني ان الكوفيين جانبوا التأويل مطلقاً، أو أنهم حملوا النصوص على ظاهرها في كل حال، وانما ثمة مواضع جنحوا فيها الى التأويل والتقدير، منها: جعلهم فعل الأمر معرباً مضارعاً مجزوما بلام الامر المحذوفة - وحذفت تاء المضارعة منعاً للالتباس بالمرفوع، والمجيء بهمزة الوصل لبقاء الاول ساكنا -[4]، ومنها ايضاً جعلهم خبر(ما) الحجازية منصوباً بنزع الخافض.والذي يلحظ على علماء الكوفة في هذا الجانب هو التباين في قوة الموقف من الحمل على الظاهر، فالكسائي غير الفراء في تأثر كل منهما بعلم الكلام. فالكسائي(١٨٩ هـ) قليل التأثر به، لذلك فان نحوه يخلو الى حد كبير من التعليل والتاويل البعيد، والكسائي لم يكن من النحاة الذين يجدون أنفسهم بالتاويل والتعليل المصطنع، لكنه قد يجنح الى التعليل في مواضع قليلة، وحتى في هذه

---

١) ينظر: المدارس النحوية، للدكتورة الحديثي: ١٧١.

٢) ينظر: ابو زكريا الفراء: ٤٠٨.

٣) ينظر: تاريخ النحو واصوله: ٤٦١، و: التاويل النحوي: ٥٧.

٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٤٦٩/١، ٤٧٦.

المواضع هو أقرب الى روح اللغة من الفلسفة والتكهن، في هذا الشأن يقول الدكتو المخزومي وفي أكثر من موضع[١]:

إنّ نحو الكسائي لم يتأثربالفلسفة الكلامية مباشرة ولم ينقل عنه انه اتصل بآراءالمتـــكلمين، او وقف على شيء من الثقافة الأجنبية كما هو شأن نحاة البصرة الذين قيل: إنهم مهدوا السبيل للحكمة الأجنبية أن تغزو مباحثهم النحوية. لذلك يكاد نحو الكسائي يكون خلواً من أي أثرفلسفي مباشر، اللهم الا ماجاء عن طريق دراسته النحو البصري الذي كان متأثراً بمذاهب أصحاب الكلام، وقد تابعت الدكتورة خديجة الحديثي[٢] ماذهب اليه الدكتور المخزومي.

واذا مانظرنا الى القياس عند الكسائي خاصة، والكوفيين عامة، فانه يختلف عن القياس عند البصريين، إذ إن قياس الكوفيين أساسه التوسع على كل ماجاء عن العرب ووضع قواعد جديدة له، وان كان مخالفاً لقواعدهم التي وضعوها بأنفسهم من قبل، لذا فهم يقيسون على الآحاد من الشواهد، ويؤكدهذا ماقاله ابن درستويه[٣]: ((كان الكسائي يسمع الشاذ الــذي لايجــوز الا في الضرورة فيجعله أصلا ويقيس عليه)). من هذا يتضح ان القياس الكوفي هو قياس اقرب الى روح اللغة، اذ تنقصه اهم خصائص القياس البصري المتمثلة بـ(اقتضاء العلة للحكم)[٤]. ومن الشواهد على عدم التأثر بالفلسفة والمنطق في نحو الكسائي، ما ذهب اليه الكسائي في أن العامل في رفع الفعل المضارع هو حروف المضارعة في أوله، وبهذا يكون عامله لفظياً[٥]، وهذا القول مردود عند البصريين، إذ إنّ جزء الشيء لايعمل في الشيء، فلو قلنا إنّ حروف المضارعة هي العاملة، لأدى ذلك

---

١) ينظر: مدرسة الكوفة: ١١٣ - ١١٤، و ٣٧٠ - ٣٧١.

٢) ينظر: المدارس النحوية، للدكتورة الحديثي: ١٨٧.

٣) بغية الوعاة: ١٦٤/٢.

٤) ينظر: الانصاف: المقدمة: ٧، و: مدرسة الكوفة: ١١٦.

٥) ينظر: همع الهوامع: ٢٧٣/٢ - ٢٧٤.

الى أن يعمل الشيء في نفسه وذلك محال[1]. ومن شواهد الكسائي التي تمثل فيها ذهابه الى ان الناصب لـ(زيداً) في القول: زيداً ضربته، هو الفعل الظاهر، فعدى بذلك الفعل الى اثنين مع انه لايتعدى بنفسه عند البصريين الا الى مفعول واحد[2]، وغير ذلك من الشواهد الكثيرة التي تؤكد خلو نحو الكسائي من آثار الفلسفة، وهي مبثوثه في الكثير من المظان النحوية.والكسائي إمام الكوفيين في النحو واللغة، وهو أحد القرّاء السبعة المشهورين، كان يوجّه النحو على حسب ماتقتضيه القراءة[3]، أي انه وضع القاعدة النحوية تبعاً للقراءة المروية[4]، اما الفراء(٢٠٧ هـ) فان ظهرت نزعة فلسفية في بعض المواضع لديه، فهي لاتعدو كونها فلسفة مبنية على اساس الواقع اللغوي في كلام العرب، بل ولاترقى الى تلك الفلسفة العقلية التي تقوم على أساس الافتراض والتكهن كما هي عند البصريين.يقول الدكتور المخزومي:

لاأكاد أرى أثراً للفلسفة الكلامية في نحو الكسائي والفراء وثعلب وتلاميذهم، ولا أحس بانهم كانوا يعتدون بالتعليل المنطقي اعتداد البصريين[5].

ومن هذا القول يتولد احساس بنفي أي اثر للفلسفة الكلامية في نحو الكوفيين بما فيهم الفراء. لكن أجد قولاً آخرَ للدكتور المخزومي يختلف عن سابقه، اذ يقول فيه: ولا يعني هذا أن الفلسفة الكلامية لم تترك اثراً في تفكيره - يعني الفراء - فالراصد أقواله... يحس أثر التفكيرالفلسفي، اذ لايزال يقلب المسألة على

---

١) ينظر: الانصاف في مسائل الخلاف: ٢/٥٥٤.

٢) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١ / ١٦٣.

٣) ينظر: ظاهرة الشذوذ في النحو العربي: ٢٤٠.

٤) ينظر: نحو القرّاء الكوفيين: ٦٧-٦٨، ١٠٧ومابعدها.

٥) ينظر: مدرسة الكوفة: ٢٧٣.

وجوهها المختلفة، مفترضاً في المسالة فروضاً متعددة.... ليصل الى الغرض الذي قصد اليه[1]، وذكر أيضاً: ولكنه بالرغم من هذا التقصي وهذا الذي يكاد يكون عقلياً لم يخرج عن نطاق الاستعمال، ولم يفترض وجوها ليس لها نظير في اللغات أو القراءات، فقد استند الى ما سمعه عن الكسائي، والى ما انشده الكسائي، واستند الى ما جاء في القرآن الكريم ايضاً[2].ويظهرمن اقوال الدكتور المخزومي أن هناك تبايناً يسيراً بينها، وهذا التباين دفع الدكتورأحمد مكي الانصاري: أن يحكم على موقف الدكتور المخزومي بالمتذبذب، اذ وجد في قول المخزومي الأول ذهابه الى خلو نحو الفراء من آثار الفلسفة الكلامية، ويعود ليصححه بما ذهب اليه في قوليه الآخرين، وقصد الدكتور الانصاري ان الدكتور المخزومي عاد ليتفق في ان نحو الفراء يغلب عليه الطابع الفلسفي[3].

يتضح من أقوال الدكتور المخزومي، والأخيرين منها خاصة وان تضمنا معنى لوجود شذرات من التفكير الفلسفي في نحو الفراء، فان هذه الشذرات من التفكير مستندة الى الواقع اللغوي في كلام العرب، لا الى التصورالعقلي المبني على التكهن والافتراض غيرالواقعي.

وأن ماذهب اليه الدكتور الأنصاري في هذا الاتجاه يعزى الى مدى فهمه لنصوص الدكتور المخزومي، اذ انني لا أنكر وجود فلسفة كلامية في نحو الفراء، بل العكس هو الاقرب الى الصواب، لكن الذي أراه: أن هذه الفلسفة لاترقى الى الفلسفة العقلية المنطقية التي تخرج في كثير من الاحيان عن الواقع اللغوي، ثم إنني لاحظت أن المواضع التي فيها أثر فلسفي في نحو الفراء،

---

١) ينظر: م. ن: ١٣٧ - ١٣٨.

٢) ينظر: م. ن: ١٣٩.

٣) ينظر: ابو زكريا الفراء: ٣٣٨ - ٣٣٩.

ليست هي الطاغية على نحوه، وإنما كانت تقل كثيراً عن المواضع التي حمل النصوص فيها على الظاهر.

أما ثعلب(٢٩٢ هـ) فهو لم يختلف عن الكسائي والفراء في موقفه من الفلسفة والتأويل وتعليل المسائل النحوية، إذ إنه لم يتعمق بالتعليل المنطقي والبحث عن العلل، ذلك لأن منهجه قائم على الرواية والابتعاد عن الفلسفة في النحو، ولقد قيل عنه: إنه إذا سئل عن الحجة والحقيقة لم يغرق في النظر[1]. ويقول ابراهيم ابن اسحاق الحربي[2]في هذا الشأن: ((بلغني أن أبا العباس أحمد بن يحيى النحوي قد كره الكلام في الاسم والمسمى، وقد كرهت لكم ماكره أحمد بن يحيى ورضيت لنفسي ولكم مارضي)).

وإنّ ثعلباً في نظرالدكتور المخزومي[3]، يمثل طرازاً كوفياً اصيلاً باعتماده على الروايــة، وبُعده عن اساليب الجدل النظري والتأويل المتكلف والمامه بلغات العرب ولهجاتهم واعتداده بها، فكان يصدرعن مذهب لغوي لامكان للقياس فيه ولاصلة له بالاعتبارات العقليـــة والاساليب الكلامية، فهولايرى في النحو ميدانا للصراع العقلي، ولا موضوعاً من موضوعات الفلسفة والكلام.

وهناك من الباحثين من ذهب الى ذلك، إذ قال: إنّ موقف ثعلب من العلل هو موقفه من القياس، ولما كان يميل الى القياس اللغوي، فقد ابتعد عن العلل المنطقية والفلسفية، والاغراق في التقديرات والتأويلات، وهذا هو مذهب من سبقه من الكوفيين[4].

وتبدو صحة ماذهب اليه هؤلاء الباحثون مما ذهبوا إليه في كثير من المواضع التي يظهرفيها ثعلب هاجراً للفلسفة والتاويل، فمثلاً من تلك المواضع قوله: اذا

---

١) ينظر: طبقات النحويين واللغويين: ١٤١، و: انباه الرواة: ١ /١٤٤.

٢) انباه الـرواة: ١٤٢/١.

٣) ينظر: مدرسة الكوفة: ١٢١، و: الدرس النحوي في بغداد: ٤٩.

٤) ينظر: ابو العباس ثعلب وجهوده في النحو: ٢١٢.

استثنيت بـ(إلاّ) من كلام لاجحد في أوله فانصب ما بعد(إلاّ)، واذا استثنيت بها من كلام أوله جحد فارفع مابعدها، وان علل هذا النوع من التعليل أشبه ماتكون بالعلل التعليمية الرامية أساساً الى تعلم كلام العرب وضبطه ليس الا[1]. وهذا هوالمعمول به، اذ يمثل أكثر كلام العرب، فمن ذلك قوله تعالى {فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ } البقرة٢٤٩، فنصب مابعد(إلاّ) لعدم وجود الجحد في أوله[2].

ومن ذلك ما ذهب اليه في علة خفة الاسم وثقل الفعل، إذ ذكر: أن الاسماء أخف من الأفعال لأن الأسماء جوامد لاتتصرف والأفعال تتصرف فهي أثقل[3]. وهذا لايعني أنّ ثعلبا مبتعد عن التعليل بشكل مطلق، بل إنّه ذهب الى التعليل، لكن أي نوع من التعليل كان ينتهج، أنه التعليل الذي يعتمد على الواقع اللغوي المتصل اتصالاً مباشراً بالنص.والحقيقة أنّ هذا النوع من التعليل لايدخل ثعلب في صف أصحاب الرأي والفلسفة والتأويل البعيد. ولأن الكسائي والفراء وثعلبا يمثلون النحو الكوفي بكل خصائصه وأصوله، (هذا ماقاله العلماء)، إذ عبروا بالقول:

اما الائمة الذين كان لهم أثر في إقامة هذه المدرسة وإنمائها فهم ثلاثة، وهم أساتذتها، ومرجع طلابها، وهم: علي بن حمزة الكسائي، ويحيى بن زياد الفراء، وأحمد بن يحيى ثعلب، هؤلاء الثلاثة هم الذين بدأت بهم المدرسة وختمت، وعلى اقوالهم تأسست المدرسة ونمت، واكثر مايروى في كتب النحو من آراء وأقوال انما هو لهم وعنهم[4]، فانني اكتفي بمواقف هؤلاء الاعلام الثلاثة من الحمل على الظاهر.

---

١) ينظر: تهذيب اللغة: ١٥/٤٢٣ ـ ٤٢٤.

٢) ينظر: الإيضاح في علل النحو: ١٠١.

٣) ينظر: اصول التفكير النحوي: ١١٢.

٤) ينظر: مدرسة الكوفة: ٨٨، و: هكذا رأيتهم، للدكتورمحمد حسين الصغير: ٧٨.

ومن هـذه الدراسـة لمواقف الأعلام المذكورين، يمكن أن نصل الى حقيقة لايمكـن غـض الطـرف عنهـا تتمثـل في: أن الكـوفيين يسـتحقون بجـدارة تسمية(اصحاب الحمل على الظاهر) والابتعاد عن الفلسفة والتأويل، وهـذا ماسـوغ لنـا في الابتـداء بهـذا الموضـوع في فصـل الرسـالةالأول، علـى أن هـذا لايجعلهم مبتعدين تماما عن التأويل، إذ لمسنا ميلهم الى التأويل أحيانا، وأكثرهم ميلاً في هذا الاتجاه الفراء، ولكن ينبغي القول أن ماستعملوه من تأويل وإن كان قليلاً، فهو يختلف عما ذهب اليه البصريون من تأويل متكلّف وبعيد، وتقديرات وافتراضات عقليه في كثير منها ماذهبوا فيه الى القول: بوجوب تقديرفعل مضمر قبل الاسم الذي دخلت عليه(ان-أو- اذا) الشرطيتان، كما في قوله تعالى {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ} التوبة٦، وقوله تعالى {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} التكوير١، ونحو قوله تعالى {وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ} التكوير٣وكما في قوله تعالى {وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ} التكوير٨، وهذه المسألة هي مسألة عامل الرفع في الاسم المرفوع بعد- إنِ - الشرطية[1]، وغيرها من المسائل.

---

١) الكتاب: ٦٧/١ومابعدها، و: المفصّل للزمخشري: ١٤٩/١، و: شرح الرضي على الكافية: ٢٣٧/٢، وينظر: نظرية النحو القرآني: ٦٠-٦١.

المبحث الثاني
مواضع الحمل على الظاهر

يمثل هذا المبحث المحور الأساس في الفصل الأول، بل هو الغاية المتوخى تحقيقها من دراسة الفصل الأول، لأنه يكشف عن مساحة النحو الكوفي ومدى تأثر المفسرين في القرنين الرابع والخامس للهجرة بهذا النحو، وفي مسألة(الحمل على الظاهر) خاصة، بوصف تلك المسألة واحدة من أهم مرتكزات النحو الكوفي، فهو الطريق الذي يظهر فيه أثر النحو الكوفي في تفسير القرآن في هذين القرنين على أن بيان أثر النحو الكوفي هذا، هو المبحث الثالث من مباحث الفصل الأول.

وسيتم في هذا المبحث التعرض لأكثر من ثلاثين موضعاً من مواضع النحو الكوفي الرامية إلى عدم اللجوء إلى التأويل والتقدير، أي المواضع التي يحملون فيها المعنى على ظاهر النص، وقد تابع المفسرون في هذه القرون تلك المواضع، على أنّ المواضع التي حملها الكوفيون على الظاهر في القرآن الكريم كثيرة جداً، غيرأنّ تلك المواضع مبسوطه في مؤلفات النحو.

والمواضع التي في هذا المبحث يتفق عليها المفسرون في هذين القرنين، إذ إن التوصل الى هذه الحقيقة قد تم من المتابعة الدقيقة لتفاسير هؤلاء المفسرين وتحديد المواضع النحوية التي تابع فيها هؤلاء المفسرون الكوفيين. وبعد عرض هذه المواضع سيكون المبحث الثالث من هذا الفصل بيانا لـ(أثر النحو الكوفي في تلك التفاسير).

١. استعمال الاشارة بمعنى الموصول[1]:

يكاد يتفق المفسرون في القرنين الرابع والخامس للهجرة، ومن متابعة دقيقة لتفاسيرهم على جواز استعمال اسم الاشارة بمعنى الاسم الموصول(وهذا مذهب كوفي).

فاذا ماذهبنا الى الطبري(٣١٠ هـ) في تفسيره(جامع البيان)نجده[2] تابع الكوفيين في هذه المسألة من قوله عند تفسيره لقوله تعالى{وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى} طه١٧: فالباء في قوله - بيمينك - من صلة تلك، والعرب تصل(تلك، وهذه) كما تصل(الذي)، ومنه قول يزيد بن مفرغ الحميري:

عَدَسْ! مَا لِعَبَّادٍ عَلَيْكِ إِمَارَةٌ ... أَمِنْتِ وهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ! [3]

وأشار الطبري: الى أن الشاعر قد قال: والذي تحملين طليق[4]، فـ(تحملين)من صلة(هذا)[5]. فـ(تلك) في الآية القرآنية كانت بمعنى(التي)، والتقدير: ما التي بيمينك ياموسى.

وقد ذهب الشيخ الطوسي(ت٤٦٠هـ) في تفسيره(التبيان في تفسير القرآن) الى ذلك في أكثر من موضع من تفسيره، في عرضه قوله تعالى {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا

---

١) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ١١٧/١، ١٣٨ ١٣٨-١٣٩، و: ١٧٧/٢وشرح المفصل: ٤٢/٢ و: الانصاف: ١٨٣/٢، ٧١٧.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٦ / ١٥٣.

٣) كان هذا الشاعر هجا والي سجستان عباد بن زياد فسجنه، وأمر معاويةباطلاق سراحه فأطلق، وقدمت اليه بغلة ليركبها فقال فيها هذا البيت، وقوله(أمنت)في رواية اخرى(نجوت)، ينظر: اللسان(مادة عدس): ١٣٢/٦، والبيت من شواهد الفراءفي معانيه: ١٣٨/١، وشرح الكافية في باب الموصول، والخزانة: ٢١٦/٢، ٥١٤.

٤) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١١٦/١٦.

٥) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٩٩/٢، و: معاني القرآن الفراء: ١٧٧/٢.

مُوسَى}، ذكر أنّ الفراء قال[1]: (تلك)تجري مجرى(هذه)وهي بمعنى(الذي)، و(بيمينك) صلة، وتقديره: (وما الذي بيمينك ياموسى)، وأنشد:

عَدَسْ! مَا لِعَبّادٍ عَلَيْكِ إمَارَةٌ   أمنتِ وهذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ!

وتابع كلٌ من السمرقندي(ت٣٧٥هـ)[2]، و ابن زمنين(ت٣٩٩هـ)[3]، والواحدي(ت٤٦٨هـ)[4] الكوفيين بالقول بجواز استعمال الإشارة بمعنى الموصول.

و يبدو أن ذهاب الكوفيين الى هذا الجواز لم يأتِ من فراغ، بل جاء نتيجة لتوسعهم في الرواية وأخذهم من جميع القبائل العربية، اذ انهم عضّدوا مذهبهم بقول الشاعر الحميري.وفي هذا دليل على ما يؤشر الى وجود بقايا من لغة حمير تتعايش الى جانب مفردات العربية، وتكتب لها الديمومة في سياق وتركيب واحد من دون أن تفقد المدلول القديم، ويبدو أن من اسباب بقاء وديمومة لغة حميرهو تمسك بعض الناس من الحميريين بالاصول الحميرية، وهذا ماجعلهم يحتفظون ببقايا من لغتهم في أثناء الحديث، حتى انتقلت الى أشعارهم ممن كان منهم شاعرا.

وذكر الاستاذ هاشم الطعان في معرض حديثه عن تأثر العربية باللغات اليمنية القديمة: أن سبب استعمال الشاعر الحميري ابن مفرغ(هذا)بمعنى(الذي)، هو احتفاظه ببقايا الحميرية[5].ومايؤيد هذا القول: ماورد من تفسير لألفاظ من القرآن الكريم، بأنها حميرية، ففي تفسيرقوله تعالى{خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ}

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القران: ١٦٤/٧، و: ٤٨٠/٢.

٢) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٩٠/٣.

٣) ينظر: تفسيرابن زمنين: ٢٠/١.

٤) ينظر: تفسير الوجيز: ٥٠٢/١، و: ١٠١/١.

٥) ينظر: تأثرالعربية باللغات اليمنية القديمة: ٤٨ومابعدها.

الأنبياء٣٧ذكر الكوفيون: أن معنى(من عجل): (من طين)، والعجل بلغة حميرألطين[1]، وأنشد أبوعبيدة لبعض الحميريين:

وَالنَّبعُ في الصَّخرَةِ الصَّمَّاءِ مَنْبتُهُ   وَالنَّخلُ يَنبتُ بَينَ المَاءِ وَالعَجَلِ[2]

وما يؤيد وجود بقايا من لغة حمير، نطقهم بـ(أم) عوضا عن (أل) التعريف[3] كما في قول الكلاع الحميري ((عليك أمرأي وعلينا أمفعال))، وقولهم: طاب أمهواء: أي طاب الهواء، وحديث الرسول الكريم- صلى الله عليه وآله وسلم-: ((ليس من أمبر أمصيام في أمسفر))[4] أي: البر-الصيام-السفر. .وباتساع الكوفيين هذا تأصيل للغات العرب من حميروأقاصي اليمن، على الرغم من قلتها، الا أنها تقوّم لهم عبارة، ويستقيم بها تأويل.ومِن ثَمَّ، فلامرد من الأخذ بها، والغاءعامل الزمن، والركون باطمئنان الى تجسيد قانون التداول المسموع عن العرب.

وقد يكون مفيدا بما له بعض الصلة بايداع اسم آخرعن طريق السماع، عمّا وردعن ابن عباس(رض)، هو مجيء(تلك)بمعنى(هذه)[5] مما يسوّغ احلال أحدهما محل الآخرلتماثل المعنى. وأورد الرازي في تفسير قوله تعالى{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ} الفرقان١: قال أهل اللغة: كلمة(الذي)موضوعة للاشارة

---

١) ينظر: البحرالمحيط: ١٥٩/٨، وينظر: التبيان في تفسيرالقرآن: ٢٤٢/٧، و: تفسيرالقرطبي: ٣٥٢/١١، و: تفسير اللباب: ٢٩٤/١١، و: تفسيرالبغوي: ٣١٩/٥.

٢) البيت لشاعرحميري أراد به ايضاح معنى العَجَلِ: الطين، وورد في كثير من مواضع الاستشهاد لذلك، ومنها التفاسير المذكورة في الهامش(٥).

٣) ابدال لام التعريف بـ(أم) وهذا ينسب الى طي والازد وقبائل حمير واليمن، إذ هي أداة التعريف في بعض اللهجات السبئية وما زالت مستعملة في كثير من الجهات اليمنية. ينظر: تاريخ اليمن الثقافي: ٣٠/٣.

٤) جامع الاحاديث: حرف اللام: ٣٠٥/١٨، تسلسل١٩٤٩١، و: ينظر: المزهر: ١ / ٢٢٣.

٥) ينظر: مشكل اعراب القرآن: ٤٦٢/٢.

الى الشيء عند محاولة تعريفه بقضية معلومة[1] فهذا الموصول الاسمي هو الآخر ينبثق عنه معنى الاشارة، فهو مدلول اشاري يوصل بين وظيفتي(الذي) و(الاشارة) في تماثل مضارع.الا أن ايداع الموصول موضع الاشارة، يعود فضل سماعه ونقله في المسائل الى الكوفيين.لكن هناك بعض أسماء الاشارة لم تأت بمعنى الاسماء الموصولة، كما في قوله تعالى{إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} آل عمران٤٩، وفي قوله تعالى{إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ} الأنعام٧، وقوله{مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ} الحديد ١١وكذلك{قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم} الأحزاب١٧، وقوله{فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم} آل عمران، وكذلك {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ} البقرة٢٥٥، فأسماء الاشارة التي وردت في الآيات الكريمة لن تكون بمعنى الاسماء الموصولة، اذن قاعدة الكوفيين لاتطّرد، وهي ليست قاعدة مطلقة، وينبغي القول: ان السياق هو الضابط في مجيء اسماء الاشارة بمعنى الاسماء الموصولة، ويبدو أن اسم الاشارة الذي يشبه- ال العهدية- هوالذي تنطبق عليه القاعدة الكوفية، ففي قوله تعالى{وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى} كان فيه موسى - عليه السلام - على علم مسبق بما في يده فَصَحَّ ماذهب اليه الكوفيون.

وتابع المحدثون في دراساتهم ماذهب اليه الكوفيون في جوازمجيء اسماء الاشارة موصوله، دون أي اشارة من تلك الدراسات الى ان هذه القاعدة النحوية للكوفيين. فالمستشرق الالماني(براجستراسر) وفي باب(اسماءالاشارة) من كتابه يقول: ونضيف اليها الاسم الموصول، فانه في الاصل من اسماء الاشارة ايضاً، واسم(ذو) بمعنى صاحب، فانه قريب من اسماء الاشارة[2].

وان الذي ذهب اليه الفراء من قول بأن(هذا) بمعنى(الذي) يحمل اشارة واضحة الى اصالة التفكير النحوي عند الكوفيين منذ ذلك الحين، وفيه دلاله على

---

١) ينظر: تفسير الرازي: ٤٢٨/٢٤.

٢) ينظر: التطور النحوي: ٨٣(براجستراسر، ترجمة رمضان عبد التواب).

البعد الفكري وعمق التفكير اللغوي للفراء خاصة، والكوفيين عامة. وحتى في مسألة أيهما الاصل: الفعل ام المصدر؟ فان رأي الكوفيين المتمثل باصالة الفعل[١] هو الاقرب لآراء المحدثين والعلم الحديث، اذ توصل اكثر من عالم في مجال الدلالة[٢]الى ان: فعل الامر في كثير من اللغات يشكل المادة الاصلية من الكلمة، وان فعل الامر هو اصل المشتقات واول اجزاء اللغة ظهوراً، فضلاًعن أنَ الافعال تمثل اكبرنسبة وتليها الاسماء طبقاً للإحصاءات، ثم الصفات ثم الظروف والأحوال[٣].

وهذه النقول فيها إشارات الى ان الواقع الفكري الذي أقرّه بعض أهل العربية لايخرج عما تعرض له بعض الدراسات الحديثة، وما قول الكسائي - شيخ المدرسة الكوفية-: ((قد ذهب من كلام العرب شيء كثير انقرض أهله))[٤]، الا تعامل مع اللغة من خلال عامل التطور الزمني، إذ نلحظ ان الكسائي يتعامل مع الواقع اللغوي بعد ما اضفى عليه التطور اشياء جديدة، وذلك حين ينقل عنه ابوعبيد القاسم ابن سلّام هذا الكلام ليدفع مقولة ابي عبيدة البصري(المتكأ: هو النمرق يتكأ عليه)معقباً الكسائي: ((ولعله بعض ماذهب من كلام العرب))[٥].

ومن هنا نلحظ ان الكسائي رسم للكوفيين رسوماً تمثل مذهباً نحويا اخذوا يعملون بها كما ورد ذلك عن ابي الفرج الأصفهاني[٦] حتى استكملت اصول

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/١١٧، و: الانصاف في مسائل الخلاف: ١/٤، مسالة ١.

٢) منهم: ميشيل بريال(شيخ علماء الدلالة)، و: دايموند الامريكي، صاحب كتاب تاريخ اللغة واصلها.

٣) ينظر: مجلة الفيصل السعودية، ع(١١٦) لسنة ١٩٨٦، مقال(اصل المشتقات): ٥٨.

٤) جامع البيان(تفسير الطبري) ١٦ /٧١.

٥) جامع البيان(تفسير الطبري) ١٦ /٧١.

٦) ينظر: الأغانـي: ١١/١٠٢.

المذهب على يد الفراء وبعده ثعلب، ثم الطبري الذي جاء في تفسيره لإبراز واظهار هذا المذهب.

٢. جواز نداء اسم الاشارة[1]:

وهذا من القواعد النحوية التي وضعها الكوفيون وعمل بها مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة ؛ وذهب الطبري الى ذلك[2] ففي تفسيرقوله تعالى{ثُمَّ أَنتُمْ هَـؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ} البقرة٨٥، ذكر: ان قوله تعالى يحتمل وجهين، أحدهما: ان يكون أُريد به: ثم انتم يا هؤلاء، فترك(يا)استغناءً بدلالة الكلام عليه، كما قال الله تعالى{يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ} يوسف٢٩، وتأويله: يايوسف أعرض عن هذا، فيكون معنى الكلام حينئذ: ثم انتم يا معشر يهود بني اسرائيل بعد اقراركم بالميثاق الذي اخذته عليكم: لاتسفكوا دماءكم، ولا تخرجوا انفسكم من دياركم.

وقد ذهب الشيخ الطوسي الى ذلك الجواز[3]، وتابعهم في ذلك الثعلبي(ت٤٢٧هـ)[4]، والسمرقندي[5]، وابن زمنين[6]، والواحدي[7].

---

١) مذهب كوفي، ينظر: شرح المفصّل: ٤٩٢-٤٩٣، و شرح الرضي على الكافية: ٢٣/٣،، و: ١٢٢ اعراب القرآن للنحاس: ١٩٣/١.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٣٠٣/٢.

٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣٣١/١، و: ينظر: الكتاب: ١٦٢/١ومابعدها.

٤) ينظر: تفسيرالكشف والبيان: ١٧٦/١و: ينظر: معجم القراءات القرآنية: ٨١/١، و: اتحاف فضلاء البشر: ١٤٠.

٥) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٧٧/١.

٦) ينظر: تفسير ابن زمنين: ٢٠/١.

٧) ينظر: تفسير الوجيز: ٢٤/١.

ويبدو أن رأي الكوفيين في هذه المسألة هو الأقرب الى طبيعة اللغة وروحها، إذْ تجسّد ماذهبوا اليه في النصوص القرآنية التي تمثّل قمة النصوص العربية.

٣: عمل(هذا ـ هذه ـ هؤلاء) عمل كان واخواتها[١]:

قال الفراء في هذا الشأن: ((العرب اذا جاءت الى اسم مكنى قد وصف بـ(هذا او هذان او هؤلاء) فرقوا بين(ها) وبين(ذا) فجعلوا المكني بينهما، وذلك في جهة التقريب لا في غيرها))، أي ان مصطلح التقريب: مصطلح كوفي يدل على جعل هذه الالفاظ من(اخوات كان) في العمل إذ يرون أن المرفوع بعد اسم الاشارة يُخبرعنه بالمنصوب، ولوأسقط اسم الاشارةلم يختل المعنى.

ويبدو أنّ الغاية من هذا هي حمل النص على الظاهر طلبا للتيسيرً.ولقد ذهب الطبري في تفسيره قوله تعالى {هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ} آل عمران١١٩، الى القول[٢]: قال تعالى: (ها انتم اؤلاء) ولم يقل(هؤلاء انتم) ففرق بين(ها)و(اؤلاء)بكناية اسم المخاطبين، لأن العرب كذلك تفعل في(هذا) اذا ارادت به التقريب ومذهب النقصان الذي يحتاج الى تمام الخبر، وذلك مثل أن يقال لبعضهم: أين انت؟ فيجيب المقول ذلك له: ها اناذا، فتفرق يبن التنبيه و(ذا) بمكني اسم نفسه، ولايكادون يقولون: هذا انا، ثم يثنى ويجمع على ذلك وربما اعادوا حرف التنبيه مع(ذا) فقالوا: ها انا هذا. ولايفعلون ذلك الا فيما كان تقريباً، فاما اذا كان على غير التقريب والنقصان قالوا: (هذا هو)و(هذا انت). وكذلك يفعلون مع الاسماء الظاهرة، فيقولوا: هذا عمرو قائماً، ان كان(هذا) تقريباً. وانما فعلوا ذلك في المكني مع التقريب، تفرقة بين(هذا)اذا كان بمعنى

---

١) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٣١/١، و: همع الهوامع: ١١٣/١ و: المصطلح النحوي: ١٣٣.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٤٩/٧ و: ٨٥/١٢ و: ٢٦ /٦.

الناقص الذي يحتاج الى تمام، وبينه اذا كان بمعنى الاسم الصحيح. وقوله(تحبونهم): خبرللتقريب(أي هوفي موضع نصب خبراً للتقريب).

ويرى الباحث، أن عدم وضع الطبري شروطا لخبر التقريب، جعل الباب مفتوحا للاجتهاد بهذه المسألة، فجاء بعده السيوطي وخالفه في وضعه شروطاً تتمثل في وجوب اشتراط خبر التقريب ان يكون اسماً منصوباً[1]، أي ان الطبري لم يشترط في خبر التقريب(ان يكون اسماً منصوباً)، وتعزّز موقف الطبري هذا من النصوص القرآنية المباركة، عندما جاء خبر التقريب جملة فعلية(تحبونهم) في قوله تعالى {هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ}.

فضلاً عن اننا نجد الطبري يفصّل القول في اسم الاشارة، عندما يكون اسماً صحيحاً(غير عامل) وبينه(في حال احتياجه الى مبتدا وخبر) وحينها يكون بمعنى الناقص الذي يحتاج الى تمام.

وتابعهم بالقول في ذلك الجواز كلٌ من الشيخ الطوسي في أكثر من موضع من تفسيره[2]، وكذلك الثعلبي[3].

٤: عمل(مالك –مابالك –ماشأنك) عمل(كان وأخواتها)[4]:

مذهب كوفي من اجل حمل النص على الظاهر، وعدم الذهاب الى التاويل والتقدير، اذ أشار الكوفيون الى: نصب(فئتين)من قوله تعالى(فما لكم في المنافقين فئتين)خبرا لـ(مالكم)، وقد تابعهم المفسرون في القرنين الرابع والخامس للهجرة،

---

١) ينظر: همع الهوامع: ١١٣/١ فمابعده.

٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢ /٥٧٢، و: ٤٩٠/٢.

٣) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١١/٢.

٤) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٨٨/١، ٢٤٣، و: اعراب القرآن للنحاس: ٤٤٢/١.

اذ نجد الطبري[1] يذكرفي تفسير قوله تعالى {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ} النساء٨٨، الى القول:... واختلف اهل العربية في نصب قوله(فئتين)، اذ قال بعضهم: هو منصوب على الحال، كما تقول: (مالك قائماً) يعني: مالك في حال القيام، وهذا قول بعض البصريين. وقال بعض نحويي الكوفة: هو(فئتين)منصوب على فعل(مالك)، قال: ولاتبال أكان المنصوب في(مالك)معرفة او نكرة.قال: ويجوز في الكلام ان تقول: (مالك السائرمعنا)، لأنه كالفعل الذي ينصب بـ(كان)و(اظن) وما اشبههما. قال: وكل موضع صلحت فيه(فعل)و(يفعل)من المنصوب، جاز نصب المعرفة منه والنكرة، كما تنصب(كان)و(اظن)، لأنهن نواقص في المعنى، وان ظننت انهن تامات[2].

ويقول الطبري: وهذا القول أولى بالصواب في ذلك، لأن المطلوب من قول القائل(مالك قائماً)القيام.فهو في مذهب(كان)واخواتها، و(اظن)وصاحباتها.

وذهب الشيخ الطوسي[3] متابعاً الطبري والكوفيين بالقول في هذه المسألة، وأيضا السمرقندي[4] فهو الآخر تابع الذين سبقوه، وكذلك الثعلبي[5]، والواحدي[6].

---

١) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٨/ ١٤.

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٨٨/١.

٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ٢٨٠.

٤) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٤٠٨/١.

٥) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٣/ ٤٨.

٦) ينظر: تفسير الوجيز: ١٣٣/١.

٥: دلالة الرجاء المصاحب للجحد على الخوف[1]:

مذهب كوفي، قال الفراء[2]: الرجاء في معنى الخوف لايكون الا مع الجحد، تقول: مارجوتك، أي: ماخفتك، ولاتقول: رجوتك، بمعنى خفتك، وهي لغة حجازية، وتهامية.

وتابع المفسرون في هذين القرنين ماذهب اليه الكوفيون في هذه المسالة، فنجد الطبري في أكثر من موضع في تفسيره، ففي تفسيرقوله تعالى{مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً} نوح١٣، وبعدعرضه آراء متعددة بشأن معنى الآية، يذكر[3]: أن أولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب الذي قال بأن المعنى: مالكم لاتخافون لله عظمة، وذلك ان الرجاء قد تضعه العرب اذا صحبه الجحد في موضع الخوف، كما قال الهذلي:

إذا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَم يَرْجُ لَسْعَها وَخالَفَها في بَيْتِ نُوبٍ عَوَاسِلِ[4]

يعني بقوله: (ولم يرج): لم يخف، على أن ماتقدم ذكره هو قول الكوفيين.

وأيضا في تفسير قوله تعالى{إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا} يونس٧ ذهب الطبري الى قول الكوفيين، وذكر: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

١) ينظر: معاني القرآن للفرّاء: ٢٨٦/١، و: ٢٦٥/٢، و: مجالس ثعلب: ٢٤٨/١، و: لسان العرب(مادة: رجا).

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٨٦/١، و: ٢٦٥/٢.

٣) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٦٣٥/٣٢، و: ٢٦٥/١٥.

٤) هو أبو ذؤيب، وقوله: لم يرجُ لسعها: أي لم يخفه ولم يباله، و(خالفها) أي دخل عليها وأخذ عسلها، ويروى(حالفها)أي لازمها، ويروى(عوامل)، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٨٦/١، و: ٢٦٥/٢.

وذهب الشيخ الطوسي[1] الى ماذهب اليه الكوفيون بهذا القول، وكذلك السمرقندي[2] فهو الآخر تابع الكوفيين بهذا القول، وتابعهم أيضاً الماوردي[3] والثعلبي[4] والواحدي[5].

٦: التناوب بين الحروف والأدوات[6]:

ان مبحث الحروف والادوات، من مباحث علوم القران المهمة التي يحتاج اليها المفسر، وفي هذا الشان قال الزركشي[7]: ((والبحث عن معاني الحروف مما يحتاج اليه المفسر لاختلاف مدلولها)).ومن اكثر الحروف والادوات اتساعاً وشهرةً من حيث تعدد المعاني حروف الجر، ذلك لأنها تركت اثراً دلالياً في تفسير كلام الله، اذ وردت في القران الكريم بكثرةً، وبمعان مختلفة، واستعمل المصنفون في التفسير معاني تلك الحروف والادوات في ابراز معنى الآية وايضاحها. وذهب الطبري الى القول بذلك التناوب[8]فعند تفسير قوله تعالى{فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ} آل عمران٥٢، ذكر أن قوله(الى الله) بمعنى: (مع الله)، وانما حسن أن يقال(الى الله) بمعنى(مع الله)، لأن من شأن العرب اذ ا ضموا الشيء الى غيره، ثم ارادوا الخبر عنهما بضم احدهما مع الاخر اذ ضم اليه، جعلوا مكان(مع)(الى) احيانا،

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القران: ٢٨٠/٣، و: ٣٣٥/٥، و: ١٣١/١٠.

٢) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٣٣/٤.

٣) ينظر: تفسير النكت والعيون: ١٥٨/٢.

٤) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٣٨١/١٣، و: ٧/٧.

٥) ينظر: تفسير الوجيز ١٠٤٥/١، و: ٣٠٩/١.

٦) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢١٨/١، و: ٣٢٤/١ و: مغني اللبيب: ٧٥/١، و: مدرسة الكوفة: ٢٨٢، ٣٢٣: والحروف العاملة في القرآن: ٣٨١.

٧) البرهان في علوم القرآن: ١٧٥/٢.

٨) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٤٤٣/٦، و: ٧ /٥٢٨.

واحيانا تخبر عنهما بـ(مع) فتقول: (الذود الى الذود ابل) بمعنى: اذ ضممت الذود الى الذود صارت إبلاً. فاما اذا كان الشيء مع الشيء لم يقولوه بـ(الى)، ولم يجعلوا مكان(مع)(الى).غير جائز ان يقال: (قدم فلان واليه مال) بمعنى وله مال. وبمثل ما قلنا في تاويل قوله{مَنْ أنصَارِي إِلَى اللّه} قال جماعة من اهل التاويل وفي تفسيرقوله تعالى {وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً} النساء٢ ذكر الطبري المعنى نفسه.لكن الباحث لايتفق مع القول بأن(الى الله) بمعنى(مع الله)، لأن الاستفهام عن الانصار في ذهابه الى الله أفضل من معنى(مع الله) لأن الله تعالى معه لابد منه، لكن ماسيواجهه الانصارفي ذهابهم الى الله(الدين، دعوة الحق، مجاهدة النفس، مجاهدة الخصوم) يستدعي استفهاما يبين مخاطر ذلك. وحتى القول الذي استشهد فيه(الذود الى الذود ابل)، فان معناه: أنك تأتي بذود الى الذود الاول، وتأتي بآخر،....وهكذا تكون الابل، فهو ليس بمعنى الجمع لما تملك، وانما الاضافة لما تملك، وهذا شيء وهذا شيء آخر.. وقال في تفسير قوله تعالى{يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ} الرعد١١، بجواز مجيء(من) بمعنى(الباء). اذ ذكر[1]الاختلاف في معنى قوله تعالى(من امرالله)، فقال بعضهم: حفظهم اياه من امره. وقال بعضهم إنَّ المعنى: بأمرالله.ونرى هنا أن(من أمر الله)لاتكون بمعنى(بأمر الله) لأن(من) فيها إيحاء الى أن الله تعالى أمرالملائكة أمراً يَعُم الجميع وهم ينفذونه، فالامرعام. وذهب الى جوازمجيء(على) بمعنى(من) عند تفسير قوله تعالى{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} المؤمنون٦، ٥، اذ أشار الى أن المعنى: الا من ازواجهم. وذهب الى جواز مجيء(على)بمعنى(في) عند تفسير قوله تعالى {مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ }

---

١) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): : ١٦/ ٣٧٥.

المائدة١٠٧، اذ ذكر الطبري: قوله(عليهم) معناه في هذا الموضع(فيهم)[١].وفي تفسير قوله تعالى{وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ} البقرة١٠٢، ذهب الطبري الى أن معنى(على): (في).وأيضاً قوله تعالى{لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} طه ٧١، ذكرلطبري أن: (في)توضع موضع(على)، و(على) موضع(في)، كل واحدة تعاقب صاحبتها في الكلام كقول الشاعر:

هُمْ صَلَبُوا العَبْدِيَ فِي جِذْعِ نَخْلَةٍ فَلا عَطَسَتْ شَيْبَان إلا بأجْدَعا[٢]

وفي قوله تعالى{أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ} الطور٣٨، ذكرالطبري أن: (فيه) بمعنى(عليه)[٣].

وذهب الطبري الى ان(او) تاتي بمعنى(بل ـ والواو)وذلك عند تفسير قوله تعالى{وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} الصافات١٤٧، فذكرعن ابن عباس انه كان يقول: معنى قوله(او يزيدون): بل يزيدون[٤].وفي قوله تعالى {أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌوَبَرْقٌ} البقرة١٩، ذكر أن: (أو) وان كانت في بعض الكلام تأتي بمعنى الشك، فانها قد تأتي دالة على مثل ماتدل عليه الواو، اما بسابق من الكلام قبلها، واما بما يأتي بعدها، كقول تَوْبة بن الحُمَيِّر:

وَقَدْ زَعَمَتْ لَيْلَى بِأَنِّي فَاجِرٌ لِنَفْسِي تُقَاهَا أَوْ عَلَيْهَا فُجُورُهَا[٥]

---

١) ينظر: م. ن: ٧ /٧٩، ١١١، و: ٤/٨٨، ١٤٢، و: ١٢/١٦، و: ٢٥/١١، و: ٤/٨٨، و: ١٢/١٦.

٢) البيت لسويد بن أبي كاهل اليشكري، ينظر: (لسان العرب: مادة عبد).

٣) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٢٢/٤٨٣-٤٨٣.

٤) ينظر: م ن: ٢١/١١٥.

٥) من قصيدة له، ينظر: أمالي القالي ١: ٨٨، ١٣١، وأمالي الشريف المرتضى ٣: ١٤٦،، وجامع البيان(تفسير الطبري): ١/٣٣٦.

وفي قول توبه(أو) كانت دالةعلى مثل الذي كانت تدل عليه(الواو) لوكانت مكانها.وفي قوله تعالى{فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} البقرة٧٤، ذهب الطبري الى ذلك[١]، وفي آيات اخرى.

وقال الطبري بجواز مجيء(لام كي) بمعنى(أن) حمــــلا على الظاهر الذي أقرّه الكوفيون[٢]، ففي تفسيرقوله تعالى{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ} النساء٢٦ قال: ان(اللام) في(ليبين)بمعنى(أن)، وأيضا في تفسيرقوله تعالى{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} البينة٥، أن المعنى هو: الا أن يعبد الله، اذ انه اقام(أن)مقام(اللام).وبشأن الآية{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ} ذكرالطبري بعد أن عرض آراء أهل اللغة فيها: وأولى الاقوال من ذلك بالصواب عنده، قول من قال أن(اللام)في قوله(يريد الله ليبين لكم) بمعنى: يريد الله أن يبين لكم.

وفي قوله تعالى{وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} الأنعام٧١، ذكرالطبري أن المعنى: وامرنا كي نسلم، وان نسلم لرب العالمين، لأن العرب تضع(كي)، و(اللام التي بمعنى كي) مكان(أن)، و(أن)مكانها. وذكر الطبري في تأويل قوله(وان أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي..): يقول تعالى ذكره: وامرنا ان اقيموا الصلاة، وانما قيل(وان اقيموا الصلاة)فعطف بـ(أن)على(اللام) من(لنسلم)، لأن قوله: (لنسلم)معناه(ان نسلم)، فرد قوله(وان اقيموا)على معنى(لنسلم)، اذ كانت(اللام)في(لنسلم)لاماً لا تصحب الاالمستقبل من الأفعال، وكذلك(أن) فهي تدل على الاستقبال.

---

١) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): : ٣٣٦/١، و: ٢٣٤/٢-٢٣٥.

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٦٢/١، و: الجنى الداني: ١١٥و: همع الهوامع: ١٤٠/٤،، و: ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٤٥/١١.

وذهب الطبري الى جواز مجيء(لعل) بمعنى(كي)، وهذا المعنى جديد مضاف الى معاني(لعل)، وزاده الكوفيون(للتعليل) بمعنى(كي)[1]، فذكرالطبري في تفسيرقوله تعالى{فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} طه٤٤: اختلف في معنى قوله(لعله) في هذا الموضع، فقال بعضهم: معناها هاهنا الاستفهام، كأنهم وجّهوا معنى الكلام الي: فقولا له قولاً لينا، فانظرهل يتذكر ويراجع او يخشى الله فيرتدع عن طغيانه. وقال اخرون: معنى(لعل)ها هنا(كي)، ووجهوا معنى الكلام الى(اذهبا الى فرعون انه طغى) فادعواه وعضاه ليتذكر أو يخشى، كما يقول القائل: اعمل عملك لعلك تأخذ أجرك، بمعنى: لتأخذ أجرك. وقولنا: افرغ من عملك لعلنا نتغدى، بمعنى: لنتغدى، او حتى نتغدى، ولهذين القولين وجه حسن ومذهب صحيح[2].

والذي يلحظ على قول الطبري هنا: أخذه لمعنى الاستفهام والتعليل لـ(لعل) الذي زاده الكوفيون، وعدم حديثه ألبتة عن معنى الترجي الذي هوالمعنى الاساس في(لعل)،. لكن زيادته معنى(حتى)لـ(لعل)فيه مشكل، لأن(حتى) لها معان، لكنّي لم أجد بينها معنى - كي -[3].

وأشار الى ذلك المعنى في مواضع اخرى[4]، ففي تفسير قوله تعالى{وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} البقرة٥٣ ذكر: أن قوله(لعلكم تهتدون) نظيرقوله تعالى(لعلكم تشكرون)، ومعناه: لتهتدوا. وكأنه قال: واذكروا ايضاً اذ آتينا موسى التوراة التي تفرق بين الحق والباطل لتهتدوابها، وتتبعوا الحق ، لأني جعلتها كذلك هدى لمن اهتدى بها واتبع مافيها.وذهب الى المعنى نفسه

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٨١/٢، و: مدرسة الكوفة: ٣٢٣، و: الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين: ٥٥٠.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٣١٣/١٨.

٣) ينظر: مغني اللبيب: ١٢٢/١-١٢٤ .

٤) جامع البيان(تفسير الطبري): ٧ /١٦٥، و: ٧١/٢ وما بعدها، و: ٢٠٦/٧.

في تفسيرقوله تعالى{وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} آل عمران١٣٢ اذ أشار الى: ان المعنى: لترحموا فلا تعذبوا. وأيضا في تفسير قوله تعالى{فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} الأنعام٤٢، أشارالى أن المعنى: فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا إلي، ويخلصوا لي العبادة، ويفردوا رغبتهم الي دون غيري، بالتذلل منهم لي بالطاعة، والاستكانة منهم إليّ بالانابة.

وذهب الطبري الى جوازمجيء(هل)بمعنى(قد)وهذا مذهب كوفي[1]، اذ قال به(الكسائي والفراء، وسبقهم ابن عباس)، ففي قوله تعالى{هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ} الإنسان١، ذكرالطبري: أنّ معنى: (هل اتى على الانسان): قد اتى على الانسان، و(هل)في هذا الموضع(خبر)لا(جحد).وقال الطبري بجواز مجيء(من) للغاية الزمانية[2]، وهذا مذهب كوفي، ففي تفسير قوله تعالى {لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ} التوبة ذكر الطبري ١٠٨: أن تأويل قوله تعالى(من اول يوم) يعني: ابتدئ في بنائه. وقيل: معنى قوله(من اول يوم) مبدأ اول يوم كما تقول العرب: (لم اره من يوم كذا) بمعنى: مبدؤه، و(من اول يوم) يراد به: من اول الايام، كقول القائل: لقيت كل رجل، بمعنى كل الرجال.وأيضا في تفسيرقوله تعالى{ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ} النساء١٧ذهب الطبري الى القول: بمجيء(من) هنا للغاية الزمانية. وذكرالطبري اختلاف أهل التاويل في معنى(القريب) في هذا الموضع، اذ قال بعضهم معنى ذلك: ثم يتوبون في صحتهم قبل مرضهم وقبل موتهم، وقال اخرون، بل معنى ذلك: ثم يتوبون من قبل معاينة ملك الموت. وقال اخرون، بل معنى ذلك: ثم يتوبون من قبل الموت.وقال: وأولى الاقوال في ذلك بالصواب تأويل: ثم يتوبون قبل مماتهم، في

---

١) ينظر: معاني القرآن للكسائي: ٢٤٨، و: معاني القرآن للفراء: ٢١٣/٣، : و: ينظر: تفسير الطبري: ٨٧/٢٤.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٤٧٥/١٤ - ٤٧٦، و: ٨٨/٨ -٨٩.

الحال التي يفهمون فيها امر الله تبارك وتعالى ونهيه، وقبل ان يغلبوا على انفسهم وعقولهم. ويتضح: ان سياق الآيات القرآنية التي مرذكرها فيه دلالةعلى مجيء(من) للغاية الزمانية.

وذهب الطبري[1] الى جواز مجيء(لولا) بمعنى(هلا)، وهذا القول للكوفيين، فهومتابع لهم بهذا، ففي قوله تعالى{فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ} الأنعام٤٣ذكر: وهذا ايضاً من الكلام الذي فيه متروك استغني بدلالة الظاهر عن ذكر ماترك...ومعنى(فلولا)في هذا الموضع: (فهلا)، فالعرب اذا أولت(لولا) اسما مرفوعا، جعلت مابعدها خبراً، وتلقتها بالامر، فقالت: فلولا اخوك لزرتك، و: لولا ابوك لضربتك. واذا اولتها فعلاً او لم تولها اسماً، جعلوها استفهاماً، فقالوا: لولا جئتنا فنكرمك، و: لولا زرت اخاك فنزورك، بمعنى(هلا)، كقوله {لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ} وكذلك تفعل بـ(لوما) مثل فعلها بـ(لولا). فتأويل الكلام اذاً: فهلا اذ جاء بأسنا هؤلاء الامم المكذبه رسلها، الذين لم يتضرعوا عندما اخذناهم بالبأساء والضراء(تضرعوا) فاستكانوا لربهم وخضعوا لطاعته، فيصرف ربهم عنهم بأسه، وهو عذابه.

والشيخ الطوسي يتفق مع النحويين الكوفيين[2] في عدّهم تناوب الحروف والادوات من مظاهر الحمل على الظاهر من أجل الابتعاد عن التقدير والتأويل، للسعي باتجاه التيسير.فذهب الشيخ الطوسي الى جواز مجيء(الى) بمعنى(مع) ذلك عند تفسير قوله تعالى{فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ } آل عمران٥٢، فذكر: وقوله(من انصاري الى الله) فيه أقوال:... وانما جاز ان تكون(الى) بمعنى(مع) لما دخل الكلام من معنى الاضافة ومعنى المصاحبه،

---

١) ينظر: م.ن: ١١/٣٥٦-٣٥٧.

٢) ينظر: معاني القرآن للكسائي: ١٣٢، و: معاني القرآن للفراء: ٢١٨/١، و: التبيان في تفسير القرآن: ٤٧٢/٢، و: ١٠٠/٣، و: ٤٥٠/٣.

ونظيره(الذود الى الذود ابل) أي: مع الذود. ومثله قوله تعالى {وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً} النساء٢ أي: مع اموالكم. يعني: ان اكلكم اموال اليتامى مع اموالكم اثم كبير. وفي قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ} المائدة٦، ذكرالشيخ الطوسي: أن(الى) أفادت معنى(مع) في هذا النص، ويترتب أثر فقهي على هذاالقول، يتمثل بما يأتي: وجوب غسل الأيدي من المرافق، وغسل المرافق معها الى رؤوس الاصابع، ولايجوز غسلها من الاصابع الى المرافق، لأن(الى) بمعنى(مع). وأجازالشيخ مجيء(من) بمعنى(الباء) ففي قوله تعالى{يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ} الرعد١١، ذكر[1]: لقد قيل في معناه أقوال، منها: قال الحسن وقتادة، ان المعنى: بامر الله، كما تقول: جئتك من دعائك إياي: أي بدعائك، ومنها قراءة أهل البيت(عليهم السلام): بأمر الله. ومنها: عن أمر الله، كما يقال: أطعمه عن جوع ومن جوع. وفي تفسير أهل البيت(عليهم السلام): ان معناه: يحفظونه بأمرالله.

وذهب الشيخ الطوسي[2] الى جواز مجيء(على) بمعنى(في)، عندما ذكرفي تفسير قوله تعالى {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} طه٧١، أنَّ: (في)بمعنى(على).

وأشارالشيخ الطوسي[3]: الى جواز مجيء(اللام)بمعنى(على)، ففي تفسير قوله تعالى {لِّلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ} المعارج٢، أشارالى أن: (اللام) في(للكافرين)، قيل في معناها قولان:

الاول: أنها بمعنى(على)، والتقدير: سأل سائل بعذاب واقع على الكافرين.

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢٢٣/٦.

٢) ينظر: م. ن: ١٨٧/٧.

٣) ينظر: م. ن: ١٠٩/١٠.

والثاني: بمعنى(عن) أي ليس له دافع عن الكافرين.ولكننا نرى أن(اللام) في(للكافرين) تفيد التملك، وان المعنى يكون: ليس للكافرين دافع للعذاب الذي يواجهون، أي: أن الكافرين لايمتلكون حق الدفع، حتى وإنْ امتلكوا القوة الدافعة.

وقال[1] بجوازمجيء(أو) بمعنى(الواو) و(بل)في تفسير قوله تعالى{أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ} البقرة١٩، وقوله تعالى {فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} البقرة٧٤، ففي قوله(او كصيب من السماء) ذهب الشيخ الطوسي الى القول:... ان(أو) تستعمل بمعنى(الواو) كما تستعمل للشك، بحسب ما يدل عليه سياق الكلام - حسب ما يسبقها اوما يأتي بعدها من الكلام - قال الشاعر:

وَقَدْ زَعَمَتْ لَيْلَى بِأَنِّي فَاجِرٌ   وَقَدْ زَعَمَتْ لَيْلَى بِأَنِّي فَاجِرٌ

ويبدو أن الشاعر(توبة) لم يقل ذلك على وجه الشك، وانما وضعها موضع(الواو). ومثله كثير.

ويكون معنى قوله: (أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ): (وكصيب من السماء)، و معنى قوله(فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً): فهي كالحجارة وأشد قسوة، كما قال{وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} الصافات١٤٧، ومثله قوله تعالى{وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ} النور٣١. وأفاض معنى(الواو) لـ(أو) بالايضاح وكثرة الامثلة القرآنية وكلام العرب(الشعر).

وذهب الشيخ الطوسي[2]الى جواز مجيء(لام كي) بمعنى(أن)، ففي تفسير قوله تعالى {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ} النساء٢٦، ذكر: أن(اللام)في قوله(ليبين لكم)، للنحويين فيه ثلاثة اقوال:

---

١) ينظر: م. ن: ٩١/١، و: ٣٠٤ -٣٠٥.

٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١٧٣/٣.

اولها: قال الكسائي والفراء وثعلب: معناها(أن) وانما لايجوز ذلك في أردت وأمرت لأنها تطلب الاستقبال.وقال الفراء[1]: ربما جاء مع غير الإرادة والأمر. ومثله(وامرنا لنسلم)، وفي موضع اخر(امرت ان اكون اول من اسلم). وربما جمعوا بين(اللام و كي و أن).وهو بهذا يكون قد تأثر بالنحو الكوفي، بدلالة اهتمامه من خلال منحه الأولوية لرأي الكوفيين وتناوله بالشرح والتوضيح.

وذهب الشيخ الطوسي[2] الى جواز مجيء(لعل) بمعنى(كي)، إذ قال في تفسير قوله تعالى {فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} طه٤٤: وقوله(لعله يتذكر) معناه: ليتذكر، او يخشى معناه: أو يخاف. والمعنى انه يكون احدهما اما التذكر او الخشية، وقيل: المعنى على رجائكما أو أطمعكما، لانهما لايعلمان هل يتذكر او لا. وفي قوله تعالى{وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} آل عمران١٣٠، ذكر الشيخ الطوسي: أن المعنى: لكي تنجحوا بادراك ماتأملونه، وتفوزوا بثواب الجنة، لأن(لعل) وإنْ كانت للشك، فان ذلك لايجوز على الله تعالى، وقد بينا نظائر لذلك فيما مضى. وأيضا في تفسير قوله تعالى {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} آل عمران١٣٢، ذهب الى القول بما تقدم. وكذلك قوله تعالى{فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} الأنعام ٤٢، فانّه بالمعنى نفسه، كما قال تعالى(لعله يتذكر او يخشى) في سورة طه، أي: ليتذكر او ليخشى.

وفي قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} البقرة٢١ ذكرقول الشاعرالذي يذهب الى المعنى نفسه:

وَقُلْتُمْ لَنَا كُفُّوا الْحُرُوبَ، لَعَلَّنَا نَكُفُّ! وَوَثَّقْتُمْ لَنَا كُلَّ مَوْثِقِ
فَلَمَّا كَفَفْنَا الْحَرْبَ كَانَتْ عُهُودُكُمْ كَلَمْحِ سَرَابٍ فِي الْفَلا مُتَأَلِّقِ[3]

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/٢٦١-٢٦٢.

٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٧/١٣٨، و: ٣/٥٨٩، و: ٤/١٣٥، و: ١/٩٧.

٣) شاعرها غير معروف، رواهما ابن الشجري في أماليه ١ /١٥، وهناك رواية أخرى(كلمح سراب في الفلا).

يعني: قلتم لنا: كفوا لنكف، لأنه لو كان شاكاً لما كانوا وثقوا كل موثق. ويقال: اقبل قولي لعلك ترشد، ويقال: اعمل لعلك تأخذ الاجرة، يريد: لتأخذ اجرتك.

وذهب الشيخ الطوسي[1] الى جواز مجيء(هل)بمعنى(قد)، ففي تفسير قوله تعالى{هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً} الإنسان١ ذكرقول الزجاج من أن المعنى: ألم يأت على الانسان(بمعنى الاستفهام)، وقال قوم: (هل) يحتمل معناه أمرين، منهما: بمعنى(قد أتى). والاصل فيها معنى(قد) لتجري على نظائرها بمعنى: قد اتى على ادم، وبه قال قتاده وسفيان.

ويرى الباحث أن معنى(قد أتى على الإنسان) غيرالمعنى في قوله(هل اتى على الانسان)، لأن في الأولى إخبار بالإتيان، أما في الثانيه فهو إنشاء من ألاستفهام بـ(هل) الذي يستدعي مشاركة السامع بالإجابةعنه، وفي هذا تحريك لفكر السامع ان لم يكن هوالهدف الأسمى.

وذهب الشيخ الطوسي[2] الى جواز مجيء(لولا) بمعنى(هلا) فعند تفسير قوله تعالى{لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ} النساء٧٧، ذكر أن: معنى(لولا) ها هنا: (هلا). وأيضا في قوله تعالى {فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ} الأنعام٤٣، ذهب الشيخ الطوسي الى المعنى نفسه، وذكر قول الفراء: كلما رأيت في الكلام(لولا) ولم تر بعدها اسماً، فهي بمعنى(هلا) كقوله(لولا اخرتني الى اجل قريب) وقوله(فلولا ان كنتم غير مدينين)، واذا كان بعدها اسم، فهي بمعنى(لو) التي تكون في جوابها(اللام)، و(لوما) فيها مافي(لولا) من الاستفهام والخبر.

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٩٧/١.

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٢٤/١، و: التبيان في تفسيرالقرآن: ٢٩٣/٥، و: ١٤٤/٣، و: ٢٦٠/٣، و: ١٣٥/٤.

وقال الشيخ الطوسي بجواز[1] مجيء(مَنْ الاستفهامية) موصوله، ففي تفسير قوله تعالى{وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ} هود٩٣، ذهب الى القول: وموضع(من يأتيه)، ان جعلت(من) بمعنى الذي(نصب)، وقوله(ومن هو كاذب)عطفاً عليه، وان جعلتها للاستفهام كان موضعها الرفع. و ذكر الفراء ذلك، وذكرالمعنى نفسه في قوله{فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ} الأنعام١٣.

وتابع السمرقندي مسار الذين سبقوه من المفسرين المتأثرين بالنحو الكوفي عندما أشار في تفسيرقوله تعالى{قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ} آل عمران٥٢، الى القول[2] أن: معنى قوله تعالى: مَنْ أعواني مع الله؟ ذكر أن: (الى) هاهنا بمعنى(مع) مثل قوله تعالى{وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً} النساء٢، أي(مع اموالكم)، كما يقال: الذود الى الذود ابل، أي(مع الذود)، فقال(من انصاري الى الله) أي: مع الله.

وتابع السمرقندي[3] الكوفيين متأثراً بنحوهم في جواز مجيء(في) بمعنى(على)، وذلك عند تفسير قوله تعالى {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} طه٧١، فذكرأن المعنى: على اصول النخل على شاطئ النيل. وأيضا في تفسيرقوله تعالى {أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ} الطور٣٨، ذهب السمر قندي الى القول نفسه. وكذلك قوله تعالى{أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ} الأنعام٣٥، ذهب السمرقندي الى ان(في) ها هنا بمعنى(الى).

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢ / ٢٦، و: التبيان في تفسير القرآن: ٥٣/٦، و: ٤/ ٢٨٣.

٢) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٢/٧٠٩١.

٣) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٢٠٤/٤، و: ٣٢/٢.

وذهب السمرقندي الى جواز مجيء(على) بمعنى(من)، وهو ماذهب اليه الفراء[1]، عند تفسيرقوله تعالى{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ} المؤمنون٥، ٦ فذكرالسمرقندي المعنى: أن(على) بمعنى(من)، يعني: إلّا من نسائهم مثنى وثلاث ورباع.

وأجاز السمرقندي مجيء(من)بمعنى(الباء) ففي تفسيرقوله تعالى{يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ} الشورى٤٥، ذهب الى القول أن المعنى: ينظرون بقلوبهم، ولايرونها بأعينهم، لانهم يسحبون على وجوههم، وقيل أنّ المعنى: يستخفون بالنظر اليها، يعني: الى النار، وقال بعضهم: ينظرون الى العرش باطراف أعينهم ماذا يامر الله تعالى بهم، ومرة ينظرون الى النار[2]. وأيضا في تفسيرقوله تعالى{يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} الرعد١١، ذكر السمرقندي المعنى نفسه، وكذلك تفسيرقوله تعالى {بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ} التحريم٨، ذهب السمر قندي الى القول: ان قوله(وبايمانهم) يعني: عن ايمانهم وعن شمائلهم على وجه الإضمار[3].

وذهب السمرقندي[4] الى جواز مجيء(او) بمعنى(الواو) و(بل) في تفسير قوله تعالى{أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} البقرة٧٤، وقوله تعالى{وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ} النحل٧٧، اذ أشار الى ان معنى قوله تعالى(أو اشد قسوة)، فيه وجهان: أحدهما: بل اشد قسوة، والآخر: وأشد قسوة، الألف زائدة.وأيضا في قوله تعالى(وما أمر الساعة الا كلمح البصر)أن المعنى: بل هو اقرب(أي اسرع)، ويقال: وهو اقرب. والالف زائدة، وكذلك تفسير قوله تعالى {أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/، و: ٢٣١ ينظر: تفسير بحر العلوم: ٣/١٧٥-١٧٦.

٢) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٤/١٠٠، و: ٣/٤٠٧.

٣) ينظر: م. ن: ٤/٣٠٥.

٤) ينظر: م. ن: ١/٧٠، و: ٢/ ٤٧٧، و: ١/٢٤.

الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ} البقرة١٩، ذهب السمرقندي الى ان: (أو) بمعنى(الواو).

وذهب السمرقندي[١] الى جواز مجيء(لعل) بمعنى(كي)، ففي تفسير قوله تعالى{ولَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} الأنعام٤٢، ذكر أن معنى قوله تعالى: لكي يرجعوا اليه ويؤمنوا به، وفي تفسير قوله تعالى {ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} البقرة٥٢، ذهب الى ان المعنى: لكي تشكروا الله على العفو والنعمة. وأيضاً في تفسيرقوله تعالى{وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} آل عمران١٣٠، ذكر السمرقندي أن المعنى: لكي تنجوا من العذاب.وكذلك تفسير قوله تعالى{وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} المائدة٣٥، ذهب السمرقدي الى أن المعنى: لكي تنجوا من العقوبة وتنالوا الثواب. والآيات القرآنية كثيرة جاءت بهذا المعنى[٢].

وذهب كذلك الى جواز مجيء(هل) بمعنى(قد)، ففي تفسير قوله تعالى {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً} الإنسان١، ذكرالسمرقندي ان المعنى: قد اتى على ادم[٣]. وكذلك في جواز مجيء(لولا) بمعنى(هلا) عند تفسير قوله تعالى {فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا} الأنعام ٤٣حين قال: قوله تعالى(فلولا اذ جاءهم) بمعنى(فهلا اذ جاءهم عذابنا)[٤].

وتأثر الثعلبي بالنحو الكوفي من خلال ذهابه الى ماذهب اليه الكوفيون في مسألة جواز تناوب الحروف والادوات، كواحدة من مظاهر الحمل على الظاهر.

---

١) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٣٥/٢، و: ٥٥/١، و: ٣١٢/١.

٢) سورة المائدة: آية ٣٥، ٨٩، و: سورة الاعراف آية ٦٣، و: سورة آل عمران: آية ١٢٣ وغيرها.

٣) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٣٥١/٤.

٤) ينظر: م. ن: ٣٥/٢.

اذ أشار الى جواز[1] مجيء(الى) بمعنى(مع)، ففي قوله تعالى{وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً} النساء٢، ذكر أن المعنى: ولاتاكلوا اموالهم مع اموالكم، وهو كقوله تعالى(من انصاري الى الله)، أي: مع الله.

وذهب الى جواز مجيء(او) بمعنى(واو)(بل) في تفسير قوله تعالى {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} الصافات١٤٧فذكر أن المعنى: الى مائة ألف و يزيدون.

وذهب الثعلبي الى جواز[2] مجيء(لام كي) بمعنى(أن) في تفسير قوله تعالى{يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} النساء٢٦عندما ذكر الثعلبي أن المعنى: أن يبين لكم، (اللام) بمعنى(أن)، والعرب تعاقب بين(لام كي) و(أن) فتضع احدهما مكان الاخرى، كقوله(وامرنا لنسلم لرب العالمين)، ثم قال في موضع آخر(وامرت ان اسلم لرب العالمين).

وذهب الى جواز مجيء(هل) بمعنى(قد) في تفسير قوله تعالى {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً} الإنسان١، عندما ذكرالثعلبي ان المعنى: قد أتى على آدم(عليه السلام) حين من الدهر.

وأشار الى جواز مجيء(لولا) بمعنى(هلا) ففي تفسير قوله تعالى{فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا} يونس٩٨، ذكرأن: (فلولا)بمعنى(فهلا).

وذهب الماوردي(٤٥٠هـ) الى ماذهب اليه الكوفيون من جواز التناوب في الحروف والادوات[3]، ففي تفسيرقوله تعالى{قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ} آل عمران٥٢: ذكرأن(من) بمعنى(مع). وفي قوله تعالى{وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً} النساء٢، ذكر أن المعنى: لاتأكلواأموالهم مع أموالكم.

---

١) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٣٣٠/٣، و: : ٣٤٨/١١، و: ٣٤٩/١١-٣٥٠.

٢) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٣٨٩/٣، و: ٤٥٠/١٣، و: ٦٣/٧.

٣) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٢٧٣/١.

وذهب الى جواز[1] مجيء(من) بمعنى(الباء) فذكر في تفسير قوله تعالى{يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} الرعد١١، ا أن: قوله تعالى فيه اكثر من وجه: أحدها: يحفظونه بأمر الله قاله مجاهد.

وذهب الى جواز[2] مجيء(او) بمعنى(الواو- بل) ففي تفسيرقوله تعالى{وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} الصافات١٤٧، ذكر: أن قوله تعالى(أو يزيدون) فيه ثلاثة أوجه:

احدها: ان معناه: بل يزيدون، قاله ابن عباس وعدد من أهل التأويل، مثله قوله(فكان قاب قوسين أو أدنى) يعني: بل ادنى.

وذهب الماوردي الى جواز[3] مجيء(هل) بمعنى(قد) ففي تفسير قوله تعالى{هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً} الإنسان١، فذكر:... وأن(هل) فيها وجهان:

الأول: انها بمعنى(قد) والتقدير: (قد أتى على الانسان) الآية على معنى الخبر، قاله الفراء[4].

الثاني: انها بمعنى(اتى على الانسان) الآية على وجه الاستفهام.

وأشارالماوردي الى جوازمجيء(من) للغاية الزمانية[5] في تفسير قوله تعالى{ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ} النساء١٧.

وعلى خطى السابقين من المفسرين، كان الواحدي(٤٦٨ هـ) متأثرا بالنحو الكوفي، فذهب الى جوازمجيء(الى) بمعنى(مع)في تفسيرقوله تعالى{قَالَ مَنْ

---

١) ينظر: م. ن: ٢/٣٠٢.

٢) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٦/١.

٣) ينظر: م.ن: ٤/٣٦٠.

٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢١٨/١.

٥) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٢٨٤/١.

أنصَارِي إِلَى اللّهِ} آل عمران٥٢، فذكر[١] أن: معنى قوله تعالى(من انصاري الى الله)، أي: من انصاري مع الله، وفي ذات الله.

وذهب الواحدي الى جواز مجيء(من) بمعنى(الباء)، ففي تفسير قوله تعالى{يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ} الرعد١١، ذكر أن معنى قوله: (من أمر الله): بأمر سبحانه مما لم يقدر، فاذا جاء القدرحلّوا بينه وبينه[٢].

وقد اجاز[٣] مجيء(او) بمعنى(الواو- بل) في تفسير قوله تعالى {فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} البقرة٧٤، اذ ذكر: أن قوله(أو أشدّ قسوة) بمعنى: بل أشد قسوة. وفي تفسيرقوله تعالى {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} الصافات١٤٧، ذكر المعنى نفسه.

وذهب الى جواز[٤] مجيء(في) بمعنى(على)، ومجيء(على) بمعنى(اللام)، ففي تفسير قوله تعالى {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} طه٧١، ذكر: أن المعنى: ولأصلبنكم على رؤوس النخل.وفي تفسير قوله تعالى {أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ} الطور٣٨، أشار الى ان المعنى: ان الذي هم عليه حق(وهو مايرتقون عليه). وفي قوله تعالى {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} المائدة٥٤، ذكرالواحدي: ان معنى قوله تعالى: كالولد لوالده، والعبد لسيده، أي(على) هنا بمعنى(اللام).

وذهب الى جواز[٥] مجيء(في) بمعنى(الى) في تفسير قوله تعالى {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً} البقرة١٥١، اذ قال: ان معنى قوله تعالى هو: ولأتم نعمتي عليكم كأرسالي اليكم رسولاً، أي: أتم هذه كما اتممت تلك بارسالي(رسولاً منكم) تعرفون صدقه ونسبه.

---

١) ينظر: تفسير الوجيز: ٨٩/١.

٢) ينظر: تفسير الوجيز: ٣٨٠/١.

٣) ينظر: تفسير الوجيز: ١/ ٧٩١.

٤) ينظر: تفسير الوجيز: ٥١٠/١، و: ١٦١/١.

٥) ينظر: م.ن: ٢٠٨/٣.

وذهب الى جواز[1] مجيء(من) للغاية الزمانية في تفسير قوله تعالى{ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ} النساء١٧، فذكر: أي من قبل الموت ولو بفواق ناقة.وفي قوله تعالى {لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ} التوبة١٠٨، ذكر: من اول يوم: يعني بني وحدث بناؤه.

وذهب الى جواز[2] مجيء(لعل) بمعنى(كي) في تفسير قوله تعالى{وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ} البقرة١٥٠، فذكر الواحدي ان المعنى: ولكي اتم نعمتي، وكذلك تفسيرقوله تعالى {فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} طه٤٤، فذكر: أن معنى(لعل) هاهنا(كي). وأيضا في تفسيرقوله تعالى {وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} آل عمران١٣٠، فذكرأن(لعلكم تفلحون) بمعنى: (لكي تسعدوا وتبقوا في الجنه).وفي تفسير قوله تعالى{ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، } البقرة٥٢ وقوله تعالى {وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} البقرة٥٣، ذكر الواحدي أن المعنى: لكي تشكروا نعمتي بالعفو، ولكي تهتدوا بذلك الكتاب.وذكر أن معنى قوله تعالى{فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} الأنعام٤٢: لكي يتذللوا ويتخشعوا.

وذهب الى جواز[3] مجيء(هل) بمعنى(قد)، ففي تفسير قوله تعالى{هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً} الإنسان١، ذكر أنَّ المعنى: قد أتى على ادم.

وذهب الواحدي الى جواز مجيء(لولا) بمعنى(هلا)عند تفسير قوله تعالى{فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ} الأنعام٤٣، و قوله تعالى{يَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ} المنافقون١٠، وأيضا قوله تعالى{وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ

---

١) ينظر: م.ن: ٨/٨٨، و: ١٤/٤٤٧.

٢) ينظر: تفسير الوجيز: ١/٤٠، و: ١٨/٣١٣، و: ٧/٢٠٤، و: ١/١٧-١٨، و: ١/١٨٥.

٣) ينظر: م. ن: ١/١٦٧.

مّن ربِّهِ} الأنعام٣٧، وكذلــــك قولـه تعـالى {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ} الكهـــف٣٩، عندما أشار الى ان: معاني الآ يات القرآنبة على التوالي هي[1]: فهلا اذ جاءهم بأسنا،

و: هلا اخرتني الى اجل قريب،

و: قالوا هلا نزل عليه اية،

و: هلا اذ دخلت جنتك،

٧: جواز اضافة الشيء الى نفسه اذا اختلف اللفظان[2]:

\تابع الطبري في تفسيره الكوفيين في جواز اضافة الشيء الى نفسه اذا اختلف اللفظان، أي: (اضافة المنعوت الى نعته وبالعكس)، واذا اتفق اللفظان لم يجز ذلك فلايقال: حق الحق، ولايقال: يقين اليقين. ولقد ذهب الطبري الى ذلك الجواز في تفسير قوله تعالى {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} فاطر٤٣، اذ أشار[3]:... وأضيف المــكر الى السيء، والسيء من نعت المكر، كما قيل {إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ} الواقعة٩٥.

وذكر الطبري أن معنى قوله تعالى: ان هذا الذي اخبرتكم به ايها الناس من الخبرعن المقربين واصحاب اليمين، وعن المكذبين الضالين، وما اليه صائرة امورهم(لهو حق اليقين) يقول: لهو الحق من الخبر اليقين لاشك فيه. وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل.

وذكر الطبري اختلاف اهل العربية في وجه اضافة الحق الى اليقين، والحق ليقين، إذ قال بعض نحويي البصرة: حق اليقين، فاضاف الحق الى اليقين كما

---

١) ينظر: م.ن: ١٨٥/١، و: ١٠٠٧/١، و: ١٨٤/١، و: ٤٧١/١.

٢) مذهب كوفي، ينظر معاني القرآن للفراء ٧٦/٣، و: شرح المفصل لآبن يعيش: ٣٢٩-٣٣٣، و: الانصاف في مسائل الخلاف: مسألة: ٦١.

٣) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٦٤/٢٣، و: ٥٢/١٣.

قال(وذلك دين القَيّمة) أي: وذلك دين الملة القيمة. وقال بعض اهل الكوفه: اليقين نعت للحق، كأنه قال: الحق اليقين والدين القيم، فقد جاء مثله في كثير من الكلام والقرآن، كما في قوله(دار الاخرة خير)، قال: فاذا اضيف توهم به غير الاول. حيث قال: واضيف الدار الى الاخرة وهي الاخرةلاختلاف لفظهما، كما في قوله(ان هذا لهو حق اليقين)، وفي قوله تعالى{فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ} ق٩، ذكر الطبري: أنّ الحب هو الحصيد، وهو مما اضيف الى نفسه مثل قوله {إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ} الواقعة٩٥، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

لكن يرى الباحث أن السيء ليس هو المكر، فثمة مكر من الله تعالى {وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} آل عمران٥٤، أي أن المكر نوعان: مكرمحمود كما تقدم ذكره في النص القرآني، ومكرسيء كما في قوله تعالى{وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} فاطر٤٣.

وذهب الشيخ الطوسي متابعا الكوفيين[1] في جواز اضافة الشيء الى نفسه مع اختلاف لفظيهما[2]، ففي تفسير قوله تعالى {فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ}، أشارالى أنه: يعني البُرّ والشعير وكل ما يحصد، والحب هو الحصيد، وانما اضافه الى نفسه، كما قال(حق اليقين)، وكما قالوا: مسجد الجامع وغير ذلك. وفي تفسير قوله تعالى{إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ} أشار الشيخ الطوسي أن المعنى: هذا الذي اخبرتك به هو الحق الذي لاشك فيه، بل هو اليقين الذي لاشبهة فيه، وحق اليقين انما جاز اضافته الى نفسه، لانها اضافة لفظية جعلت بدلاً من الصفة، لان المعنى: ان هذا لهو حق اليقين، كما قيل: هذا نفس الحائط، بمعنى النفس الحائط، وجاز ذلك للايجاز مع مناسبة الاضافة للصفه.وفي تفسير قوله تعالى {وَلَا يَحِيقُ

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣/٧٦-٧٧.

٢) ينظر: التبيان في تفسير القران: ١٠/١٠٥، و: ٤/١٢٥، و: ٩/٥٠٢.

الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} فاطر٤٣، ذكر الشيخ الطوسي أن: (المكر السيء) كما في(الحق اليقين)، أي: ان المكر هو السيء، والسيء هو المكر، فاضيف الى نفسه لاختلاف اللفظ، ويرى الباحث عدم صحة هذا القول.

وأيضا في تفسير قوله تعالى{المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ} الرعد١، ذكر الشيخ الطوسي[1]: انما أجيزت الاضافة هنا، لاختلاف اللفظ.

وتابعهم الماوردي(٤٤٥ هـ)في ذلك الجواز فذكر[2] في تفسير قوله تعالى{فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ} ق٩: أن(حب الحصيد)يعني البُرّ والشعير، وكل مايحصد من الحبوب، اذا تكامل واستحصد سمي حصيداً.

وذهب الثعلبي(٤٢٧ هـ)الى ذلك[3]، ففي تفسير قوله تعالى {إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ} الواقعة ٩٥، الى القول: أي: الحق اليقين، فاضافه الى نفسه وقد ذكرنا نظائره. وأيضا في تفسير قوله تعالى {وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ} ق١٩، ذكر أن المعنى: وجاءت سكرة الحق بالموت، لأن السكرة هي الحق، فاضيف الى نفسه لاختلاف الاسمين، وفي تفسير قوله تعالى {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} ق١٦، أشار الى أن: الحبل من الوريد، واضيف الى نفسه لاختلاف اللفظين، وفي تفسير قوله تعالى {فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ}، ذكر: يعني البر والشعير، فاضيف الحب الى الحصيد(وهما واحد) لاختلاف اللفظين كما يقال: مسجد الجامع، وربيع الاول، وحق اليقين، وحبل الوريد وغيرها.

يرى الباحث أن هذه الاضافات عند الكوفيين يراد منها التخفيف. والذي يلحظ على اجازة الكوفيين في اضافة المنعوت الى نعته خاصة، هو انها تجري

---

١) التبيان في تفسير القرآن: ٢٠٧/٦.

٢) ينظر: تفسير النكت والعيون: ١٥٨/٤.

٣) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١٢٣/١٣، و: ٢٤٩/٧و: ٢٩٢/١٢، ٢٩٥.

قياساً على ظاهر النص القرآني وما جاء من كلام العرب دون التشبث في التأويل، وهذا مظهر اسلوبي جاء منه فيض كثير في الاستعمال القرآني، ومنه قوله تعالى {وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ له دعوة الحق} الرعد١٣، فـ(دعوة الحق) من اضافة الموصوف الى الصفة، كما في قوله(ولدار الاخرة) والتقدير: لله الدعوة الحق. وكذلك قوله تعالى {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ} إبراهيم٢٢، فـ(وعد الحق) يحمل على اضافة الموصوف الى الصفة، أي: الوعد الحق. وكذلك قوله تعالى {وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ} الحجر٢٧، أي: النار السموم(وهو من اضافة الموصوف الى الصفة). وكذلك قوله تعالى{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ} الحجر١٠، و(في شيع الاولين) من اضافة الموصوف الى الصفة، والاصل: في الشيع الاولين. وكذلك قوله تعالى{ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ} الحج٩.فالاصل في(عذاب الحريق)هو(العذاب الحريق)وهومن اضافة الموصوف الى الصفة. وفي قوله تعالى{فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ} سبأ١٦، العرم: الشديد، والتقدير: السيل العرم، وهومن اضافة الموصوف الى الصفة. وقوله تعالى{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وطورسينين} التين١، ومعنى سينين: المبارك، وهومن اضافة الموصوف الى الصـفة.

وما تقدم ذكره من النصوص القرانية المباركة، يمثل وبشكل واضح مسلكاً اسلوبياً في اضافة المنعوت الى نعته، ويبدو لي مما سبق: انما هو بينٌ في القرآن الكريم لاداعـي الـى فرض التأويل واصطناع التقديرات فيه. وعليه فان اضافة المنعوت الى نعته استعمال لغوي صحيح أكّدَه القرآن الكريم، وربما يحمل هذا الاستعمال على الاتساع(أي يتسع في النعت الى المنعوت) فيستعمل استعمال الاسماء مجازاً فيضاف الى المنعوت(١)، وربما يراد من اضافة المنعوت الى

١) ينظر: مشكل اعراب القرآن: ٢٥١/١.

نعته اغراض، منها: الايحاء الى دلالة معينة. وهذا الاستعمال يكون على وجه التاكيد والبيان، والدليل على هذا قوله تعالى{وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَماً وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} التوبة٩٨، فاضافة المنعوت(الدائرة) الى النعت(السوء) على وجه البيان والتاكيد، اذ هو بمنزلة قولنا: شمس النهار، فلو لم يذكر السوء لعلم المعنى بلفظ الدائرة[١].

وقد يراد من هذا الاستعمال دلالته على(الاختصاص) كما في قوله تعالى{وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ} آل عمران١٥٤.فـ(ظن الجاهلية): من اضافة الموصوف الى مصدر الصفة، ومعناها الاختصاص بالجاهلية، كما في قولنا: حاتم الجود، رجل صدق، على معنى: حاتم الذي اختص بوصف الجود، ورجل اختص بوصف الصدق. وقد يراد به الدلالة على المدح، لأن العرب اذا مدحوا شيئا اضافوه الى الصدق، فيقولوا: هذا رجل صدق، وقدم صدق، أي: انهم كثيراً مايضيفون الموصوف الى مصدرالصفة[٢]. وقد ورد كثيراً من ذلك في التعبير القرآني، نحو: {وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ} الإسراء٨٠، وكما في قوله تعالى{أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ} يونس٢، و أيضا قوله تعالى{وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ} يونس٩٣.

ومن هنا يمكن القول إنّ: اضافة المنعوت الى نعته اسلوب قراني يأتي لغرض دلالي: كالتوكيد والبيان، او لغرض الاختصاص متضمنا معنى التوكيد، او لغرض المدح المراد به التوكيد. وهو اسلوب ظاهر مرجح، وتأويله تعسف وتعقيد للدرس النحوي.

---

١) ينظر: م.ن ١ /٣٣٤.

٢) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢/٢٤٥-٢٤٨.

٨: جوازعطف الفعل الماضي على المستقبل[١]:

ولقد تابع ذلك الجواز[٢] الطبري في تفسير قوله تعالى {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ} البقرة٢٦٦، اذ ذكر: فان قال لنا قائل: وكيف قيل(واصابه الكبر) وهو فعل ماض فعطف به على قوله(أيود أحدكم) قيل: ان ذلك كذلك، لان قوله(أيود) يصح ان يوضع فيه(لو) مكان(ان)، فلما صلحت بـ(لو)، و(ان) ومعناهما جميعاً الاستقبال، استجازت العرب أن ترد(فعل) بتأويل(لو)على(يفعل) مع(ان)، فلذلك قال: فاصابهما، وهو في مذهبه بمنزلة(لو) اذا ضارعت(ان) في معنى الجزاء، فوضعت في مواضعها، واجيبت(ان) بجواب(لو)و(لو) بجواب(إن)، فكأنه قيل: أيود أحدكم لوكانت له جنة من نخيل واعناب، تجري من تحتها الانهار، له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر.

وذهب الشيخ الطوسي الى جواز عطف الفعل الماضي على المستقبل، عندما ذكر في تفسير قوله تعالى {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ} البقرة٢٦٦: أتى بالمستقبل، ثم عطف عليه بماض، قال الفراء: يجوز ذلك في(يود) لانها تلتقي مرة بـ(أن) ومرة بـ(لو) فجازأن يقدر احداهما مكان الاخرى، لاتفاق المعنى، فكأنه قال: ايود احدكم لوكانت له جنة من نخيل واعناب وأصابه الكبر[٣].

وذهب الثعلبي الى جواز عطف الماضي على المستقبل[٤]، في تفسيرقوله تعالى {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا

---

١) مذهب كوفي، ينظر معاني القرآن للفراء: ١/١٧٥.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٣/٩٤.

٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢/٣٤٠.

٤) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٢/١٠٢-١٠٣.

مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ} البقرة٢٦٦، اذ ذكر: وانما قال: (اصابه) فرد الماضي على المستقبل، لان العرب تلفظ تووددت مرة مع(لو) وهي للماضي، فتقول: وددت لو ذهبت عنا. ومرة مع(ان)وهي للمستقبل، فتقول: وددت ان تذهب عنا. و(لو) و(ان)مضارعان ـ مشابهان ـ في معنى الجزاء، ألا ترى ان العرب في ما جمعت بين(لو) و(ان)، قال الله تعالى{وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ} آل عمران٣٠، كما جمعت في الآية(ما) و(إنْ) وهما جحد. قال- دُرَيد بن الصِّمَّة:

ما إنْ رَأيتُ ولا سَمعتُ بمثلهِ كاليوم طالِيَ أينقٍ جُربِ[1]

فلما جاز ذلك صلح ان يقال: فعل بتاويل يفعل. ويفعل بتاويل فعل، وان ينطق بـ(لو) عنها مكان(ان) وبـ(ان)مكان(لو). ويبدو أن قوله تعالى{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ووضعنا عنك وزرك} الشرح١، فيه عطف ماض على مستقبل، لأن المستقبل هنا فيه معنى الماضي، ونعطف ماهو مقدم في نية التاخير.

وفي ضوء ماتقدم فأن توجيه الكوفيين بجوازعطف الماضي على المضارع، ومتابعة مفسري القرنين لهم، يتفق تماما مع معنى الآية الكريمة، لأنه يأخذ بالظاهر دونما حاجة الى تأويل وتقدير مالاحاجة اليه، ولخلوّه من فساد المعنى أو ضعفه أو تقديرمالاحاجة اليه، زيادة على أن في هذا التوجيه بيانا جميلا للقيمة الدلالية باستخدام الفعل الماضي بدلا من الفعل المضارع.

---

١) معاني القرآن للفراء: ٣٠٠/٢ برواية ولاسمعت به، و: شرح المفصل: ١٢٩/٨ و: مغني اللبيب: ٦٧٩/٢.

٩: جوازعطف الظاهرعلى المضمر من دون تأكيد[١]:

أي جواز العطف على الضمير المرفوع المتصل في اختيار الكلام، وهومن مواضع الحمل على الظاهر التي ذهب اليها الكوفيون، من اجل عدم الذهاب الى التأويل والتقدير. ولقد تابع مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة الكوفيين في ذلك الموضع، فقد ذهب الطبري[٢] في تفسير قوله تعالى{ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وهو بالافق الاعلى} النجم٦ الى القول: عطف بقوله: "وَهُوَ" على ما في قوله: "فاستَوَى" من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والأكثر من كلام العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا الموضع أن يظهروا كناية المعطوف عليه، فيقولوا: استوى هو وفلان، وقلّما يقولون استوى وفلان، وذكر الفرّاء عن بعض العرب أنه أنشده:

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ النَّبْـعَ يَصْـلُبُ عـودُهُ ... وَلا يَسْـتَوي والخِـرْوَعُ المُتَقَصِّـفُ[٣]

فرد الخروع على(ما) في يستوي من ذكر النبع، ومنه قوله الله(أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا) فعطف بالآباء على المكنى في(كنّا) من غير إظهار نحن، فكذلك قوله(فَاسْتَوَى وَهُوَ)، وقد قيل: إن المستوي: هو جبريل، فإن كان ذلك كذلك،

---

١) مذهب كوفي.، ينظر معاني القرآن للفراء: ٣٠٤/١، و: مشكل اعراب القران: ٦٩٢/١.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٤١/٢٧، و: ٥٠٠/٢٢.

٣) هذا البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن: ٩٥/٣ وفي روايته(يخلق) بدلامن(يصلب). استشهد الفراء به عند قوله تعالى(فاستوى وهو بالأفق الأعلى) أي استوى(هو) أي جبريل، و(هو) أي- محمد صلى الله عليه وآله وسلم- بالأفق الأعلى، وعطف(هو) البارز على(هو) المستتر، فأضمر الاسم في استوى، ورد عليه هو، قال:، وهو جائز لأن في الفعل مضمرا ؛ وقال الله وهو أصدق قيلا: (أئذا كنا ترابا وآباؤنا) فرد الآباء على المضمر في كنا، إلا أنه حسن لما حيل بينهما بالتراب، والكلام: أئذا كنا ترابا نحن وآباؤنا.

فلا مُؤنة في ذلك، لأن قوله(وَهُوَ) من ذكر اسم جبريل، وكأن قائل ذلك وجّه معنى قوله(فَاستَوَى): أي ارتفع واعتدل.

وتابع كلٌ من الشيخ الطوسي[1]، والثعلبي[2] الكوفيين والطبري بالقول في ذلك الجواز.

والحقيقة ان جوازالعطف على الضمير المرفوع دون فصل او توكيد يُعَدُ تحرراً من كل مايعوق التذوق لروح النص من قيود الاضطراد، فهو اقرب الى روح الدرس اللغوي[3].وإنَّ الكوفيين لم يقولوا بذلك الجواز عبثاً، بل نظروا الى ما ورد منه في القرآن الكريم وكلام العرب، فوجدوه كَمّاً لايمكن اغفاله.

١٠: جواز العطف على المحل(الموضع)[4]:

ذهب الطبري[5] الى جواز العطف على المحل متابعة منه الى الكوفيين، ففي تفسير قوله تعالى {لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ} البقرة٨٣، أشار الى أن: قوله جل ثناؤه(وبالوالدين احسانا) عطف على موضع(أن) المحذوفه في(لاتعبدون الا الله)، فكأنَّ معنى الكلام: واذا اخذنا ميثاق بني اسرائيل بأن لا تعبدوا الا الله وبالوالدين احساناً.

فرفع(لاتعبدون) لما حذف(ان)، ثم عطف بالوالدين على موضعهما، كما قال الشاعر:

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤١١/٩.

٢) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٥/١٣.

٣) ينظر: الدرس النحوي في القرن العشرين: ٢٣١.

٤) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٤٨/٢.

٥) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٢٩٠/٢ - ٢٩١.

معاويَ إنَّنا بشرٌ فاسجحْ   فلسنا بالجبالِ ولا الحديدا[1]

فنصب(الحديد)عطفاً على موضع(الجبال)، لأنه لولم تكن فيها(باء)خافضة كانت نصباً، فعطف بـ(الحديد)على معنى(الجبال)لاعلى لفظها، فكذلك ماوصفت من قوله تعالى(وبالوالدين احساناً). واما(الاحسان) فمنصوب بفعل مضمريؤدي معناه قوله(وبالوالدين) اذ كان مفهوم معناه، فكان معنى الكلام، لو اظهر المحذوف: واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل، بان لاتعبدوا الا الله، وبأن تحسنوا الى الوالدين احساناً، فأكتفى بقوله(وبالوالدين) من ان يقال: وبان تحسنوا الى الوالدين احساناً، اذ كان مفهوماً ان ذلك معناه بما ظهر من الكلام. والحقيقة أن هذا البيت لايصلح شاهدا هنا، لأن اصله بـ(الجر) في الخزانة، والعقد الفريد.

وذهب الشيخ الطوسي متابعاً الطبري والكوفيين في القول بجواز العطف على الموضع[2]، وتابعهم في ذلك كلٌ من السمرقندي[3]، والثعلبي[4]، وإبن زمنين[5]، والواحدي[6].

---

١) البيت لعقيبة الأسدي، الكتاب: ٦٧/١، و: ٢٩٢/٢، ٣٤٤، و: ٩١/٣، و: خزانة الأدب: ٣٤٣/١، وهناك خلاف حول رواية النصب لسيبويه، ذكر الشنتمري، يجوز أن يكون سيبويه نقله من غير قصيدته المعروفة(بالجر)، فهناك قصيدة: أديروها بني حرب عليكم   ولاترموا بها الغرض البعيدا.

٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣٢٥/١.

٣) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٧٦/١-٧٧.

٤) ينظر: الكشف والبيان: ١٤٦/١، و: معاني القرآن للفراء: ٥٣/١.

٥) ينظر: تفسير ابن زمنين: ٢٠/١.

٦) ينظر: تفسير الوجيز: ٢٣/١.

١١: جوازادخال الفاء في الخبر، اذا تضمن المبتدأ معنى الشرط والجزاء[١]:

ذهب الكوفيون الى ذلك الجواز، لانهم أرادوا الابتعاد عن التقدير والتأويل، وقد تابعهم مفسرو القرنين الرابع والخامس في ذلك. فنجد الطبري ذهب الى ذلك الجواز عند تفسير قوله تعالى{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} المائدة٣٨، فقال: يقول -جل ثناؤه-: ومن سرق من رجل او إمرأة، فأقطعوا، ايها الناس، يده، ولذلك رفع(السارق والسارقة) لأنهما غيرمعينيين، ولو أُريد بذلك سارق او سارقة باعيانهما لكان وجه الكلام النصب[٢].وقد روي عن عبد الله بن مسعود انه كان يقرأ ذلك(٢): (والسارقون والسارقات)أي ان القراءة بالرفع ايضاً، وهذا يؤكد قراءة الرفع، فهي الوجه.

وتابعهم بالقول في هذا الجواز كلٌ من الشيخ الطوسي[٣]، والسمرقندي[٤]، والقشيري[٥]، والثعلبي[٦].

وعليه فان متابعة المفسرين للكوفيين في هذه المسألة، هو الأقرب الى الصواب من غيره، لأنه يمثل المعنى الذي يحتمله تفسيرالآية، اذ ان معنى الابتداء في تكرارهذين اللفظين فيه تمثيل لحقيقة العموم الذي يقصده النص لا التخصيص الذي يوحيه الابتداء لفعل الامر[٧].

---

١) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٠٦/١، و: ١٨/٣، و: مشكل اعراب القرآن: ٢٢٥/١.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٠/، ٢٩، و: ينظر: معجم القراءات القرآنية: ٢٠٨/٢.

٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٥١٢/٣-٥١٣.

٤) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٤٧٣/١، و: ينظر: معجم القراءات: ٢٠٨/٢.

٥) ينظر: تفسير القشيري: ١٢٠/٢.

٦) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٤٤٨/٢.

٧) ينظر: مشكل اعراب القرآن: ٢/١.

ومن خلال ما ذهب اليه المفسرون يكون معنى هذا الجواز: ان المبتدأ اذا تضمن الشرط والجزاء كـ(الاسماء الموصوله والنكرات الموصوفة، اذا كانت الصلةاو الصفة فعلاً او ظرفاً) جاز ادخال الفـاء بالخبر، كقوله(والسارق) وقوله(والزانية) كذلك، لأن(الالف واللام) فيهما بمنزلة(الذي)، اذ لايراد به سارق او زانٍ بعينه.

١٢: جواز نعت المعرفة(الاسماء الموصولة) بالنكرة[1]:

أي: المعرفة التي بصلتها كالنكرات - لا كالمعارف، فذهب الى ذلك الجوازالطبري[2]، ففي تفسيرقوله تعالى{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ} الفاتحة٧، ذكر: أن القراءة مجمعة على قراءة(غير)بجر الراءمنها، والخفض يأتيها من وجهين:

أولهما: ان يكون(غير) صفة لـ(الذين) ونعتاً لهم لتخفضها. اذ كان(الذين) خفضاً، وهي لهم نعت وصفة. وانما جاز ان يكون(غير) نعتا لـ(الذين)، و(الذين) معرفة، و(غير) نكرة، لأن(الذين) بصلتها ليست بالمعرفة المؤقتة كالاسماء التي هي امارات بين الناس، مثل: زيد وعمرو، وما اشبه ذلك، وانما هي كالنكرات المجهولات، فلما كان(الذين)كذلك صفتها، وكانت(غير)مضافة الى مجهول من الاسماء، نظير(الذين) في انه معرفة غير مؤقتة، كما(الذين) معرفة غير مؤقته، جاز من اجل ذلك ان يكون(غيرالمغضوب عليهم) نعتا لـ(الذين انعمت عليهم).والوجه الاخر من وجهي الخفض فيها: ان يكون(الذين) بمعنى المعرفة المؤقتة(المعرفة المحددة)، واذا وجه الى ذلك، كانت(غير) مخفوضة بنية تكرير(الصراط) الذي خفض(الذين) عليها، فكأنك قلت: صراط الذين انعمت

---

١) مذهب كوفي، ينظر معاني القرآن للفراء: ٧/١.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٨٠/١ومابعدها.

عليهم، صراط غيرالمغضوب عليهم. وهذان التأويلان في(غير المغضوب) وإنْ اختلفا باختلاف معربيهما، فانهما يتقاربان بالمعنى.

وذهب الشيخ الطوسي[1] الى ذلك الجواز، وتابعهم في القول بذلك الجواز إبن زمنين[2]، وكذلك الثعلبي[3].

١٣: جواز الفصل بجملة بين اسم إنَّ وخبرها:

أراد الكوفيون[4]من هذا الجواز الابتعاد عن التقديرات والتاويلات، زيادة على ان هذا الجواز يكون لافادة الكلام تقوية وتسديداً او تحسيناً. ولقد ذهب الطبري الى الطريق نفسه حين اراد الابتعاد عن التقدير والتأويل[5]، فأشارفي تفسير قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً} الكهف٣٠ يقول تعالى ذكره: إن الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بطاعة الله، وانتهوا إلى أمره ونهيه، إنا لا نضيع ثواب من أحسن عملا فأطاع الله، واتبع أمره ونهيه، بل نجازيه بطاعته وعمله الحسن جنات عدن تجري من تحتها الأنهار.

فإن قال قائل: وأين خَبَر "إن" الأولى؟ قيل: جائز أن يكون خبرها قوله: (إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا) فيكون معنى الكلام: إنا لا نضيع أجر من عمل صالحا، فترك الكلام الأوّل، واعتمد على الثاني بنية التكرير، كما قيل: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ) بمعنى: عن قتال فيه

على التكرير، وكما قال الشاعر:

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١/٤٠-٤١.

٢) ينظر: تفسير ابن زمنين: ١/٢.

٣) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١/٤٣.

٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/١٤٠-١٤١.

٥) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٨/١٦.

إنَّ الخَلِيفَـــــةَ إنَّ اللهَ سَـــــرْبَلَهُ   سِرْبالَ مُلْك بِهِ تُرْجَى الخَواتِيمُ[1]

ويروى: تُرْخَى، وجائز أن يكون: (إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) جزاء، فيكون معنى الكلام: إن من عمل صالحا فإنا لا نضيع أجره، فتضمر الفاء في قوله(إنا)، وجائز أن يكون خبرها: أولئك لهم جنات عدن، فيكون معنى الكلام: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أولئك لهم جنات عدن.، وهذا نص قول الفراء[2].

وذهب الشيخ الطوسي الى ذلك الجواز[3] ففي تفسير قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً} الكهف٣٠، ذكر:... ثم اخبر تعالى عن المؤمنين الذين يعملون الصالحات من الطاعات ويجتنبون المعاصي بانه لايضيع اجر من احسن عملاً ولايبطل ثوابه. وقيل في خبر(ان الذين امنوا) ثلاثة اقوال:

احدها: ان خبره قوله(اؤلئك لهم جنات عدن)، ويكون قوله(انا لانضيع اجر من احسن عملا) اعتراضاً بين الاسم والخبر.

الثاني: ان يكون الخبر(انا لانضيع اجره)، إلاّ انه وقع المظهر موقع المضمر.

والثالث: ان يكون على البدل، فلايحتاج الاول الى خبر، كقول الشاعر:

إنَّ الخليفةَ ـ ان الله سربله ـ   سربال ملك به ترجى الخواتيم

فاخبر عن الثاني وأضرب عن الاول.

---

١) استشهد به االطبري على أن التكرار في قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أجر من أحسن عملاً، له نظير في قول الشاعر:

إن الخليفة إن الله سربله   سربال ملك به ترجى الخواتيم

وقد بين وجهي الإعراب في المكرر. والبيت من شواهد الفراء في معاني القرآن: ١٤/١.

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٤٠/٢.

٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣٥/٢.

وذهب الثعلبي الى ذلك الجواز[1]، ففي تفسير قوله تعالى{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً} الكهف٣٠، أشار الى أن: جملة(انا لانضيع اجرمن احسن عملاً) كلام معترض وليس خبرا لقوله(ان الذين امنوا). وخبر(ان) الاولى، قوله: (اؤلئك لهم جنات عدن) ومثله في الكلام كثير، قال الشاعر:

إنَّ الخـليفــــة ان الله سربلــــه   سربال ملك به ترجى الخواتيم

ومنهم من قال: فيه اضمار، فأ ن معناه: انا لانضيع اجرمن آمن وعمل صالحاً بل نجازيه، ثم ذكر الجزاء فذكر: (اؤلئك لهم جنات عدن).

وذهب السمرقندي في تفسيره قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً} الكهف٣٠، الى ان المعنى[2]: لانبطل ثواب من أحسن عملا في الاخرة: ثم بين ثوابهم فقال(اؤلئك لهم جنات عدن)، وقال الزجاج بشأن قوله(ان الذين امــنوا وعمــلوا الصالحات)، يجوز أن يكون خبره(انا لانضيع اجر من احسن عملاً) كأنه يقول: إنّا لانضيع اجرهم، ويحتمل ان يكون الجواب قوله(اولئك لهم جنات عدن) ويجوزان يكون جوابه لم يذكر، وقد بين ثواب من احسن عملاً في موضع اخر تمثل في قوله تعالى {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} الفتح٢٩.

لكن هذا القول نسب الى الزجاج، وهوقول الفراء اصلاً[3]. وفي الوقت نفسه يبدو أن ماذهب اليه المفسرون في تفسير هذه الآية فيه تقدير وتكلف، وبعيداً

---

١) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١١٨/٤.

٢) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٤٦/٣.

٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٤٠/٢.

عن الصواب، اذ انني أرى لجملة(انا لانضيع اجر من احسن عملا)، إعرابين يجعلان النص القرآني المقصود أقرب الى الفهم، واكثر التصاقاً بالمعنى، وهما:

الاول: ان تكون جملة(انا لانضيع اجر من احسن عملاً) خبراً اولاً، وجملة(اؤلئك لهم جنات عدن) خبراً ثانياً، اذ لامانع من تعدد الاخبار لو تطابقت.

الثاني: هو ان تكون جملة(اؤلئك لهم جنات عدن) بدلاً من جملة(انا لانضيع اجر من احسن عملاً) والتقدير: ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اؤلئك لهم جنات عدن.

وهذا القول تام المعنى ولايحتاج الى شيء آخر للبيان.او يكون التقدير: ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع اجر من احسن عملا. وهذا القول تام المعنى ويغني عن ذكر القول الاول.

وعليه انني ارى ان الاعرابين المذكورين سلفاً هما الاقرب الى منطق اللغة الذي يبتعد عن التقدير والتكلف والتاويل.

١٤: جواز عطف الفعل المضارع على الصفة المشبهة[1]:

ذهب الطبري[2] الى ذلك الجواز متابعاً الكوفيين، اذ أشار في تفسير قوله تعالى {إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ} ال عمران٤٥، ٤٦ الى أن: الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم، وجيهاً عند الله، ومكلماً الناس في المهد.فـ(يكلم) وان كان مرفوعاً لأنه في صورة(يفعل) بالسلامة من العوامل فيه، فانه في موضع

---

١) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ١\٢١٣.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٦/٤١٦-٤١٧.

نصب.أي: أن في قوله تعالى عطف، ومعنى هذا العطف هو: عطف الفعل المضارع على الصفة المشبهة، إذ إن العطف في قوله تعالى هو: (ويكلم) معطوفاً على(وجيهاً) وبهذا فأن المعنى: يبشرك به وجيها ومكلماً الناس في المهد، وجائزعطف(يفعل) على(فاعل) لمضارعة(يفعل)(فاعل). والبيت الشعري العطف فيه(جائر)على(يقصد).

وعطف قوله(من المقربين) و(من الصالحين) في النص القرآني متقدم الذكر، يلمح فيه الى معنى: انه من الذين شهد لهم بالقرب والصلاح، لأن(ال)مع الصفات بمعنى الاسم الموصول، ولأن أشباه الجمل تتعلق بالحدث لإتمام معناها، ثم مشاركتها بالوصف والمصدر(وكهلاً) في التبعية لقوله(وجيهاً)[1].

وذهب الشيخ الطوسي[2] الى جواز عطف الفعل المضارع على الصفة المشبهة(عطف الفاعل على الفعل عند تقارب معا نيهما)، متابعاً بذلك الكوفيين، اذ يشير في تفسير قوله تعالى{وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ} آل عمران٤٦، الى ان موضع(ويكلم الناس في المهد) نصب على الحال عطفاً على(وجيهاً) و(مكلماً)، أي(مكلماً ووجيهاً) من قوله تعالى(إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ). وكذلك عطف عليه(وكهلا) بالنصب، ويجوزعطف الفاعل على الفعل لتقارب معانيهما.

---

١) ينظر: النظام النحوي في القرآن الكريم، دلائل النظام النحوي: ٣١١ - ٣١٢.

٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤٦١/٢.

١٥: عدم جوازعطف الجحدعلى الاستثناء، أي: مجيء(لا) بمعنى(غير)[1]:

ذهب الكوفيون الى جواز العطف بالجحد على الجحد، ومنعوا عطف الجحد على الاستثناء، فذهبوا الى ان(غير) في قوله تعالى{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ} الفاتحة٧، منصوبة على الحال وليست على الاستثناء قال الفراء: اذا رأيت(غير) لايصلح في موضعها(الا) فهي حال، واذا صلح فهي استثناء. وهذا معناه: ان معنى(غير) معنى(لا) فلذلك ردت عليها(ولا). واذا كانت(غير) بمعنى(سوى) لم يجز ان تكرر عليها(لا)، اذ لايجوز القول: عندي سوى زيد ولا عبد الله. وذلك حملاً على(الا)، اذ لاتزاد(لا) في الاستثناء فلا يقال: جاؤوا الا زيداً ولاعمرا.

ولقد ذهب الطبري الى ذلك[2].عند تفسيرقوله تعالى(غيرالمغضوب عليهم ولا الضالين) فذكر: أن في قوله تعالى اتفاق على جر(غير) لانها نعت لـ(الذين). إذ إنَّ القَرأة مجمعة على قراءة(غير) بجر الراء منها، والخفض يأتيها من وجهين:

احدهما: ان يكون(غير) صفة لـ(الذين)ونعتا لهم فتخفضها. اذ كان(الذين) خفضاً، وهي لهم نعت وصفة. وانما جاز ان يكون(غير) نعتا لـ(الذين)، و(الذين)معرفة، و(غير) نكرة، لأن(الذين) بصلتها ليست بالمعرفة المؤقته كالاسماء.

و الآخر: أن يكون(الذين)بمعنى المعرفة المؤقتة.واذا وجه الى ذلك كانت(غير)مخفوضة بنية تكرير(الصراط)الذي خفض الذين(عليها)، فكأنك قلت: صراط الذين أنعمت عليهم، صراط غير المغضوب عليهم(وقد ذكرنا ذلك في مسألة جواز نعت المعرفة بالنكرة).

---

١) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٨/١.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٨٠/١ -١٨٤.

وذكر الطبري جواز نصب(غير)، فقد كان بعض نحويي البصرة يزعم ان قراءة من نصب(غير) في(غير المغضوب عليهم) على وجه استثناء(غير المغضوب عليهم) من معاني صفة(الذين انعمت عليهم). واما نحويي الكوفة فانكروا هذا التأويل واستخطأوه، وزعموا ان ذلك لو كان كما قاله الزاعم من أهل البصرة لكان خطأ ان يقال: ولا الضالين، لأن(لا) نفي وجحد، ولا نعطف بجحد الا على جحد.وقالوا: لم نجد في شيء من كلام العرب استثناء يعطف عليه بجحد، وانما وجدناهم يعطفون على الاستثناء بالاستثناء، وبالجحد على الجحد، فيقولون في الاستثناء: قام القوم الا اخاك والا اباك. وفي الجحد: ما قام اخوك ولا ابوك. واما: قام القوم الا اباك ولااخاك. فلم نجده في كلام العرب. قالوا: فلما كان ذلك معدوما في كلام العرب، وكان القرآن بافصح لسان العرب نزوله، علمنا: اذ كان قوله(ولا الضالين) معطوفاً على قوله(غير المغضوب عليهم) ان(غير) بمعنى الجحد لا بمعنى الاستثناء، وان تأويل من وجهها الى الاستثناء خطأ. وذكرأن الصواب من القول في تأويله عندنا القول الذي ذهب الى: خفض الراء من(غير)على انها صفة لـ(الذين)ونعت لهم، وان شئت بتأويل تكرير(صراط كان ذلك صواباً حسنا).وذهب الطبري الى ان(غير)في قوله تعالى{فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} البقرة١٧٣، حال للمضطر، كأنك قلت: فمن اضطر لاباغيا ولاعاديا فهو حلال[1].

وذهب الشيخ الطوسي الى ذلك الجواز[2]، إذ أشار في تفسير قوله تعالى{غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ} الفاتحة٧، الى اجماع المفسرين على جر(غير)لأنها نعت لـ(الذين)، وان نصبت على الحال جائز، وهذا ما ذهب اليه الفراء. اما من ذهب الى نصبها على الاستثناء، فقال الفراء: وتغلب هذا خطأ لانه لو كان

١) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٣\٣٢٢.

٢) ينظر: التبيان في تفسير القران: ١\٤٠ فمابعدها.

كذلك لما قال: ولا الضالين لأن(لا) نفي وجحد ولا يعطف على جحد الا بجحد، ولا يعطف بالجحد على الاستثناء، وانما يعطف باستثناء على استثناء، وبالجحدعلى الجحد، أي: (غير) بمعنى(لا)، فكأنه قال: لاالمغضوب عليهم ولا الضالين.

ويرى الباحث ان الكوفيين قد استندوا في هذا على قراءة الامام علي(عليه السلام) وعمر بن الخطاب(رض)، إذ قرؤوا الآية(غير المغضوب عليهم وغير الضالين)، ذلك لما في(غير) من معنى(لا)[1]، وبدلالة استقامة المعنى ووضوحه في حالة ابدالهما.

وقد ذهب الثعلبي الى ذلك الجواز في تفسير قوله تعالى(غير المغضوب عليهم ولا الضالين) اذ ذكر أن(غير): صفة لـ(الذين).و(الذين) معرفة ولا توصف المعارف بالنكرات، ولا النكرات بالمعارف، الا ان(الذين) ليست بمعرفة مؤقته، ولكنه بمنزلة قولك إنِي لَأمر بالصادق غير الكاذب، كانك قلت: من يصدق لامن يكذب. ولايجوز: مررت بعبد الله غير الظريف. وانما جاز ان يعطف بـ(لا) على(غير)، لان(غير) متضمن معنى النفي، فهو بمعنى(لا).مجازه: غيرالمغضوب عليهم وغير الضالين، كماتقول: فلان غيرمحسن ولا مجمل. فاذا كان(غير) بمعنى(سوى) لم يجز ان يعطف عليها بـ(لا)، لحدوث خلل في المعنى[2].

وذهب ابن زمنين متابعاً السابقين له في ذلك الجواز اذ ذكر[3] في تفسير قوله تعالى(غير المغضوب عليهم ولا الضالين): من قرأ(غير) بالخفض فهو على البدل من(الذين)، وجاز ان يكون على النعت.

---

١) ينظر: معجم القراءات القرآنية: ١٤\١.

٢) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٤١\١ وما بعدها.

٣) ينظر: تفسير ابن زمنين: ٢/١.

والحقيقة أن مسألة جواز العطف بالجحد على الجحد التي ذهب اليها الكوفيون، نجد لها صدى في دراسات المحدثين، فالمستشرق الالماني(براجستراسر) في باب النفي من كتابه(التطور النحوي) ومن دون الاشارة الى الكوفيين في هذا الشأن يذكر[1]: واما(غير) فهي اسم معناه مختلف عن الشيء الذي اضيفت له، فالشيء الموصوف بها ليس بالشيء المضاف اليه، وهذا هومعنى النفي، ومما يظهر ان(غير) تعد بين ادوات النفي، اذ عطف(ولا)عليها نحو: (غير المغضوب عليهم ولاالضالين).

وحين نجد مثل هذه الدراسات الحديثة تطابق ماذهب اليه الكوفيون في أغلب مباحثه، فيمكن القول: من الانصاف إبراز واظهار النحو الكوفي وتوجيه زمام البحث اليه.

١٦: عدم جواز خفض الاسم بغير خافض[2]:

ذهب الفراء الى ان(مَنْ) من قوله تعالى{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} الأنعام١١٧، موضعه رفع لأنه بمعنى(أي)، والرافع له(يضل)، وهو كقوله تعالى(ليعلم أي الحزبين احصى)، اذا كانت(من) بعد العلم والدراية والنظر، مثل نظرت وعلمت ودريت ـ كانت في مذهب(أي)، فان كان بعدها فعل لها رفعتها به، وان كان بعدها فعل يقع عليها نصبتها.

و ذهب الطبري[3]الى عدم جواز خفض الاسم بغيرخافض، اذ أشار في تفسير قوله تعالى {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} الأنعام١١٧: الى اختلاف اهل العربية في موضع(من) من قوله تعالى، فقال بعض نحويي البصرة: موضعه خفض بنية(الباء). قال: ومعنى الكلام: ان ربك هو اعلم

---

١) ينظر: التطور النحوي: ١٧١.

٢) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٥٢/١.

٣) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٦٥/١٢-٦٧.

بمن يضل. وقال بعض نحويي الكوفه: موضعه رفع لانه بمعنى(أي) والرافع له(يضل)، وهذا قول الفراء.

وذكر الطبري: والصواب من القول في ذلك قول الذي رفع بـ(يضل)، وهو في معنى(أي). وغير معلوم في كلام العرب اسم مخفوض بغير خافض، فيكون هذا له نظير.

وذهب الشيخ الطوسي الى ذلك المنع، حين أشار[1] في تفسير قوله تعالى{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} الأنعام١١٧، أن: لـ(مَنْ) هنا وجهين من الاعراب:

قال بعضهم: موضعه نصب على حذف الباء، وتقديره: اعلم بمن يضل ليكون مقابلاً لقوله(فهو اعلم بالمهتدين).

وقال الفراء: موضعها الرفع لانها بمعنى(أي) كقوله{ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً} الكهف١٢، وصفة(افعل)من كذا لاتتعدى لانها غير جارية على الفعل ولا معدولة على الجارية كعدل(ضروب) عن(ضارب) و(منحار) عن(ناحر).

وذهب الثعلبي[2] متابعاً من سبقه من المفسرين في ذلك المنع، فذكرفي تفسير قوله تعالى {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} الأنعام١١٧: قال بعضهم: موضع(من) نصب لأنه بنزع الخافض وهو حرف الصفة أي(بمن).

وقيل: موضعه رفع لانه بمعنى(أي)، والرافع له(يضل).

وقيل: محله نصب لوقوع العلم عليه، و(اعلم) بمعنى(يعلم) كقول حاتم الطائي:

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢٤٩/٤ - ٢٥٠.

٢) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٢٨٢/٥.

فحالفَتْ طيءٌ مِن دوننا حلفا والله أعلمُ ماكُنّا لهم خُذُلا

وهذا القول الاخير فيه تاويل بعيد جداً، لان معنى الآية: ان الله تعالى أعلم بمن يملك سبيل الضلال المؤدي الى الهلاك بالعقاب، ومن سلك سبيل الهدى المفضي به الى النجاة والثواب. وهذا لايطابق قول الشاعر المذكور اعلاه، فعليه لاتجوز هذه المقارنة.

١٧: **نصب الفعل المضارع بـ(حتى) نفسها**[١]:

قال الكوفيون: (حتى) تنصب المضارع بنفسها، اذا كان الفعل الذي قبلها ممتداً(يتطاول ولايقع دفعة واحده)، ذلك من اجل عدم الذهاب الى التقدير والتأويل. ولقد ذهب الطبري[٢]الى ذلك في تفسير قوله تعالى {وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ} البقرة٢١٤، اذ ذكر: قوله تعالى(حتى يقولَ) فيه وجهان من القراءة: الرفع والنصب.

والصحيح من القراءة اذا كان ذلك كذلك(وزلزلوا حتى يقول الرسول) نصب(يقول)، اذ كانت الزلزله فعلاً متطاولاً مثل المطو بالابل، وانما الزلزلة في هذا الموضع الخوف من العدو لا زلزلة الارض، فلذلك كانت متطاولة، وكأن النصب في(يقول) وان كان بمعنى(فعل) أفصح وأصح من الرفع فيه.

وذهب الشيخ الطوسي[٣] متابعاً الطبري في ذلك، اذ أشار في تفسير قوله تعالى{حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} البقرة١٢٠: الى أن قوله: (تتبع) نصب بـ(حتى)، وحكى الزجاج عن الخليل وسيبويه وجميع البصريين[٤] ان الناصب للفعل(ان) بعد(حتى)، لأن(حتى) تخفض الاسم في قوله تعالى {سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ

---

١) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٣٢/١.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٩٩/٢، و: ١٠/٧.

٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤٤٠/١.

٤) ينظر: الكتاب: ٦٥/١، ٨٥.

الْفَجْرِ} القدر٥، ولا يعرف في العربية حرف يعمل في اسم وفعل، وما لايكون خافضاً لاسم، يكون ناصبا لفعل، فصار ذلك مثل قولك: جاءَ زيدٌ ليضربَكَ، فانها تنصب الفعل باضمار(ان) لكونها جارة للاسم. وكذلك قوله تعالى{وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ} البقرة٢١٤، ذكر الشيخ الطوسي بعدعرضه مجموعة اراء نحوية بشأن(يقول)بين الرفع والنصب: فاما النصب فيوجب الغاية، ولقد حصل الفرق بين الرفع والنصب من ثلاث جهات:

الاولى: ان احدها على الحال، والاخر على الاستقبال

الثانية: ان أحدها قد انقضى، والآخر لم ينقض.

والثالثة: ان احدها على الغاية، والاخر على التأدية، ومعنى الغاية في الآية اظهر، لان النص جاء عند قول الرسول(صلى الله عليه واله و سلم)، فلذلك كان الاختيار في قراءة النصب[1].

وذهب كلٌ من السمرقندي[2]، والثعلبي[3]، متابعين الشيخ الطوسي والطبري والكوفيين بالقول في هذه المسألة.

١٨: النصب على الصرف(الخروج ـ الخلاف)[4]:

ذهب الكوفيون الى نصب الفعل المضارع بعد(الواو، والفاء، و أو)على الصرف اذا ماعطف على مسبوق بنفي او طلب من غير اعادة العامل(وهذا من

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١٩٨/٢.

٢) ينظر: تفسير بحر العلوم: ١٧٨/١، و: ينظر: اتحاف الفضلاء: ١٥٦، و: معجم القراءات القرآنية: ١٦٥/١.

٣) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٤٢٢/١.

٤) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٤/١، ١٩١، و ٣: ٢٠٨.

اجل حمل النص على ظاهره والابتعاد عن التاويل). وذهب البصريون الى ان هذا النصب وقع بـ(ان) مضمره[1].

والصرف: هو ان الفعل كان من حقه ان يعرب باعراب ما قبله، فلما جاءت(الواو) صرفته الى وجه اخر، ويقول الفراء: فان قلت: وما معنى الصرف؟ قلت: ان تاتي بالواو معطوفه على كلام في أوله حادثه لاتستقيم اعادتها على ماعطف عليها، فاذا كان كذلك فهو الصرف، كقول الشاعر:

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ[2]

ولعدم تمكنك من اعادة(لا) مع(وتاتي مثله) لذلك سمي صرفاً.

أما الخروج: فقد ذكر الفراء[3] في اعراب(قادرين) من قوله تعالى(بلى قادرين....) القيامة ٤: قادرين نصبت على الخروج من(نجمع).والخروج مصطلح لم يضع له الفراء تعريفا، ولكنه صدر عنه استعمالا.

وقد ذهب الاستاذ عوض القوزي الى أن: الصرف والخروج والخلاف مصطلحات تدوركلها حول مخالفة اللفظ المتأخر لأحكام اللفظ السابق له، اسما كان أو فعلا[4].

ولقد ذهب الطبري[5] متابعاً الكوفيين في النصب على الصرف(الخروج)، اذ أشار في تفسيرقوله تعالى{وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}

---

١) ينظر: الكتاب: ٣/٤١-٤٢، و: الانصاف في مسائل خلاف: مسألة ٧٥، ص ٥٥٥.

٢) من الأبيات التي رويت في عدة قصائد كما قال صاحب الخزانة ٣/ ٦١٧، نسبه سيبويه٣ /٤١ للأخطل، وهو في قصيدة للمتوكل الليثي في ملحقات الديوان، الطبعة الثانية، ولأبي الأسود الدؤلي قصيدة ساقها صاحب الخزانة(٣ / ٦١٨)، وليست في ديوانه طبعة ببغداد.

٣) ينظر معاني القرآن للفراء: ٣/٢٠٨.

٤) ينظر: المصطلح النحوي: ١٨٨ ومابعدها.

٥) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٧/٢٤٧.

آل عمران ١٤٢: أن نصب(يعلم الصابرين) على الصرف، و(الصرف): ان يجتمع فعلان ببعض حروف النسق، وفي اوله ما لايحسن اعادته مع حروف النسق، فينصب الذي بعد حرف العطف على الصرف، لأنه مصروف عن معنى الاول، ولكن يكون مع جحد او استفهام او نفي في اول الكلام. وذلك كقولهم: لايسعني شيء ويضيق عنك، لأن(لا) التي مع(يسعني) لايحسن اعادتها مع قوله(ويضيق عنك) ولذلك نصب. والقراءة في هذا الحرف على النصب.وفي تفسير قوله تعالى {إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ} الشورى٣٣ ـ ٣٥، ذهب الطبري الى القول[1]: قوله(ويعلم الذين يجادلون في آياتنا) اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأ عامة قراء المدينة بالرفع على الاستئناف[2]، وقرأته قراء الكوفة نصبا على الصرف كما في سورة آل عمران(ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)، وكما قال النابغة:

فَإِنْ يَهْلِكْ أَبُو قَابُوسَ يَهْلِكْ ... رَبِيعُ النَّاسِ وَالشَّهْرُ الحَرَامُ
وَنُمْسِكَ بَعْدَهُ بِذِنَابِ عَيْشٍ ... أَجَبِّ الظَّهْرِ لَيسَ لَهُ سَنَامُ[3]

---

١) ينظر: م. ن: ٢١/ ٤٣.

٢) ينظر: معجم القراءات القرآنية: ٩٣/٦، و: ينظر: اتحاف الفضلاء: ٣٨٣.

٣) البيتان للنابغة الذبياني من مقطوعة يخاطب بها حاجب النعمان، والشاهد في البيتين في قوله(ونمسك) فإنه يجوز فيه الرفع على الاستئناف، والنصب بتقدير(أن)، والجزم بالعطف على يهلك.وقال الفراء في معاني القرآن: ٢٤/٣، وقوله(ويعف عن كثير ويعلم الذين): مردودة على الجزم إلا أنه صرف(النصب على الصرف مذهب للفراء في العطف على المجزوم كما في الآية، وفي المفعول معه، وفي الظرف الواقع خبرا) قال: والجزم إذا صرف عنه معطوفه نصب، كقول الشاعرالمذكور، والرفع جائز في المنصوب على الصرف.وقد قرأ بذلك قوم، فرفعوا ويعلم الذين يجادلون.

وفي تفسير قوله تعالى{وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} البقرة٤٢، ذهب الطبري الى القول[1]: في قوله(وتكتموا الحق) وجهان من التأويل: منهما: أن يكون النهي من الله تعالى لهم عن ان يلبسوا الحق بالباطل، ويكون قوله(وتكتموا الحق) خبراً منه عنهم بكتمانهم الحق الذي يعلمونه، فيكون قوله(وتكتموا)حينئذ منصوباً لانصرافه عن معنى قوله(ولاتلبسوا الحق بالباطل) اذ كان قوله(ولا تلبسوا) نهياً، وقوله(وتكتموا الحق) خبراً معطوفاً عليه، غيرجائز ان يعاد عليه ماعمل في قوله(تلبسوا) من الحرف الجازم. وذلك هو المعنى الذي يسميه النحويون(صرفاً). ونظيرذلك في المعنى والاعراب قول الشاعر:

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

فنصب(تأتي) على التاويل الذي قلنا في قوله(وتكتموا) لانه لم يرد: لاتنه عن خلق ولا تات مثله، وانما معناه: لاتنه عن خلق وانت تاتي مثله، فكان الاول نهياً، والثاني خبراً، فنصب الخبر اذ عطفه على غير شكله ولقد ذهب الشيخ الطوسي[2] متابعاً الكوفيين في ذلك عند تفسير قوله تعالى {وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} آل عمران١٤٢، اذ ذكر: وقوله(ويعلم الصابرين) نصب على الصرف عن العطف، اذ ليس المعنى على نفي الثاني، وانما هو على نفي اجتماع الثاني والاول، نحو قولهم: لايسعني شيء ويعجز عنك. وقال الشاعر:

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

---

١) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٥٦٩/١.

٢) ينظر: التبيان في تفسير القران: ٢/٢ـ ٣.

وانما جاز(ولايعلم الله الذين جاهدوا منكم)على معنى نفي الجهاد دون العلم، لما فيه من الايجاز في انتفاء الجهاد.

وفي تفسير قوله تعالى {وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ} الشورى٣٥، ذكر الشيخ الطوسي[1]: قرأ نافع وابو جعفر وابن عامر(ويعلم الذين) رفعاً على الاستئناف، لان الشرط والجزاء قد تم، فجاز الابتداء بما بعده. الباقون بالنصب.فمن نصبه فعلى الصرف، قال الكوفيون: وهو مصروف من مجزوم الى منصوب، وقال البصريون: هو نصب باضمار(أن). وفي تفسير قوله تعالى {وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} البقرة٤٢، ذكرالشيخ الطوسي أن: (وتكتموا الحق) يحتمل امرين من الاعراب:

احدهما: الجزم على النفي، كانه قال: لاتلبسوا الحق، ولا تكتموه

وثانيهما: النصب على الظرف[2] كأنه قال: لاتجمعوا اللبس والكتمان كقول الشاعر:

تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ لا عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

ومثله: لايسعني شيء ويعجز عنك[3].

وذهب السمرقندي في تفسير قوله تعالى{وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ} الشورى٣٥، الى القول: قرأ ابن عامر ونافع بضم الميم. والباقون بالنصب، فمن قرأ بالنصب صار نصباً للصرف، يعني: صرف الكلام

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القران: ٩/١٥٩.

٢) الصحيح: النصب على الصرف وليس(الظرف) كما مثبت، بدليل الاستشهاد بكلام الفراء.

٣) ينظر: التبيان في تفسير القران: ١/١٨٩.

عن الاعراب الاول، ومعناه: ولكي(يعلم الذين يجادلون في اياتنا) يعني في القران بالتكذيب(مالهم من محيص) يعني: من مفر من الله[1].

وذهب الثعلبي متابعاً السابقين له في هذه المسالة، اذ ذكر في تفسير قوله تعالى {وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} البقرة٤٢: ومعنى قوله تعالى(وتكتموا الحق) يعني: ولاتكتموا الحق[2].

على ان الصرف(الخلاف)لايقتصرعلى باب الفعل المضارع فقط، بل هوايضاً في الاسماء[3] التي في موضوعات المفعول معه عما قبله، والظرف الذي يقع خبراً في مثل قولنا: محمد عندك، فـ(عندك) منصوب على الخلاف(الصرف)، اذ ان الكوفيين يرونه هكذا. وفي المستثنى بـ(الا)، المستثنى المنصوب في جملة الاستثناء التام كما في قولنا: ليس لي طريق الا طريق الحق. فالمستثنى يستحق النصب(لانه مخرج مما ادخلت فيه غيره) وهذا الاخراج يقتضي مخالفة في العلامة، ولا تكون العلامة هنا غير الفتحة. وفي المفعول معه الذي فيه(واو) تفيد

المصاحبة فقط(لا المشاركة)، أي ان الحدث الذي صدر عن الاسم السابق لها(الواو) وقع في معية اسم اخر بعدها وفي حضوره، دون ان تقع من هذا مشاركة للاول في العلامة الاسنادية التي تلبس بها او صدرت عنه، نحو قولنا: ينطلق القطار وطلوع الشمس.فهذا القول لايقتضي نقل الانطلاق الى طلوع الشمس، وعليه لايكون طلوع الشمس متلبساً بالانطلاق، فيترتب على ذلك عدم تحقق الرفع فيه، لأن الرفع علامة المسند اليه(القطار)، وليس هناك مفر من أن

---

١) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٩٧/٤.

٢) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١٢٣/١.

٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٤/١، و ٢٣٥/٢.

يحرك بالنصب، لأن الجر خاص بالمضاف اليه. وهذا هو الذي أدركه الكوفيون، فقالوا به تفسيراً لنصب المفعول معه(١).

وكذلك الحال، فهي محكومة بمبدأ(النصب على الخلاف للنعت) مع ان الحقيقة الماثله فيها انها نعت لما قبلها، فينبغي ان تكون تابعة له في اعرابها، لكن مخالفتها النعت في وجهين: وجه الوظيفة ووجه التركيب، يجعلها ان تنصب. فالوجه الوظيفي يتضمن وصفها لحال صاحبها في برهة زمنيه عارضة(فهي ليست ملازمة)، وهذا هو الاصل فيها، ولذلك سميت حالا(لدلالتهاعلى التحول لاالثبات) في حين يكون النعت ملازماً لصاحبه كما نعرف.

والوجه التركيبي يتضمن ملازمتها للتنكير، وهذا هو الغالب، واذا جاءت معرفه بـ(ال)فهو في تقدير النكرة، في حين يكون النعت مطابقاً في التعريف والتنكير لمنعوته.

وعليه أنّ الحال المفردة تفارق النعت في العلامة الاعرابية، لأنها التزمت النصب، في حين بقي النعت تابعاً لماقبلة في اعرابه. ولهذا يمكن تفسير اطّراد نصب الحال، بغضّ النظرعن الحكم الاعرابي لصاحبها، فيكون مخالفتها(النعت) الذي هو تابع لماقبله في الوجوه التي ذكرناها، فالحال المفردة خالفت صاحبها في اعرابه والتزمت النصب.وحتى اذا نصب صاحب الحال فلا مفرمن نصب الحال لأسباب تقدم ذكرها، متمثلة في أن الرفع علامة المسند اليه او تابعه،

والجرعلامة المضاف اليه او تابعه. وبهذا فان الحال المفردة محكومة بمبدأ النصب على الخلاف للنعت.

---

١) ينظر: الانصاف في مسائل الخلاف: مسألة ٣٠، و: دراسات في نظرية النحو العربي: ٥٨ وما بعدها.

١٩: نصب الفعل المضارع المقرون بالفاء على جواب(لعل)[1]:

ذهب الطبري[2] متابعاً الكوفيين ومتأثرا بنحوهم، اذ أشار الى نصب الفعل المضارع المقرون بالفاء على جواب(لعل)، ذلك عند تفسير قوله تعالى{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ فأطلع الى اله موسى} غافر٣٦، فذكر: اختلاف القراء[3] في قراءة(فاطلع)، فقرأت عامة قرّاء الأمصار برفع العين لـ(فاطلع) رداً على قوله(ابلغ الاسباب) وعطفاً به عليه. وذكرعن حميد الاعرج انه قرأ(فاطلع) نصباً جواباً لـ(لعلي)، وذكر الفراء أن بعض العرب انشده:

عَلَّ صرُوفَ الدَّهْرِ أَوْ دُولاتِها   يدلْننا اللَّمَةَ مِنْ لَمَّاتِها

فَتَسْتَرِيحَ النَّفْسُ مِنْ زَفْرَاتِها[4]

فنصب(فتستريح) على أنها جوابا لـ(لعل).

وفي تفسيرقوله تعالى{أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى} عبس٤، ذهب الشيخ الطبري الى القول نفسه.

---

١) مذهب كوفي: ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣/٩.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٢١/٣٨٧ وما بعدها، و: ٢٤/٢١٩-٢٢٠.

٣) ينظر: اتحاف فضلاء البشر: ٣٧٩، و: معجم القراءات القرآنية: ٦/٤٦.

٤) هذه أبيات من مشطور الرجز. قال الفراء في معاني القرآن: ٣/٩: وقوله(لعلي أبلغ الأسباب فأطلع)بالرفع، يرده على قوله(أبلغ). ومن جعله جوابا(للعلي) نصبه. وقد قرأ به بعض القراء، قال: وأنشدني بعض العرب: عل صروف الدهرأو دولاتها... الأبيات، فنصب على الجواب بلعل. والرجز لم يعلم قائله. وعل: لغة في لعل. والشاهد في(فتستريح) حيث نصب في جواب لعل، الذي هو أداة الترجي. قاله الفراء. وهو الصحيح، لثبوت ذلك في القرآن: (لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى).

ولقد ذهب الشيخ الطوسي[1] الى ما ذهب اليه الطبري، فذكرفي تفسيرقوله تعالى{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ فأطلع الى اله موسى} غافر٣٦: قرأ حفص وعاصم(فاطلع) نصباًعلى جواب(لعلي)، الباقون رفعاً عطفاً على قوله تعالى(لعلي ابلغ الاسباب...... فاطلع). وأيضا في تفسيرقوله تعالى{وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتنفعَهُ الذِّكْرَى} عبس٣-٤ذكرالشيخ الطوسي: أنّ عاصم وحده قرأ(فتنفعه الذكرى) بالنصب على انه جواب(لعل)فجرى مجرى جواب الامر والنهي، لأن(لعل) للترجي فهي غير واجبة، كما ان الامر غير واجب في حصول ما تضمنه. الباقون بالرفع عطفاً على(يذكر).

وذهب السمرقندي متابعاً الذين سبقوه في هذه المسألة، فذكرفي تفسير قوله تعالى {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ فأطلع الى اله موسى } غافر٣٦: أنّ عاصم قرأ: (فاطلع) بنصب العين[2]، والباقون بالضم، فمن قرأ بالنصب، جعله جواباً للفعل.ومن قرأ بالضم رده الى قوله: ابلغ الاسباب فاطلع. وأيضا في تفسير قوله تعالى {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى} عبس٣-٤ ذكرقراءة عاصم(او يذكر فتنفعه الذكرى) بنصب العين، جعله جواباً لـ(لعله) يتذكر فتنفعه الذكرى. وقرأ الباقون بالضم، جعله جواباً للفعل.

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٩/٧٤، و: ٢٥/١٠.

٢) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٤/٥٩، و: ٤/٣٦٩.

٢٠: عمل(مافيه معنى القول) عمل(القول نفسه)[١]:

أجاز الكوفيون ومن باب التيسير اعمال مافيه معنى القول عمل القول نفسه، أي(حمل النص على الظاهر). ولقد تابع المفسرون في القرنين الرابع والخامس للهجرة الكوفيين في هذا الجواز. فقد ذهب الطبري[٢] في تفسير قوله تعالى {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ} البقرة١٣٢، الى القول: يعني تعالى ذكره بقوله(ووصى بها)، ووصى بهذه الكلمة.عنى بـ(الكلمة) قوله(أسلمت لرب العالمين)(وهي الاسلام) الذي أمر به نبيه(صلى الله عليه وآله وسلم)وهو اخلاص العبادة والتوحيد لله وخضوع القلب والجوارح له. ويعني بقوله(ووصى بها ابراهيم بنيه)عهد اليهم بذلك وامرهم به. واما قوله(ويعقوب) فانه يعني: ووصى بذلك ايضا يعقوب بنيه، عن ابن عباس: (ووصى بها ابراهيم بنيه) وصاهم بالاسلام، ووصى يعقوب بمثل ذلك. وقال بعضهم: قوله(ووصى بها ابراهيم بنيه) خبر منقض، وقوله(ويعقوب)خبر مبتدأ. فانه قال: (ووصى بها ابراهيم بنيه) بان يقولوا: اسلمنا لرب العالمين. ووصى يعقوب بنيه: ان(يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون). ولا معنى لقول من قال ذلك، لان الذي اوصى به يعقوب بنيه، نظير الذي اوصى به ابراهيم بنيه: من الحث على طاعة الله، والخضوع له والاسلام. فان قال قائل: فان كان الامر على ما وصفت، من ان معناه: ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب: ان(يابني) ـ فما بال(ان) محذوفه من الكلام؟ قيل: لأن الوصية قول، فحملت على معناها. وذلك ان ذلك لوجاء بلفظ القول، لم تحسن معه(ان)، وانما كان يقال: وقال ابراهيم لبنيه ويعقوب: (يابني). فلما كانت الوصية قولاًحملت على معناها دون لفظها، فحذفت(ان)التي تحسن معها، فقراءة الرفع لـ(يعقوب)فيه جواز لأن يكون

---

١) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للكسائي: ٧٩، و: معاني القرآن للفراء: ٨٠/١.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٣/ ٩٤ ـ٩٥، و: ينظر: لسان العرب: ٢٣٢/١٣.

الموصى بقوله(يابني)ابراهيم عليه السلام، ويجوز أن يكون يعقوب عليه السلام، وهذا أثر بلاغي يرادمنه الاسقاط والتخفيف، ولايتم به تغيير معنى، لأن الذي أوصى به يعقوب بنيه، نظيرالذي أوصى به ابراهيم بنيه من الحث على طاعة الله والخضوع له والاسلام، وهوكقوله تعالى{يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّالأُنثَيَيْنِ} النساء١١، وكقول الراجز:

إني سأُبْدي لكَ فيما أُبْدي / لي شَجَنانِ شَجَنٌ بنَجْدِ / وشَجَنٌ لي بِبِلادِ الهِنْدِ

فحذفت(أن) إذ كان الابداء باللسان في المعنى قولاً فحمله على معناه دون لفظه، وبهذا فأن ما فيه معنى القول(الوصية) عمل عمل القول نفسه.

وفي تفسير قوله تعالى {إِن يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ} ص٧٠، ذهب الطبري الى[١] أن: قوله(الا انما انا نذير مبين) يقول: الا اني نذير لكم الا انذاركم. وقيل: الا انما انا، ولم يقل: الا انما انك، والخبر من محمد عن الله، لأن الوحي قول، فصار في معنى الحكاية.

وذهب الشيخ الطوسي[٢] متابعاً الطبري والكوفيين في هذا، فذكر في تفسير قوله تعالى {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} البقرة١٣٢:... وانما اسقطت(ان) في(وصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب)(ان) يابني واثبت في(انا ارسلنا نوحاً الى قومه ان انذر) لأن اوصى في الآية بمعنى القول كما قال: {انا ارسلنا نوحاً الى قومه ان انذر} ومثله {وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} يونس١٠، وقوله{فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} الأعراف٤٤، وكل هذا الباب يجوز فيه الوجهان: بان تقدره تقدير القول، ليكمل به تقدير الفعل الذي ليس بقول. واما

١) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٢٣٥/٣ - ٢٣٧.

٢) ينظر: التبيان في تفسير القران: ٤٧٢/١- ٤٧٣.

قوله تعالى {أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ} القلم١٤ فلايجوز اسقاطها في مثله من الكلام، لانه ليس فيه معنى الحكاية، والقول كما في الدعوى والارســـــال. واما قوله تعالى{وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ} الأنعام٩٣، فلايجوزفي مثله اثبــات، لأنــه يضــمرمعه القــول، ولايجــوز معــه التصــريح بــالقول، ولا مــع اضمار(ان)لأنه حكاية كما تقول: قلت له: زيد في الدار، ولا يجوز، قلت له: إنَّ زيداً في الدار، وانشد الكسائي[1]:

إني سأبدي لك فيما ابدي/ لي شجنان شجن بنجد/ وشجن لي ببلاد السند

لأن الابداء قول.ومنه قوله تعالى{وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} المائدة٩، لأن العدة قول.وفي قوله تعالى{إِن يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ} ص٧٠ ذهب الشيخ الطوسي الى القول: قيل في معناه قولان، الاول: ليس يوحي الي الا لاني انا نذيرمبين، أي: مخوف من المعاصي مظهرللحق.والثاني ليس يوحى اليه الا الانذار البين الواضح.والحقيقة ان هذا القول هو قول الفراء، من دون ان يشير اليه الشيخ الطوسي، اذ ان الفراء قال: قوله{ان يوحي الي انما انا نذير مبين، ان شئت جعلت(انما)في موضع رفع كأنك قلت: ما يوحي الي الا الانذار، وان شئت جعلت المعنى: ما يوحى الي الا لأني نذيرونبي.فاذا القيت اللام كان موضع(انما)نصباً، ويكون في هذا الموضع: ما يوحى الي الا انك نذير مبين لأن المعنى حكاية[2].

وذهب الثعلبي الى ذلك، حين أشارالى[3]: قول الفراء في تفسير قوله تعالى {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ} البقرة١٣٢، قوله: (يابني) معناه: أن يابني،

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٨٠/١.

٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٥٦٣/٨، و: ينظر: معاني القرآن للفراء: ٤١١/٢-٤١٢.

٣) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٢٤٦/١- ٢٤٧.

وهذا في قراءة أُبَي وابن مسعود[1]. وقال الفراء[2]: انما قال ذلك لأن الوصية قول، وكأن تقديره وقال: يابني كقوله(وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم)، أي: وقال لهم لأن العبرة بالقول، وقال(يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) معناه: ويقول للذكرمثل حظ الانثيين. وفي قوله تعالى {إِن يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ} ص٧٠، ذكر الثعلبي[3]: قال الفراء[4]: ان شئت جعلت(انما) في موضع رفع، كانك قلت: ما يوحي الي الا الانذار.وان شئت جعلت المعنى: ما يوحي الي الا لأني نذير مبين، وقرأ ابو جعفر: (إنما) بالكسر، لأن الوحي قول.

وذهب الواحدي الى ذلك القول، فذكر[5] في تفسير قوله تعالى {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ} البقرة١٣٢: (ووصى بها) أي: أمر بالملَّة، وقيل: بكلمة الاخلاص(ابراهيم بنيه ويعقوب يابني) اراد: أن يابني(ان الله اصطفى لكم الدين) أي: الاسلام دين الحنيفية(فلا تموتن الا وانتم مسلمون) أي: الزموا الاسلام حتى اذا أدرككم الموت صادفكم عليه.

٢١: جواز انابة(الالف واللام) عن(الضمير)[6]:

وتابع مفسرو القرون الثالث والرابع والخامس للهجرة الكوفيين في ذلك الجواز، فذكر الطبري[1] في تفسير قوله تعالى {وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ

---

١) ينظر: معجم القراءات القرآنية: ١١٧/١.

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٨٠/١.

٣) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٤٠٦/١١.

٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٤١٢/٢.

٥) ينظر: تفسير الوجيز: ٣٥/١.

٦) مذهب كوفي: ينظر: معاني القرآن للفراء: ٤٠٨/٢.

الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} البقرة٢٥، الى القول: وانماعنى جل ذكره بذكر الجنة: مافي الجنة من اثمارها وغروسها واشجارها، دون ارضها، ولذلك قال عز ذكره: (تجري من تحتها الانهار) لأنه معلوم انما أراد الإخبارعن ماء انهارها انه جار تحت اشجارها وغروسها وثمارها، لا أنه جار تحت ارضها.وكذلك قوله تعالى {جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ} ص٥٠، ذكرالطبري أن: قوله تعالى(جنات عدن): بيان عن حسن المآب، وترجمة عنه، ومعناه: بساتين اقامة. وقوله(مفتحة لهم الابواب): يعني مفتحة لهم(ابوابها)، وادخلت(الالف واللام) في الابواب بدلاً من الاضافة، كما قيل(فان الجنة هي المأوى)، بمعنى: (مأواه).

وفي تفسيرقوله تعالى{فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} النازعات٤١، ذهب الطبري الى القول[٢]: فان الجنة هي(مأواه)ومنزله يوم القيامة. وكذلك في قوله تعالى{فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى} النازعات٣٩، يقول: فان نار الله التي اسمها الجحيم هي(منزله ومأواه) ومصيره الذي يسير اليه يوم القيامة.

وذهب الشيخ الطوسي الى جواز انابة الالف واللام عن الضمير[٣]، متابعاً الطبري والكوفيين في ذلك، ففي تفسير قوله تعالى {وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} البقرة٢٥ ذكر أن: الجنان: جمع جنة، والجنة: البستان، والمراد بذكر الجنة(ما في الجنة من ثمارها واشجارها وغروسها دون ارضها) فلذلك قال: (تجري من تحتها الانهار) لانه معلوم انه اراد الخبر عن ماء انهارها انه جار من تحت الاشجار والغروس والثمار، لا انه جار تحت ارضها لأن الماء كان تحت الارض جارياً فلاحظ فيه

---

١) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٣٨٤/١، و: ٢٢١/٢١.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٢١٢/٢٤.

٣) ينظر: التبيان في تفسير القران: ١٠٦/١، و: ٥٥٧/٨.

للعيون الا لكشف الساتر بينه وبينها على ان الذي يوصف به انهار الجنة انها جارية في غيراخاديد. وفي تفسير قوله تعالى {جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ} ص٥٠، ذهب الشيخ الطوسي الى القول: ورفعت(الابواب) لأن تقديره: مفتحة لهم ابوابها، فدخلت الالف واللام بدلاً من الاضافة، كما يقولون: مررت برجل حسنة عينه قبيح الانف، وهذا ما قال به الفراء.

وفي تفسير قوله تعالى {فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} النازعات٤١، وقبلها {فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى} النازعات٣٩، ذهب الشيخ الطوسي[1] الى ان المعنى من قوله(فان الجنة هي الماوى) هو: الجنة(مقره ومأواه) فالالف واللام تعاقب الضمير، كقولهم: مررت بحسن الوجه، أي: حسن وجهه. والمعنى من قوله(فان الجحيم هي المأوى) هو: ان النارهي مثواه ومستقره وموضع مقامه وذهب كلٌ من السمرقندي[2]، والثعلبي[3]، وإبن زمنين[4]، والواحدي[5]، متابعين الذين سبقوهم بالقول في هذا الجواز.

٢٢: جواز انابة المضمرعن الفاعل، والمفعول صحيح(مذكور)[6]:

أجاز الكوفيون ذلك في قوله تعالى {قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} الجاثية١٤، حين ذهبوا الى اضمار(الجزاء) بمعنى(ليجزى الجزاء قوماً) وهو وجه. وكذلك حين اضمروا المصدر(النجاء) في قوله تعالى {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢٥٥/١٠.

٢) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٣٠/١، و: ٢٤/١، و: ٣٦٨/٤.

٣) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٩٨/١.

٤) ينظر: تفسير ابن زمنين: ٧/١، و: ٢٠/٢.

٥) ينظر: تفسير الوجيز: ٨/١.

٦) مذهب كوفي، ينظر: معاني القران للفراء: ٤٦/٣، و: التبيين في اختلاف النحويين: ٢٧٢.

الْمُؤْمِنِينَ} الأنبياء٨٨ بنون واحدة وجيم مشدده، واقامة هذا المصدر مقام الفاعل، كقولك: ضرب الضرب زيداً، ثم تكني عن الضرب فتقول: ضرب زيدا. وقياسهم هو ان المصدراسم يصل الفعل اليه بنفسه، فجازت اقامته مقام الفاعل كالمفعول به الصحيح.

ولقد ذهب الطبري[1] الى ذلك الجواز في تفسيرقوله تعالى{قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} الجاثية١٤، فذكر: واختلف القراء[2] في قراءة قوله(ليجزى قوما)، فقرأه بعض القراء في المدينة والبصرة والكوفه(ليجزي) بالياء على وجه الخبرعن الله انه يجزيهم ويثيبهم، وقرأ ذلك بعض عامة قراء الكوفه، وذكر عن ابي جعفر القارئ انه كان يقرؤه(ليجزي قوماً) بضم الياء الاولى، على مذهب مالم يسم فاعله، وهو على مذهب كلام العرب لحن، إلاّ أن يكون اراد: ليجزي الجزاء قوماً، باضمار الجزاء، وجعله مرفوعاً(ليجزي) فيكون وجها من القراءة وان كان بعيداً، اذ يجوزان يكون الفاعل نائب فاعل، كما في قوله{بما كانوا يكسبون}.

وذهب الشيخ الطوسي الى ذلك الجواز في تفسير قوله تعالى {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ} الأنبياء٨٨، اذ ذكر[3]: وقد قرأ ابو بكر عن عاصم(نُجّي المؤمنين) بنون واحد ة مشددة الجيم. الباقون بنونين. وهي في المصحف بنون واحدة حــذف الثــانية كراهة الجمع بين المثلين في الخط، ولان النون الثانية تخفى مع الجيم، ومع حروف الفم، ولا تظهر، ولذلك ظن قوم انها ادغمت في الجيم، فقرؤوها مدغماً، وليس بمدغم... وقال قوم ـ محتجين لابي بكر ـ انه اراد فعلا ماضياً، على ما لم يسم فاعله، فاسكن الياء، كما قرأ الحسن:

---

١) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٢٢/ ٦٧ ـ ٦٨.

٢) ينظر: ينظر: اتحاف فضلاء البشر: ٣٩٠، و: معجم القراءات القرآنية: ١٥١/٦.

٣) ينظر: التبيان في تفسير القران: ٢٦٨/٧- ٢٦٩، و: اتحاف فضلاء البشر٣١١: و: ينظر: معجم القراءات القرآنية: ١٤٧/٤.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} البقرة٢٧٨. اقام المصدر مقام المفعول الذي لايذكر فاعله، فكذلك نجي النجا المؤمنين، واحتجوا بأن اباجعفر قرأ(لنجزي قوماً) في الجاثية على تقدير: لنجزي الجزاء قوماً.

وتابع السمرقندي[1] الذين سبقوه من المفسرين والكوفيين، وكذلك الثعلبي[2] فهو الآخر كان متابعاً للذين سبقوه من المفسرين الذين تأثروا بالنحو الكوفي.متابعاً الكوفيين في ذلك،، ويرى الباحث أن لا مسوغ للتقدير الذي تقدم ذكره، بسبب وضوح المعنى وعدم احتياجه الى أي تقدير او تأويل.

٢٣: جواز الاخبار عما اضيف الى المبتدأ المحذوف[3]:

أي: جواز ذكرالاسم ويكون تمام خبره في اسم آخر، وذهب الطبري الى ذلك الجواز[4]، ففي تفسير قوله تعالى {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً} البقرة٢٣٤، أشار الى أن معنى قوله تعالى: والذين يتوفون منكم، من الرجال، ايها الناس، فيموتون، ويذرون ازواجاً، يتربصن ازواجهن بانفسهن. فان قال قائل: فاين الخبرعن(الذين يتوفون)؟ قيل: متروك، لانه لم يقصد قصد الخبرعنهم، وانما قصد قصد الخبر عن الواجب على المعتدات من العدة في وفاة ازواجهن، فصرف الخبر عن الذين ابتدأ بذكرهم من الاموات، الى الخبر عن ازواجهم والواجب عليهن من العدة، اذ كان معروفاً مفهوماً معنى ما اريد بالكلام. وهو نظير قول القائل في الكلام: بعض

---

١) ينظر: تفسير بحر العلوم: ١٣٩/٣.

٢) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١٣٣/١٢، و: ١٦٢/٩، و: ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢٤٣/٢.

٣) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٥٠/١.

٤) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٧٧/٥.

جبتك متخرقة. في ترك الخبر عما ابتدئ به الكلام، الى الخبر عن بعض اسبابه، وكذلك الازواج اللواتي عليهن التربص، لما كان انما الزمهن التربص باسباب ازواجهن، صرف الكلام عن خبر من ابتدئ بذكره، الى الخبر عمن قصد قصد الخبر عنه، كما قال الشاعر:

لعلي إن مالت بي الرِّيح ميلة على ابن أبي ذِبّان أن يتندّما[1]

فقال(لعلي)، ثم قال(ان يتندما) والمعنى: لعل ابن ابي ذبان ان يتندم ان مالت بي الريح ميلة عليه، فرجع بالخبر الى الذي اراد به، وان ذكر غيره في المقدمة.

وذهب كلُ من الشيخ الطوسي[2]، والثعلبي[3]، والواحدي[4]، على طريق الطبري نفسه في ذلك الجواز.

٢٤: جواز إعمال اسم المصدر قياساً على المصدر[5]:

ذهب الفراء الى نصب(شيئا) من قوله تعالى{وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئاً وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ} النحل٧٣، باسم المصدر(رزقاً)، والتقدير: لايملكون ان يرزقوهم شيئاً. فقال الفراء: نصبت(شيئاً) بوقوع الرزق عليه، كما في قوله تعالى {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً أَحيَاءً وأمواتاً } المرسلات٢٥، أي تكفت الاحياء والاموات. أي ان نصب(الاحياء) و(الاموات)

---

١) البيت من قصيدة لـ(ثابت بن كعب) يرثى بها يزيد بن المهلب، وهو من شواهد ومعاني القرآن للفراء ١: ١٥٠، والصاحبي: ١٨٥.

٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢/٢٦١.

٣) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٤٩٥/١.

٤) ينظر: تفسير الوجيز: ٦٣/١.

٥) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ١١٠/٢، و: ٢٢٤/٣.

كان بوقوع(الكفات)عليه، كأن القول: الم نجعل الارض كفاتَ احياءٍ وأمواتٍ، فاذا نونت نصبت.

وذهب الطبري[1]الى ذلك الجواز في تفسير قوله تعالى{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً أَحياءً وأمواتاً} اذ أشار الى: اختلاف اهل العربية في الذي نصب(احياءً - امواتاً)، فقال بعض نحويي البصرة: نصب على الحال. وقال بعض نحويي الكوفة: بل نصب ذلك بوقوع الكفات عليه، كانك قلت: الم نجعل الارض كفاتاً احياءً وامواتًا، فأذا نونت نصبت، كما يقرأ من يقرأ(او اطعام في يوم ذي مسبغةً يتيما ذا مقربةً). وهذا القول اشبه عندي بالصواب. والحقيقة ان هذا القول هو قول الفراء[2]. وأيضا في تفسير قوله تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئاً وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ} النحل٧٣، ذكر الطبري اختلاف اهل العربية في الناصب لقوله(شيئا)، إذ قال البصريون: هو منصوب على البدل من الرزق، وهو بمعنى: لايملكون رزقاً قليلاً ولاكثيراً. وقال بعض الكوفيين: نصب(شيئا) بوقوع الرزق عليه، كما في قوله تعالى(ألم نجعل الارض كفاتا احياءً وامواتا) أي تكفت الاحياء والاموات، ومثله قوله تعالى(او اطعام في يوم ذي مسغبةٍ يتيماً ذا مقربةٍ او مسكينا ذا متربة) قال: ولو كان الرزق مع الشيء لجاز خفضه، لايملك لكم رزق شيء من السموات، ومثله(فجزاء مثل ماقتل من النعم). وبنحو ما قلنا في ذلك كان بعض اهل العلم يقول.

وذهب الشيخ الطوسي[3] موافقاً الطبري والكوفيين في ذلك الجواز، وكذلك الثعلبي[4] فهو الآخر كان قد تابع المفسرين الذين سبقوه والكوفيين في ذلك الجواز، وتابعهم بالقول في هذا الجواز الواحدي[1].

---

١) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٣٥/٢٤، و: ٢٦٠/١٧-٢٦١.

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١١٠/٢.

٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤٠٢/٦، و: ٢٢٠/١٠.

٤) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٤٠/٧.

٢٥: جواز رفع النعت بعد (خبر إن)[٢]:

ذهب الطبري الى ذلك الجواز[٣] في تفسير قوله تعالى {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} سبأ٤٨، اذ قال: القول في تاويل قوله تعالى هو: الله جل ثناؤه يقول لنبيه محمد(صلى الله عليه وآله وسلم): (قل) يا محمد لمشركي قومك(إنَّ رَبِّي يقذفُ بالحقّ) وهو الوحي، يقول: ينزله من السماء، فيقذفه الى نبيه محمد – صلى الله عليه وآله وسلم-.(علام الغيوب) يقول: علام ما يغيب عن الابصار، ولا مظهر لها، وما لم يكن مما هو كائن، وذلك من صفة الربُ، غير أنّه رفع لمجيئه بعد الخبر، وكذلك تفعل العرب اذا وقع النعت بعد الخبر، فيأن أتبعوا النعت اعراب ما في الخبر، فقالوا: ان اباك يقوم الكريم(برفع الكريم)، فرفع(الكريم) على ماوصفت، والنصب فيه جائز لأنه نعت للأب، فيتبع اعرابه. والحقيقة أنّ هذا هو رأي الفراء.

وذهب الشيخ الطوسي الى ذلك الجواز[٤] ايضاً، في تفسير قوله تعالى {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} سبأ٤٨، اذ أشار الى أن: رفع(علام) من قوله(علام الغيوب)، انما رفع بتقدير: (هوعلام الغيوب)، ولو نصب على انه نعت لـ(ربي) لكان جائزا، لكن هذا أجود، لأنه جاء بعد تمام الكلام، كقوله {إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ} ص٦٤، والمعنى: أنه عالم بجميع ماغاب عن جميع الخلائق علمه.

---

١) ينظر: تفسير الوجيز: ١٠٧٤/١.

٢) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٦٤/٢.

٣) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٤١٩/٢٠.

٤) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣٩٢/٨.

وذهب الثعلبي موافقاً السابقين له في ذلك الجواز[1]، فذكرفي تفسيرقوله تعالى{قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} : (علام الغيوب): رفع بخبر(إن)، على اللفظ نصباً وعلى المحل رفعاً.

وبعد التقصي والبحث وجدت ان للعلماء في هذه الآية اقوالاً، منها:

١. ان سبب رفع(علام الغيوب) هي انها نعت للخبر، وهذا رأي الفراء[2]،

٢. او ان تكون(علام) خبراً بعد خبر، او على اضمار مبتدأ، وهذا رأي النحاس[3].

٣. ان يكون مرفوعاً على البدل المضمر المرفوع في(يقذف) او بدلاً من(رب) على الموضع وموضعه الرفع، وقد اشار الى ذلك بعض العلماء[4].

٤. على ان هناك رأياً بالنصب، ذكره الطبرسي[5] في تفسيره(مجمع البيان).

وعلى الرغم من ان جميع الأراء متقدمة الذكر محترمة، لكن يبدو فيها تكلف في التقدير الى حد بعيد، قد يكون هذا التكلف مصدرنفورللمتعلمين، ويبدو أن الرأي الاقرب الى الصواب يتمثل في: أن النص القرآني المذكورفيه: (علّام الغيوب) بدل من(ربي) الذي هو خبر إنّ، اذ ان ضمير الشأن هو اسمها، فالتركيب يكون: قل إنّه ربي يقذف بالحق علام الغيوب، لأنّ(ضمير الشأن - القصة -) هو ضمير يُقدّم على الجملة تفسره الجملة بعده، واعتاد العرب تقديم هذا الضمير على الجملة(للتفخيم والتعظيم) وسمّوه: ضمير الشأن، وسمّاه

---

١) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١٦٣/٥.

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٦٤/٢.

٣) ينظر: اعراب القرآن للنحاس: ٦٨٠/٢.

٤) ينظر: البيان في غريب اعراب القرآن للانباري: ٢٨٣/٢ و: التبيان في اعراب القرآن: ١٠٧١/٢ للعكبري.

٥) ينظر: مجمع البيان: ٦١٩/٨.

الكوفيون: ضمير المجهول[1]، وعادة ما ياتي هذا الضميرمع العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر، وتعمل فيه هذه العوامل نحو: أنه الحق واضح. وضميرالشأن(المجهول) لايدل على اسم بعينه، بل على الجمله بعده.

٢٦: جواز حذف الخافض من(أنْ) و(أنّ) المصدريتين[2]:

ذهب الطبري الى ذلك الجواز[3] متابعاً الكوفيين، اذقال في تفسير قوله تعالى {وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ} الحجر٦٦: ((و(أن) من قوله(أنّ دابِر) في موضع نصب رداً على الامر بوقوع القضاء عليها. وقد يجوز ان تكون في موضع نصب بفقد الخافض، ويكون معناه: وقضينا اليه ذلك الامر بان دابرهؤلاء مقطوع مصبحين. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله[4]، وقلنا: ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين. وعني بقوله(مصبحين): اذا اصبحوا او حين يصبحون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال اهل التأويل)).

وذهب الشيخ الطوسي الى ذلك الجواز[5]، اذ ذكر في تفسير قوله تعالى {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً} الجن١٨: وقوله تعالى عطف عند جميع المفسرين على قوله(أوحي) كأنه قال: أوحي الي أن المساجد لله، وقال الخليل: التقدير، ولان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا مثل قوله(وان هذه أمتكم) وتقديره: ولأن هذه أمتكم(أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) والمعنى الاخبار منه تعالى بأن لا يذكر مع الله في المساجد أحد.

١) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٤٦٥/٢ ـ ٤٦٧.
٢) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٩٠/٢.
٣) جامع البيان(تفسير الطبري): ١١٦/١٧.
٤) ينظر: معجم القراءات القرآنية: ٢٦١/٣.
٥) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١٤٩/١٠، و: ينظر: الكتاب: ٢٠٣/١.

وذهب السمرقندي الى ذلك الجواز[1]، ففي تفسير قوله تعالى {وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ} الحجر٦٦، ذكر أنّ: قوله تعالى يعني: انهم مستأصلون عند الصباح، ويقال: قضينا اليه ذلك الامر.يعني: امرناه بالخروج الى الشام، لأن دابرهؤلاء مقطوع مصبحين.

٢٧: جواز الفصل بين النعت والمنعوت بـ(الواو)[2]:

ذهب الطبري الى ذلك الجواز متابعاً الكوفيين، في تفسير قوله تعالى {المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ} الرعد١ اذ أشار[3]: في قوله تعالى(والذي انزل اليك) وجهان من الاعراب: ((احدهما: الرفع، على انه كلام مبتدأ، فيكون مرفوعاً ب(الحق) و(الحق) مرفوعا به.والاخر: الخفض على العطف به على(الكتاب)، فيكون معنى الكلام حينئذ: تلك آيات التوراة والانجيل والقران، ثم يبتدئ(الحق) بمعنى: ذلك الحق، فيكون رفعه بمضمر من الكلام قد استغني بدلالة الظاهر عليه منه. ولو قيل: معنى ذلك: تلك ايات الكتاب الذي انزل اليك من ربك الحق، وانما ادخلت(الواو)في(والذي) وهو نعت الكتاب، كما ادخلها الشاعر في قوله:

إِلَى المَلِكِ القَرْمِ وَابْنِ الهُمَامِ وَلَيْثَ الكَتِيبَةِ فِي المُزْدَحَمْ[4]

---

١) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٢/ ٤٤٩.

٢) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/ ٥٧-٥٨.

٣) جامع البيان(تفسيرالطبري): ٣٢٠/١٦ -٣٢١.

٤) البيت لم يعرف قائله، وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن: ١٠٥/١، و: شرح الكافية: ٢١٦/١.

فعطف(بالواو) وذلك كله من صفة واحد، كان مذهباً من التاويل، ولكن ذلك اذا تؤول كذلك، فالصواب من القراءة في(الحق) الخفض على انه نعت لـ - الذي-)).

وذهب الشيخ الطوسي[1] الى ذلك الجواز، فذكر في تفسير قوله تعالى{المر تلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ} الرعد١: قوله تعالى يحتمل وجهين من الاعراب: الرفع و الجر.فالرفع على الابتداء، وخبره(الحق)، والجرعلى انه عطف على الكتاب، وهوغيره، ويجوز أن تكون صفة ـ في قول الحسن ـ وذكرقول الشاعرمتقدم الذكر وذهب الثعلبي الى ذلك الجواز[2] في تفسيرقوله تعالى{المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ

مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ} اذ ذكر: يكون محل(الذي) رفعاً على الابتداء، و(الحق) خبره، وهذا معنى قول مجاهد وقتادة. ويجوز أن يكون محل(الذي) خفضاً، يعني: تلك آيات الكتاب. وآيات الذي انزل اليك ثم ابتداء الحق، يعني: ذلك الحق، كقوله(وهم يعلمون الحق)، يعني: ذلك الحق..وقال ابن عباس: اراد بالكتاب: القرآن، قال الفراء: وان شئت جعلت(الذي) خفضاً على انه نعت الكتاب وان كانت فيه الواو، كما تقول في الكلام: أتانا هذا الحديث عن ابي حفص والفاروق، وانت تريد ابن الخطاب.

٢٨: العماد(الدعامة ـ المجهول) يدخل الكلام لاتمام معنى[3]:

ذهب الكوفيون الى ان(هو) في قوله تعالى {وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ} الأنفال٣٢، عماد. والعماد هو ضمير الفصل عند البصريين،

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٦/ ٢٠٧.

٢) ينظر: تفسيرالكشف والبيان: ٧/ ٢٥٣-٢٥٤.

٣) مذهب كوفي: ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٥٠ـ٥٢ـ١٠٤.

ولا محل له من الاعراب عندهم، وهو ما يفصل به بين النعت والخبر وله موضع من الاعراب عند الكوفيين. وذهب بعضهم الى ان حكمه حكم ما قبله لانه توكيد لما قبله، فتنزل منزلة النفس اذا كان توكيداً، فيجب ان يكون تابعاً لما قبله في الاعراب. وذهب البعض الاخر من الكوفيين الى ان حكمه حكم مابعده، لانه مع مابعدة كالشيء الواحد، فوجب ان يكون حكمه بمثل حكمه. ويسميه الكوفيون عماداً لانه يعتمد عليه في الفائدة، اذ به يتبين ان الثاني خبرٌ لا تابع[1]، او لكونه حافظاً لما بعده حتى لايسقط على الخبرية، كالعماد في البيت الحافظ المسقف من السقوط[2]. وترتب على الخلاف في التسمية خلاف موضع الاعراب، فليس له محل من الاعراب عند الكوفيين، وله محل من الاعراب عند البصريين[3]. والانباري صاحب كتاب(الانصاف في مسائل الخلاف) عكس هذه المسالة، وجعل لضمير الفصل محل من الاعراب عند الكوفيين، ولا محل له عند البصريين[4]. ويمكن أن نلمس دلالة العماد[5] عند الكوفيين عبرالمروي عن هذه الدلالة عن ابن الانباري ذكرأن: العمود والعماد والعمدة والعمدان: رئيس العسكر، واذا كانت وظيفته(رئيس العسكر)حماية ووقاية من في امرته، فانتقلت هذه الدلالة الى مصطلح العماد عند الكوفيين، فضلاعن دلالته على قوة الربط والاحكام في بناء الجملة الاسمية.

ولوعرضنا لبعض مما ورد في القرآن الكريم من(العماد) او(ضميرالفصل) لوجدنا ان كلاً من البصريين والكوفيين قد نهج نهجاً معيناً في تعامله مع هذا الضمير، اذ ورد في قوله تعالى{وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ

---

١) ينظر: شرح المفصل: ٤٣٠/٢، و: همع الهوامع: ٢٣٦/١.

٢) ينظر: شرح الرضى على الكافية: ٢٤/٢.

٣) ينظر: مشكل اعراب القرآن: ٢١/٢.

٤) ينظر: الانصاف في مسائل الخلاف: مسألة ١٠٠، ٢ /٧٠٦.

٥) ينظر: تهذيب اللغة: ٥٦٤/٣، و: دراسة في النحو الكوفي: ٢٤٢.

فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا} الأنفال٣٢، وورد في قوله تعالى {وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ} الحجر٢٣، وورد في قوله تعالى {إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً} الكهف٣٩، وورد في قوله تعالى{وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ} الصافات١٦٥، وورد في قوله تعالى{إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ} الصافات١٧٢.فهذه الآيات تضمنت(العماد)، ورأى الكوفيون[1] فيه عماداً في البيت لأهميته في بيان المعنى، فهو يفيد التوكيد، ولأن الكلام يدعم ويقوى به، سماه بعض الكوفيين بـ(الدعامه). وهذا يعني أن الكوفيين قد نظروا الى وظيفته في الكلام، أي: أن اطلاق هذه التسمية من الكوفيين، انطلقت من نظرتهم الى وظيفة هذا الضميرفي الكلام، ويؤكد قولنا هذا، هو ان هذا الضمير لو رفع في غير القرآن الكريم لتبين الاختلال في المعنى، والا لما استعمله القرآن الكريم. اما البصريون فقد اعتمدوا المعنى الظاهرلوظيفة ضميرالفصل(اذ يسمونه فصلاً لفصله بين المبتدأ والخبر).

ومن جهة الموضع الاعرابي ذكر الفراء ان(الحق)في قوله تعالى{وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ} رفع أونصب.فالرفع بوصف(هو)اسماً، والنصب بوصفه عمادا بمنزلة الصلة[2] ويمكن القول ان ما ذهب اليه الفراء في الجواز تؤكده القراءات القرآنية، التي اعتمدت على الاستعمال اللهجي، اذ ان لغة تميم تجعل مابعد الفصل مرفوعاً، على حين ذهب جمهور العرب الى ان ماكان(فصلا) لايغيرمابعده من حاله التي كان عليها قبل ان يذكر[3]. وان قول براجستراسر: ((ومن الروابط التي تربط المبتدأ في الجملة الاسمية، ادخال ضميربينهما، وهذه الوسيلة في الربط قديمة جداً شائعة في اللغات السامية، وربما كانت اقدم من الربط بالافعال التي كان معناها(كان)، وادخال الضميرليس

---

١) ينظر: شرح المفصل: ٣٢/٢.

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٤٠٩/١، و: ١٤٥/٢، و: ٣٧/٣.

٣) ينظر: أثرخلاف اللهجات العربية في النحو: ١٨٣-١٨٤.

بواجـب، بيـد ان العربيـة تقتضـيه بحـال كـون الخبرمعروفـاً، نحـو: هـذا هـو الصواب))[1] فيه تعزيز وتوكيد لرأي الفراء بشأن(العماد).

وفضـلاً عـن كـل مقومـات التعزيـز المذكورة لقـول الفـراء، فـان هنـاك مـن المحدثين[2] يـرجح مـذهب الكـوفيين في هـذه المسألة، لإعتقـاده بانـه يزيـل القسـر البصري المتمثـل في نصـب مـا بعـد ضـمير الفصـل(العمـاد) في الجملـة الاسـمية، وجعل النصب والرفع بالخيار بحسب ما يمليه الذوق اللغوي. على ان العماد قد ورد في مواضـع اعرابيـه متعـددة، منهـا انـه مبتـدا، او(اسـم) لــ(كـان)، او اسـم لــ(ان)[3]. وفي هـذه المواضـع تتبين امكانيـة تعـدد الاوجـه الاعرابيـة مـن الرفـع، والنصب، بحسب مقتضى الحال وقصد المتكلم.

و ذهب الطبري[4]الى ماذهب اليه الفراء في تفسير قوله تعالى{وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُـمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُـوَ الْحَقَّ مِنْ عِنـدِكَ} الأنفـال٣٢، حـين أشـار الى: اخـتلاف اهـل العربية في وجه {وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُـوَ الْحَقَّ مِنْ عِنـدِكَ} الأنفـال٣٢، دخول(هو) في الكلام.فقال بعض البصريين: نصب(الحق) لأن(هـو) والله اعلـم حولـت زائـدة في الكـلام صلة توكيـد كزيـادة(مـا)، ولا تـزاد الا في كـل فعـل لا يستغني عن خبر. وليس هو بصفة لـ(هـذا)، لانك لـو قلـت(رأيـت هـذا هـو) لم يكن كلاما. ولا تكـون هـذه المضـمرة مـن صـفة الظـاهرة، ولكنهـا تكـون مـن صـفة المضمرة، نحو قوله(ولكن كانوا هم الظالمين) الزخرف ٧٦، و(من خيرتجدوه عنـد الله هـو خـيرا واعظـم اجـرا) المزمـل ٢٠، لأنـك تقـول)وجدتـه هـو وايـاي)

---

١) التطور النحوي للغة العربية: ٣٦.

٢) ينظر: أثرخلاف اللهجات العربية في النحو: ١٨٤، و: دراسة في النحو الكوفي: ٢٤٠ و: خطى متعثرة على طريق تجديد النحو العربي: ١٩٣.

٣) ينظر: دراسـات لاسلوب القرآن الكريم: ٨/١١٢ـ١٢٤و: النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم: ٢٨٤-٢٨٥.

٤) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٣/٥٠٧ـ ٥٠٩.

فتكون(هو) صفة(عماد). وقد تكون في هذا المعنى ايضاً غير صفة(غيرعماد)، ولكنها تكون زائدة. وقد تجري في جميع هذا مجرى الاسم، فان كان بعدها في(لغة تميم) ظاهرا او مضمرا، يرفع، فيقولون في قوله(إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ) و(وَلَـٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ)و(تجدوه عند الله هو خير واعظم اجرا) كما تقول(كانوا اباؤهم الظالمون) جعلوا هذا المضمر نحو(هو) و(هما) و(انت) زائداً في هذا المكان، ولم تجعل مواضع الصفة، لأنه فصل اراد ان يبين به: ان ما بعده ليس صفة لما قبله، ولم يحتج الى هذا في الموضع الذي لايكون له خبر.

وكان بعض الكوفيين يقول: لم تدخل(هو) التي هي عماد في الكلام الا لمعنى صحيح. وقال: كأنه قال: (زيد قائم)، فقلت انت: (بل عمرو هو القائم) فـ(هو) لمعهود الاسم، و(الالف واللام) لمعهود الفعل(الخبر).و(الالف واللام) التي هي صلة في الكلام مخالفة لمعنى(هو) لأن دخولها وخروجها واحد في الكلام، وليست كذلك(هو).واما التي تدخل صلة في الكلام، فتوكيد شبيه بقولهم: (وجدته نفسه) تقول ذلك، وليست بصفة(كالظريف) و(العاقل).

وفي تفسيرقوله تعالى{إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً} الكهف٣٩، ذهب الطبري الى القول[1]: فاذا جعلت(انا)عمادا، نصبت(أقل) وبه القراءة عندنا، لأن عليه قراءة الامصار، واذا جعلته اسما، رفعت(أقل).وفي تفسير قوله تعالى {ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} البقرة٨٥، ذهب الى القول: واما قوله(وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ) فان في قوله(وهو) وجهين من التأويل:

أحدهما: ان يكون كناية عن الاخراج الذي تقدم ذكره.

---

١) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٢٤/١٨ -٢٥، و: ٣١٢/٢ -٣١٥، و: ٣٧٤.

والثاني: ان يكون عماداً، لما كانت(الواو) التي مع(هو) تقتضي اسماً يليها دون الفعل(المشتق الذي يعمل فيما بعده عمل الفعل). فلما قدم الفعل قبل الاسم ـ الذي تقتضيه(الواو) ان يليها ـ أوليت(هو) لأنه اسم، كما تقول: أتيتك وهو قائم أبوك، بمعنى:...وأبوك قائم، إذ كانت(الواو) تقتضي اسما، فعمدت بـ(هو)، إذ سبق الفعل الاسم ليصلح الكلام. وفي تفسير قوله تعالى{وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} البقرة٩٦، ذهب الطبري الى القول: وقوله(هو)عماد لطلب(ما) الاسم اكثر من طلبها الفعل، و(ان) التي في(ان يعمر) رفع بـ(مزحزحه)، (هو) الذي مع(ما) تكرير، عماد للفعل، لاستقباح العرب النكرة قبل المعرفة. وقال بعضهم: ان(هو) الذي مع(ما) كناية ذكرالعمر. وقال بعضهم: قوله(وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر) نظيرقولك: ما زيد بمزحزحه ان يعمر. وذكر الطبري: واقرب هذه الاقوال عندنا الى الصواب ما قلنا، وهوان يكون(هو) عمادا، نظير قولك: (ما هو قائم عمرو).

ولقد ذهب الشيخ الطوسي[1] متابعا الطبري في ماذهب اليه بهذا الشأن، اذ ذكر في تفسير قوله تعالى{وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا} : وقوله(هو) يجعل عمادا في ظننت واخواتها. ويسميه البصريون صلة زائدة وتوكيداً كزيادة(ما)، ولايزاد الا في كل فعل لايستغنى عن خبره، وفي لغة تميم يرفع ذلك كله، فيقولون: (ان كان هذا هو الحق) وكذلك قوله(ولكن كانوا هم الظالمين)، و(تجدوه عند الله هو خيراً واعظم اجراً) كل ذلك يرفعونه. وعلى الاول ينصب ما بعدها، ومثله قوله(ويرى الذين اوتوا العلم...هو الحق) سبأ٦، والحقيقة ان ما ذهب اليه الشيخ الطوسي في تفسير هذه الآية، هو ماقاله الطبري نفسه عند تفسيره لها، (وهذا ما يرد عن الشيخ الطوسي كثيراً)، لكنه ذكر: في لغة تميم يرفع ذلك كله، الا انه حين اورد النصوص القرآنية التي يفترض ان تكون

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القران: ٥/، و: ٧ ١٠٧ /٤٤-٤٥، و: ٨/٣٦٣-٣٦٤.

فيها الاسماء مرفوعة بعد(هو) تبعاً للغة تميم، فاوردها منصوبة لا مرفوعه، وهي بهذا لاتكون محل شاهد على كلامه. وفي قوله تعالى {إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً} الكهف٣٩، ذكر الشيخ الطوسي: وقوله(ان ترن انا اقل)منصوب بانه مفعول ثان لـ(ترن)، و(انا)تصلح لشيئين: احدهما: ان تكون توكيدا للنون والياء.

والثاني: ان تكون فصلاً، كما تقول: كنت انت القائم ياهذا. ويجوز رفع(اقل) وبه قرا عيسى بن عمر، على ان يكون(انا) مبتدا، و(اقل) خبره. والجملة في موضع المفعول الثاني لـ(ترني). وفي تفسير قوله تعالى {الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} سبأ٦، أشار الشيخ الشيخ الطوسي الى أن: قوله(هو) فصل، ويسميه الكوفيون عمادا.

وذهب الثعلبي متابعاً الكوفيين في هذا الشأن، اذ ذكر[1] في تفسير قوله تعالى {وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا} : (هو) عمادا وتوكيدا وصلة في الكلام. و(الحق) نصب بخبر كان. وفي تفسير قوله تعالى {إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً} الكهف٣٩، ذهب الثعلبي الى القول: (انا) في الآية(عماد)، ولذلك نصب(اقل)[2]. وفي تفسير قوله تعالى{مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} المزمل٢٠، ذهب الثعلبي الى القول: خيراً: نصب على المفعول الثاني.و(هو): فصل في قول البصريين لامحل له من الاعراب. و(عماد) في قول الكوفيين. وفي تفسير قوله تعالى {وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ} الأنبياء٩٧، ذهب الثعلبي الى القول بذلك المعنى.

---

١) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٤١/٦، و: ٤١١/١٣، و: ١٦٧/٩-١٦٨.

٢) لاتوجد كلمة(اقل) في التفسير، واذا لم تذكر، فان المعنى يبقى مبهماً، اذ من هو الذي نصب؟ او ماهو الذي نصب؟ لذلك فاننا نرى وجود كلمة(أقل) ضرورياً لاتمام المعنى.

ويبدو أن الجانب التركيبي في عَدّ(الضمير)(عماداً) للمسوّغات المذكوره من الكوفيين هوالأقرب الى الصواب؛ بدليل انا لو اخذنا من نهج البلاغة للامام علي(عليه السلام)إنموذجاً للتطبيق في هذا المجال، فاننا سنجد فيه نموذجين مميزين في استعمال(العماد)، الاول منها يظهر لنا وجوب استعماله، والثاني يظهر لنا وجوب اجتنابه. وضابط الاستعمال او الاجتناب في هذين النموذجين، هو(السياق) الذي فيه الكلام، والذي لايدركه الا الحس اللغوي.

قال الامام علي(عليه السلام) من وصية لابنه الحسن(عليه السلام)[1]: فتفهم يابني وصيتي، واعلم ان مالك الموت(هو) مالك الحياة، وان الخالق(هو) المميت، وان المفني(هو) المعيد، وان المبتلي(هو) المعافي.

وقال الامام(عليه السلام) في خطبة له تحت عنوان(وصايا شتى): وتلافيك ما فرط من صمتك، أيسرمن ادراكك ما فات من منطقك. وحفظ مافي يديك، احب اليك من طلب مافي يدي غيرك. ومرارة اليأس، خير من الطلب الى الناس. والحرفة مع العفة، خير من الغنى مع الفجور،... والمرء، احفظ لسره.. وظلم الضعيف، افحش الظلم... والعقل، حفظ التجارب، وخير ما جربت، ما وعضك.

في هذا النص، مكان الاقواس يشير الى مواضع العماد الذي يجب ان يكون، لكن بلاغة النص، ومتطلبات السياق فيه افضت الى عدم استعمال العماد. فضلاً عن ذلك يبدو ان اهمية (العماد) تتجلى في مواضع وجوب استعماله، وذلك مثلاً عندما يليه اسم مقترن بـ(ال)، عندها لايستساغ الكلام الا باستعماله(بغض النظر عن اعراب الاسم الذي قبله او الذي بعده) فحين نقول: الانسان(هو)الكائن الناطق في هذا العالم. تكون دلالة القول واضحة، لكن عند حذف العماد(هو) من التركيب المذكور، فلا نستسيغ القول: الانسان

---

١) ينظر: نهج البلاغة: خطبة ٣١، ص: ٦٢٠ -٦٢١، و: ٦٢٨.

الكائن الناطق في هذا العالم.بل يحدث خللا في المعنى.ونقول: الغيوم هي التي تبشرنا بالخير. وهنا يجب استعمال(العماد)(هي) بسبب مجيء الاسم الموصول المبدوء بـ(الـ)بعده. ومواضع لايأتي العماد فيها.

ويرى الباحث عدم صحة القول بتوكيد(العماد)، اذ لو كان ذلك وارداً، لكان الافضل في توكيد الأذان، وعليه يكون القول في الاذان: الله هو اكبر، وأشهد ان محمدا هو رسول الله.وهذا مايتطلبه مقام الاذان، إلّا أنّ الاذان خال من ذكر(العماد)، وهذا يؤكد أن لاستعمال(العماد) مواضع يجب فيها ذلك الاستعمال، متحكماً في تلك المواضع السياق الذي لايدركه الا الحس اللغوي.

٢٩: عدم اعمال(أنِ المخففة) النصب في الاسم[1]:

ذهب الى ذلك الكوفيون، بحجة انها عند التخفيف تخرج عن شبه الفعل، فلا تعمل عن خروجها عن شبه الفعل.وهذا من اجل الابتعاد عن التقدير والتأويل، والعمل بالحمل على الظاهر للتيسير.

ولقد ذهب الطبري[2] متابعاً الكوفيين في هذا، اذ ذكر في تفسير قوله تعالى{وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} يونس١٠: قوله تعالى(ان الحمد الله رب العاللمين) يقول: وآخر دعائهم ان يقولوا: الحمد لله رب العالمين، ولذلك خففت(ان) ولم تشدّد لأنه اريد بها الحكاية.

وذهب الشيخ الطوسي[3] متابعاً الطبري والكوفيين في ذلك، اذ ذكرفي تفسير قوله تعالى {وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} : و(أنِ)في هذه الآية مخففة، وجازأن لاتعمل لخروجها بالتخفيف عن شبه الفعل، كما قال الشاعر:

---

١) مذهب كوفي، ينظر: شرح الكافية: باب الحروف المشبهة بالفعل، و: الانصاف في مسائل الخلاف: ١٩٥/١.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٣٣/١٥.

٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣٣٨/٥.

فِي فِتْيَةٍ كَسُيُوفِ الهِنْدِ، قَدْ عَلِمُوا   أَنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ[1]

وقد ذهب الثعلبي متابعاً السابقين له في هذا الشان، اذ أشار[2] في تفسير قوله تعالى{وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} : الى أن قوله تعالى {وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} مايراد منه آخر كلام يتكلمون به ولكن اراد ماقبله. وقرا العامة(أنِ الحمدُ لله) بالتخفيف والرفع.وقرأ بلال بن ابي بردة وابن محيصن(أنّ)مثقلاً، الحمد نصباً(أنَّ الحمدَ).

٣٠: **جواز نعت(اللّهم)**[3]:

فقد ذكر مكي القيسي(٤٣٧ هـ) ان الكوفيين اجازوا ان ينعت لفظ الدعاء(اللهم)، فأشار الى ان: (مالك الملك) في قوله تعالى {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ } آل عمران٢٦، عند الكوفيين نعت لـ(اللهم) وذلك جائز عندهم كما جاز مع(يا الله)[4].

وقال الفراء: ان كلمة(اللهم) كلمة تنصبها العرب، وسبب النصب عند بعض النحويين، ومنهم الخليل[5]: هو زيادة الميمين فيها، لعدم مناداتها عندهم بـ(يا)، كقولهم: يازيد، وياعبد الله. فصارت الميم خلفاً من(يا). ويتضح من تكملة الفراء، هو انه اراد ان يرد على رأي الخليل وسيبويه لانه ذكر بيتاً مما انشده بعض العرب:

---

١) ينظر: ديوان الأعشى: ١٠٩، و: الكتاب ٢٨٢/١، ٤٤٠، ٤٨٠، ٢ / ١٢٣، و: أمالي ابن الشجري ٢ / ٢، و: الإنصاف ١/ ٨٩، و: الخزانة ٣ / ٥٤٧، ٤ / ٣٥٦.

٢) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٧/ ٨-٩.

٣) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٠٣/١.

٤) ينظر: مشكل اعراب القرآن: ١٣٣/١.

٥) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٠٣/١، و: ينظر: الكتاب: ١٩٦/٢.

وَمَـا عَلَيْـكِ أنْ تَقُـولِي كُلَّمَـا صَـلَّيْتِ أوْ كَبَّـرتِ يَـا اَللَّهُمَّـا[1]

وقوله: (ولم نجد العرب زادت مثل هذه الميم في نواقص الاسماء الا مخففة، مثل الفم وابنؤم، وهم).فلو كانت الميم المشددة في(اللهم)خلفاً من حرف النداء، لما جمع بينهما في هذا الرجز[2].

وعليه يمكن القول: ان الراجح هو جواز نعت(اللهم)، ولا مانع من أن ياتي بعد(اللهم) صفة له، كقوله تعالى {قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أنتَ تَحكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} الزمر٤٦. وهذا ما ذهب اليه بعض المحدثين[3]. فضلاً عن تأييد بعض البصريين، غير(الخليل وسيبويه) لمذهب الكوفيين.

ولقد ذهب الطبري الى ذلك الجواز، اذ ذكر[4] في تفسير قوله تعالى {قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أنتَ تَحكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} الزمر٤٦: القول في تاويل قوله تعالى(قل اللهم فاطر السموات والارض) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد(ص): قل يامحمد الله خالق السموات والارض(عالم الغيب والشهادة) الذي لاتراه الابصار، ولا تحسه العيون والشهادة، الذي تشهده أبصار خلقه، وتراه أعـــينهم(انت تحكم بين عبادك) فتفصل بينهم بالحق يوم تجمعهم لفصل القضاء بينهم(فيما كانوا فيه) في اياتنا(يختلفون) من القول فيك، وفي عظمتك وسلطانك. والحقيقة أن هذا التوجيه

١) لم يعرف قائله، وهو في معاني القرآن للفراء ١/ ٢٠٣، والجمل للزجاجي/ ١٧٧ والإنصاف١/١٥١، والخزانة ١/ ٣٥٩، واللسان(أله) وغيرها من كتب العربية والنحو.

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/٢٣٠.

٣) ينظر: النحو الوافي: ٤/٣.

٤) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٢١/٣٠١.

يتوافق مع تفسيرالآية ومعناها، فضلا عن أن هذا التوجيه لايعمد الى التقدير والاضمار، لأنه يفسر الظاهرة اللغوية كما هي.

ولقد ذهب الشيخ الطوسي[1]متابعاً الطبري والكوفيين في ذلك الجواز، اذ ذكرفي تفسير قوله تعالى {قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} الزمر٤٦: و(فاطر السماوات) عند سيبويه لايجوزأن يكون صفة(اللهم)، قال لأنه غير الاسم في النداء، ولأنه لايذكر بهذا الذكر الا بعد ماعرف، كما لايضمر الاسم الا بعد ما عرف، فكما لاتوصف المضمرات، فكذلك هذا الاسم، وليس يجب مثل ذلك في قولنا: (الله) لأنه قد يذكره العارف لمن لايعرفه فيعرّفه اياه بصفته، فيقول: الله فاطر السموات والارض، وخالق الخلق ورب العالمين ومالك يوم الدين. وقال ابو العباس: يجوز ان يكون صفة(اللهم) حملاً له على(ياالله فاطر السموات والارض).

وتابعهم السمرقندي[2] في هذا القول، فذكرفي تفسيرقوله تعالى{قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} الزمر٤٦: صار نصبا بالنداء.يعني: يا خالق السموات والارض، (عام الغيب والشهادة يعني: عالماً بما غاب عن العباد وما لم يغب عنهم.ويقال: عالما بما مضى، وما لم يمض. يبدو أن السمرقندي أراد القول بان: (فاطر)(خالق)(عالم) بالنصب، صفة لـ(اللهم)، وهذا ما ذهب اليه الكوفيون.

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القران الكريم: ٣٣/٩.

٢) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٤١/٤.

٣١: جواز عطف الجار والمجرور على الاسم[١]:

وهذا من مواضع الحمل على الظاهر عند الكوفيين، وتابعهم فيه الطبري[٢]، اذ أشارفي تفسير قوله تعالى {أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} البقرة١٨٤: الى جوازعطف الجار والمجرور على الاسم، مستدلاً لذلك بما ورد في القرآن من مثله. فقال: بشأن النص القرآني المذكور: فإنْ قال قائل: وكيف عطف على المريض وهو اسم بقوله(اوعلى سفر)، و(على) صفة اسم؟ قيل: جاز أن ينسق بـ(على)على المريض، لأنها في معنى الفعل، وتأويل ذلك: أو مسافراً، كما قال تعالى{وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يونس١٢، فعطف بالقاعد والقائم على(اللام) التي في(لجنبه)، لأن معناها الفعل.

ويبدو أن الطبري يستشهد بالقرآن على توجيه آيات اعراب القرآن، فهو يفسرالقرآن بالقرآن، ويستدل بالآية على موضع الآية المشابهة لها في الاعراب، من ذلك ما ورده في تفسير قوله تعالى {بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ} التوبة١، حيث ذكر[٣]: أن معني قوله جل ثناؤه(براءة من الله): هذه براءة من الله ورسوله، فـ(براءة) مرفوعة بمحذوف وهو(هذه) كما في قوله تعالى {سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} النور١، فـ(سورة) مرفوعة بمحذوف تقديره: (هذه).

---

١) مذهب كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ١١٨/١.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٩١/٧.

٣) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٤١/١.

وذهب الشيخ الطوسي[1] متابعاً الطبري في جواز عطف الجار والمجرورعلى الاسم، فقد أشارفي تفسيرقوله تعالى{وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} البقرة١٨٥: الى جوازعطف الظرف على الاسم في قوله(ومن كان مريضاً او على سفر)لانه بمعنى الاسم، وتقديره: او مسافراً، ومثله قوله{وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يونس١٢، كأنه قال: مضطجعاً أو قائماً أو قاعداً. وهو رأي كوفي، ذكره الطبري قبل الطوسي[2].

ولقد ذهب الماوردي الى ذلك الجواز، اذ قال[3] في تفسير قوله تعالى {وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} البقرة١٨٥: قوله تعالى يعني: مريضاً لايقدر مع مرضه على الصيام او على سفر يشق في سفره الصيام.وقوله تعالى(فعدة من ايام إخر) فيه قولان:

احدهما: انه مع وجود السفر، يلزمه القضاء.

والثاني: ان في الكلام محذوفاً وتقديره: فافطر فعدة من أيام أُخر.ولوصام في مرضه وسفره لم يعد وفي هذا القول دلالة واضحة على جواز عطف الاسم الظاهر على الجار والمجرور.

وتابعهم الواحدي[4] بالقول في ذلك الجواز، عند تفسيرقوله تعالى{وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} البقرة١٨٥ الى أن: الذي سافر او مرض

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القران: ١٢٥/٢.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٥/٢.

٣) ينظر: تفسير النكت والعيون: ١٢٩/١ ـ ١٣٠.

٤) ينظر: تفسير الوجيز: ٤٨/١.

فافطر، فعدة، أي فعليه عدة، أي: صوم عدة بعدد ما افطر(من ايام اخر) سوى ايام مرضه و سفره.

٣٢. جواز تقديم معمولات(عليك ـ دونك ـ عندك)عليها في الاغراء[١]:

أجاز ذلك الكوفيون لاجماعهم على أن(عليكم) في قوله تعالى{كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ} النساء٢٤ قامت مقام الفعل، والفعل يجوز تقديم معموله عليه، لذلك جازتقديم معمولها عليها وتابعهم مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة فيه.فذهب الطبري الى ذلك الجوازفي تفسيرقوله تعالى{كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ} النساء٢٤ذكر[٢]: أن بعض أهل العربية يزعم أن قوله تعالى منصوب على وجه الاغراء، بمعنى: عليكم كتاب الله، الزموا كتاب الله.

وذهب الشيخ الطوسي[٣] الى ذلك ففي تفسيرقوله تعالى{كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ} النساء ٢٤: ذكرأن:)كتاب)منصوب على وجهين، منهما: على الاغراء والعامل محذوف، لأن عليكم لايعمل فيما قبله وهذا ماذهب اليه الفراء[٤].

وكذلك الماوردي فانه ذهب الى ذلك الجواز[٥] في تفسير قوله تعالى{كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ} النساء ٢٤ فذكر: ان هذا القول فيه ثلاثة أوجه، منها: أن معناه: الزموا كتاب الله.

وذهب السمرقندي متابعا الكوفيين، اذ ذكر[١] في تفسير قوله تعالى {كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ} النساء٢٤: قول الزجاج بنصب(كتاب)على التأكيد حملا على المعنى.وذكر جواز نصبها على جهة الامر، كأنه قال: الزموا كتاب الله.

---

١) مذهب كوفي: ينظر: معاني القرآن للكسائي: ١١٣، و: معاني القرآن للفراء: ٢٦٠/١.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٧١/٨.

٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١٦٣/٣.

٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٦٠/١.

٥) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٢٨٧/١.

وذهب الثعلبي(٢) الى ذلك القول، ففي تفسير قوله تعالى{كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ} النساء٢٤ذكر أن نصب(كتاب): قيل على المصدر، أي: كتب الله عليكم كتاباً،، وقيل: نصب على الاغراء، أي: الزموا واتقوا كتاب الله عليكم.

٣٣: جواز مجيء التمييز معرفة(٣):

قال به الكوفيون وتابعهم فيه مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة، فذهب الطبري(٤) الى ذلك القول عند اشارته الى أن معنى قوله تعالى{إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ} البقرة١٣٠هو: الا من سفهت نفسه، وانما نصبت(النفس)على معنى التفسير، ذلك أن(السفه)في الاصل للنفس، فلما نقل الى(من)نصبت(النفس)بمعنى التفسير، كما يقال: هو أوسعكم دارا، فتدخل الدار على أن السعة فيها لافي الرجل. وكذلك في الآية الكريمة.

ولقد ذهب الشيخ الطوسي(٥)الى ذلك، ففي تفسير قوله تعالى {إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ} البقرة١٣٠ذكر أن: نصب(نفسه) فيه آراء، منها:

أن يكون على التفسيركقوله {فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً} النساء٤، وهو قول الفراء: العرب توقع(سفه)على نفسه وهي معرفة.وكذلك قوله{بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا} القصص٥٨.ومنها: أن يكون على التفسير، والمضاف على الانفصال، كما تقول: مررت برجل مثله، أي: مثل له.

---

١) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٣٧٤/١.

٢) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٣٨٤/٣.

٣) مذهب كوفي: ينظر: معاني القرآن للكسائي: ٧٨-٧٩، و: معاني القرآن للفراء: ٧٩/١، و: الانصاف: مسألة ١٢٠.

٤) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٩٠/٣.

٥) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤٦٨/١-٤٦٩.

وذهب ابن زمنين الى ذلك عندما ذكرمعنى قوله تعالى {إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ} البقرة١٣٠ بأ نه[١]: الا من سفهت نفسه أي: جهلت قوله تعالى.

وتابعهم الثعلبي، ففي تفسير قوله تعالى {إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ} البقرة١٣٠ذكر[٢] أن نصب(النفس) فيه أقوال، منها: قول الفراء: انه نصب على التفسير، وألاصل: سفهت نفسه، فلما أضاف الفعل الى صاحبها خرجت النفس مفسرة ليعلم موضع السفه كما يقال: ضقت به ذرعا معناه: ضاق ذرعي به ويقال: ألم زيد رأسه ووجع بطنه.

ويبدو أن الفراء قد أخذ بالمنهج الوصفي القائم على وصفه للغة كما هي عليه دون لجوء الى التقديرأوالتأويل أوالتعليل، فكان توجيهه لهذه الآية متفقا ومعنى الآية، وقد أدرك النحاة أن(نفسه) في الآية القرآنية تمييز، لكن قسرية القاعدة النحوية منعتهم من ذلك، فالتمييزلايكون الا نكرة، وهذا أصل من الاصول لايجوز الخروج عليه. ويتضح أن رأي الكوفيين هو الاقرب الى روح اللغة لاستقامته مع معنى الآية.

---

١) ينظر: تفسير ابن زمنين: ٣٣/١.

٢) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٢٤٤/١.

المبحث الثالث
أثر الحمل على الظاهر في تفسير القرآن

قبل الخوض في بيان الأثر لـ(الحمل على الظاهر) في تفسير القرآن في القرون الثالث والرابع والخامس للهجرة، لعلي أجد من المناسب جداً الاشارة الى ان(الحمل على الظاهر) في حقيقته قضية على طريق التيسير النحوي، لأن انتهاجه يبعد عن التاويلات والتقديرات والتعليلات التي تنتجها نظرية العامل، ومِن ثَمَّ اثقلت كاهل الدرس النحوي، وأدت الى التبرم والنفور اللذين يواجه بهما الدراسون للنحو العربي. اذ ان نظرية العامل جعلت النحويين ان يوغلوا في تفسير الظواهر الاعرابية المختلفة في الاسماء والافعال، بتأثير عوامل لفظية اومعنوية، ومن هنا بدأت سلسلة المتاعب تكتنف طريق الدرس النحوي، وتعترض مسيرة الدارسين، زيادة على ان اساليب اللغة الفصحى اخذت تتعرض الى سيل من التاويلات والتفسيرات التي لاتخدم قضية المعنى ولا تيسر سبيل الدرس النحوي.

وإذا ما اردنا معرفة عائدية(الحمل على الظاهر)، فيمكن القول بشكل جازم، ومن خلال البحث والتقصي في الكتب النحوية أن: الحمل على الظاهرمن الخصائص البارزة في النحو الكوفي، وفي هذا تأكيدها الابتعاد عن التعقيدات النحوية والتقديرات والتاويلات، وهذا ما يدعونا أن نقول: إنَّ الدعوة باتجاه التيسير برزت من بين صفوف النحو الكوفي.على ان هذا القول يجعلنا نختلف مع جميع الذين يذهبون الى أن دعوة ابن مضاء القرطبي(٥٩٢هـ)تُعد الدعوة الاولى باتجاه التيسير، وقد وجدت صداها في العصر الحديث لدى عدد

من المهتمين في اللغة العربية متمثلة بجهد الاستاذ ابراهيم مصطفى[1] في كتابه(احياء النحو) عام ١٩٣٧، على اننا متيقنين من ان اول صدى لدعوات التيسير في العصر القديم مثلها النحو الكوفي، وفي العصر الحديث انبثقت من العراق في عام ١٩٢٤على يد القس رحمن الموصلي من خلال دعوته الى تيسير النحو، والمتضمنة مجموعة من المقترحات، والتي نشرت في جريدة العراق، في ٢ حزيران ١٩٢٤، وهذا ما أثبتاه[2]من خلال التقصي الدقيق لمحاولات تيسيرالنحو العربي في العراق. وعليه فان انطلاقة التيسير في العصر الحديث كانت من العراق على يد القس رحمن الموصلي، وليست محاولة الاستاذ ابراهيم مصطفى عام ١٩٣٧ كما يذهب الى ذلك اغلب المحدثين.

والنحو الكوفي هو التوأم للنحو البصري، ومنهما كان النحو العربي. وعلى الرغم من تأخر النحو الكوفي في نشأته عن توأمه البصري، الا انه كون مركزاً ثانياً مهما للدراسات النحويةالى الحد الذي اصبح منافساً للنحو البصري. ويُعَدّ الكسائي(١٨٩هـ) اول من ثبت اركان الدرس النحوي في الكوفه، لإعتبارات مهمة، منها[3]:

١. اهتمام الكسائي وانصرافة الى الدراسات القرانية جعله يتنبه على أن ماعند المؤدبين والمعلمين من النحو، لايمثل النحو العربي الذي ظهرفي مجالس الدرس النحوي في البصرة، منذ الدؤلي(٦٩ هـ) الى يونس(١٨٢ هـ) الذي يمثل مرحلة النضج والكمال في المنهج والاصول والمادة، ولذلك وجد الكسائي ان علم الكوفيين بالنحو مايزال قاصراً عن ايفائه بحاجة الدراسات القرآنية التي اهتم بها.

---

١) تيسير النحو وبحوث اخرى، د / خديجة الحديثي: ٣.

٢) ينظر: جهود الباحثين العراقيين في تيسير النحو: رسالتنا للماجستير: ص٦.

٣) ينظر: تيسير النحو وبحوث اخرى، د. خديجة الحديثي: ١١١ فما بعدها.

٢. عـدم تقيـد الكسـائي بالسـماع مـن قبائـل معينـة كـان سـببا لـبروز ظواهرجديدة تختلف من لهجة الى اخرى، تخالف ماوجده البصريون في اللغات التي درسوها ووضعوا قواعد لغتها، وبنوا عليها اقيستهم.

وهـذا أدى الى أن يضـع الكسـائي أقيسـة تخـالف اقيسـة البصـريين المحكومـة بحدود مخصوصة. فضلاً عن اتباعه مبدأ القياس على كل مسموع، ومن أي قبيلة كـان، وفي أي بيئـة مـن البـوادي، فهـو لم يتحـدد ببيئـة ولا بزمـان ولا بفصـاحة، ولـهذا ازدادت عنده القواعد، وتعددت الاقيسة وتنوعت، وكان الكسـائي بـذلك محطة للطعن بسهام البصريين المتشددين في المسموع المقيس عليه وفي شروطه.

٣. اخذه بعامة القراءات، وعدّه ما فيهـا مـن ظـواهر صـحيحاً، يجوز القيـاس عليه.

ولقـد زاد تلميـذه الفـراء(ت ٢٠٧ هــ) امـوراً في النحـو الكـوفي زيـادة علـى ماذهب اليه الكسائي، وتمثلت تلك الزيادة بما ياتي:

أ/ وضع مصطلحات جديـدة لعـدد مـن ابـواب النحـو والصـرف ومسـائلهما، على انها أقرب دلالةعلى الظاهرة من مصطلحات البصريين. وسيتم الحديث عن المصطلح الكوفي واثره في التفسير في الفصل الثالث من الرسالة.

ب/ ترك القول بالتاويل البعيد والتعليل والتفسير مما اضطر اليه البصريون، الذين لجأوا اليه عند مصادفتهم بعض الشواهد الموثوق بها والعبارات الفصيحة، والقراءات القرآنية الخارجة عن الكثير مـن الشائع في كـلام العـرب، ولكـي يـردوا هذا الخارج الى كلام العرب لجأوا الى التقدير والتاويل. اما الكوفيون فلـم تكـن بهم حاجة الى ذلك في منهجهم المتمثل في التساهل والتجويز (القيـاس علـى كـل مسـموع مفـرداً كـان ام شـائعاً، فصـيحاً ام غـير فصـيح). ومعنى هذا انهـم اعتمـدوا(الحمـل علـى الظـاهر) الـذي يخـالفون فيـه البصـريين في اصول نحويةالى الحد الذي جعله خصيصـة مميـزة للنحـو الكـوفي الـذي تم الحـديث عنها في المبحث الثاني من هذا الفصل.

ج/ مخالفة البصريين في بعض الاصول النحوية، جعلهم اصحاب نحو خاص بهم، وأصحاب دعوة في وجوب الغاء التقديرات للعوامل والمعمولات، وهم بهذا وضعوا اللبنات الاولى لدعوات التيسير، كي يصلوا بالنحو الى ابسط اساليب التعليم غير المعقدة من وضعهم المتون والمختصرات الخالية من التقدير والتأويل والتمارين غير العملية، من اجل التيسير.

وكانت نقطة الشروع في ذلك الاتجاه على يد امام المدرسة الكوفية(الكسائي)، اذ صنف كتاباً نحوياً مختصرا جامعا للنحو باسم(مختصرالنحو). لكن البصريين الذين قالو ا بالعامل النحوي في كل ظاهرة نحوية، وان لم يجدوه قدروه، استمروا وقالوا: لابد لكل معمول عامل ان لم يظهر فهو مقدر او محذوف. في حين ذهب الكوفيون الى اجازة مجيء أسماء وأفعال منصوبة ولا ناصبة لها، وجمعوها تحت مصطلح(الخلاف) او(الصرف) أو(الخروج).

وعليه يتضح أثر النحو الكوفي في تفاسير القرآن في القرنين الرابع والخامس للهجرة، من الزيادات الواسعة والآراء الجديدة التي زادها الكوفيون الى النحو العربي، التي لم يصل اليها البصريون، اما لنقص استقرائهم أللغوي، واما لشذوذها أو ماوصل إليه الكوفيون باجتهاداتهم الخاصة. بهذا فأن الكوفيين يكونون قد أسسوا لقواعد نحوية جديدة لم يتطرق اليها البصريون، فمن ذلك ألاثر تأثرمفسري القرون الثالث والرابع والخامس للهجرة بما زاده الكوفيون من قواعد نحوية وآراء جديدة وبدقة فتمسكوا بها، اذ ذهب هؤلاء المفسرون الى توجيه تفاسيرهم لكثير من الآيات في ضوء ماكانت تقتضيه ألاوجه الاعرابية الكوفية لتلك المسائل(المتمثلة بمواضع الحمل على الظاهر)، التي تناولها المبحث الثاني من هذا الفصل، ومنها:

١- ألنصب على الصرف(الخروج)(الخلاف).

٢- مجيء أسماء ألاشارة بمعنى ألاسماء الموصولة.

٣- جواز نـــداء اسم الإشـــــارة.

٤- الحاق(مالك مابالك - ماشأنك) وكذلـك(هذا - هذه - هؤلاء) مع(كان وأخواتها) بالعمل.

٥- عدم جواز عطف الجحد على الاستثناء، أي: مجيء(لا) بمعنى(غير).

٦- اثبات معاني جديدةلعدد من الحروف والادوات، زيادة على جوازانابة الحروف والادوات عن بعضها عن بعض.

٧- جواز تقديم معمولات(عليك - دونك - عندك) عليها.

٨- جواز مجيء التمييز معرفة.

٩- جواز اعمال اسم المصدر قياسا على المصدر.

١٠- جواز انابة المصدر المضمر عن الفاعل، والمفعول مذكور.

١١- جواز الاخبار عما اضيف الى المبتدأ المحذوف، أي: جواز ذكر الاسم ويكون تمام خبره في اسم آخر.

١٢- جواز وقوع الفعل الماضي حالا.

١٣-جـــواز نعـــت الـلهـــم.

١٤ -اثبات موضع اعرابي ومعنى للعماد(ضمير الفصل عند البصريين).

١٥-جواز اضافة الشيء الى نفسه باختلاف اللفظين.

١٦-حذف لام ألامر من المضارع بشرط تقدم(قل) عليه.

وغيرذلك من الآراء الجديدة التي زادها الكوفيون الى قواعد النحو العربي، التي ذكرت في المبحث الثاني من هذا الفصل.

فضلا عن الاثر الأهم والابرزالذي تركه الكوفيون كما يراه الباحث متمثلا في اخضاع القاعدة للنص على خلاف البصريين الذين أخضعوا النص للقاعدة.

على أن أثر النحو الكوفي لم يقتصر على مفسري القرنين الرابع والخامس للهجرة، بل بقي مستمرا الى اليوم، مرورا بـابن مضاء القرطبي الى العصر

الحديث. فمنذ تأليف مختصرات النحو ومتونه بدءا بـ(مختصرالنحو) للكسائي، ومختصرالنحو لهشام بن معاوية(٢٠٩ هـ) صاحب الكسائي، واستمرار التأليف النحوي بمثل هذه المختصرات، وصولاً الى ما دعا اليه ابن مضاء القرطبي(٥٩٢ هـ) بكتابه(الرد على النحاة). يمكن القول ان الكوفيين(الكسائي ـ الفراء ـ ثعلب) بجهودهم قد اسسوا قاعدة جديدة للنحو العربي، تميزت بان يكون(الحمل على الظاهر) على رأس قائمة مميزات النحو الكوفي، ذلك لاعتقادهم بان ضرورة الاستعمال تعتمد على ماتتطلبه اللغة من اسليب. وبهذا استحق الكوفيون أن يحملوا راية

التيسيرالنحوي:

وسأعرض بايجاز لدعوات التيسيرالتي انطلقت متأثرة بالنحو الكوفي وأصبحت من ثماره، مبتدءاً بابن مضاء القرطبي الذي يُعَدُ في نظر البعض من المحدثين رائد التجديد والثورة على تعليلات وتأويلات النحويين وأقيستهم، واتخذوا منه مثلاً يهتدون به بسلوكهم مسلك التيسير والتجديد في النحو، لاعتقادهم بانه هو الذي كسر الطوق المحكم في صياغة قواعد النحو واصوله للنحاة القدامى، فذهبوا يتذرعون بما ذهب اليه القرطبي في الغاء العلل ونظرية العامل والقياس المنطقي ونبذ التأويل البعيد الذي لامنفعة منه سوى اثقال النصوص والتكلف في تفسيرها ولقد رأى الدكتور شوقي ضيف وغيره من المحدثين الداعين الى التجديد، في آراء القرطبي متنفساً للتعبير عما يختلج في دواخلهم من رغبة جادة في السعي الى إصلاح المنهج النحوي، القائم على أسس جديد ضرورية لقيام منهج حديث. اذ تصوروا في طروحات ابن مضاء القرطبي مساحة واسعة وأرضية خصبة لأن يعملوا على بناء منهج حديث يبعد النحو عن

كل مسببات تعقيده وجعله مصدر نفور للمتعلمين، ويتجه هذا المنهج الحديث الى اعتبار ماهو مستعمل من صيغ اللغة دون الحاجة الى التقدير والتأويل(١).

والحقيقة ان اتجاه هؤلاء مستند الى ماذهب اليه الكوفيون من اتساع في الرواية، والسماع من اية قبيلة كانت، ومن أيّة بيئة من البوادي، فهم لم يتحددوا بزمان ولا ببيئة ولا بفصاحة(٢)، وهم بذلك اتجهوا الى عد ماهو مستعمل من الصيغ اللغوية دون الولوج في عالم التأويل والتقدير، الى الحد الذي كان البصريون فيه يفخرون على الكوفيين بقولهم: ((نحن ناخذ اللغة من حرشة الضباب وأكلة اليرابيع - أي العرب الفصحاء - وأنتم تاخذونها من أكلة الشواريز وباعة الكواميخ - أي أهل المدن -))(٣).

وهناك من المحدثين من عد ابن مضاء القرطبي من المجتهدين مطلقاً، بل يرى انه لم يكن تابعاً او مقلداً كما هو شان النحاة الذين تلوا الخليل وسيبويه(٤).

ومنهم من ذهب الى أبعد من ذلك، حينما جعل ابن مضاء القرطبي ظاهرة فريدة لاتتكرر، وصيّره منقذا للحيارى التائهين في فلسفة النحو(٥).

واذا كان هؤلاء المحدثون على جانب من الصواب فيما ذهبوا اليه في رؤيتهم الى ابن مضاء القرطبي التي تقدم ذكرها عبر آرائهم، فهناك من جعل ابن مضاء القرطبي هادما لكثير من الاسس التي استقر عليها النحو المشرقي(٦).

والذي يتضح ان ابن مضاء القرطبي لم يكن صاحب الدعوة الاولى صوب التيسير، ولم يمثل الصوت الصارخ بوجه نظرية العامل، والعلل الثواني

---

١) ينظر: مناهج البحث في اللغة: ١٢.

٢) ينظر: القياس بين البصريين والكوفيين: ٤٣٠ وما بعدها.

٣) الاقتراح: ٨٤.

٤) ينظر: ظهور الاسلام، احمد امين: ٣/٩٥.

٥) ينظر: اصول النحو العربي: ٣٨، ٤٩.

٦) ينظر: المدارس النحوية، د. الحديثي: ٣٩٩.

والثوالث، والتمارين غير العملية والتاويل والتقدير، لكنه كان يمثل امتدادا للكوفيين اصحاب هذه الدعوة من حملهم على الظاهر، زيادة على انه لم يهدم اسسا قد استقر عليها النحو المشرقي كما زعموا. لأن كثيرا من مواضع الحمل على الظاهر التي قال بها القرطبي، قد استندت الى قول الكوفيين، ولم يكن قولنا هذا اعتباطا.وانما استندنا الى ما ذهب اليه الدكتوراحمد مكي الانصاري في تحديده لتأثر ابن مضاء القرطبي للفراء خاصة، اذ قال الدكتور الانصاري(1): ((لعلي لا اكون مبعداً حين ازعم ان ابا زكريا الفراء كان الملهم الاول لابن مضاء القرطبي في دعوته الى اصلاح النحو، أوفي الاقل كان له في الالهام نصيب وفير)).

ولأن الفراء تلميذ الكسائي، وقد تأثر كثيرا بآرائه النحوية واللغوية، فيكون ابن مضاء قد تاثر بالكوفيين عامة، بدءا بالكسائي الذي هو شيخ الفراء. ومن هنا يمكن القول: إن بذور التيسيرقد نثرها الكوفيون، ثم اخذت تؤتي ثمارها بمرور الزمن، ومن ثم اصبحت مرتكزاً لدعوات الاصلاح والتيسير في النحو العربي التي كانت على مر العصور، ثم نادى بها المحدثون.

وذكر الدكتور كمال ابراهيم: قد كان الكسائي في اجرائه الكلام في الغالب بحسب الظاهر، والتخفف والتقليل من صور الحذف والتقدير، والتهوين من شان العامل وأثره، بذلك أول من فتح ابواب التيسير في الدرس النحوي، وبدء بشق طريق جديدة وتعبيده، فكانت موضع بحث ونظر لمن جاء بعده الى اليوم، وكان تلميذه الفراء خير خلف لخير سلف، لانتهاجه منهجه هذا، بل وزاد عليه(2). وهذا ماذهب اليه الدكتورمهدي المخزومي ايضاً، في حديثه عن الجهود الداعية

---

1) ابو زكريا الفراء ومذاهبه في النحو: ٤٢٣.

2) ينظر: الكسائي رئيس المدرسة الكوفية، بحث للدكتور كمال ابراهيم، مجلة كلية التربيةا لعدد١٤، سنة ١٩٦٧.

لتجديد النحو وتيسيره، ودعا للافادة من نحو الكوفيين والبصريين، ثم قال: اما المنهج الذي سنسير عليه فهو المنهج الكوفي معدلاً بما وصل اليه الدرس الحديث، لانه منهج يقره النظر العلمي الحديث، ويقره النظر اللغوي بشكل خاص[1].

وهناك من يرى ان اول داعية لاصلاح المنهج النحوي واحيائه هو الاستاذ ابراهيم مصطفى في كتابه(احياء النحو)، على أنه أول من فتح مغاليق هذا الباب، وهو الذي أنار للأذهان سبيل الخوض فيه[2]. ولكن ينبغي التذكير بأن أغلب ما نادى به الأستاذ ابراهيم مصطفى في كتابه المذكور، كان معتمدا به على آراء الكوفيين وابن مضاء القرطبي.

وهناك من ينكرعلى ابن مضاء القرطبي دعوته الغاء نظرية العامل، بل هو ومن تابعه(الاستاذ إبراهيم مصطفى والدكتور شوقي ضيف)، اذ يقول: لايمكن الاستغناء عن نظرية العامل لانها من صميم النحو الذي لايمكن الاستغناء عنه[3].

وعند القول إن القرطبي تأثر بالنحو الكوفي، فلايكون ذلك جزافا او عبثا، وإنما بالدليل القاطع المتمثل بانعكاس ذلك الأثر على تفكيره في النحو من متابعته للمسائل التي خرجها الكوفيون حملاً على الظاهر، بل وكانت اساساً اعتمده القرطبي لبناء احكامه في تلك المسائل، وسأشيرالى عدد من الشواهد التي تؤكد توافق ابن مضاء مع الكوفيين في الحمل على الظاهر، منها: انكار الضمير المستتر(الفاعل) في قولنا: محمد قام. فيقول ابن مضاء: قام، هو فعل ولافاعل له[4]. والحقيقة ان هذا هو قول الكسائي في مثل: كلمني وكلمت زيداً، اذ ذهب الكسائي الى ان فاعل(كلمني) محذوف ولافاعل له. ومنه ايضاً، ذهاب ابن

---

١) ينظر: مدرسة الكوفة: ٤١٠.

٢) ينظر: نحو التيسير: ٢٣.

٣) ينظر: النحو الجديد، عبد المتعال الصعيدي: ٢٣٣.

٤) ينظر: الرد على النحاة: ٩٠-٩١.

مضاء القرطبي في باب الاشتغال، الى جعل المشغول عنه مفعولاً به للفعل المذكور بعده دون الحاجة الى تقدير عامل محذوف وجوباً[1]. ومن ذلك أيضا تاثر القرطبي[2]. بمذهب الكوفيين والفراء، في الغاء متعلق الظرف، والجار والمجرور، واعطائهما الوظيفة التي تؤديها المعلقات، وأيضاً في نصب الفعل المضارع بعد(الواو والفاء) على مذهب الكوفيين على الخلاف(الصرف)، لا بإضمار(أنْ).

والحقيقة ان أثرالنحوالكوفي في التيسيرالنحوي لم يخف على القدامى، بدليل ذهاب احدهم عند ملاحظته الفراء يشرح النحو باسلوب مبسط وميسّرللدارسين حتى يفهمه ويستوعبه الصبيان الى القول[3]: ((ان دام هذا على هذا علم النحو الصبيان)).

ومن الاطلاع على مواضع الحمل على الظاهر عند الكوفيين وابن مضاء القرطبي، فلا يعتقد أن ثمة مجالاً للظن في تأثر القرطبي بماقال به الكوفيون حملاً على الظاهر. زيادة على ان هناك شواهد نحوية اخرى كثيرة في كتاب(الرد على النحاة) تكون مرجعيتها الى النحو الكوفي، وهذا مايؤكد ذهابنا الى ان القرطبي هو امتداد للتيسير النحوي الذي قال به الكوفيون.

ومن دراستي لـ(النحو الكوفي في تفاسير القرآن في القرنين الرابع والخامس للهجرة) وجدت ان اهم كتب تفسير القرآن التي وردت في هذه القرون، التي كوّنَت المادة العلمية للدراسة، قد تأثراصحابها وبشكل واضح بالنحو الكوفي من تفسيرهم للنصوص القرآنية المباركة.

---

١) ينظر: م. ن: ٧٩.

٢) ينظر: الرد على النحاة: ٨٧، ٨٠.

٣) الفهرست، لأبن النديم: ٧٣.

ففي دراسة ظاهرة النصب في الاسماء التي اضطرب النحويون في تفسيرها، بسبب عناء البحث عن عامل للنصب في الأسماء المنصوبة، نجد بهذا البحث جهد ضائع، كان ينبغي ان يوفره النحويون على انفسهم وعلى دارسي اللغة، وان الحركات دوال على معان، وان الفتحه ليست حركة اعرابية، ولا دلالة لها على طائفة بعينها من الاسماء.

فلذلك ينبغي ان لانرهق انفسنا بالبحث عن عامل للنصب قبل الاسماء المنصوبة، أي انني ارى ذلك من اخضاعنا النص المعرب الى ما تقتضيه اللغة من ضرورة، لادراك سبب النصب في الاسماء المنصوبة، وليس البحث عن عامل للنصب فيها. وهذا يعني اننا نخضع النص لمتطلبات اللغة واحتياجها، لا ان نضع القواعد النحوية ونخضع النصوص اليها الى حد التقديس، ولندع ذلك بالاحتكام الى متطلبات اللغة واحتياجها، ولنطلق على هذا الاحتكام تسمية العامل اللغوي(القول بالمعاني التي تقتضي الحركات لاشعورياً)، والتخلي عن فكرة البحث عن عامل ظاهرٍ أو مقدرٍ.

ولو اخذنا مثلاً نماذجَ من مواضع(الحمل على الظاهر) التي قال بها الكوفيون، فاننا سنجد طابع التيسيرهوالسائد هناك، فقد قال الكوفيون: بالاعراب على(الصرف- االخروج- الخلاف) في الجملة العربية، الذي في حقيقته محاولة جادة على طرق التيسير النحوي[1]، اذ فيه ابتعاد عن اقحام الكلمات وتقدير المحذوفات التي لايحتملها او يتسع النص لها، ولا يحتاج المعنى اليها، زيادة على ماتؤول اليه من خلق ابواب وموضوعات في النحو العربي لاداعي من وجودها، ولا مسوغ لقبولها مثل: بابي التنازع والاشتغال، ومثل تقديرعامل النصب في المنادى، والمصدر الطلبي، والاغراء والتحذير، والاختصاص وسواها.

---

١) ينظر: الاعراب على الخلاف في الجملة العربية، بحث منشور في مجلة المورد عدد ١٣.

واذا سأل سائل، هل ان الكوفيين ابتعدوا عن التقدير، والقول بالزيادة والحذف تماماً؟ فاننا نقول: انهم لم يبتعدوا تماماً عن التقدير، بدليل اننا نجدهم انهم يقدرون في نوع من الاعراب، لكن الخطب في مشكلة الاعراب التقديري أيسر منه في مشكلة العامل لأن مايقتضي حركة أهون كثيراً مما يقتضي تقدير كلمة او جملة، فضلاً عن ان ميدان الاعراب التقديري خاص(رهين) بطائفة يسيرة من الكلمات، في حين تتسع مظلة العامل لتغطي عامة ابواب النحو العربي[1].

على ان ما دعوناه بـ(العامل اللغوي)في تفسير الظواهر الاعرابية، لم يكن بعيداً عن القدامى في الدرس النحوي، اذ تنبه الخليل الفراهيدي(١٧٥هـ) منذ المراحل المتقدمة على ذلك العامل، وقد سمّاه بـ(تمام المعنى)، لكن الذين جاءوا بعده من النحويين اهملوه لينساقوا وراء عواملهم النحوية التي تشط باللغة بعيداً عن سنتها ونظامها الخاص[2].

إنّ الذي ادركه الخليل بحسه اللغوي المرهف، وأهْمَلَه تلاميذه والذين جاءوا بعدهم، والذي آثرنا تسميته بـ(العامل اللغوي)[3] هوبعينه الذي ذهب اليه مؤسسو النحو الكوفي ومَن حذا حذوهم، فسمّوه الخلاف في مواضع، و الصرف في مواضع اخرى، ليفسّروا به حالات اعرابية متعددة أجهدت غيرهم دون ان يصل الى تفسير لها، بسبب سيطرة نظرية العامل واستحواذها على الفكر النحوي، بل طغيانها الى مايشبه اليقين المطلق عندهم. ويتجسد ذلك في كتاباتهم.

وحين عرض البحث للمواضع التي قال بها الكوفيون بالنصب على(الصرف- الخروج- الخلاف)، فلابد من توضيح سبب اختيار الفتحة عند هؤلاء علامةَ على الاسم المخالف لماقبله، او على الفعل المصروف عما

---

١) ينظر: دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها: ٣٦.

٢) ينظر: الكتاب: ٢٧٥/١، ٣٦٩.

٣) متابعة منا في تلك التسمية الى الدكتور المخزومي في كتابه مدرسة الكوفه: ٢٦٩ ومابعدها.

سبقه.وهذا يجعلنا أن نقول: لما كانت نتيجة البحث الاستقرائي للمعربات متمثلة في ان الضمة علم الاسناد، والكسرة علم الاضافة[1]، والفتحة هي أخف الحركات[2]، فهي بهذا اكثر شيوعاً من سواها. والفتحة ليست علامة اعرابية، لأن كل الذي يندرج تحت حكم المنصوب لايجمع بينه جامع، بخلاف المرفوعات والمجرورات التي لاتخرج عن دائرتي الاسناد والاضافة[3].وهناك من يرى ان اللغة العربية تستعين بالفتحة في كثير من الحالات التي تعاملها بالنصب، خروجا على حقها فيما لو وجدت حالات حركية غير الثلاث[4].

الشائعة المعروفه. ويقول هؤلاء: ان الفتحة لاتؤدي وظيفة معينة، فالاسم يفتح لأن الفتحة في دمج الكلام اخف من غيرها من الحركات، ولا تؤلف حالات النصب عادة الا(تجمعاً) يتضمن كل ما استعصى شرحه او تعليله، معتمدة على قوانين صوتيه خفية[5].

فقولنا متقدم الذكر بشأن الفتحة، يجعلنا الان ان نقول وبكل تأكيد ان مادعي بـ(العامل اللغوي)، الذي سماه بعض القدماء بـ(الصرف او الخلاف) يمكن عدّه تفسيراً ناجعاً لما اضطرب جمهور البصريين كثيراً في توجيهه من الحالات الاعرابية. وهناك من المحدثين من يقول: لو حصل اهتمام في(الاعراب على الصرف - الخلاف) بعد توسيع نطاقه ومجال عمله لكان الأخذ به وسيلة من وسائل التيسير المنشودة، واداة للتخلص من كثير من سجالات القدامى[6].

---

١) ينظر: احياء النحو: ٥٠.

٢) ينظر: اللامات للهروي: ٣٢، و: احياء النحو ٧٨.

٣) ينظر: الالسنية العربية: ٦٩/١.

٤) ينظر: م. ن: ٢٩/٢.

٥) ينظر: الالسنية العربية: ٢٠/٢.

٦) ينظر: مدرسة الكوفة: ٢٩٧.

وينبغي معرفة ان(الصرف- الخلاف) لايقتصرعلى باب الافعال المضارعة فقط كما يعتقد البعض، وانما نجده كذلك في الاسماء(المستثنى، الحال، المفعول معه، الظرف الذي يقع خبراً للمبتدأ[1]. وفي هذا الشأن يقول الرضي: ان الافعال المضارعة تنصب بعد(الواو)و(الفاء) و(او) عند الفراء على(الخلاف)، ويشرح رأيه فيقول: أي ان المعطوف بها صار مخالفاً للمعطوف عليه في المعنى، فخالفه في الاعراب كما انتصب الاسم الذي بعد الواو في المفعول معه كما خالف ماقبله، وانما حصل التخالف ههنا بينهما، لانه طرأ على(الفاء) معنى السببية، وعلى(الواو) معنى الجمعية، وعلى(او) معنى النهاية والاستثناء[2].

ويقول الفراء: الصرف ان يجتمع الفعلان بـ(الواو) او(الفاء) او(او) وفي اولهما جحد او استفهام، ثم ترى ذلك الجحد او الاستفهام يمتنعان ان يكررا في العطف، فذلك هو الصرف[3]. والصرف بشكل عام(في مؤداه الدلالي)هو اختلاف جهتي الفعل او الاسم باختلاف المعنى الذي يؤديه كل منهما، مما يترتب عليه الاختلاف في العلامة الاعرابية التي تلحقه. ومن مواضع النصب على الخلاف(الصرف)، التي ترددها المصنفات النحوية عامة ما يأتي:

١- الفعل المضارع المنصوب بعد(الواو): ذهب الكوفيون الى ان الفعل المضارع بعد(الواو) منصوب على الصرف(الخلاف)ومعناه عندهم: ان الفعل الثاني مخالف للاول، لأنه لايحسن فيه تكرير العامل(لا الناهية)، فلما كان الثاني مخالفا للاول ومصروفاً عنه، صارت مخالفته للاول وصرفه عنه ناصباً له، ويتضح ان هذا الرأي ينطلق من مفهوم وظيفي ودلالي لتفسيرتنوع الحركة الاعرابية تبعاً لتنوع الدلالة والوظيفة التي يؤديها الفعل في سياقات مختلفة. ويتضح هذا بشكل

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٤/١.

٢) ينظر: شرح المفصل لأبن يعيش: ٤٩/٢، و: شرح الرضي على الكافية: ٢٢٤/٢.

٣) ينظر: معاني القران للفراء: ٢٣٥/٣- ٢٣٧.

جلي في قوله تعالى {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} آل عمران١٤٢. وكذلك في قوله تعالى {إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ } الشورى٣٣- ٣٥. وكذلك في قوله تعالى{وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} البقرة٤٢،، وكذلك قوله تعالى {وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} البقرة١٨٨. وكثير من النصوص القرانية المشابهة للنصوص التي تقدم ذكرها، التي ذهب المفسرون في القرنين الرابع والخامس للهجرة الى نصب الافعال الواقعة بعد(الواو) فيها على الصرف(الخلاف) مثلما اقر ذلك الكوفيون.وهذا يبين مدى تأثر هؤلاء المفسرين بالنحو الكوفي في هذه المسألة.

٢-الفعل المضارع المنصوب بعد(الفاء) الواقعة[1]:

أ- في جواب الامر نحو قول الشاعر:

ياناق سيري عنقا فسيحا الى سليمان فنستريحا

ب- النهي، نحو قوله تعالى {وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي} طه٨١،

ج- النفي، نحو قوله تعالى {لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا} فاطر٣٦.

د- الدعاء، نحو قول الشاعر:

رب وفقني فلا أعدلَ عن سنن الساعين في خير سنن[2]

هـ - الاستفهام، نحو قوله تعالى {فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا} الأعراف٥٣.

---

١) ينظر: دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها: ٧٣ وما بعدها.

٢) ينظر: شرح ابن عقيل: ٤/١٠- ١١.

و ـ العرض، نحو قولهم: الا تنزل عندنا فتصيبَ خيرا[1].

ز ـ التمني، نحو قوله تعالى {يَا لَيتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً} النساء٧٣.

وفي جميع النصوص القرآنية متقدمة الذكر، والشواهد النحوية التي تم عرضها، يذهب الكوفيون الى ان الفعل المضارع المنصوب بعد الفاء، انما انتصب بالخلاف(الصرف) وحجتهم في ذلك: ان الجواب المنصوب مخالف لما قبله، فهو ليس طلباً في جملة الطلب، ولا منفيا في جملة النفي، وغير خاضع للنهي في سياق النهي، وكذلك في الاستفهام والعرض والتخصيص والتمني، فهو مخالف للجمل المتقدمة عليه، اذ لما لم يكن الجواب شيئاً من هذه الاشياء كان مخالفاً لما قبله، لاختلاف مؤداه عن مؤدى ماقبله، سواء كان ما قبله فعلاً اوغير فعل[2].

ومن الضروري الالتفات الى ان مفهوم المخالفة لايقتضي بالضرورة ان تكون العلامة هي الفتحة، بل احياناً ينبغي ان تكون العلامة المترتبة على الخلاف هي(الضمة)اذا كان الاول منصوباً بحكم الوضع الوظيفي والدلالي الذي يتحكم به، كما في قول الشاعر:

على الحكم المأتي يوما اذا قضى   قضيه ان لايجور ويقصدُ[3]

فبعد نصب الفعل الاول المنفي بعد(ان المصدرية المسبوقه بلا النافية)، كان الثاني الذي لم يخضع لمفهوم النفي مرفوعاً، لانه خالف في جهته الاول، واريد به الاثبات على معنى: بل يقصدُ.

---

١) ينظر: م.ن: ٣٥١/٢.

٢) ينظر: دراسات في نظرية النحو العربي: ٧٣- ٧٤.

٣) ينظر: شرح المفصل: ٣٨/٧.

ماتقدم ذكره يمثل مواضعاً لنصب الفعل المضارع على الصرف(الخلاف)، اما في باب الاسماء فيذهب الكوفيون الى القول: ان الظرف الواقع بعد المبتدأ، منصوب على الخلاف، ففي قولنا: الحقيبة وراءك، فان الظرف(وراء) منصوب على الخلاف، لأنهم يرون: أن خبرالمبتدأ في المعنى هو المبتدأ(بمعنى ان الخبر هو عين المبتدأ)كما في قولنا: الله ربنا، فحكمهما في الاعراب واحد، لكن قولنا(الحقيبة وراءك) او(العدو امامك) وما يشبهه في القول، لايكون الظرف فيها في المعنى هو المبتدأ، فلما كان مخالفا له نصب على الخلاف للتفرقة بينهما. وكذلك في المستثنى بـ(الا)، اذ عد الكوفيون المستثنى المنصوب بـ(الا) في جملة الاستثناء التام مستحقاً للنصب، لخروجه عن حكم ماقبله. وكذلك المفعول معه الذي ادرك الكوفيون النصب فيه، لعدم وجود مفرّ من ان يُحَرَّك بالنصب، أن الرفع علامة المسند اليه، وان الجر خاص بالاضافة. ففي قولنا: تطير الطائرة وغروب الشمس، فهذا لايقتضي نقل الطيران الى غروب الشمس، وعليه لا يكون الغروب متلبسا بالطيران، فيترتب على ذلك عدم تحقق الرفع فيه، كما بيّنا لأن الرفع علامة الاسناد(المسند اليه وهو الطائرة)، والجر خاص بالمضاف اليه، فلا مفرّ من تحريكه بالنصب. وهذا هو الذي ادركه الكوفيون فقالوا به تفسيراً لنصب المفعول معه(1).

وكذلك مع الحال، فهي عند الكوفيين منصوبة على الخلاف للنعت، اذ هي محكومة بمبدأ النصب على الخلاف للنعت. مع ان الحقيقة الماثلة فيها انها نعت لما قبلها، فهي ينبغي ان تكون تابعة له في اعرابها، لكن مخالفتها النعت في وجهين: (الوجه الوظيفي، والوجه البنيوي) جعلتها غير تابعة في الاعراب لما قبلها،

---

1) ينظر: الانصاف في مسائل الخلاف: مسألة ٣٠، و: دراسات في نظرية النحو العربي: ٥٨ – ٥٩.

فمخالفتها النعت في الوجهين المذكورين يجعلها ان تكون مخالفة للنعت[1]. فضلاً عن ان جمع الموضوعات وعدم تشتيتها من الكوفيين ينّم عن منهج اصلاحي عن طريق جمع الموضوعات مع بعضها من اجل التيسير، فدراستهم(اسماء الاشارة) من علاقتها بالاسماء الموصولة وبالنواسخ، وبالنداء، مجتمعة، لَدليل حرصهم على جمع الموضوعات مع بعضها في الدراسة، وهذا يمثل خطوة باتجاه التيسير النحوي.

على انني اكرر القول ان الحمل على الظاهر لا يمثّل قاعدة من دون شواذ، اذ احيانا قد يؤدى بالانسان للالحاد بصفات الله تعالى، ونسبة امور فيها النقص له، سبحانه عما يصفون. فمثلاً قصة اليهودي بين أبي بكر(رض) ورجل من اليهود يدعى فنحاص[2]، حين دعاه ابو بكر الى الايمان بقوله(اتق الله وامن واقرض الله قرضا حسنا)، فقال فنحاص: يا ابا بكر تزعم ان ربنا فقير يستقرض اموالنا، فانزل الله تعالى(لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ماقالوا). فهنا الاخذ بظاهر النص لمعنى الاقراض أوقع اليهودي بالكفر، نتيجة جهله وعدم استيعابه الناحية البلاغية وأخذه بحرفية العبارات.

إذن الأخذ بـ(الحمل على الظاهر) يتطلب الماماً تاماً بقواعد العربية وفنونها البلاغية حتى لاتكون شطحةً باتجاه الكفر.فقوله تعالى{وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ} الجاثية٣٤، فمن الطبيعي ان النسيان المضاف الى لفظ الجلالة(الله) تعالى في الآيات الكريمة المذكورة ليس على معناه الحقيقي، الذي هو(ضد الذكر والحفظ).

---

١) ينظر: مسألة ٢٠، المبحث الثاني من هذا الفصل.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٤ /١٢٩.

وقد أجمع اللغويون والمفسرون[1] على أن النسيان هنا بمعنى الترك والتخلي، فذهب ابن منظور الى قول ثعلب: بأن الله تعالى لاينسى وإنما معناه تركوا الله فتركهم، فلما كان النسيان ضربا من الترك وضعه موضعه، ولذلك قلنا: إن الحمل على الظاهر لايمثّل قاعدة دون شواذ.

ولذلك اني اخلص الى القول: ان ما جاء به الكوفيون من مواضع حملوا فيها النصوص على ظاهرها، ومتابعة مفسري القرني الرابع والخامس لهم في تلك المواضع، وامتدادها الى العصر الحديث، مرورا بابن مضاء القرطبي، هو بذرة متقدمة لفكرة التيسير النحوي التي ينادي بها المحدثون.وهم بهذا أصحاب دعوة الى تبني(نظرية نحو قرآني)، وما دعوة الدكتور أحمد مكي الأنصاري الى وجوب اعتماد القرآن مصدرا أساسا في كل تقعيد أوتقنين[2]، إلاّ استمرارا لتلك الدعوة.

ويترتب على القول المذكور: أن المنهجية الوصفية التي يعتمدها الدرس النحوي الحديث، هي القاعدة الرصينة التي أسسها الكوفيون وزرعوا بذرتها، واستمرت الى اليوم.

---

١) ينظر: جمهرة اللغة: ١/١٠٧، و: الصحاح في اللغة: ٢/ ٢٠٧، و: مجالس ثعلب: ١ /٢٨٦، و: جامع البيان(تفسير الطبري): ٣٣٩/١٤، و: تفسيرالنكت والعيون: ١٢٢/٢، و: التبيان في تفسير القرآن: ٢٤٧/٥، و: تفسير الوجيز: ١/ ٢٩١.

٢) ينظر: نظرية النحو القرآني: ١٠ومابعدها

الفصل الثاني
الزيادة والحذف في تفسيرالقرآن

المبحث الاول:
ألزيادة والحذف، المفهوم وموقف الكوفيين
(الكسائي-الفراء- ثعلب) منهما

المبحث الثاني:
مواضع الزيادة والحذف في تفسـيرالقرآن

المبحث الثالث:
أثر الزيادة والحذف في تفسير القرآن

المبحث الأول:
الزيادة والحذف في تفسيرالقرآن

قبل الولوج في محاولة تعرّف مفهومي الزيادة والحذف، ومعرفة موقف النحويين الكوفيين منهما، إذ يمثلان أبرزمظاهرالتأويل ينبغي ادراك كيفية دخول التأويل الى النحوالعربي؟

يمكن القول إن النحويين قد وضعوا اسس النظرية النحوية ونظرية العامل لتفسير الظواهر اللغوية تفسيرا منطقيا، بحيث يتم اخضاع الاساليب والتراكيب اللغوية لهذه الاصول والقواعد، ولكن جاءت في اللغة أساليب وتراكيب لم تقبل هذه الاصول والقواعد، وهنا كان اللجوء الى التأويل من أجل استقامة هذه الاصول، حتى لاتخرج عنها الاساليب والتراكيب.أي أن التأويل انما يلجأ اليه في حال مخالفة النص اللغوي للقاعدة النحوية التي وضعوها، فهو وليد حاجة فكرة الاتفاق بين النصوص الفصيحة والقواعد النحوية، وعليه أن فكرةالاتفاق هذه كانت نقطة الشروع الاولى للتأويل النحوي الذي ألِفَ ظاهرة نحوية عند النحويين والمفسرين.فالتأويل إذن: صرف الكلام عن ظاهره الى مايحتاج من تدبر وتقديرعن طريق القول بالزيادة او بالحذف او الاضمار وغيرها[١]. وهذا يعني أن النحويين لم يبحثوا التأويل بحثا مباشرا، لأنهم، أغلب الظن عدّوه أثراً لشيء آخر، ولذلك انصرف النحويون حتى الاصوليون عن الحديث عنه على أنه اصل نحوي يترك أثرا مهما في كثير من القضايا النحوية[٢].ولذلك يكاد يجمع المحدثون على أن التأويل عندهم هو ما مارسه النحويون من تخريجهم النصوص وتأويلها

---

١) ينظر: اصول النحو العربي: ١٦٦.

٢) ينظر: م.ن: ١٦٩.

حتى تتفق مع اصولهم، يقول الدكتوراحمد عبد الغفار[1]: ((التأويل هو حمل الظواهر اللغوية على غير الظاهر)).وهناك من يرى: أن التأويل في المصطلح النحوي يعني النظرفي النصوص والاساليب التي ورد ظاهرها مخالفا للاحكام والاقيسة التي استنبطها النحويون واعتمدوها، ومحاولة توجيهها وجهة تتفق والاحكام والاقيسة ولاتخالفها[2]، وهذا يجعلهم يعتمـــــدون مبادىء سليمة في قياس النظيرعلى النظير، والاستدلال بالحاضرعلى الغائب.

هذا ماذهب اليه البصريون، أما الكوفيون فيرون أن اللغة هي مانطقها المتكلم من غيرتقدير أو حذف، فينظرون الى التأويل خروج على روح اللغة التي ينبغي النظر اليها ككائن حي ينمو ويتطور، وعلى الرغم من نظرتهم هذه الى التأويل لكنهم ذهبوا اليه اضطرارا، أي انهم قالوا به عند شعورهم بعدم اكتمال المعنى وعدم رد الاسلوب الى نظمه إلاَعبرالتأويل أواحدى وسائله[3].

معنى الزيادة والحذف وموقف الكوفيين منهما

ينبغي الاشارة اولاً الى أن الشيء الذي لايمكن إنكاره في النحو الكوفي، هو حمله الآيات القرآنية على ظاهرها، ويعدّ هذا من أبرز خصائصه، اذ تم الحديث عنه مفصلاً في الفصل الاول من هذه الرسالة، على أن المسوغات التي أسست للنطق بمثل هذا الحكم تمثلت بما يأتي:

التوسع في الرواية، اذ توسع الكوفيون في الرواية فلم يضعوا حدوداً في الاخذ من العرب لا في الزمان ولا في المكان، فضلاً عن عدم ميلهم الى التقدير والتأويل جعلهم يقتربون جداً من حمل النص على ظاهره، زيادة على اكتفائهم بالشاهد الواحد ومن جميع القبائل العربية لوضع القاعدة النحوية، ولما تقدم من

---

١) ظاهرة التأويل وصلتها باللغة: ٥٦.

٢) ينظر: ظاهرة التأويل في الدرس النحوي، بحث في المنهج: ٨ ومابعده.

٣) ينظر: من قضايا اللغة والنحو: ٩٠-٩٢.

مسوغات كانت خصيصة(الحمل على الظاهر) متصدرة لخصائص النحو الكوفي.لكن هذا لايعني ان الكوفيين تحاشوا كل مظاهر ألتاويل، بدليل أخذهم بمظاهرالتاويل لكن بحدود ضيقة لايمكن ان تقاس مع ماعرف به البصريون في مجال التقدير والتاويل. ومن هذه التوطئة يمكن تحديد ما يأتي:

إن القول بالتأويل النحوي يشترك فيه جمهور النحويين(البصريون والكوفيون)، ولكن بتفاوت كبير. وحين تطلب البحث دراسة مسألة التاويل النحوي، وجدت ان أبرزمظهرين من مظاهر التاويل النحوي يتمثلان بـ(الزيادة) و(الحذف). ولا بد من سؤال عن سبب اختيار مسألة التأويل النحوي، فأقول: ان اهمية ايضاح الآراء التي انفرد بها الكوفيون، والنظرات التي مازتهم من البصريين في كثير من المواضع، كانت من اهم اسباب التاويل النحوي، على ان دعوى الزيادة والحذف لاتنفرد بها مدرسة بعينها، فمثلما تقرّ مدرسة البصرة النحوية بمظهري الزيادة والحذف في النحو وتجيزه، فالمدرسة الكوفية كذلك تأخذ بهما وتجري عليهما بما يناسبهما من النصوص، وذلك في كثيرمن اقوال الكسائي والفراء وثعلب[1]. ولكن وجدت ان الطبري(٣١٠ هـ)يختلف مع هؤلاء الاعلام في القول بالزيادة في النحو، بل ويذهب مع منكري الزيادة في القرآن الكريم. وهذا ماجعله يتكلف في تخريج الآيات القرآنية، فمن ذلك مثلاً في تاويل قوله تعالى {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} الأعراف١٢، قوله بعدم زيادة(لا)كما هومعروف عند النحويين، وذهابه الى تقديره محذوف لا مسوغ له إلّا لرفضه القول بزيادة(لا)، فهو يقول[2]: إنّ في الكلام محذوفاً قدكفى دليـــــل الظاهرمنه، والمعنى: مامنعك من السجود فاحوجك الا تسجد، فترك ذكر(احوجك) استغناء بمعرفة السامعين.

---

١) ينظر: معاني القرآن للكسائي: ٧٠، و: معاني القرآن للفراء: ٣٩٨/١.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٩/٨.

وقد اتفق مع الطبري في عدم زيادة(لا)من قوله تعالى{قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} ، إلاّ انني اختلف معه في التوجيه، إذ أرى: أنّ معنى الآية بوجود(لا)هو: أن المقصود بالخطاب فيها غيرممتثل أصلاً للسجود(أي ان نية عدم السجود راسخة في نفس ابليس بدلالة -لا -)، اما معناها بعدم وجود(لا)يعني: أن المقصود بها كان ممتثلا للسجود، إلاّ أن هناك عارضا منعه، ويلحظ الفرق المعنوي بين المعنيين.

لكن هذا لايمنع من قول الطبري بالزيادة، اذ سنتابع أقواله بمواضع الزيادة في القرآن من خلال المبحث الثاني من هذا الفصل، الذي سنعرض فيه مواضع الزيادة والحذف في تفاسيرالقرون الثالث والرابع والخامس للهجرة، نتيجة لتأثرهم بالنحو الكوفي.

وعلى الرغم من ان دعوى الزيادة النحوية مشتركة بين جمهورالنحويين، الا اننا نجد الاختلاف بين الكوفيين والبصريين في هذه المسألة متمثلاً في جزئياتها، بحيث لانجد كل مايحمله البصريون من مواضع على الزيادة النحوية، هو نفسه يحمله الكوفيون عليها كذلك، بل نجد الكوفيين يحملونه محملاً آخرغير الزيادة، اوبالعكس. وهذا ماسيتم توضيحه في المبحث القادم من منحه مساحة اوسع من الفصل.

مفهوم الزيادة في النحو:

لايقتصرمفهوم الزيادة في اللغة على الجانب النحوي فقط، بل يمتد من الجانب الصرفي وصولاً الى الدرس النحوي، وهو بذلك يشمل الصيغ والمفردات والتراكيب جميعاً. لكن الذي يعني موضوع البحث، هوالزيادة في النحو(حروف المعاني ـ المفردات) التي هي لون من الوان التخريج النحوي المعتمدعلى التأويل المتكلف أحياناً بتحميل النص بما لايحتمله من أجل اتفاق ذلك الظاهرمع المعنى

الذي يطلبه المفسر، او ليطّرد مع أصول العرب النحوية، وهذا هو حمل النص على غير ظاهره من أجل اتفاق ذلك الظاهر مع المعنى المنشود.

ونعني بمفهوم الزيادة في حروف المعاني ما ذكره الكنغراوي، حين أشار الى: أنها سميت كذلك، لانها قد تقع زائدة، لا لأنها لاتقع الا زائدة، بل وقوعها غير زائدة اكثر، وسميت ايضاً(حروف الصلة)، لأنها يتوصل بها الى زيادة الفصاحة أو الى اقامة وزن أوسجع اوغيرذلك[١].

ولقد ذكرمكي القيسي[٢] اتفاق النحويين على: ان ورود هذه الحروف في موضوع لو لم: تدخل فيه كان مستقيماً، ولكنها تفيد التوكيد، ولوقيل: كيف تكون زائدة وهي تفيد التقوية؟فالاجابة انها زائدة على اصول المعنى المراد. وقال ايضاً ان الكوفيين ذهبواالى ان: (من) تأتي زائدة في الكلام الموجب، وذهب الى هذا صاحب الانصاف، وكذلك صاحب المغني[٣]. وهناك من يذهب الى ان مصطلح الزيادة، او(الصلة او الحشو) يعني شيئين[٤]:

الاول: جواز حذف الحرف الزائد دون اختلال المعنى.

الثاني: ان تأثيره الاعرابي منعدم على وجه الخصوص.

وذكر ابن جني(٣٩٢هـ): أن زيادة الحروف كثيرة وان كانت على غير قياس[٥]. والزيادة من انواع الاطناب التي ذكرها علماء البلاغة، وذكروا لها امثلة كثيرة، ويكون الاطناب فيها بزيادة بعض الحروف لتحقيق غرض

---

١) ينظر: الموفي في النحو الكوفي: ١٦٥ وما بعدها.

٢) ينظر: مشكل اعراب القرآن: ٢٢/١.

٣) ينظر: مشكل اعراب القرآن: ٢٤١/١، و: الانصاف في مسائل الخلاف: مسألة ٥٤، و: مغني اللبيب: ٤٢٧/١.

٤) ينظر: معجم الجملة القرآنية، طالب الزوبعي: ٦- ٧.

٥) ينظر: الخصائص: ٢٨٤/٢.

بلاغي[1]. وتابع ابن يعيش ما قاله ابن جني، إذ ورد في شرح المفصل أنَ: ((الحروف الزائدة في كلام العرب فيها ثلاثة اقوال: احدها: للحرف الزائد فائدة معنوية تتمثل في تأكيد المعنى وتقويته، وفوائد لفظية تتمثل في تزيين اللفظ، وكونه بزيادة الحرف افصح. ولايجوز اخلاء حروف الزيادة من هاتين الفا ئدتين معاً، والا لَعُدّت عبثاً، وفي القرآن خاصة. وقد تجتمع الفائدتان في حرف واحد. الثاني: ان الحرف الزائد له فائدة معنوية فقط، تتمثل في تأكيد المعنى وتقويته(أي انه لم يدخل لغيرمعنى مطلقاً). والثالث: ان الحرف يزاد لغرض التاكيد اللفظي فقط، وهو قول ضعيف))[2]. واِليه ذهب ابن هشام في المغني.

ولقد جاء في الأشباه والنظائرأن هناك آراء بمعنى الزائد[3]، فمنهم من يذهب الى أن الزائد يعني: ((أن يكون دخوله كخروجه من غير إحداث معنى))، وبعضهم يقول((كون هذه الحروف زوائد أنك لو حذفتها لم يتغير الكلام عن معناه الاصلي، وإنما قلناعن معناه الاصلي لأن زيادة هذه الحروف تفيد معنى وهو التوكيد)).

ولقد ذهب علي ابو المكارم الى القول[4]: بان الزيادة تبدأ ـ بدورهاـ من الصورة الذهنية للنص، وليس من النص نفسه، وبعدها تجرده من خصائصه وتغفل مقوماته، ولهذا فانها قد فرضت هنا اغفال عَد بعض الصيغ الموجودة في الواقع والغاء مالها من تاثير...، وفيها يُدّعى حذف بعض العوامل حتى لايضطر النحوي الى تقدير معمولاته.

ومما تقدم يبدو أن الزيادة مفهوم مختلف على وقوعه في القرآن الكريم اولاً، ومختلف على مساحة وقوعه ثانيا. ومن هنا فلا بد من عرض لكل من النقطتين.

---

1) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣٠/٧، و: الاتقان في علوم القرآن: ١٩٣/٣.

2) شرح المفصل: ١٢٨/٨، و: مغني اللبيب: ٥٧٢/٢.

3) الاشباه والنظائر: ٢١١/١.

4) ينظر: اصول التفكير النحوي: ٣٠٦.

والحقيقة أنَّ النحويين والمفسرين اختلفوا في القول بالزيادة، وفي القول بمساحة وقوعها، فذهب فريق منهم الى القول بالزيادة والاقرار بها، على انها زيادة في الاعراب لا في المعنى، بسبب عدم وجود زائد في كلام العرب، وماجاء منه يُحمل على التوكيد، قال ابن السراج(٣١٦ هـ): ((اعلم ان الالغاء انما هو ان تأتي الكلمة لاموضع لها من الاعراب، ان كانت مما يعرب، وانها متى اسقطت من الكلام لم يختل الكلام، وانما ياتي ما يلغى من الكلام تاكيدا وتثبيتاً))[١].

والى ذلك المعنى ذهب ابن جني في اشارته الى الزيادة: انها مما جيء بها توكيد للكلام ولم يحدث معنى[٢]، وأشارالى أن[٣]: ايجاز القول واختصار الجملة من الوظائف التي تؤديها الزيادة في السياق، اذ انه يمكن اختصار المفردات من احلال حرف من الحروف التي تسمى بالزائدة ليدل على ماحذف في الجملة. وفي هذا القول تأكيد على وجود الزيادة، بل فيه اشارة الى بعض ماتؤديه الزيادة من وظائف.

وذكر ابن الخشاب(٥٦٧ هـ): فذهب الاكثرون الى جواز اطلاق الزائد في القرآن، لأن الزيادة بازاء الحذف، هذا للاختصار والتخفيف، وهذا للتوكيد والتوطئة[٤].

ان وجود عددٍ من النصوص القرآنية التي خالفت القواعد النحوية الموضوعة لحفظ القرآن من التحريف، وصونه من اللحن، ادى الى اضطرار النحويين للبحث عن وسيلة تسوّغ اتفاق تلك النصوص مع القواعد النحوية. ومن فكرة الاتفاق بين النصوص القرآنية والقواعد النحوية، نشأت البدايات الأولى للتأويل النحوي، الذي مثّل ظاهرة نحوية في تراث النحويين والمفسرين، أي ان العديد

---

١) الاصول في النحو: ٢٥٧/٢.

٢) ينظر: سر صناعة الاعراب: ١٥٠/١.

٣) ينظر: الخصائص: ٢٧٤/٢.

٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣٠٥/١.

من النحويين قد اضطربوا في توجيه عدد من النصوص القرآنية المخالفة لقواعدهم حتى اصبحت ميدانا يتبارون فيه بتقديراتهم البعيدة وتأويلاتهم المتكلفة، لا لشيءإلا للتوفيق بين النصوص وتلك القواعد. وهذا يعني ان عددا من النصوص القرآنية لايستقيم معناها الا بالتاويل، ولذاعدّ التأويل(الزيادة والحذف) معينا للنحويين في بناء الأحكام النحوية التي احتاجوا الى تأويل عدد من نصوصه.

ولقد ذهب الكوفيون الى القول بالزيادة، فقالوا بزيادة(الواو) في مواضع عديدة من القرآن الكريم، فأشارالكسائي الى زيادة(الواو) في قوله تعالى{وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} البقرة٥٣، عندما ذكر[1]: أن(الفرقان) نعت والواو زائدة، يعني الكتاب الفرقان.

وهذا ماذهب اليه الفراء عندما جعل(ضياء) صفة لـ(الفرقان)على زيادة الواو في قوله تعالى{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْراً لِّلْمُتَّقِينَ} الأنبياء٤٨، وحملها على قوله تعالى{وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ} الصافات٧، اذ قال الفراء: هو من صفة(الفرقان) ومعناه ـ والله اعلم ـ آتينا موسى وهارون الفرقان ضياءً وذكراً فدخلت الواو، كما في قوله {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ} الصافات٦، ٧ جعلنا ذلك، وكذلك(وضياءً وذكراً) آتينا ذلك[2]، وهنا يرى الباحث عدم زيادة(الواو)، لأنه ينبغي ملاحظة أن(الفرقان)جاء لـ(موسى وهارون)، في حين أن الكتاب لم يأتِ الى موسى كما في الآية الأخرى، ومن هنا فلازيادة في الواو، ثم ينبغي أيضا ملاحظة أن الكتاب والفرقان متصلان بحرف العطف(الواو)ومنفصلان به أيضا،

---

١) ينظر: معاني القرآن للكسائي: ٧٠.

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٢١٥.

وكذلك موسى وهارون متصلان برسالتهما تماما {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً} الفرقان٣٥.

وذهب الفراء الى زيادة الواو قبل(لو)، كما في قوله تعالى{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ} آل عمران٩١ اذاشار الى أن[١]: الواو زائدة(مقحمة). وهذا يعني ان جواز زيادة الواوعند الكوفيين مشروط، فكما تقدم جاءت(الواو) بين الصفة والموصوف، وجاءت قبل(لو)، وان تاتي قبل الحال، او تقع في جواب(حتى اذا ـ لما)، وعند ذلك تعد زائدة[٢].

وذهب الفراء الى وجود الزيادة في قوله تعالى {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} الأعراف١٢، اذ ذكر[٣]: ان المعنى- والله أعلم - ما منعك ان تسجد، و(ان) في هذا الموضع تصحبها(لا) وتكون(لا)صلة، كذلك تفعل بما كان في اوله جحد.وفي هذا القول(مامنعك)تكون(ما) في موضع رفع، ولو وضع لمثلها من الكلام جواب مصحح كان رفعاً، وقلت: منعني منك انك بخيل، وهومما ذكرجوابه على غير بناء اوله، فقال: (انا خيرمنه) ولم يقل: منعني من السجود اني خيرمنه.وذكرأنهم ربما أعادوا على خبره الجحد للاستيثاق من الجحد والتوكيد له، كقول الشاعر:

مَـا إنْ رَأَيْنَـا مِـثْلَهنَّ لِمَعْشَـرٍ سُـودِ الـرُؤُوسِ، فَـوَالِجٌ وَفُيُـولُ[٤]

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٦٦/١.

٢) ينظر: م. ن: ٢٢٦/٢.

٣) ينظر: م.ن: ٣٧٤/١، ٣٣٨.

٤) البيت لم يعرف قائله، وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن: ١٧٦/١، ٣٧٤.

وقال بزيادة(الباء) في قوله تعالى {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ} آل عمران١٥٩عندما ذكر[١]أن العرب تجعل(ما)صلة في المعرفة والنكرة واحداً.

قال الزركشي: وقد اختلف في وقوع الزائد في القرآن، فمنهم من أنكره.....، ومنهم من جوزه، فمن انكر الزيادة في القرآن، أنكرها متمسكاً بالنص القرآني، وتحرجاً في نسبة الزيادة الى القرآن الكريم، لانه يرى ان هذه الاحرف الزوائد تقع لغير معنى وهذا يكون كالعبث، وكلام الله سبحانه وتعالى منزّه عن مثل ذلك[٢].

وكان ثعلب متابعا الفراء في اقرارالزيادة، عندما ذكر في قوله تعالى{مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء} الفرقان١٨ أن: (من) تدخل في الجحد على النكرة في الابتداء، ولا تدخل في المعارف، وكأنه قال: ان نتخذ من دونك اولياء، دخولها وخروجها واحد[٣].اذن ماذا يعني ثعلب بقوله: دخولها وخروجها واحد غيرالزيادة؟ وكذلك قال ثعلب في وجود الزيادة في بيت النابغة:

وقفتُ فيها أُصَيلاناً أُسائلها عيَّتْ جواباً وما بالرَّبع من أحدِ[٤]

فذكر أن: ادخال(من) واخراجها واحدا، وأكّد وجود الزيادة في القرآن الكريم وفي كلام العرب.

وفي هذا الشأن يذكر ابن يعيش[٥]: قولنا زائد ليس المراد انه دخل لغير معنى البتّة، بل يزيد لضرب من التاكيد، والتاكيد معنى صحيح، وحدَّد ابن يعيش مواضع الزيادة بقوله: ((وفي الجملة: الالغاءعلى ثلاثة أوجه: الغاء في المعنى

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٨/٢، ٤٤٠.

٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣ / ٧٢ ـ ٧٣.

٣) ينظر: مجالس ثعلب: ١٠١/١.

٤) البيت للنابغة الذبياني، ينظر: الديوان: ٣٦٥، و: ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٨٨/١.

٥) ينظر: شرح المفصل: ١٢٨/٨، و: ٨/ ١٣٧.

فقط، والغاء في الاعمال فقط، والغاء فيهما جميعاً، فالالغاء في المعنى نحو حروف الجر، كقولك: ما زيد بقائم، و...، اما الالغاء في العمل فكما في قولنا: زيد منطلق ظننت، و...، واما الالغاء في المعنى واللفظ، فنحو: ما و لا و ان)).

وذكر الرضي(٦٨٦ هـ): قيل فائدة الحرف الزائد في كلام العرب: اما معنوية، واما لفظية[1] فالمعنوية تاكيد المعنى، فـ(من) الاستغراقية فائدتها انها نص على الاستغراق والشمول، وهو من دونها محتمل احتمالاً راجحاً، و(الباء) في خبر(ما ـ ليس) الفائدة في زيادتها في الخبر المنفي(التاكيد)، فان قيل: فيجب ان لاتكون زائدة اذا افادت فائدة معنوية، قيل: انها سميت زائدة، لأنه لايتغير بها اصل المعنى، بل لايزيد بسببها الا تاكيد المعنى الثابت وتقويته، فكأنها لم تفد شيئاً، لما لم تغاير فائدتها العارضة ـ الفائدة الحاصلة قبلها ـ واما الفائدة اللفظية، فهي تزيين اللفظ، ولا يجوزخلوّها من الفوائد اللفظية والمعنوية معاً، والا عُدّت عبثاً، وهذا غير جائز في الكلام الفصيح، ولاسيما في كلام الله تعالى ورسوله وائمته. وأشارالرضي الى: ان(كان) تزادغير مفيدة لشيء، إلا محض التاكيد، وهذا معنى زيادة الكلمة في كلام العرب، كقوله تعالى{فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً} مريم٢٩، انها زائدة، غيرمفيدة للماضي، وان لم يكن هذا، فاين المعجزة؟ و(صبيا)على هذا حال، لانها لوعملت الفائدة للمضي، أي لاتكون زائدة، فالمعجزة تضيع، لأن المعنى سيكون: انه كلمهم بعد انقضاء فترة الطفوله[2]، لكن يرى الباحث ان(كان) هنا تشيرالى المألوف في الصبي فكأنه أمرمسلّم به، فهو واقع منذ القديم ولازال، أي انها لم تكن زائدة، وانما أدّت غرض التوكيد وتثبيت الحالة المذكورة.

---

١) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٤/٤٣٢ ـ ٤٣.

٢) ينظر: م. ن: ٤ ـ ٥ / ١٩٠ وما بعدها.

وهناك من ذهب الى ان اغلب حروف المعاني تاتي زائدة، وحينها تفيد تقوية المعنى المراد توكيده، لان زيادة الحرف بمنزلة اعادة الجملة[1]، اذ غالباً مايلجأ الى حرف الجر الزائدة(الباء ـ من ـ اللام ....) حين السعي الى توكيد النفي وتقويته. ودخول(من) في الجملة المنفية تفيد توكيد النفي ايضاً، فهي تؤكد جزء متعلق بالمسند(الفعل)سواء كان الاسم المجرور فاعلاً لهذا الاسم الوارد في قوله تعالى {وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا} الأنعام٥٩، ام مفعولاً به لهذا الاسم الموظف في الآية الكريمة(مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ).

ولقد ذهب العلوي(٧٤٩ هـ)صاحب الطرازالى ماذهب اليه الرضي في هذا الشأن، فقال[2] في اثناء حديثه عن التوكيد في القرآن الكريم: ((ظن بعض من ضاقت حوصلته وضعفت بصيرته عن ادراك الحقائق والتطلع الى مآخذ الدقائق، انه خال من النافذة وانه لامعنى تحته الا مجرد التكريرلاغير، وهذا خطأ وزلل، فان كتاب الله تعالى لم يبلغ حد الاعجاز في البلاغة والفصاحه سواه بين سائر الكلمات، ولو كان فيه ما هو خال عن الفائدة بالتكرير لم يكن بالغاً هذه الدرجة ولا كان مختصاً بهذه المزية...)).

وهذا يجعلنا متيقنين من القول: ان التوكيد يجب ان يكون وراءه مقصد دلالي، وان للزيادة في الجمل وظائف ودلالات، يظهرها السياق ويدلّ عليها، وبخاصة النصّ القرآني، اذ اِن القرآن الكريم نص كامل منزّه عن وجود زيادة لغير معنى في الفاظه أوحروفه. وعلى الرغم من ان عدد غير قليل رأى ان زيادة الحرف في القرآن الكريم لاتقلل من علو مقامه ومكانته، لأنه كلام عربي، وفي كلام العرب كثير من زيادة الحرف. وقد ذكر الفراء[3]في تفسير قوله تعالى:

---

١) ينظر: التراكيب اللغوية في العربية: ١٤٣ ـ ١٤٤.

٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ١٧٧/٢.

٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٥٦/٢.

{مِن جبَالٍ فيهَا مِن بَرَدٍ} النور٤٣: المعنى ـ والله اعلم ـ ان الجبال في السماء من برد خلقة مخلوقة، كما نقول في الكلام: الادمي من لحم ودم، فـ(من)ها هنا تسقط فنقول: الآدمي لحم ودم، والجبال برد، وكذا سمعت تفسيره. وقد يكون في العربية امثال الجبال ومقاديرها من البرد، كما تقول: عندي بيتان تبنا، والبيتان ليسا من التبن، انما تريد عندي قدر بيتين من التبن، فـ(من) في هذا الموضع اذا سقطت نصبت مابعدها، كما قال تعالى {أو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً} المائدة٩٥، وكقوله تعالى {مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً} آل عمران٩١.

ويبدو ان هذه التعريفات غيرمقنعة، لأن اللغة العربية كما هو معروف تميل الى الإيجاز والاختصار، اذ لكل حرف معنى ووظيفة عند استعماله في سياق الكلام، زيادة على ذكر الكنغراوي لأكثرية وقوعها غيرزائدة، ويتوصل بها الى زيادة الفصاحة.في حين هناك من يقول: إنها تحذف ولا يختل المعنى، وان تأثيرها الإعرابي منعدم. ولكن اذا ما ادركنا علاقة الإعراب بالمعنى من حيث ارتباطهما وثيقاً، سيكون هذا القول مرتبكاً وغير دقيق.

وذكر القيسي[1]: زيادة(الباء)ومجيئها لتوكيد النفي في قوله تعالى{وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ} البقرة٨، ويؤكد قوله بوقوع السياق في بيان المعنى. وذهب الكسائي والفراء الى جواززيادة(من) في الايجاب[2].

ويبدو أن القول بالزيادة في النحو لم يأت من فراغ، بل جاء من اصطدام القواعد النحوية فيما بينها، وعليه يمكن القول: ان نظرية العامل، وفاعلية الإعراب، تركا أثراً مهماً في انجرار النحويين الى القول بالزيادة في النحو، فمثلاً: (ليس) ترفع الاول وتنصب الثاني، فلو اقترن خبرها بـ(الباء) فيكون الخبر

---

١) ينظر: مشكل اعراب القرآن: ١/ ٢٢.

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٢٥٦-٢٥٧، و: شرح الرضي على الكافية: ٤/ ٢١٨، و: الجنى الداني: ٣١٨.

مجروراً لفظاً منصوباً محلاً، إذ إن(ليس) تنصب الخبر، والباء تجره، معنى هذا ان عاملين اجتمعا على المعمول(الخبر)، وهذا مخالف لأصول القاعدة النحوية، وهنا لابد من القول بزيادة احدهما(حرف الجر) او(ليس)، ولما لم يكن معقولاً زيادة ليس، لعدم استقامة الكلام من دونها، فمن البداهة سيكون القول بزيادة الباء[1]. اذ الزيادة او الالغاء يؤتى بها، اويلغى من الكلام ما فيه زيادة للتاكيد والتثبت، ومن نماذج الزيادة او الالغاء في الاسم، مايسمى بضميرالفصل عند بعضهم[2]. ومن الفعل زيادة كان، ومن الحرف زيادة ما او التاء او...[3]. وتأتي(كان) زائدة بين الجار والمجرور، وزيادتها عند الرضي من وجهين: احدهما: زيادة حقيقية تفيد التوكيد، وجودها في الكلام وعدمها سواء لاتعمل ولا تدل على معنى، واستشهد بقول الشاعر:

سَـراةُ بَنِـي أبـي بَكْـرٍ تَسَـامَى ... عَلَـى كَـانَ المُسَـوَّمَةِ الجِيَـادِ[4]

والثاني: زيادة مجازية تدل على معنى، ولاتعمل، وقد اختاره ابن يعيش[5]، ويؤيده قوله تعالى {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً} مريم ٢٩.

وهناك من أنكر وقوع الزائد في القرآن الكريم، وذهب بما يحمل على الزيادة الى تاويلات بعيدة متكلفة. فهذا ابن النديم يذكر[6]: ان لابن درستويه(٣٤٥ هـ)

---

١) ينظر: خطى متعثرةعلى طريق تجديد النحوالعربي: ٥٠ـ ٥١.

٢) اذ يسمى عند الكوفين(عماداً) ولايكون زائداً، بل يدخل الكلام لاتمام معنى(لمعنى صحيح). صحيح).

٣) ينظر: معجم مصطلحات النحو والصرف: ١٤٨، و: اصول النحو عند البغدادي: ٤٠ـ٤١.

٤) البيت مع شهرته وتداوله لايعرف قائله، من شواهد شرح الكافية: ١٩٠/٤.

٥) ينظر: شرح المفصل: ٩٨ – ١٠٠.

٦) ينظر: الفهرست: ٦٩.

كتاباً في منع القول بالزيادة بعنوان(كتاب الرد على من قال بالزوائد وقال يكون في الكلام حرف زائد).

ومن قال بانكار الزيادة استند الى الاعتقاد بانها تقترن بالزيادة المعنوية لااللفظية. وفي هذا الشأن قال ابن مضاء القرطبي[1]:) (ومن بنى الزيادة في القرآن بلفظ ومعنى على ظن باطل قد تبين بطلانه فقد قال في القرآن بغير علم وتوجه الوعيد اليه، ومما تدل على انه حرام الاجماع على انه لايزاد في القرآن لفظ غير المجمع على اثباته. وزيادة المعنى كزيادة اللفظ، بل هي أحرى، كأن المعاني هي المقصودة والالفاظ دلالات عليها ومن اجلها)). أي ان: القصد الى المعاني، وما الالفاظ الا دلالات عليها.

وحتى الذي لايميل الى القول بالزيادة في القرآن، نجده احياناً يقول بها عندما لايجد مفراً من ذلك، فعند اصطدام النص بالقاعدة، يلجأ الى القول بالزيادة لغرض حمل النص عليها، وهو مايدعوه بـ(الضرورة). على ان الزيادة التي تعد عنصراً فاعلا في عملية التأويل هي الزيادة الملموسة من خلالزيادة كلمات الى الجملة، وقد تكون فضلات او قيودا، وقد تكون عوامل ناسخة لتحقيق زيادة في المعنى، وأساس ذلك كله هو: زيادة ألمبنى ترافقها زيادة في المعنى[2].

مفهوم الحذف في النحو:

الحذف لغة: حذف ذنب فرسه، اذا قطع طرفه، وحذف راسه بالسيف: ضربه فقطع منه قطعة، والحذف: حذف الشيء يحذفه حذفاً، قطعه من طرفه،

---

١) الرد على النحاة: ٨٢.

٢) ينظر: التحويل في النحو العربي: ١٤٩.

والحذف: حذفت الشعر اذا حذفت منه[1]. ويتحدث الفراءعن الحذف في مواضع كثيرة، فتارة يسميه اسقاطاً، واخرى يسميه اضماراً، وثالثة يسميه تركاً، ورابعة يسميه طرحاً[2]. والحذف عنده ياتي للايجاز والاختصار، او للعلم بالمعنى، او لكراهة ذكر مايفهمه السامع.

اما اصطلاحاً، فالحذف يراد به في النحو اسقاط كلمة في بناء الجملة، وقد تكون هذه الكلمة ركن من اركان الجملة كالمبتدأ والخبر والفعل والفاعل، وقد تكون حرفاً، وقد تحذف الجملة، كجملة جواب الشرط او جملة جواب القسم عند اجتماع شرط وقسم[3].

وفي هذا يقول ابن جني[4]: ((قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك الا عن دليل عليه، والا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته)).

والعرب تستحسن الحذف في بعض المواضع لاقتضاء الكلام المحذوف ودلالته عليه[5]، اذ تميل العرب الى الايجاز وتبتعد عن الاكثار، وتكتفي بالقليل عن الكثير كالواحد من الجماعة، وكالتلويح من التصريح[6]. وبسبب ميل العربية الى الايجاز يظهرعليها الحذف أكثر وضوحاً[7]. والشيخ عبد القاهر الجرجاني

---

١) ينظر: لسان العرب: ٣٩/٩ مادة(حذف)، و: تهذيب اللغة: ١٥٣/٣مادة(قصر)، و: اساس البلاغة: مادة(حذف).

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/١، ٩٧، ٢٢٩، ٣٤٥، و: ٤٢/٢، ٦٢، ٦٣، و: ١٩/٣، ٢٤٧.

٣) ينظر: الكتاب: ١٨٨/١، و: شرح المفصل: ١٥٧/٢، و: الحذف والتقدير في الدراسة النحوية، د/ الحريزي: ٥-٧.

٤) الخصائص: ٣٦٠/٢.

٥) ينظر: مغني اللبيب: ٦٠٣/٢.

٦) ينظر: الخصائص: ٨٣/١-٨٦.

٧) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ٩-١٠.

يشبّه الحذف بالسحر، لتاثيره في النفوس، ولان الذكر فيه لايكون فصيحاً كما في الحذف[1]. وهناك من يذهب من العرب الموثوق بعربيتهم حين سؤاله: كيف اصبحت، فيقول: حمداً لله وثناءًعليه، كأنه قال: أمري وشأني حمدا لله وثناء عليه[2] فالحذف: هوالتعبيرعن المعاني الكثيرة في عبارة قليلة بحذف شيء من التركيب مع عدم الاخلال بتلك المعاني[3].

ويذكر الدكتورأبوالمكارم ان معنى الحذف: اسقاط لصيغ داخل النص التركيبي من بعض المواقف اللغوية، وهذه الصيغ يفترض وجودها نحوياً لسلامة التركيب، وتطبيق القواعد، وهي موجودة اويمكن ان توجد في مواقف مختلفة، فضلاًعن ان الصيغ المحذوفة لها أثرفي التركيب[4].

فالحذف: هو اسقاط جزء من الكلام لدليل، أي هو اسقاط حرف او كلمة اوجملة او جمل من الكلام لوجود دليل عليه، ويكون فيه تعويض للمحذوف أو من دون تعويض، وهو أقسام خمسة: حذف حركة، وحذف حرف، وحذف كلمة، وحذف جملة، وحذف جمل. وهو اما ان يكون جوازياً، او وجوبياً، وهذا مايحدده السياق.والحذف يشمل الحروف والاسماء والافعال شريطة بقاء القرائن الحاصلة من السياق للدلالة على هذا الحذف[5].

وذهب السيوطي(٩١١ هـ) الى أن الحذف: ظاهرة من الظواهر التي قام الاختصاربالجزء الاكبرمن وجودها، فتارة بحرف الكلمة، نحو: لم يك، وتارة للكلمة بأسرها، وتارة للجملة كلها، وتارة لاكثر من ذلك. ولذلك نجد الحذف

---

١) ينظر: دلائل الاعجاز: ١٤٦.

٢) ينظر: شرح المفصل: ١١٤/١.

٣) ينظر: الايضاح للقزويني: ١٤٥، و: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح: ٣٩٧.

٤) ينظر: الحذف والتقدير في النحو العربي، د.علي ابو المكارم: ١٩٩ ـ ٢٠٠.

٥) ينظر: الحذف والتقدير في الدراسة النحوية، د. عائد الحريزي: ٥ ومابعدها.

كثيرا عند الاستطالة، كحذف عائد الموصول: فانه كثير عند طول الصلة، قليل عند عدم الاستطالة[1].

والحذف النحوي ينبع من محاولة النحويين تعليل الاختلاف بين الظواهراللغوية والقواعد النحوية. وهو بهذا نوع من التاويل للواقع اللغوي لينسجم مع القاعدة النحوية، والمساحة التي يعمل فيها التاويل تنحصر فيما: اذا كانت السكة على شيء، ثم جاء شيء يخالف السكة فيتأول[2]، والمراد بالسكة قواعد النحو التي ينبغي ان يؤول ما خرج منها.

وعن طريق الحذف يتم افتراض ابعاد غيرموجودة في النص بهدف التوظيف بين الشروط التي تلتزمها القواعد النحوية، وبين النصوص التي تتجافى عن تلك الشروط. والقول بالحذف يسوغ التجافي عن طريق تقدير محذوفات بالنصوص، تنطبق وما تتطلبه القواعد من شروط، وهذا ماقصدنا بتأويل ما يخالف السكة ليتسق معها.

فالتأويل اذاًهو[3] محاولة ارجاع النصوص التي لم تتوافر فيها شروط الصحة نحوياً الى موقف تتسم فيه بالسلامة النحوية، او لنقل هوجعل الظواهراللغوية المخالفة للقواعد ان تصب في قوالب هذه القواعد، وأن مساحة عمل التاويل هي: الحذف والزيادة، والتقديم والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف وغيرها.

مما تقدم يتضح ان الحذف هو احد اساليب التأويل النحوي، وواحد من طرائقه التي سلكها النحاة لتسويغ الاختلاف بين الواقع اللغوي والقواعد النحوية، سعيا لصحة القواعد وسلامة النصوص. وعليه ان ماذهب النحاة اليه

---

١) ينظر: الاشباه والنظائر: ١/٣٤ ـ ٣٥.

٢) ينظر: الاقتراح: ٣٤.

٣) ينظر: الخصائص: ٢/٣٦٠.

من تاويل ينتهي الى ان مسعاهم هو تصحيح قواعدهم التي ذكروها عن طريق تسويغ ما يختلف مع هذه القواعد من نصوص تقبل التبرير وترفض ما سواها[1]. اذن يتلخص موقف النحويين بإزاء اللغة ونصوصها فيما ياتي:

١- قبول مايتفق مع القواعد من نصوص.

٢- قبول ما يمكن تسويغه باتجاه القواعد النحوية في النصوص، ويتم ذلك عن طريق احد اساليب التاويل التي منها الحذف والتقدير.

٣- رفض مايختلف جذرياً من النصوص مع القواعد النحوية، أي النصوص التي لايمكن تاويلها.

والحذف على قسمين: حذف المفردات، وحذف الجمل. ففي قوله تعالى {اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ} النمل٢٨- ٢٩، نجد حذف عدة جمل، اذ ان التقدير: فلما ذهب الهدهد القى اليها الكتاب، ولما تسلمته وقرأته، قالت: اذهب بكتابي هذا[2]، ومن ذلك الحذف ما ورد في قوله تعالى {قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} النمل٤٠، فالتقدير: فذهب الذي عنده علم من الكتاب الى بلقيس وأتى بعرشها.

والحذف جوازي ووجوبي، فالجوازي يتضح عندما لايكون مانعاً من اظهاره لدى متحدث اخر، ويكون هذا عند بعض العرب في حذف المسند(الفعل والخبر)، والمسند اليه، والتكملات اكتفاء بالقرينة. وذكر البعض الاخر من العرب المسند، والمسند اليه، والتكملات لعدم الاكتفاء بالقرينة. وهذا ماجعل

---

١) ينظر: الحذف والتقدير في النحو العربي: ٢٠٠ وما بعدها.

٢) ينظر: الحذف والتقدير في الدراسة النحوية: ٦- ٩.

النحاة ان يقولوا بجواز الحذف وجواز الذكر. اما الحذف الوجوبي فهو: الذي يمتنع فيه اظهار المحذوف، لأنه غيرمطلوب، وسوّغوه بوجود القرينة الدالة على المحذوف، على ان الكلام الموجود مفهوم دون الحاجة الى جزء آخر.

وفيما تقدم من الكلام دليل على اعتماد النحويين في تحديد الحذف الوجوبي على السياق، اذ انهم لو اضافوا المحذوف الى الكلام لأرتبك المعنى، وقد خرج الى معنى اخر غير المعنى المطلوب، ولذلك قالوا بحذفه وجوباً(1).

ولقد ذكرالرماني(٣٨٤هـ): أن المحذوف الذي لايجوز اظهاره هو الذي يكثر حتى يصير بمنزلة المذكورفي فهم المعنى، نحو: اياك في التحذير(2). وللحذف اسباب كثيرة يتطلبها المقام(3) أي: ان السياق هو الفيصل في تحديد مواضع الحذف. ولقد قالت العرب قديماً: البلاغة الايجاز، وهذا القول يؤكد استعمال العرب للايجاز، والحذف احد موارد الايجاز، وعليه فان الحذف يمثل في لغة العرب ظاهرة من ظواهرجمال التعبير. وحين نزل القرآن الكريم، كان النص القرآني يمثل ذروة تكامل النص العربي، وكانت فيه صيغ جرى الحذف فيها، فتناول الحرف دالاً صوتياً مفرداً، وتناول الاسناد والعلاقات الاخرى في الجملة، فضلاً عن تناوله الادوات التي تقوم بمهمة الربط بين مكونات الجملة بشكل خاص، او التركيب بوجه عام(4).

وهذا القول لم يأت من فراغ، بل جاء مستنداً الى أقوال علماء اللغة في الكشف عن هذه الظاهرة، اذ يرى الجاحظ(٢٥٥ هـ) أن توجه التعبير القرآني الى بسط الكلام حين يكون الكلام موجهاً الى بني اسرائيل، وميله الى الايجاز واتباع

---

١) ينظر: الحذف والتقدير في الدراسة النحوية: ١٠.

٢) ينظر: الحدود، للرماني: ١١ - ١٢.

٣) ينظر: الحذف والتقدير في الدراسة النحوية: ١٢- ١٣.

٤) ينظر: النسق القرآني: ٤١٥.

اسلوب الحذف حين يوجه الخطاب الى العرب(1). لأن توجيه الخطاب الى العرب يقع على سنن كلامهم من الحذف والقصد الى الحجة، والاكتفاء بالاشارة الموحى بها والكلمات المتوسمة ؛ أي: تحمل معاني يراد بها اخرى، إذْ نجد العرب تستعمل الحذف للايجاز والاختصار والاكتفاء بيسير القول اذا عرف المخاطب بالمراد منه، وهذا كثير في كلام العرب(2).

اما اذا توجه الخطاب الى بني اسرائيل فكان يحتاج الى الاطناب والتوسع في تصوير المعاني وتكوينها بالفاظ تساعد على فهم المراد منها، ذلك لانعدام السليقة عندهم، فهم ليسوا كالعرب، وليسوا في حكم العرب من البيان، فلهذا ونحوه كان لابد في خطابهم من التكرار والشرح بخلاف العرب(3).

مما تقدم يتضح ان ظاهرة الحذف والايجاز تمثل اسلوباً مألوفاً عند العرب ومميزا لهم ؛ ونجد من ذهب الى ذلك، حين عدّ الحذف والايجاز ظاهرة جمالية تكشف عن طبيعة اللغة وقوانين وصيغ تعبيرها، وانتهى الامر بعد تتبع استعمال هذه الظاهرة ورصد انواعها الى ربطها بنظريته في النظم(4).ويرى ابن جني أن سياقات الحذف بأطر ثابتة تتضمن شرطين(5):

الاول: وجود مايدل على المحذوف من قرائن، ولا حذف دون دليل، على ان من شروط المحذوف بلاغياً هو أفضليته في حذفه.

الثاني: السياق الذي يترجح فيه الحذف على الذكر.

ويتضح ان الحذف عملية عدول عن البنية العميقة في الجملة ـ الاصل المقدر ـ الى التعبير الجديد المتمثل في البنية السطحية للتركيب في هذه الجملة، فهو أحد

---

١) ينظر: الحيوان، للجاحظ: ٩٤/١.

٢) ينظر: نقد النثر، قدامة بن جعفر: ٦٩.

٣) ينظر: اعجاز القرآن للرافعي: ١٩٥.

٤) ينظر: البلاغة والاسلوبية: ٣١٣.

٥) ينظر: الخصائص: ٣٦٠/٢.

أساليب أو طرق التحويل التي تطرأ على الجملة الاصل لتصبح جملة تحويلية بالحذف بما يتفق مع اصول النحو العربي القديم وان اختلفت المصطلحات، ولو ظهر المحذوف في البنية السطحية لكان التعبيرغير نحوي، ومن ثم فلا بد من الحذف(1).

ولذلك يمكن القول: إن العربية لغة الحذف، لاننا نجد طبقات الكلام في اللسان العربي قد تفاوتت بحسب تفاوت الدلالة على تلك الكيفيات، فكان الكلام العربي لذلك أوجز، وأقل ألفاظًا وعبارة عن جميع الالسن(2).

إنَّ الشيء الذي ينبغي الالتفات اليه عند القول بالحذف هو: أن التغييرالحاصل في بنية النص من خلال الحذف يجب أن يسهم في نماء المعنى وإثراء الدلالة، اذ لاجدوى من حذف مجرد من الفائدة الدلالية. وهناك من المحدثين من يرى أن الحذف: ظاهرة نصية لها دورها في انسجام النص والتحام عناصره، على انها ليست الظاهرة الوحيدة التي تؤدي الى هذا الأثر، اذ هناك الاحالة والتكرار، والاستبدال، والوصل وغيرها. فهذه كلها ظواهر نصية تؤدي آثاراً مهمة في انسجام النص والتحام عناصره(3). على ان يترتب في الحذف معنى لايوجد في ذكر المحذوف، وإلّا ما فائدة ظاهرة الحذف.

ولذلك يمكن القول: في ان المحذوف من الكلام لو بقي فانه يمثّل خللاً على مستوى النص، اذ سيكون حشواً أو زيادة لاطائل من ورائها. وفي هذا الشأن قال الاستاذ احمد عفيفي: إنَّ الحذف لا أثر له الا في الدلالة، فلا يحلّ شيء محل المحذوف، وهناك الاستبدال الذي يترك اثراً يسترشد به المتلقي(4).

---

1) ينظر: ظاهرة الحذف اللغوي، طاهر سليمان: ١١، ١٨٣.

2) ينظر: مقدمة ابن خلدون: ٥٥٥.

3) ينظر: مدخل الى علم النص ومجالات تطبيقه: ٩٢.

4) ينظر: نحو النص: ١٢٦.

وإذا ما أردنا إدراك أثر التوجيهات النحوية للكوفيين من قولهم بالزيادة والحذف في تفسير القرآن في القرنين الرابع والخامس للهجرة، فلا يخفى على متتبع النحو ما لإختلاف الإعراب من أثركبيرفي اختلاف المعاني. فالخلاف النحوي أسس للتأويل، بسبب التباين المنهجي للنحويين البصريين والكوفيين في النظرالى النصوص. إذ إن سبب الخلاف في بعض القواعدهو المعيار الذي يتخذه النحوي للتقعيد، فهناك من يتشدد في المعيار، ولا يقبل التقعيد الا للمطّرد ـ وهؤلاء هم البصريون ـوهناك من يتوسع في المعيار[1] الى الحد الذي يجعله يقبل التقعيد لما لم يطّرد من الشاذ والقليل والنادر، وهؤلاء هم الكوفيون.

والكوفيون بما تحمله خصائصهم النحوية، حَمَلوا كثيراً من الآيات وخرّجوها تخريجات معنوية تختلف عما حملها عليه البصريون، فذهب الكسائي: الى ان كلمة(والفرقان) في قوله تعالى {وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} البقرة٥٣، نعت لكلمة(الكتاب)، على ان الواو مقحمة للتأكيد[2]، ويكون التقدير: ان(الفرقان) وصف لـ(الكتاب) على انه يفرق بين الحق والباطل، وهذا مذهب الكوفيين. اما البصريون فمنعوا ذلك، اذ لايجيزون زيادة واو العطف لانها جاءت لمعنى، وهي في الآية على اصلها، ويكون المعنى عندهم هو الجمع بين(الكتاب) و(الفرقان) بواو العطف، يعني الجامع بين كونه كتاباً منزلاً وفرقانا يفرّق بين الحق والباطل ـ يعني التوراة ـ كما تقول: رأيت الغيث والليث ـ وتريد: الرجل الجامع بين الجود والجرأة.

وستتضح الخصائص النحوية للكوفيين من خلال عرض مواضع الزيادة والحذف في نحوهم، التي تابعها المفسرون في القرنين الرابع والخامس للهجرة، لبيان أثر النحو الكوفي في تفاسير القرآن في هذه القرون، وذلك ما سيتم عرضه

---

١) ينظر: اسباب التعدد في التحليل النحوي: ٢١٥.

٢) ينظر: معاني القرآن للكسائي: ٧.

في المبحث الثاني من هذا الفصل. على ان أقل المتاثرين في النحو الكوفي بمواضع الزيادة هو الطبري، لأنه يقول: لازيادة في القرآن.

المبحث الثاني:
مواضع الزيادة والحذف في تفسير القرنين

إذا أردنا الحديث عن مواضع الزيادة، أوالمساحة التي تشملها الزيادة في النحو، ينبغي التذكير بما يأتي: أن القول بالتاويل النحوي ـ الزيادة والحذف وغيرها من الظواهر ـ يشترك فيها جمهور النحاة ـ البصريون والكوفيون ـ ولكن بتفاوت كبير كما ذكرنا ذلك، فقد ذهب ابن السراج(٣١٦هـ) الى القول: بان الموضوعات التي تشملها الزيادة هي: الحروف والافعال والاسماء والجمل[١]. وجعلها بعضهم في الحروف و الافعال[٢]. وخصها بعض المحدثين في الحروف فقط، إذ قال: إن الزيادة التي يقول بها النحويون لايراد بها زيادة جمل او تراكيب، بل زيادة حروف معينة تؤدي غرضا معينا[٣].

وفي حدود النحو الكوفي، نجد أن الكوفيين ذهبوا الى القول بزيادة الحروف(الواو، الباء، مِنْ، لا، أنِ التفسيرية)، وقالوا في زيادة الافعال مطلقا[٤]. وذكرالسيوطي في زيادة(كان): وأجاز الفراء زيادة سائر افعال هذا الباب وكل فعل لازم من غير هذا الباب اذا لم ينقص المعنى، واستدل على ذلك بأن العرب قد زادت الافعال في نحو قوله:

---

١) ينظر: الاصول في النحو: ٢/٢٥٧.

٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/٧١.

٣) ينظر: الرازي النحوي: ٢٢٠.

٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/٨٠ و: ٢/ ٧٨ و: مجالس ثعلب: ١/٥٩ و: الانصاف في مسائل الخلاف: ٢/٦٣و: شرح المفصل: ٨ /١٣ و: الجنى الداني: ٣١٧.

فاليـومَ قرّبتَ تهجـونا وتشتِمُنا فاذهبْ فما بك والأيامِ من عجبِ[1]

ولم يرد ان يأمره بالذهاب[2].

وذهب الفراء[3] الى ذلك في قوله تعالى{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً} الفجر٢٧- ٢٨، حين جوز زيادة الفعل(ارجعي)، ولم يتابعه احد من مفسري القرنين الرابع والخامس للهجرة في هذا القول باستثاء الطبري[4]. وفي الوقت نفسه ذهب الكوفيون الى جواز زيادة الاسماء، اذ قال ابن ابي الربيع في زيادة الاسماء: وهذه الطريقة تجري على مذهب الكوفيين، لأنهم يرون زيادة الاسماء[5].

وكما ذكرنا في المبحث الاول من ان التزام الكوفيين في الحمل على الظاهرلايعني امتناعهم عن القول بالزيادة والحذف، اذ انهم ذهبوا الى ذلك اضطراراً، حين أُغلقَتْ بوجوههم منافذ الذهاب الى الحمل على الظاهر، بسبب تناقض معنى مايذهبون به ـ موضع البحث ـ مع المعنى الذي يحملون به على الحمل على الظاهر، وكان ذلك التقاطع سببا في قولهم بالزيادة والحذف.

---

١) البيت غير معروف القائل، في: الكتاب ٣٩٢/١، و: الانصاف ٤٦٤/٢، و: شرح الرضي٢٩٦/١، وشرحه البغدادي في الخزانة ٣٣٨/٢، وقال: البيت من ابيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف لها قائل.

٢) ينظر: همع الهوامع: ١٠٠/٢ـ ١٠١.

٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٦٣/٣-٢٦٤.

٤) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٥٦/١٥.

٥) ينظر: البسيط في شرح جمل الزجاجي: ٥/١.

زيادة الحروف(الواو ـ الباء ـ من ـ لا ـ أنْ التفسيرية):

زيادة الواو في جواب(حتى ـ لما): ذهب الطبري الى ماذهب اليه الكوفيون من القول بجواز زيادة الواو، اذ ذكر[1] في تفسير قوله تعالى {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ } الأنبياء٩٦ـ٩٧، يقول تعالى ذكره: حتى اذا فتحت يأجوج ومأ جوج، اقترب الوعد الحق، وذلك وعد الله الذي وعد عباده انه يبعثهم من قبورهم للجزاء والثواب والعقاب، وهو لاشك حق كما قال جل ثناؤه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال اهل التاويل، وذلك نظيرقوله تعالى{فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ونا ديناه} الصافات١٠٣، معناه: نادينا بغير واو، اذ قال امرؤالقيس:

فلمّـا أجْزنـا سـاحة الحـيِّ وانتحـى ... بنا بَطْنُ خَبتٍ ذي حِقاف عَقَنْقَلِ[2]

يريد: فلما اجزنا ساحة الحي انتحى بنا، أي من دون واو، وان انتحى جواب(لما).ويرى الباحث أن(الواو) هنا ليست زائدة، لأنه بعد أن تجاوز ساحة الحي، ذهب الى مكان آخر منتح عن الحي، فلا يصح إلاّ العطف بالواو، أما اذا قال(انتحى) من دون واو، فأن الفعل(انتحى) لايكون مناسبا للمعنى الذي يريده.

وذهب الى ذلك الجواز[3]في تفسير قوله تعالى{فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ} يوسف١٥، وكذلك في قوله تعالى {حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ} آل عمران١٥٢، وكذلك

---

١) ينظر: معاني القرآن للكسائي: ١٩٧، و: ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري) ١٨ /٥٣٢ـ ٥٣٣.

٢) البيت من معلقته، ينظر: الديوان: ١٥.

٣) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٥/٥٧٣، و: ٧/٢٩٢ و: ٦/٥٨٦ و: ٢١/٧٦ و: ٢١/٣٤٠.

في قوله تعالى { فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ} آل عمران٩١، وكذلك في تفسير قوله تعالى{فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وناديناه أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا} الصافات١٠٤، ١٠٥، وكذلك في تفسيرقوله تعالى{وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} الزمر٧٣.

وذهب الشيخ الطوسي الى القول بما قال به الكوفيون والطبري في جواز زيادة الواو[١] في أكثر من موضع في تفسيره(التبيان)، وتابعهم السمرقندي بالقول في هذه الزيادة[٢] في مواضع متعددة من تفسيره، وذهب الثعلبي[٣] متابعا الذين سبقوه من المفسرين والكوفيين بها القول، وكذلك الواحدي[٤]فهو الآخر تابعهم في ذلك القول.

زيادة الباء:

ذهب الطبري الى جواز تلك الزيادة متأثراً بالنحو الكوفي[٥]الذي قال بها، ففي تفسير قوله تعالى {اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً} الإسراء١٤، ذكر الطبري: قوله(بحسبك اليوم) بمعنى: حسبك اليوم نفسك عليك حاسباً يحسب عليك اعمالك، فيحصيها عليك، لانبتغي عليك شاهداً غيرها، ولا يطلب عليك محصياً سواها. وذهب الى ذلك الجواز في تفسير قوله تعالى{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ} آل عمران١٥٩.

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٩/٤٧ و: ٢٧٢/٧.

٢) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٤٦/٤، و: ٢٩٠/١.

٣) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٩/١٦٧-١٦٨، و: ٣٢٥/١١، و: ٧ /١٤٨ و: ٢٤٥/٣.

٤) ينظر: تفسير الوجيز: ٥٣٩/١.

٥) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٤٠١/١٧، و: ٣٤٠/٧.

وتابع الشيخ الطوسي[1] الكوفيين والطبري بالقول في تلك الزيادة في مواضع متعددة من تفسيره، وكذلك السمرقندي[2] فهو الآخرذهب الى القول بتلك الزيادة متابعاً الكوفيين والذين سبقوه من المفسرين، وأيضا الواحدي[3] فانه ذهب الى ماذهب اليه الكوفيون من قول بتلك الزيـــادة.

زيادة(من) في الكلام الموجب:

ذهب الطبري[4] متابعاً الكوفيين بالقول في هذه المسألة، ففي تفسير قوله تعالى {يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ} نوح٤، ذكر: وقوله(يغفر لكم من ذنوبكم)يقول: يغفر لكم ذنوبكم، فان قال قائل: أو ليست(مِنْ) دالة على التبعيض؟ قيل: لها معنيان وموضعان، فاما احدهما فهو الموضع الذي لايصبح فيه غيرها، واذا كان ذلك كذلك لم تدل إلاّعلى البعض، وذلك كقولك: اشتريت من مماليك، فلا يصح في هذا الموضع غيرها، ومعناها: بعض، اشتريت بعض مماليك، ومن مماليك مملوكا. والموضع الاخر هو الذي يصلح مكانها(عن)، فاذا صلحت مكانها(عن) دلت على الجميع، وذلك كقولك: وجع بطني من طعام طعمته، فان معنى ذلك: أوجع بطني طعام طعمته، ويصلح مكان(من)(عن)، وذلك انك تضع موضعها(عن) فيصلح الكلام فتقول: وجع بطني عن طعام طعمته، ومن طعام طعمته، وقوله(يغفر لكم ذنوبكم)انما هو: ويصفح لكم، ويعفو لكم ويتضح عبر متابعة النصوص القرآنية: أن لازيادة لـ(من)فيها، إذ وجدنا أن الآيات التي تحتوي على(يغفر لكم)حينما يوجّه الخطاب عبرها الى المؤمنين يكون فيها اطلاق الغفران، وحين يوجّه الخطاب الى غيرهم يتقيد الغفران بـ(من) كما ورد في

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٦/٤٥٠، و: ٩/٢٧٨، و: ٣/٣٠.

٢) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٤/١٤٦، و: ١/٣٣٢.

٣) ينظر: تفسير الوجيز: ١/٤٤٤.

٤) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٢٣ /٦٣٠.

السور: آل عمران ٣١، الانفال ٢٩، ٧٠، ابراهيم ١٠، الأحزاب ٧١، الاحقاف ٣١، الحديد٢٨، الصف١٢، التغابن١٧، نوح٤.

وذهب الشيخ الطوسي[1] الى ذلك القول في أكثر من موضع في تفسيره، حين تفسير قوله تعالى {يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ} نوح٤ فذكر: قوله تعالى(يغفر لكم من ذنوبكم)، إن: (من) دخلت زائدة، والمعنى: يغفر لكم ذنوبكم، وقيل: (من) معناها(عن)، والتقدير: يصفح لكم عن ذنوبكم وتكون عامة.ولايرى الباحث زيادة(من) هنا، لأنه يرى أن القول بالزيادة فيه فرض على الله تعالى بوجوب غفران لَمَم الذنوب والكبائر.وأن عدم زيادة(من)هنا يفيد معنى أن الله تعالى قد يغفر اللمم من الذنوب، ويحاسب على الكبائر، إذ قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} وقال {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ} النساء، ، ٤٨وقال{إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ} النساء١١٦.وفي قوله تعالى{أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً} البقرة٢٥، ذكر الشيخ الطوسي: إن(من) في هذه الآية زائدة.وفي قوله تعالى{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ} آل عمران١٠٤ذكر أن قوله: (منكم امة)، (من)هنا للتبعيض على قول أكثر المفسرين، لأن الأمربانكار المنكر، والأمر بالمعروف متوجه الى فرقة منهم غيرمعينة، لأنه فرض على الكفاية فاي فرقة قامت به سقط عن الباقين.ويبدو أن القول بزيادتها في هذا النص هوالأرجح، لدلالته الواضحة على عمومية الخطاب، وجعله للجميع دون استثناء، أي(وليكن جميعكم) امة تدعو الى الخير. لأن مسؤولية الدعوة الى الخير، مسؤولية كبيرة وتحتاج الى تظافر الجميع، لا أن تقتصرعلى فئة معينة دون فئات المجتمع الاخرى، وعليه أنّ الخطاب القرآني في هذا النص موجّه الى الجميع، نظراً لجسامة هذه المسؤولية، وعدم امكانية النهوض بها من فئة

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١٢٧/١٠، و: ١٠٦/١، و: ٥٧٤/٢، و: : ٣٥٢/٢.

معينة.وفي تفسير قوله تعالى{وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ} البقرة٢٧١، ذكر الشيخ الطوسي: ان(من) دخلت للتبعيض لانه انما يكفر بالطاعة - غير التوبة الصغائر - هذا على قول من يقول بالصغائر والاحباط. اما على مذهبنا فانما كان كذلك لان اسقاط العقاب كله تفضل، فله ان يتفضل باسقاط بعضه دون بعض، فلو لم يدخل(من) لافادته لسقط جميع العقاب. وقال قوم(من) زائدة.

ولكن يبدو ان القول بزيادتها يمنح المعنى دلالة اكثر على كرم الله تعالى على عبده، وفي الوقت نفسه يكون هذا المعنى دافعا قويا للانسان الى ان يتوب الى الله تعالى ويصلح أمره قبل فوات الاوان، وذلك ترغيباً بالعبادة.

وتابع السمرقندي[1] الكوفيين والمفسرين الذين سبقوه في القول بتلك الزيادة، وكذلك الماوردي[2] فهو الآخرتابعهم في ذلك الجواز، وذهب الثعلبي[3] الى ماذهب اليه الذين سبقوه من المفسرين والكوفيين في اكثر من موضع في تفسيره، وذهب الواحدي[4] متابعاً الذين سبقوه من المفسرين القائلين بتلك الزيادة وفي مواضع متعددة من تفسيره.

ويذكر الدكتور عائد الحريزي: وما نؤمن به أن حروف الجر لاتزاد، في القرآن خاصة، لأنها لو كانت زائدة فما الداعي الى الإتيان بها؟ وان القول بزيادتها فيه حرام ولايقول به أحد العقلاء[5]. وهذا مايجعلنا أن نؤكد أن لفظ(الزيادة)بعيد عن الصواب، وضرورة ابداله بلفظ(المزيد)، لأنه الاقرب الى روح اللغة، وفيه دلالة على زيادة المعنى.

---

١) ينظر: تفسير بحر العلوم ١٤٥/٤، ٣٣٠.

٢) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٣٢٦/٤.

٣) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٣٧٩/١٣، و: ١٥٨/٣.

٤) ينظر: تفسير الوجيز: ٧٤/١، و: ١٠٤٤/١، و: ٩٩/١.

٥) ينظر: مباحث في لغة القرآن الكريم وبلاغته: ١٣٢، ١٤٣.

زيادة(لا) في اول الكلام:

ذهب الطبري[1] الى ماذهب اليه الكوفيون من قول بتلك الزيادة[2]، ففي تفسير قوله تعالى {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ} البلد١، ذكرالطبريأن معنى قوله تعالى: اقسم يامحمد بهذا البلد الحرام، وهو مكة، وكذلك قال اهل التاويل.وفي تفسيرالطبري المذكورمعنى زيادة(لا).وفي قوله تعالى {فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ} الانشقاق١٦، ذكر الطبري: ان معنى قوله تعالى: وهذا قسم اقسم ربنا بالشفق. وكذلك في تفسير قوله تعالى {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} القيامة ١ذهب الطبري الى القول: بزيادة(لا).

وذهب الشيخ الطوسي الى القول بتلك الزيادة[3]، ففي تفسير قوله تعالى {وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} الأنبياء٩٥، ذكرالشيخ الطوسي: ان(لا)صلة، والمعنى: حرام رجوعهم.

وكذلك في تفسير قوله تعالى {فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ} المعارج٤٠ ذكر الشيخ الطوسي: انه قسم من الله تعالى برب المطالع والمغارب، و(لا) مقحمة. وفي تفسير قوله تعالى {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ} البلد١، ذهب الشيخ الطوسي لى ان معنى قوله تعالى: اقسم، و(لا) صلة، كما قال أبو النجم:

ولا ألوم البيض ألا تسخرا　　　إذا رأين الشَمِط المنوّرا [4]

---

١) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٤٢٩/٢٤، و: ٣١٧/٢٤، و: ٤٨/٢٤.

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٠٧/٣.

٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢٧١/٧، و: ١٢٣/١٠ و: ٣٣٧/١٠ و: ١٨٢/١٠.

٤) الجنى الداني: ٣٠٣، وفي الأزهية للهروي: ١٦٤وما ألوم... القفندرا، وفي تاج العروس: ٥٠٤/٣، فما ألوم...

أي: أن تسخرا. وفي تفسير قوله تعالى{لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} القيامة١، ذكرالشيخ الطوسي زيادة(لا). وفي جميع الآيات سابقة الذكر يتضح ان(لا)زائدة، وانها تؤدي التوكيد.

وذهب السمرقندي[١] الى متابعة الكوفيين والمفسرين الذين سبقوه في ذلك الجواز في أكثر من موضع من تفسيره، وكذلك الماوردي[٢] فهو الآخر ذهب الى القول بتلك الزيادة متابعاً المفسرين الذين سبقوه والكوفيين، وذهب الثعلبي[٣]موافقاً لمن سبقه من المفسرين بالقول في تلك الزيادة وفي مواضع متعددة من تفسيره، وتابعهم الواحدي[٤] في القول بزيادة ـ لا ـ كثيراً.

وقد يتفق الباحث مع المفسرين الذين قالوا بزيادة(لا)في الآيات القرآنية التي تقدم ذكرها، لأن(هل)حرف لامحل له، ويتكون من(هـ + ل)، و(لا)تتكون من(لـ + ا)، وهنا ماالمانع أن تكون لامحل لها في مثل هذه المواقف لأن المراد منها تنبيه وتوكيد وليس أثرا فيما بعدها، وماالمانع من أن تقاس بـ(هل) التي لامحل لها.

زيادة(أن) بعد(حتى ولّما):

ذهب الطبري[٥]الى القول بتلك الزيادة، ففي تفسير قوله تعالى {فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ} يوسف٩٦ ذكر: وكان بعض اهل العربية من اهل الكوفه يقول: (أن) في قوله(فلما أنْ جاء البشير) وسقوطها بمعنى واحد؛ وكان يقول هذا في(لما ـ وحتى) خاصة، ويذكر ان العرب تدخلها فيهما احياناً وتسقطها احياناً،، كما قال -جل ثناؤه- {وَلَمَّا أَن جَاءتْ رُسُلُنَا } العنكبوت٣٣، وقال في موضع اخر

١) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٤٠٧/٤، و: ٣٢٩/٤ و: ٣٨٦/٤ و: ٣٤٧/٤.

٢) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٤١٩/٤، و: ٣٥٤/٤.

٣) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١٠٩/١٤ و: ٤٣٣/١٣.

٤) ينظر: تفسير الوجيز: ١٠١١/١، و: ١٠٤٣/١ و: ١٠٦١/١ و: ١١٢٠/١.

٥) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٢٦٠/١٦.

{وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا} هود٧٧، وقال: هي صلة لا موضع لها في هذين الموضعين. يقال: حتى كان كذا وكذا، و حتى أن كان كذا وكذا. على ان الاكثر مجيء(أن) زائدة بعد لما التوقيتية، واذا وقعت بعد(لو) وفعل القسم، أو بين الكاف ومخفوضها.

وتابعه الشيخ الطوسي[1] فى القول بتلك الزيادة متابعاً الكوفيين الذي يُعَدُّ منهم.

زيادة الافعال(كان) وغيره:

قال بها الكوفيون، بعد ان ذهب البصريون الى زيادة(كان) بشروط، منها ان تكون بصيغة الماضي، وان تقع بين مسند ومسند اليه.اما الفراء فقد اجاز زيادتها بصيغة المضارع، وفي اول الكلام واخره. اذ قال في قوله تعالى {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} آل عمران١١٠، ان المعنى: انتم خير امة، كقوله{وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ} الأعراف٨٦، وكذلك قوله {وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ} الأنفال٢٦، فاضمار(كان) في مثل هذا واظهاره سواء[2].

وقد تابع الطبري الكوفيين بالقول بتلك الزيادة، اذ ذكر[3]في تفسير قوله تعالى {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} آل عمران١١٠، بعد ان عرض آراء كثيرة، قال: فان سال سائل: وكيف قيل(كنتم خير امة) وقد زعمت أنَّ تأويل الآية: ان هذه الامة خير الامم التي مضيت، وانما يقال(كنتم خيرامة) لقوم كانوا خياراً فتغيروا عما عليه؟ قيل: ان معنى ذلك بخلاف ما ذهبت اليه، وانما معناه: انتم خير امة، كما قيل{وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ} الأنفال٢٦، وقد قال في موضع اخر {وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ} الأعراف٨٦،

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١٩٠/٦.

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٢٩/١، ٤٧٤، و: ٢٦٣/٣، و: همع الهوامع: ١٠٠/٣-١٠١.

٣) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٠٦/٧.

فادخال(كان) في مثل هذا واسقاطها بمعنى واحد. لان الكلام معروف معناه، ولو قال ايضاً في ذلك قائل(كنتم) بمعنى التمام، كان تاويله: خلقتم خير امة او وجدتم خير امة كان معنا صحيحاً. والحقيقة ان ماقاله الطبري هو القول نفسه الذي قال به الفراء من دون ان يصرح باسمه[1].

ولقد ذهب الشيخ الطوسي الى القول بذلك، حين ذكرفي تفسير قوله تعالى {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} آل عمران١١٠، ان المعنى: وقوله(كنتم خيرامة) انما لم يقل(انتم) لاحد امور[2]:

احدها: قال الحسن ان ذلك لما قد كان في الكتب المتقدمة ما يسمع من الخبر في هذه الامة من جهة البشارة.وقال نحن اخرها واكرمها عند الله. وروي عن الرسول - صلى الله عليه واله وسلم- انه قال: (انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها وأكرمها على الله)[3] وهذا الحديث موافق لمعنى: انتم خير امة، الا انه ذكر(كنتم) لتقدم البشارة عليه، ويكون التقدير: كنتم خير امة في الكتب الماضية فحققوا ذلك بالافعال الجميلة.

الثاني: ان(كان) زائدة ودخولها وخروجها بمعنى واحد. الا ان فيها تاكيد وقوع الامر لامحال، لأنه بمنزلة ماقد كان في الحقيقة، كما قال{وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ} الأنفال٢٦، وفي موضع اخر قال {وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ} الأعراف٨٦، ونظيره قوله {وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً} النساء٩٦، لأن رحمته المستأنفة كالماضية في تحقيق الوقوع لا محالة.

الثالث: ان(كان) تامة هاهنا، ومعناه: حدثتم(وجدتم) خير امة، ويكون خير امة منصوب على الحال... وهذا القول مشابه تماماً لقول الفراء.

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٢٩/١.

٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٥٥٦/٢، و: معاني القرآن للفراء: ٤٧٤/١.

٣) الترمذي: ٨٢/٤-٨٣، و: البخاري: ١٦/٥، و: مسند أحمد: ٣/٥، ٥.

وذهب كلّ من السمرقندي[1]، والماوردي[2]، والثعلبي[3] الى القول في هذه الزيادة وفي مواضع عديدة من تفاسيرهم.

زيادة الأسماء:

ذهب الكوفيون جميعاً الى القول بهذه الزيادة[4]، وتابعهم مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة، فذهب الطبري[5] الى القول بذلك في مواضع عديدة من تفسيره، وهو قليل القول بالزيادة في القرآن الكريم، ودائماً مايلجأ الى التاويل البعيد للتخلص من القول بها، ففي تفسيرقوله تعالى{مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ} الرعد٣٥، أشار الطبري الى اختلاف اهل العلم بكلام العرب في رافع(المثل)، فذكر قول بعض نحويي الكوفة بأن: الرافع للمثـــل قوله(تجري من تحتها الانهار)، في المعنى، وقال: هو كما تقول(حلية فلان: اسمر كذا وكذا) فليس(الاسمر) مرفوع بالحلية، انما هو ابتداء، أي هو اسمرهو كذا، قال: ولو دخل(أن) في مثل هذا كان صواباً. قال: ومثله في الكلام: (مثلك انك كذا وانك كذا) وقوله {فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً} عبس٢٤، ٢٥ من وجه {مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ} الرعد٣٥، ومن قال {أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً} اظهر الاسم لانه مردود على(الطعام) بالخفض، ومستأنف، أي: طعامه انا صببنا ثم فعلنا. وقال: معنى قوله(مثل الجنة) صفات الجنة.وذكرالطبري قول بعض البصريين بأن: معنى ذلك: صفة الجنة. قال: ومنه قول الله تعالى {وَلَهُ الْمَثَلُ

---

١) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٣٠٢/١.

٢) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٢٥٢/١.

٣) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١٦٤/٣.

٤) ينظر: معاني القرآن للكسائي: ١٧١، ٢٣٤ و: معاني القرآن للفـــراء: ٦٥/٢، ٧٢، و: تأويل مشكل القرآن: ١٩٨ و: البسيط في شرح جمل الزجاجي: ٥٧٢/١.

٥) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٤٦٩/١٦ - ٤٧٠، و: ٥٥٢/١٦.

الْأَعْلَى} الروم٢٧، معناه: ولله الصفة العليا. قال: فمعنى الكلام في قوله {مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} الرعد٣٥،، كأنه قال: وصف الجنة صفة تجري من تحتها الانهار، أوصفة فيها أنهار. والله اعلم.

قال: ووجه آخر كأنه اذا قيل: (مثل الجنة)، قيل: الجنة التي وعد المتقون. قال: وكذلك قوله {وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} النمل٣٠، كأنه قال بالله الرحمن الرحيم والله اعلم. واولى الاقوال في ذلك الصواب ان يقال ذكر المثل، فقال مثل الجنة والمراد(الجنة)، ثم وصفت الجنة بصفتها، وذلك ان مثلها انما هو صفتها وليست صفتها شيئاً غيرها،... وكأن الكلام جرى بذكر الجنة، فقيل: الجنة تجري من تحتها الانهار، كما قال الشاعر:

أَرَى مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّي كَمَا أَخَذَ السِّرارُ مِنَ الْهِلالِ[1]

فذكر(المر) ورجع في الخبر الى(السنين).

وفي تفسير قوله تعالى{مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ} إبراهيم١٨، أشارالطبري الى: اختلاف اهل العربية في رافع(مثل)، فذكرقول بعض البصريين: كأنه قال: ومما نقص عليكم مثل الذين كفروا، ثم اقبل يفسر، كما قال(مثل الجنة) وهذا كثير. وقال بعض نحويي الكوفة: انما المثل للاعمال، ولكن العرب تقدم الاسماء، لانها أعرف، ثم يأتي بالخبر الذي تخبر عنه مع صاحبه، ومعنى الكلام: مثل اعمال الذين كفروا بربهم كرماد، كما قيل {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ} الزمر٦٠، ومعنى الكلام: ويوم القيامة ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة. وقوله{مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} الرعد٣٥، قال: فـ(تجري)هو من موضع الخبر، كانه قال: إن تجري، وأن يكون كذا وكذا.

---

١) البيت لجرير، ينظر: الديوان: ٢٧٥.

وذهب الشيخ الطوسي[1] الى ذلك القول وفي مواضع متعددة من تفسيره، ففي تفسيرقوله تعالى {مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} الرعد٣٥، ذكر أن: في معنى(مثل الجنة) أقوال، منها:

قول سيبويه: في مانقص عليكم مثل الجنة، فرفع(مثل) على الابتداء، وحذف الخبر.

وقال قوم: (معناه صفة): (الجنة التي وعد المتقون) صفة جنة تجري من تحتها الانهار.

وفي تفسير قوله تعالى {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ} محمد١٥، ذكر الشيخ الطوسي: وقوله(مثل الجنة) مرفوع بالابتداء، وخبره محذوف، وتقديره: مايتلى عليكم مثل الجنة التي وعد المتقون، ولو جعل(مثل) مقحماً جاء الخبر المذكور عن الجنة، كانه قيل: الجنة التي وعد المتقون فيها كذا وكذا.

ويتضح ان النص قد ذكر فيه خبر الجنة من خلال قوله: مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم، كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميماً قطع امعاءهم. وفي تفسير قوله تعالى {مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ} إبراهيم١٨ ذكرالشيخ الطوسي: أي فيما يتلى عليكم(مثل الذين كفروا بربهم) فيكون رفعاً بالابتداء، ويجوز ان يكون(مثل)مقحماً ويبتدئ الذين كفروا وقوله(اعمالهم) رفع على البدل، وهو بدل الاشتمال عليه في المعنى.لأن المثل للاعمال، وقد اضيف الى الذين كفروا.ومثله{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ} الزمر٦٠، والمعنى ترى وجوههم مسودة. قال الفراء: لأنهم يجدون المعنى في اخر

---

١) ينظر: التبيان في تفسر القرآن: ٢٥٤/٦، و: ٢٨٧/١٩، و: ٢٨٠/٦.

الكلمة فلا يبالون ما وقع على الاسم المبتدأ، ومثله قوله تعالى{لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ} الزخرف٣٣، فاعيدت اللام في البيوت، لانها التي يراد بالسقف.

وتابعهم في ذلك القول كلّ من القشيري[1] وفي أكثر من موضع في تفسيره، والماوردي[2]، والسمرقندي[3]، والثعلبي[4]، والواحدي[5].

مظاهر الحذف

الحذف كما تقدم ذكره في المبحث الاول على خمسة اقسام:

حذف حركة، وحذف حرف، وحذف كلمة، وحذف جملة، وحذف جمل. ويكون الحذف: حذفا جوازياً، وحذفا وجوبياً.والضابط في تحديد نوع الحذف هو السياق، اذ لاحذف من دون قرائن دالة في السياق عليه.

ولقد ذهب الكوفيون الى القول بالحذ ف اضطرارا، أي بعد ان اصطدموا بوجود التناقض او إخلال في المعنى عند حمل النص على ظاهره، وهنا اتجهوا نحو القول بالحذف. والحذف عند الكوفيين كما هو عند غيرهم من النحاة، فهو يشمل: الحذف في الافعال، والحذف في الاسماء، والحذف في الحروف.

وماذهب اليه الكوفيون من قول بالحذف، هو ذهاب الى تأويل اقرب مايكون الى روح اللغة، اذ انهم لم يبتعدوا كثيراً عن اللغة التي ينبغي ان تحدد معنى النص كي لايثقلوا النص بما لايحتمله، ويكون تمحلاً غير مسوّغ يستدعي أن

---

١) ينظر: تفسير القشيري: ١٥/٤، و: ٤٠/٤.

٢) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٣١/٢.

٣) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٤٢٠/٢، و: ٤٢٨/٢، و: ١٥٢/٤.

٤) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٢٩١/٧، و: ٣١٢/٧، و: ٢٩١/٧، وينظر: معاني القرآن للفراء: ٦٥/٢.

٥) ينظر: تفسير الوجيز: ٣٨٦/١، و: ٩١٠/١.

يُعالج قبل الذهاب الى فهم معنى النص. وسنبين ماذهب اليه الكوفيون من مواضع قالوا فيها بالحذف في هذا المبحث.

حذف الحروف:

من المسائل التي قال بها الكوفيون[1] بعد ان لم يجدوا مخرجاً نحوياً في عرض النصوص القرآنية من حملها على الظاهر، فذهبوا الى القول بالحذف اضطراراً كما تقدم ذكرهُ. وقد تابعهم في ذلك مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة عبر تفاسيرهم.

فذهب الطبري موافقاً الكوفيين في حذف الخافض في كثير من المواضع من تفسيره[2]، ففي قوله تعالى {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً} الأعراف١٥٥ ذكر أنَّ المعنى: واختار موسى من قومه سبعين رجلاً للوقت والاجل الذي وعد الله ان يلقاه فيه بهم للتوبة مما كان من فعل سفهائهم في أمر العجل. أي: تم حذف الخافض(من) في قوله تعالى لدلالة السياق عليه. وكذلك عند تفسيره[3] الآيات القرآنية {أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} المؤمنون٦٠ و {قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى} طه٢١ وقوله {وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} المطففين٣، فانه ذهب الى القول بحذف الخافض.

ولقد ذهب الشيخ الطوسي[4] متابعاً الطبري والكوفيين في ذلك القول وفي أكثر من موضع في تفسيره، فذكر في تفسيرقوله تعالى {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً} الأعراف١٥٥: الاختيارهوإرادة ماهو خير، يقال: خيره بين امرين

---

١) ينظر: معاني القرآن للكسائي: ٢٠١، و: معاني القرآن للفراء: ١٤١/١، و: اعراب القرآن للنحاس: ٢٥٨/١.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٤٠/١٣، و: ٣٤/١٨.

٣) ينظر: م. ن: ٢٩٦/١٨و: ٢٧٨/٢٤.

٤) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٥٥٦/٤، و: ١٦٦/٧، و: ٢٦٦/٢، و: ٢٨٦/١٠.

فاختاراحدهما، والاختيار والايثار[1] بمعنى واحد، أخبرالله تعالى ان موسى- عليه السلام- اختار من قومه سبعين رجلا، وحذف(من) لدلالة الفعل عليه مع ايجاز اللفظ، قال الفرزدق:

وَمِنَّا الَّذي اخْتِيرَ الرِّجَالَ سَمَاحَةً   وَجُودًا، إِذَا هَبَّ الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ[2]

وكذلك عند تفسيره للآيات القرآنية {قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى} طه٢١، و{وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ} البقرة٢٣٥، وقوله {وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} المطففين٣، فقد ذهب الشيخ الطوسي الى القول بحذف الخافض في الآيات الكريمة المذكورة.

وذهب السمرقندي[3] متابعاً السابقين له من المفسرين في ذلك القول، وكذلك الماوردي[4] فهو الآخر ذهب الى ذلك القول،.وتابع الثعلبي[5]الذين سبقوه بالقول في ذلك الحذف، ففي تفسير قوله تعالى{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ} البقرة٢١٧، ذكر(قتالٍ) خفضه على تكرير(عن)، تقديره: وهل قتال فيه، وكذلك هي قراءة عبد الله بن مسعود والربيع بن انس. وهو مذهب الكسائي والفراء[6]الذي عبرعنه بأنه مخفوض على نية(عن). وكذلك تفسير قوله تعالى{وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} المطففين، ٣.

---

١) أرى ان معنى الايثار هو تفضيل الغير على النفس، فكيف يكون بمعنى واحد مع الاختيار.

٢) البيت من أول قصيدة ناقض بها جرير، ينظر: ديوانه: ٥١٦، و: النقائض: ٦٩٦.

٣) ينظر: تفسير بحر العلوم ١٤٨/٢، و: ٣٨١/٤، و: ٤٣٣/٢.

٤) ينظر: تفسير النكت والعيون: ١٧٤/١، و: ٣٩٥/٤.

٥) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٣٣٠/١، و: ٢٧/١٤.

٦) ينظر: معاني القرآن للكسائي: ٨٩، و: معاني القرآن للفراء ١٤١/١، و: ينظر: معجم القراءات القرآنية: ١٦٦/١.

وذهب الواحدي[1] في تفسيره الى ماذهب اليه السابقون له بالقول في ذلك الحذف.

ويبدو أنّ اسلوب التعبير القرآني اسلوب ذو نغمة خاصة، فقال {وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} المطففين٣، ولم يقل(كالوا لهم) او(وزنوا لهم) وكلاهما جائز، وهنا يرى الباحث انه لو قال(كالوا لهم) او(وزنوا لهم) فأن هذا القول لم يحمل التقارب الوزني بهذا التركيب اولاً، ولم يحمل المعنى الذي يؤدى من خلال حذف اللام فيه. اذ قالوا: ان اللام تفيد الاستحقاق، ونقول هي هنا للتملك، فهم لم يعطوهم حقهم، فحذفت اللام الدالة على التملك اشارة الى منعهم من التملك.

وفي وجوب اضمار(واو)رابطة قبل جملة الحال الاسمية، قال الكوفيون[2]: لابد من وجود الواو والضمير في جملة الحال الاسمية، والا وجب اضمارها. ولقد تابعهم في ذلك القول: الطبري والشيخ الطوسي والثعلبي.

فذكرالطبري[3] في تفسير قوله تعالى {فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ} الأعراف٤: اذا قال قائل: او ليس قوله(اوهم قائلون) خبراً عن الوقت الذي اتاهم فيه بأس الله؟ قيل: بلى. فان قال: او ليس المواقيت في مثل هذا تكون في كلام العرب بالواو الدال على الوقت؟ قيل: ان ذلك، وان كان كذلك، فانهم قد يحذفون من قبل هذا الموضع، استثقالاً للجمع بين حرفي العطف، اذ كان(او) عندهم من حروف العطف، وكذلك(الواو)، فيقولون: لقيتني مملقاً او انا مسافر، بمعنى: او وانا مسافر، فيحذفون(الواو) وهم مريدوها في الكلام، لما وصفت.

---

١) ينظر: تفسير الوجيز: ٢٤٥/١، و: ١٠٩٧/١.

٢) ينظر: معاني القرآن للكسائي: ٢١٤، و: معاني القرآن للفراء: ٣٧٢/١.

٣) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٣٠٢/١٢.

ولقد تابعهم الشيخ الطوسي[1] في ذلك القول، ففي تفسير قوله تعالى{فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ} الأعراف٤ اذ ذكر: وقوله(او هم قائلون)، قال الفراء: واو الحال مقدرة فيه، وتقديره: او(وهم قائلون) وانما حذفت استخفافاً.

وذهب الثعلبي[2] قائلا بذلك الحذف، فذكر في تفسيرقوله تعالى{فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ} لأعراف ٤: ان معنى قوله(اوهم قائلون) هو: ان من هذه القرى ما اهلكت ليلاً ومنها ما اهلكت ظهيرة(وقت القائلة)، وانما حذفوها(الواو)لاستثقالهم نسقاً على نسق. وهذا قول الفراء.

ولقد تابع هؤلاء المفسرون الكوفيين[3]في حذف الخافض والعائد.فذهب الطبري الى ذلك القول عند تفسير قوله تعالى{وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ} المؤمنون٣٣ فذكر[4]: ان قوله تعالى(وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ) معناه: مما تشربون منه، فحذف من الكلام(منه) لأن معنى الكلام: ويشرب من شرابكم، وذلك ان العرب تقول: شربت من شرابك. وفي تفسير قوله تعالى {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} الحجر ٩٤ذهب الطبري الى ذلك التقدير.

وذهب الشيخ الطوسي الى القول بذلك الحذف[5] متابعاً الطبري، وكذلك الماوردي[6] فهو الآخر ذهب الى القول بذلك الحذف، فذكر في تفسير قوله تعالى {أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفرُواْ رَبَّهُمْ} هود٦٨: قوله تعالى فيه وجهان: احدهما: كذبوا

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣٤٧/٤.

٢) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٣٣٢/٥.

٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٣٤/٢، و: اعراب القرآن للاخفش: ٣٩٠/٢.

٤) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٢٩/١٩، و: ١٥٢/١٧.

٥) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣٥٨/٧، و: ٣٥١/٦.

٦) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٢٠٩/٢.

وعيد ربهم. والثاني: كفروا بأمر ربهم. وتابعهم الثعلبي[1] في ذلك القول، وكان الواحدي[2] متابعاً السابقين له في ذلك القول وفي أكثر من موضع من تفسيره.

وتابع مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة الكوفيين[3] في مسألة اضمار(لا) بعد(أنْ) المصدرية. ففي تفسيرقوله تعالى{وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أَن تَقُولُواْ إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَآئِفَتَيْنِ} الأنعام١٥٥-١٥٦ ذكر الطبري[4] اختلاف اهل العربية في تحديد العامل في(أنْ) التي في قوله(ان تقولوا) وفي معنى هذا الكلام، إذ ذهب بعض نحويي البصرةالى ان معنى ذلك: ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي احسن، كراهية ان تقولوا: انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا، وذهب بعض نحويي الكوفة: ال أن ذلك في موضع نصب بفعل مضمر، ومعنى الكلام: فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون، اتقوا ان تقولوا، وذهب البض الآخر من الكوفيين الى أنه: في موضع نصب، ونصبه من مكانين:

احدهما: انزلناه لئلا يقولوا انما انزل...، والاخر: من قوله(اتقوا) ولايصلح في موضع(ان) كقوله {يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} النساء١٧٦. ورجَح الطبري قول من قال: نصب(أن) لتعلقها: بالانزال، لأن معنى الكلام: وهذا كتاب انزلناه مبارك لئلا تقولوا: انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا. وفي تفسير قوله تعالى{قَالُواْ تَاالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ} يوسف٨٥ ذهب الطبري الى القول بحذف(لا).

---

١) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١٠٥/٧.

٢) ينظر: تفسير الوجيز: ٤١٢/١، و: ٣٤٤/١.

٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٩٧/١، ٣٦٦، و: ٣٦/١-٣٧، و: مجالس ثعلب: ١١٣/١.

٤) ينظر: جامع البيان(تفسيرالطبري): ٢٣٩/١٢، و: ٢٢١/١٦.

وتابع كلٌ من الشيخ الطوسي[1]، والسمرقندي[2]، والماوردي[3]، والثعلبي[4]، والواحدي[5]القول باضمار(لا) بعد(ان) المصدرية الذي قال به الكوفيون.

وتابع الطبري والطوسي والثعلبي الكوفيين[6] في عمل(أنْ) المصدرية بعد حذفها، اذ ذهب الكوفيون الى: نصب(لا تعبدوا) بـ(ان مقدرة) في قوله تعالى {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ} البقرة٨٣.فذهب الطبري الى ذلك القول[7] في تفسير قوله تعالى {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ} الأنفال٥٩الى القول: اريد به: ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا، او انهم سبقوا، ثم حذفت(ان) كما قال جل ثناؤه {وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً} الروم٢٤، بمعنى: ان يريكم. وأيضا في تفسيرقوله تعالى{كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لايؤمنون به} الشعراء٢٠٠ـ ٢٠١ذهب الطبري الى ان المعنى: ان لا يؤمنوا به.

ولقد ذهب الشيخ الطوسي[8] الى القول بهذا الحذف، ففي تفسير قوله تعالى {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ} الأنفال٥٩ ذكر: ان قراءة ابن عامروحمزة وحفص(وَلاَ يَحْسَبَنَّ) بالياء، أي: بالغيب فيهما، الباقون بالتاء. ومن قرأ بالياء احتمل ثلاثة اشياء:

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣٢٣/٤، و: ١٧٨/٦.

٢) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٩١/٢، ١٥٩، و: ٣٩٤/٢.

٣) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٢٨٠/٢.

٤) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٣١٨/٥.

٥) ينظر تفسير الوجيز: ٢١١/١، ٢٥٠، و: ٣٧١/١.

٦) ينظر: الانصاف في مسائل الخلاف: مسألة ٧٧.

٧) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٢١/١٠، و: ٧٦/٢٢.

٨) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١٤١/٥.

احدها: لايحسبن الذين كفروا. الثاني: اضمر المفعول الاول، وتقديره: ولا يحسبن الذين كفروا انفسهم سبقونا واياهم سبقوا. الثالث: ان يقدر على حذف(ان)، كأنه قال: ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا. قال الزجاج يقوي ذلك، ان قراءة ابن مسعود[1](إنهم لايعجزون) فعلى هذا يكون(ان سبقوا)سد مسد المفعولين وكذلك قوله{أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا} العنكبوت٢.وقد قال الثعلبي[2] بذلك، ففي تفسيرقوله تعالى{وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً} الروم٢٤أشار الى: حذف(ان) من قوله(يريكم) لدلالة الكلام عليه، كقول طرفة:

ألا أيُّهَذا الزّاجِرِي أحْضُرَ الوَغَى وأنْ أشْهَدَ اللّذّاتِ هَل أنْتَ مُخلِدي[3]

أراد: أن أحضرَ.

وفي حذف(لام الامر) من الفعل المضارع الذي قال به الكوفيون[4]، ذهب الطبري اليه، اذ ذكر[5] في تفسير قوله تعالى {قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ

---

١) ينظر: النشر في القراءات لعشر: ٢٠٨/٢: و: معجم القراءات: ٤٥٨/٢، و: ينظر: اتحاف فضلاء البشر: ٢٩٩.

٢) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٣٥/٥ فما بعدها.

٣) البيت من معلقة طرفة بن العبد البكري، (مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا، طبعة الحلبي: ٣١٧).

وروايته عند البصريين(أحضر) بالرفع، لأنه لما أضمر(أن) قبله ذهب عملها، لأنها لا تعمل عندهم وهي مضمرة إلا في المواضع العشرة المخصوصة. وعند الكوفيين(أحضر) بالنصب، لأنها وإن أضمرت فكأنها موجودة لقوة الدلالة عليها؛ فكأنه قال: أن أحضر.

٤) ينظر: معاني القرآن للكسائي: ١٧٩، و: مغني اللبيب: ٤٢٨/١، و: ظاهرة الشذوذ في النحو العربي: ٢٩١.

٥) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٢/١٦.

الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ} إبراهيم٣١: قوله تعالى(يقيموا الصلاة)، بمعنى: قل لهم: فليقيموا الصلاة الخمس المفروضة عليهم بحدودها، ولينفقوا مما رزقناهم.

ولقد ذهب الشيخ الطوسي الى القول بذلك، اذ ذكر[1] في تفسير قوله تعالى{قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ} إبراهيم٣١: وموضع(يقيموا)جزم، لاكثر من وجه:

١. انه جواب الامر وهو(قل) هذا قول البصريين.

٢. بحذف(لام) الامرلأن في(قل) دلالة عليه، والمعنى: ليقيموا ذكره الزجاج، هكذا قال الشيخ الطوسي. والحقيقة ان هذا القول للكسائي[2] وليس للزجاج ذهب اليه الشيخ الطوسي، وعلى فرض قال به الزجاج، فينبغي عائديته الى من قال به اولاً(وهوالكسائي).

حذف الفعل:

وهذا كثير الورود في كلام العرب والقرآن الكريم، وكان الكسائي والفراء من اوائل العلماء الذين دللواعلى حذف الفعل، فالمحذوف في قوله تعالى(بسم الله الرحمن الرحيم) فعل تقديره:

أقرأ ـ أبدأ ـ قولوا، ولم يذكر لدلالة الكلام عليه[3]، ويقول ابن هشام: هذا التقديرهو المشهور في التفاسير والأعاريب.

وتابع مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة الكوفيين في هذا القول. فذهب الطبري[4] في تفسير قوله تعالى(بسم الله الرحمن الرحيم) الى القول: ان الباء

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢٩١/٦ ـ ٢٩٢.

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٧٧/٢، و ينظر: مغني اللبيب١/ ٢٢٥.

٣) ينظر: معاني القرآن للكسائي: ٥٩، و: معاني القرآن للفراء: ٤٧٣/١، و: شرح الرضي على الكافية: ٣٩٩/٣-٤٠٠، و: ينظر: مغني اللبيب: ٣٧٨/٢-٣٧٩.

٤) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١١٤/١ ـ ١١٥.

من(بسم الله) مقتضية فعلا يكون لها جالباً ؛ ولا فعل معها ظاهر، فاغنت سامع القائل(بسم الله) معرفته بمراد قائله، وقراءة(بسم الله الرحمن الرحيم) تفهم ان المراد منها: أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم. وكذلك قوله(بسم الله) عند نهوضه للقيام او عند قعوده وسائر افعاله ينبئ عن معنى مراده بقوله(بسم الله)، وانه اراد بقيله[١] بسم الله: أقوم باسم الله، واقعد باسم الله وكذلك سائر الافعال. وهذا الذي قلنا في تاويل ذلك هو معنى قول ابن عباس.

وقال الشيخ الطوسي بذلك الحذف اذ ذكر[٢] في تفسيرقوله تعالى(بسم الله الرحمن الرحيم): وقوله تعالى(بسم الله)يقتضي فعلاً تتعلق به الباء، ويجوزان يكون ذلك الفعل قوله: أقرأ، أبدأ: بسم الله او شبهه، او: قولوا بسم الله، لم يذكر لدلالة الكلام عليه.

و تابع الماوردي[٣] الكوفيين في ذلك القول، فذكر في تفسيرقوله تعالى(بسم الله الرحمن الرحيم): اختلفوا في معنى دخول الباء على(الاسم) على قولين:

الاول: دخلت على معنى الأمر وتقديره: ابدؤوا بسم الله الرحمن الرحيم، وهذا قول الفراء.

والثاني: على معنى الاخبار وتقديره: بدأت بسم الله الرحمن الرحيم، وهذا قول الزجاج وذهب الثعلبي[٤] الى ذلك المعنى، حين ذكرفي تفسير قوله تعالى(بسم الله الرحمن الرحيم): اعلم ان هذه الباء من(بسم) زائدة، وهي تسمى باء التضمين، او باء الالصاق، كقولك: كتبتُ بالقلم.فالكتابة لاصقة بالقلم، وهي مكسورة دائماً(الباء)، والعلة في ذلك ان الباء حرف ناقص ممال، والامالة من دلائل الكسر، وفي الكلام اضمار واختصارتقديره: قل، او: إبدأ

---

١) هكذا وردت في التفسير، والمراد منها: بقوله.

٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢٤/١.

٣) ينظر: تفسير النكت والعيون: ١/١.

٤) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٥/١.

باسم الله. وذهب الواحدي[1] الى ذلك التقدير متابعاً الكوفيين ومن سبقه من المفسرين، حين ذكرفي تفسيرقوله تعالى(بسم الله الرحمن الرحيم): أن معنى قوله تعالى: إبدؤوا او إفتتحوا بتسمية الله تيمنا وتبركاً. و(الله) اسم تفرد الباري به سبحانه.

ويبدو أن مسألة تقدير محذوف قبل(ألبسملة) فيها تعقيد لامسوّغ له، لأنها مسألة فرضها دخول المنطق الى النحو، فحين اراد كل من البصريين والكوفيين الانتصار لما يؤسس، ذهبوا الى ذلك، فعندما ذهب الكوفيون الى: أن اصل المشتقات هو الفعل. وذهب البصريون: الى ان اصل المشتقات هو الاسم، أراد كل منهم ان يرسخ لما وضع من قول، فذهب اهل الكوفة الى تقدير فعل محذوف قبل(ألبسملة)، وذهب اهل البصرة الى تقدير اسم محذوف قبل(ألبسملة).

وما يدعم قولنا هذا الاجابة على التساؤل الآتي: لوكان الله تعالى يريد مخاطبة الناس بـ: قولوا- او اقول - او ابدأ - او قولي - او ابتدائي: بسم الله الرحمن الرحيم فما الصعوبة في ذلك؟ ولاسيما انه قالها في سور قرآنية عدة: منها: قل هو الله احد، و: قل اعوذ بربِ الناس، و: قل اعوذ برب الفلق، و...و..فضلا عن أن عدم التقديرأفضل من التقدير، لأنه ألأقرب الى روح اللغة.

اذاً الذي يمكن ان اخلص اليه يتمثل في ان: القول بأصلية الاسم أم الفعل، هو الذي ذهب بهما للقول بوجود حذف قبل(البسملة)واختلفوا بنوع هذا الحذف، فذهب البصريون الى ان المحذوف جملة اسمية(قولي أو ابتدائي)، وذهب الكوفيون الى ان المحذوف جملة فعلية(أقول أو أبدأ)، وذلك في ضوء ما أسسَ كلٌ منهم. لكن الباحث هنا يرى أن(الجذر)هو الاصل الذي يشتق منه

---

١) ينظر: تفسير الوجيز: ١/١.

الاسم والفعل، والقول بـ(اصلية الجذر) يحسم مسألة خلافية طال أمدها بين البصريين والكوفيين.

وفي تفسير قوله تعالى {فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ} يونس٧١، ذهب الطبري الى تقدير فعل مضمرفي هذا النص بعد ان عرض آراء القراء فيه، فذكر[١]: والصواب في ذلك يتمثل بقراءة من قرأ: (فاجمعوا امركم وشركاءكم) بفتح الالف من(اجمعوا) ونصب(الشركاء) لأنها في المصحف بغير واو، ولاجماع الحجة على القراءة بها ورفض ما خالفها ولا يعترض عليها بمن يجوز عليه الخطأ والسهو. وعنى بـ(الشركاء) آلهتهم وأوثانهم، وهذا ماقاله الكوفيون: نصبت الشركاء بفعل مضمر، كانك قلت: فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم. وفي تفسير قوله تعالى{فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} آل عمران١٠٦، ذكر الطبري: ان معنى قوله تعالى هو: فاما الذين اسودّت وجوههم، فيقال لهم: أكفرتم بعد ايمانكم؟ وكان الفراء[٢] يطلق على حذف القول هذا(اسقاط مضمر) او(حذف فعل القول).

وذهب الشيخ الطوسي الى القول بحذف الفعل في مواضع عديدة من تفسيره[٣]، ففي تفسيرقوله تعالى{فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ} يونس٧١ ذكر الشيخ الطوسي: أنّ من قطع الهمزة أ ضمر للشركاء فعلاً آخر، كأنه قال: فاجمعوا امركم واجمعوا شركاءكم أو ادعو شركاءكم. قال الشاعر:

عَلَفْتُهَا تِبْنًا ومَاء بَارِدًا حَتَّى شَتَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا[٤]

---

١) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٤٩/١٥، و: ٩٣/٧، و: النشر في القراءات العشر: ٢١٤/٢.

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٢٨/١.

٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤٠٢/٥، و: ٥٥١/٢.

٤) البيت لايعرف قائله، وأنشده الفراء في معانيه: ١٤/١وقال: أنشدني بعض بني اسد يصف فرسه.

وفي تفسير قوله تعالى {فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} آل عمران١٠٦ ذكر الشيخ الطوسي: أنَّ جواب اما في قوله تعالى محذوف وتقديره: فيقال لهم: اكفرتم بعد ايمانكم، فحذف لدلالة اسوداد الوجوه على حال التوبيخ حتى كأنه ناطق به، وقد يحذف(القول) في مواضع كثيرة استغناء في ماقبله من البيان، كما في قوله {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا} السجدة١٢ أي: يقولون ربنا. وكذلك قوله تعالى {وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سلام عليكم} الرعد٢٣، أي: يقولون سلام عليكم، والذي أراه هنا أن هذا الحذف أريد منه أمر بلاغي، وهو الاسقاط والتخفيف، فيترتب على القول بهذا الحذف أثر بلاغي، ونظائر ذلك كثيرة جداً.

و ذهب السمرقندي[1] الى ذلك القول، ففي قوله تعالى{فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ} يونس٧١ ذكر: أن المعنى: وادعوا شركاءكم، أي: بنصب(شركاءكم)بفعل مضمر.وذكرفي قوله تعالى{فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} : حُذِفَ القول(يقال لهم) لوجود دليل عليه.

وذهب الماوردي[2] الى ذلك القول، وكذلك ابن زمنين[3] فهو الآخر ذهب الى ذلك القول، وتابعهم الثعلبي[4] في ذلك الحذف، حين ذكر في تفسير قوله تعالى{وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سلام عليكم} : أن المعنى: ويقولون سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.

---

١) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٣٠٥/٢، و: ٣٠٠/١.

٢) ينظر: تفسير النكت والعيون: ١٧٦/٢.

٣) ينظر: تفسير ابن زمنين: ٣١٩/١.

٤) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٢٧٩/٧.

وتابع الواحدي[1] المفسرين الذين سبقوه، ففي تفسير قوله تعالى {فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} آل عمران١٠٦، وقوله تعالى {وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سلام عليكم} الرعد٢٣ ذكر: ان معنى الآية الاولى هو: يقال لهم: أكفرتم بعد ايمانكم، لأنهم شهدوا لمحمد(عليه السلام) بالنبوة، فلما قدم عليهم كذبوه وكفروا به. وان معنى الآية الثانية: يقولون سلام عليكم، والمعنى سلمكم الله من العذاب بما صبرتم.

حذف الاسم:

يتنوع حذف الاسم في التركيب، ويتخذ ألوانا عدة، ويبدو أن متطلبات السياق هي التي تحدد المحذوف. فمن هذا الحذف: حذف المبتدأ، حذف الخبر، حذف المفعول به، حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه، حذف المضاف اليه، حذف الموصول واقامة الصلة مقامه، حذف المعطوف، وحذف الجوابات: جواب لو، جواب لولا، جواب اذا، جواب من، وحذف الجمل، وهذا ماقال به الكوفيون[2]، وتابعهم في ذلك القول مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة.

١ـ حذف المبتدأ:

---

١) ينظر: تفسير الوجيز: ١/٩٩، و: ١/٣٨٣.

٢) ينظر: معاني القرآن للكسائي: ١٤١، ١٧٢، ٢٠٣، و: معاني القرآن للفراء: ١ /٣٦٩، ٤٦١، ٤٢٥، و: شرح المفصل: ١/٩٤.والفراء يطلق عليه اذا كان ضميراً لفظ الاضمار.

ولقد ذهب الطبري الى ماقال به الكوفيون من حذف المبتدأ، فذكر[1] في تفسير قوله تعالى {سُورَةٌ أنزلْنَاهَا وفَرَضْنَاهَا} النور١: ان معنى قوله تعالى: وهذه سورة انزلناها، وانما قلنا معنى ذلك كذلك لأن العرب لاتكاد تبتدئ بالنكرات قبل اخبارها اذا لم تكن جواباً، لانها توصل كما يوصل(الذي)، ثم يخبرعنها بخبر سوى الصلة.وكذلك تفسير قوله تعالى {قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ} يوسف٤٤ ذكرالطبري ان المعنى: رؤياك هذه(اضغاث احلام). وكذلك في تفسير قوله تعالى {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ} الأنبياء٢٦ ذهب الطبري الى ان المعنى: هم عباد أكرمهم الله بعبادته.وفي تفسيرقوله تعالى{فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ} الذاريات٢٩ ذكر الطبري: ان المعنى: وقالت: أتلد، وحذفت(أتلد) لدلالة الكلام عليه، وبضمير(أتلد) رفعت عجوز عقيم.

يتضح أن في هذا التقديرتعقيداً وتمحلاً، وأرى ان التقديرالاقرب الى روح اللغة وعدم الابتعاد عنها في هذا النص هو تقدير: انا عجوز عقيم، ويكون القول: قالت وانا عجوز عقيم.

وفي تفسير قوله تعالى{لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ} الأحقاف٣٥ ذهب الطبري الى تقديرمبتدأ محذوف.وأيضاً في قوله تعالى{الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ} آل عمران ٦٠.

وذهب الشيخ الطوسي متابعاً الكوفيين بالقول في ذلك الحذف في مواضع متعددة من تفسيره[2]، وتابع السمرقندي المفسرين الذين سبقوه والكوفيين

---

١) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٨٦/١٩، و: ١١٧/١٦، و: ٤٢٨/١٨، و: ٤٢٨/٢٢و:، و: ٤٧٢/٦.

٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١٤٣/٦، و: ٢٣٤/٧، و: ٣٧٧/٩، و: ٣٩٦/٧، و: ٤٨٢/٢، و: ١٢/٢، و: ٢٧٩/٩.

بالقول في ذلك الحذف وفي أكثر من موضع في تفسيره[1]، وكذلك الماوردي فإنه تابع المفسرين الذين سبقوه بالقول في هذا الحذف في أكثر من موضع من تفسيره[2]، وتابع الثعلبي المفسرين الى القول بذلك الحذف في مواضع عديدة من تفسيره[3]، وذهب الى ذلك الحذف ابن زمنين[4]، و الواحدي أيضا فهو الآخر ذهب الى القول بهذا الحذف وفي مواضع متعددة من تفسيره[5].

٢. حذف الخبر:

ذهب الطبري متابعا أيضا الكوفيين بالقول في حذف الخبر[6]، ففي تفسير قوله تعالى {فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ} البقرة١٨٤ ذكر الطبري ان المعنى: ومن كان مريضاً أوعلى سفر فافطر برخصة الله، فعليه صوم عدة ايام اخر مكان الايام التي افطر فيها، والرفع في قوله(فعدة من ايام)نظير الرفع في قوله(فاتباع بالمعروف). وفي تفسير قوله تعالى {وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا} يونس٢٧، ذهب الطبري الى ان المعنى برفع(الجزاء) باضمار(لهم). وقال: هذا مذهبي والرفع يقول الفراء وجه الكلام.

وأيضا في قوله تعالى {وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ} الصف١٣ ذهب الطبري الى القول بحذف الخبر بعد ان ذكر قول البصريين بخفض(اخرى) عطفاً على الجملة قبلها، وقول الكوفيين بان(اخرى) في موضع رفع، أي: على

---

١) ينظر: تفسير بحر العلوم: ١٩٦/٣، و: ١٣١/٤، و: ٣٨٠/٢، و: ١٥٤/١، و: ١٤٧/٤.

٢) ينظر: تفسير النكت والعيون: ١٥٤/٣، و: ١٢٥/٤.

٣) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٨٠/٦، و: ٣٧٠/٩، و: ٩٧/٢.

٤) ينظر: تفسير ابن زمنين: ١٣٢/١.

٥) ينظر: تفسير الوجيز: ٥٨٥/١، و: ٤٨/١، و: ٩٠/١، و: ٩٣٤/١، و: ٥٢٦/١.

٦) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٤١٨/٣، ٤٧٠، و: ٧٤/١٥، و: ٣٦/٢٣، و: ٢٣/١٠، و: ٣/٩.

حذف خبر، ثم رجّح قول الكوفيين الذي نص على ان المعنى هو: ولكم اخرى تحبونها. وكذلك في تفسير قوله تعالى{وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ} المائدة٩٥ ذهب الطبري بعد ان عرض آراء القرّاء فيها، الى القول: الاصوب هو رأي الكوفيين، بتأويل(فعليه جزاء مثل ماقتل) بتنوين الجزاء، ورفع المثل، لأن الجزاءهو المثل، فلا وجه الى اضافة الشيء الى نفسه. في حين قال البصريون بخفض المثل من اضافة الجزاء اليها.ومن متابعة تفسيرالطبري يبدو أنه ناقض نفسه حين قال: لا وجه لإضافة الشيء الى نفسه في هذه المسألة، اذ انه تابع الكوفيين في مواضع الحمل على الظاهر بجواز اضافة الشيء الى نفسه اذا اختلف اللفظان من اجل الابتعاد عن القول بالتاويل، ويكون قد ناقض نفسه برفضه قول البصريين في هذه المسألة.

ولقد ذهب الشيخ الطوسي الى القول بحذف الخبر[1]، فذكر في قوله تعالى{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} البقرة١٨٥: ارتفع(عدة)على الابتداء، وتقديره: فعليه عدة من ايام اخر. والحقيقة ان السياق في هذه الآية يُفسر المطلوب، فمن كان مريضا او على سفر، يُبينه ذكر رمضان قبله، فلا أرى مسوغا لتقدير محذوف، إذ لوكان الكلام في غير القرآن وجئنا به وحده دون سبقه بما يفسره، ذهبنا الى التقدير. وكذلك تفسير قوله تعالى {وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ} المائدة٩٥ أشار الشيخ الطوسي الى ان المعنى: فعليه جزاء من النعم بما مثل المقتول، والتقدير: فعليه جزاء. وأيضا في قوله تعالى {وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا} يونس٢٧، ذهب الشيخ الطوسي الى أن التقدير: فلهم جزاءسيئة بمثلها

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١١٥/٢، و: ٢٣/٤، و: ٣٦٠/٥، و: ٣٥٣/٩، و: ٢٨٧/٣، و: ١٢٧/٩.

ليشاكل(للذين احسنوا).وايضاً في تفسير قوله تعالى{إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ} ق١٧ ذهب الشيخ الطوسي الى القول بحذف الخبر. وفي تفسير قوله تعالى {وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ} النساء٩٢، ذكر الشيخ الطوسي حذف الخبر، والتقدير: فعليه تحرير رقبة مؤمنة. وفي حذف(خبر إنَّ) ذكر الشيخ الطوسي في تفسير قوله تعالى{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ} فصلت٤١: (خبر ان) محذوف، وتقديره: ان الذين كفروا بالذكرهلكوا به وشقوا به ونحوه.

وتابع السمرقندي قول سابقيه بحذف الخبر[1]، ففي تفسير قوله تعالى{طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ} محمد٢١ ذكر حذف الخبر والتقدير: طاعة وقول معروف أمثل لهم.وهنا يختلف السمرقندي مع مفسري القرنين الرا بع والخامس للهجرة الذين ذهبوا الى حذف مبتدأ في الآية المباركة والتقدير: أمرنا طاعة وقول معروف.وفي تفسير قوله تعالى {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ} ق١٧ذهب السمرقندي الى القول بحذف الخبر.وأيضا في تفسير قوله تعالى{فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ} البقرة ١٨٤ ذكرالسمرقندي أن المعنى: الرفع على اضمار شبه جملة. وايضاً في تفسير قوله تعالى{وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ} النساء٩٢، ذكر حذف الخبر، والتقدير: فعليه عتق رقبة مؤمنة. وفي حذف(خبرإنَّ) أشارالسمرقندي في قوله تعالى{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ} فصلت٤١ الى حذفه، عندما قال: لم يذكر جوابه، وجوابه مضمر.

وذهب الماوردي الى القول بذلك الحذف[2]، ففي تفسيرقوله تعالى{فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ} البقرة ١٨٤ ذكرأن: قوله تعالى فيه

---

١) ينظر: تفسير بحر العلوم: ١٥٤/٤، و: ١٨٧/٤، و: ١٥٤/١، و: ٤١٠/١، و: ٨١/٤.

٢) ينظر: تفسير النكت والعيون: ١٣٠/١، و: ٥٦/٤.

حذف، وتقديره: فمن كان منكم مريضاً اوعلى سفر في شهر رمضان فافطر، فعليه عدة ما افطرمنه، ان يقضيه من بعده. وأيضا في تفسيرقوله تعالى {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ} ق١٧، قال بحذف الخبر.

وفي حذف(خبر ان) ذهب الماوردي في تفسيرقوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ} فصلت٤١ الى القول بحذف(خبر ان)، اذ اشار الى ان: الذكر هنا القرآن في قول الجميع، وله جواب محذوف، تقديره: هالكون اومعذبون، أي ان(خبرإن) محذوف.

وتابعهم بالقول في هذا الحذف كلُ من الثعلبي في مواضع متعددة من تفسيره[1]، و كذلك الواحدي[2].وقد أُريد بحذف(المبتدأ أو الخبر)أمر بلاغي يتمثل في الاسقاط بالتخفيف، أي أن ماترتب على القول بهذا الحذف أثر بلاغي.

٣ـ حذف المفعول به:

ولقد تابع مفسرو هذه القرون الكوفيين[3] في حذف المفعول به، وذهب الطبري الى القول بذلك الحذف[4]ففي تفسيرقوله تعالى{مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} الضحى٣ ذكر أن: قوله تعالى جواب القسم، ومعناه: ماتركك يامحمد ربك وما ابغضك. وقيل: وما قلى، معناه: وما قلاك، اكتفاء بفهم السامع لمعناه، اذ كان قد تقدم ذلك قوله(ماودعك) فعرف بذلك ان المخاطب به نبي الله- صلى الله عليه واله وسلم -، وأيضا في تفسير قوله تعالى{إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ} آل عمران١٧٥ ذكر الطبري ان المعنى: يرهبكم باوليائه، يخوفكم

---

١) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٩٤/٢، و: ٣١٧/٢.

٢) ينظر: تفسير الوجيز: ٤٨/١، و: ١٧٠/١، و: ٣١٤/١، و: ٩٢٨/١.

٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٧٨/٢، ١٣٤، و: ٢٧٤/٣.

٤) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٢٤ / ٤٨٥، و: ٤١٦/٧، و: ٥٥١/١٩.

باوليائه.وكذلك تفسيرقوله تعالى{وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ} القصص٢٣ ذكرالطبري ان المعنى: تحبسان غنمهما، أي حذف مفعول به، لكن الباحث لايرى محذوفا، لأن الحذف لايكون إلاّ لما كان موجودا ثم يحذف، وليس في الآية من هذا، فـ(تذودان)التركيز هنا على الفعل، ويفهم المراد من السياق، وإلاّ فالذود يكون للابل والغنم والانسان، لأنه يعني: الطرد والدفع، فلم يحذف هنا شيء، إذ اتفق أهل اللغة أن الذود يكون للابل والغنم والانسان، وهذا في تهذيب اللغة، وفي اساس البلاغة، والمعجم الوسيط، وفي كتاب الافعال، ومعجم الافعال المتعدية بحرف[1].

وذهب الشيخ الطوسي الى القول بذلك الحذف[2]، فذكر في تفسيرقوله تعالى{مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} الضحى٣: ان هناك محذوفاً في الكلام، والتقدير: ما ودعك ربك وما قلاك، فحذف الكاف من(قلاك) لدلالة الكلام عليه. ولأن رؤوس الآي بالياء، فلم يخالف بينها، ومثله(فأوى ـ فهدى ـ فاغنى). والذي أراه ان حذف الكاف فضلاً لكونه ناتج عن دلالة الكلام عليه فانه كان لملائمة النسق الموسيقي، اذ لو ذكر(الكاف المفعول) المحذوف لما حدث الانسجام بين فواصل الآي، لأنّ فواصل الآي على الالف، وليست على الياء كما ذهب اليه الشيخ الطوسي.

وفي تفسيرقوله تعالى{إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي} إبراهيم٣٧ ذكران المعنى هو: جعلت مأواهم ومقرهم الذي يقرون ويسكنون اليه.ولم يذكر مفعول اسكنت، لأن(من)تفيد بعض القوم، كما يقال: قتلنا من بني فلان، اكلنا من الطعام، وشربنا من الماء، قال تعالى{أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْمِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ}

---

١) ينظر: تهذيب اللغة: ٤٦٧/٤، و: اساس البلاغة: ١٥١/١، و: المعجم الوسيط: ٦٥٩/١، و: كتاب الافعال: ٣٩٤/١.

٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣٥٣/١٠، و: ٢٩٥/٦ ـ ٢٩٦، و: ١٣/٨.

فموضع(من) نصب. وفي تفسيرقوله تعالى{وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ} القصص٢٣ذكرالشيخ الطوسي: ان المعنى: يحبسان غنمهما، أي: في الكلام محذوف(مفعول به).وتابع السمرقندي القول بذلك الحذف وفي أكثر من موضع من تفسيره[١]، وكذلك الماوردي تابع سابقيه من المفسرين في القول بهذا الحذف في مواضع من تفسيره[٢]، والواحدي[٣] أيضاً..

٤.حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه:

ذهب الكوفيون الى ذلك[٤]، وتابعهم الطبري[٥]بالقول فيه عندما ذكر في تفسير قوله تعالى {وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً} الفجر٢٢ ان معنى قوله تعالى هو: وجاء أمر ربك والملك، أي: المضاف محذوف والمضاف اليه قام مقامه.وأيضا في تفسير قوله تعالى{فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ} طه٩٦، اشارالطبري الى ان المعنى: قبضت قبضة من اثرحافرفرس جبرئيل، وأكّد بأنه بنحو الذي قلنا قالوا اهل التاويل.وفي تفسير قوله تعالى {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا} يوسف٨٢، ذهب الى القول بحذف المضاف.وفي قوله تعالى{وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ} البقرة٩٣، رجّح الطبري القول القائل: واشربوا في قلوبهم حب العجل. أي: حذف المضاف، وهومثل قوله تعالى{وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا} يوسف٨٢، وقوله {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ الأعراف١٦٣.وقد تقول العرب: اذا سرك ان تنظرالى

١) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٤١٥/٤، و: ٣٣٩/١، و: ٣١٣/٣.
٢) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٤٢٩/٩، و: ٢٧٠/٢، و: ٢٦٤/١.
٣) ينظر: تفسير الوجيز: ١١١/١، و: ١١٢٦/١، و: ٦٧٢/١.
٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٦١/١، ٩٩.
٥) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٥٦٠/٣، و: ٣٦١/١٨، و: ٢١٢/١٦، و: ٣٥٧/٢-٣٦٨.

السخاء، فانظرالى هرم أو الى حاتم[1]، فتجتزئ بذكرالاسم من ذكرفعله، اذا كان معروفا بشجاعة او سخاء او ما اشبه ذلك من الصفات.وفي حذف المضاف اليه الذي قال به الكوفيون، تابعهم الطبري، ففي قوله تعالى{لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ} الروم٤، ذكرأن المعنى[2]: لله الامرمن قبل غلبتهم فارس ومن بعد غلبتهم اياها يقضي في خلقه مايشاء.

ولقد تابع الشيخ الطوسي من سبقه في التفسيربالقول بذلك الحذف[3]، فذكرفي تفسير قوله تعالى {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا} يوسف٨٢: ان هذه حكاية ماقال اخوة يوسف لأبيهم، اذ قالوا له: سل اهل القرية التي كنا فيها، واهل العير التي اقبلنا فيها، عما اخبرناك به، وحذف المضاف الذي هو الاصل واقام المضاف اليه ـ من القرية ـ والعير ـ مقامه اختصارا لدلالة الكلام عليه.ولكن الباحث لايرى للحذف مقاما في هذه الآية، بقدرمايرى مبالغةً في بيان براءة أبناء يعقوب من التفريط بأخيهم، فضلا عن أن مفهوم(القرية)في المعجم عن الخليل تأتي بمعنى السكان[4] فلاوجه للقول بالحذف. وفي قوله تعالى{وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً} الفجر٢٢ ذكر الشيخ اللطوسي: ان المعنى: وجاء امر الله او عذاب الله. وكذلك قوله تعالى{وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ} البقرة٩٣، اشار الى حذف المضاف فيه.

و في القول بحذف المضاف اليه كان الشيخ الطوسي موافقا[5]الطبري والكوفيين على وجود محذوف في تفسيرقوله تعالى{لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ} الروم ٤، وتقديره: من بعد عليهم ومن قبل عليهم، فقطع عن الاضافة وبني على

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٦٢/١.

٢) ينظر: جامع البيان: (تفسير الطبري): ٦٦/٢٠.

٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١٧٦/٦، و: ٣٦٦/١، و: ٧٦/٢.

٤) ينظر: العين: ٤٠٩/١.

٥) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢١٩/٨.

الغاية، وتفسيرها انه ظرف قطع عن الاضافة التي هي غاية، فصار لبعض الاسم، فاستحق البناء وبني على الحركة، لأن له اصلاً في التمكن يستعمل، وبني على الضمة لأنها حركة لاتكون له في حالة الاعرا ب، فهي أدل على البناء.

وتابعهم السمرقندي في القول بذلك الحذف[1]، ففي تفسيرقوله تعالى{وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا} يوسف٨٢: ذكر ان المعنى: وأسأل اهل القرية، وكذلك: اسال اهل العيرالذين كانوا معنا. وفي تفسيرقوله تعالى{وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ} البقرة٩٣ قال بوجود محذوف، والتقدير: حب عبادة العجل، ومثل هذا يجري في كلام العرب. وكذلك قوله تعالى {وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً} الفجر٢٢ أشارالسمرقندي الى ان: في قوله تعالى اقوالاً ومنها: ان المعنى: وجاء امر ربك بالحساب والملك صفاً صفاً(صفوفاً). وفي حذف المضاف اليه وافقهم السمرقندي، اذ ذكرفي تفسيرقوله تعالى{لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ} الروم٤: يعني لله الأمرحين غلبت الروم فارس، وبعد غلبتها، ولفظ القبل والبعد: اذا كان في آخرالكلام يكون رفعاً على معنى الاضافة للغاية، وإنْ اضيف يكون خفضاً كقولك: من بعدهم ومن قبلهم.

ولقد ذهب الماوردي الى القول بذلك الحذف[2]، فاشارفي تفسير قوله تعالى {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا} يوسف٨٢ الى ان معنى قوله تعالى: واسال اهل القرية فحذف ذكر الاهل ايجازاً، لان الحال تشهد به. وكذلك اسال اهل العير.وفي تفسير قوله تعالى {فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ} طه٩٦ ذكرأن معنى قوله تعالى: فاخذ قبضة تراب من... وفي تفسيرقوله تعالى{وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ} البقرة٩٣ قال الماوردي بحذف المضاف. وذكرالماوردي حذف المضاف اليه في تفسير قوله تعالى {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن

١) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٢/٣٩٣، و: ١/٨٤، و: ٤/٤٠٥، و: ينظر: : ٣/٣٥٢.

٢) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٢/٢٧٩، و: ٣/٥٩، و: ١/٧٥.

بَعْدُ} الروم٤إذ اشار الى أن[1]: قوله تعالى فيه وجهان: احدهما: من قبل ان تغلب الروم ومن بعد ما غلبت.

والثاني: من قبل غلبة دولة فارس على الروم، ومن بعد غلبت الروم على فارس. وفي التقديرين حذف مضاف اليه.

وذهب الثعلبي الى القول بذلك الحذف[2]، ففي تفسير قوله تعالى {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا} يوسف٨٢ ذكرالثعلبي ان المعنى: اسأل اهل القرية وهي مصر، وأسال القافلة التي كنا فيها. وفي تفسيرقوله تعالى {وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ} البقرة١٧٧ ذهب الثعلبي الى القول بحذف المضاف بعد عرضه لمجموعة من الآراء النحوية في هذه المسألة، ورجّح رأي الفراء الذي ذكر: وتقول العرب: بنو فلان يطأهم الطريق، أي: اهل الطريق.

والى القول بذلك الحذف ذهب الواحدي[3]، فذكر في تفسير قوله تعالى{وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ} البقرة٩٣: وسقط حب العجل وخلطوا في حب العجل حتى اختلط بهم، والمعنى: حبب اليهم العجل(بكفرهم) باعتقادهم التشبيه.وفي تفسير قوله تعالى {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا} يوسف٨٢ ذكران المعنى: اسال اهل مصر، واسال اهل الرفقة. وفي قوله تعالى{وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ} البقرة١٧٧ ذكرالواحدي: في الآية محذوف وهو المضاف(بر) واحلال المضاف اليه محله. وفي حذف المضاف اليه ذكرالواحدي في تفسير قوله تعالى{لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ} الروم٤ ان المعنى: من قبل ان تغلب الروم ومن بعد ما غلبت.

---

١) ينظر: م. ن: ٣١/٣.

٢) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٢٢١/٧، و: ٣١١/١.

٣) ينظر: تفسير الوجيز: ٢٦/١، و: ٣٧١/١، و: ٥٠/١، و: ٧٠٣/١.

على أننا ينبغي أن نؤكد أن أغلب جمهور علماء ألاسلام لم يختلفوا في أن المعنى الجسدي الذي يفيده الظاهر المباشر لمثل هذه الألفاظ غير مراد وغير مقصود من الكلام ألبتّة(١).

وأن هذه الالفاظ والعبارات وردت انسجاما وماكان يتخاطب به العرب من طرق التعبيرالتي يتوسعون فيها في مرادهم من الألفاظ، فيستعيرون في كثير من الاحيان أسماء جوارح الانسان للتعبير عن معان معنوية لاعلاقة لها بالجارحة أصلا، أي انهم يعبرون عن معان معنوية بألفاظ تتضمن أعضاء جسدية لايريدون منها حقيقة الجارحة، بل يريدون الكناية بها عن معنى معنوي ما، أو يمثلون ويصورون للمعنى المعقول بصورة المحسوس لتقريب المعنى المعنوي وجعله ملموسا، الى غير ذلك من أساليب العرب الفنية في البيان من مجاز واستعارة وكناية، أو اسناد الصفة، أو الفعل لغير صاحبه، بل لمن له علاقة به على سبيل الحذف والاختصار في الكلام....

وان القرآن الكريم انما نزل بلغة العرب واتبع أساليبهم هذه في البيان، وخاطبهم بما اعتادوا أن يتخاطبوا به، فجاءت آيات القرآن الكريم تلك المذكورة عن الله تعالى على هذا النحو، فلا ينبغي أن يتصور منها أي تصور جسدي عضوي مادي أبعادي لله تعالى لأنه غير مراد من تلك الألفاظ البتسة، وذكرهؤلاء العلماء: ان هذه الآيات هي الآيات المحكمة التي ينبغي رد كل ماتشابه من القرآن اليها(٢)، بل أنهم قالوا: كان تعالى قبل أن خلق الزمان وهو الآن على ماعليه كان. وذهبوا الى القول: غاية معرفتنا به سبحانه وتعالى ادراكنا عجزنا عن معرفته، وكلما خطر ببالك فالله خلاف ذلك.مستدلين على أقوالهم هذه بعموم آيات ألتنزيه المطلق نحو قوله تعالى{لَيس كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ

---

١) ينظر: الذات الالهية والمجازات القرآنية والنبوية: ١٤.

٢) ينظر: الذات الالهية والمجازات القرآنية والنبوية: ١٥-١٧.

السَّمِيعُ البَصِيرُ} الشورى١١وقوله تعالى{لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} الإخلاص٣ ونحوقوله {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً} مريم٦٥ ونحوها من الآيات القرآنية التي تنّزه الذات الالهية عن كل مايمت الى التجسيم بصلة. فالأثرالمترتب على القول بهذا الحذف هو أثرعقائدي يتمثل في الابتعاد عن تجسيم الذات الالهية.

٥ـ حذف الموصول واقامة الصلة مقامه:

ذكرمكي القيسي جواز الكوفيين ذلك الحذف[١]، إذ ذهبوا الى أن تقديرقوله تعالى{وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ} الصافات١٦٤: وما منا الا من له مقام معلوم، ثم حذف الموصول وحلّت الصلة مقامه.

ومثله قوله تعالى{وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ} الإنسان٢٠، ذكر القيسي: قال الفراء: تقديره: واذا رأيت ما ثم، فـ(ما)المفعول، فحذفت(ما) وقامت(ثم) مقامها[٢]. معتمدين باحكامهم تلك على وضوح المعنى الظاهروعدم الحاجة الى التاويل المعقد والبعيد.

ولقد ذهب الطبري الى القول بذلك الحذف، فهو يذكر[٣]: ان العرب من شأنهاـ ان عرفت مكان الكلمة ولم تشكّك ان سامعها يعرف، بما اظهرت من منطقها ماحذفت - حذفُ ما كفى منه الظاهر من منطقها ولاسيما ان كانت تلك الكلمة التي حذفت قولاً اوتاويل قول، وكذلك في قوله: يجوز حذف كل مادل الظاهرعليه. ففي تفسيرقوله تعالى{وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ} الصافات١٦٤

---

١) ينظر: مشكل اعراب القرآن: ٤٣٩/٢، و: ينظر: مغني اللبيب: ٨١٥/٢، و: همع الهوامع ٣٠٩/١.

٢) ينظر: مشكل اعراب القرآن: ٤٣٩/٢.

٣) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٣٩/١، و: ٢٧/٢، و: ٢١/ ١٢٥.

ذكر أن المعنى: وما منا معشر الملائكة الا من له مقام في السماء معلوم. وبنحو الذي قلنا ذلك قال اهل التاويل.وفي تفسير قوله تعالى {قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ} الشعراء٣٤، أشار الطبري الى ان معنى[1] قوله تعالى: للملأ حوله): يعني لأشراف قومه الذين كانوا حوله، لكن(الملأ)في المعجم تعني: أشراف القوم وزعمائها[2]، وعلى هذا أنّ الباحث لايرى أي وجود لمحذوف.

وفي تفسير قوله تعالى{وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} النساء١٥٩ ذكر الطبري ان معنى الآية القرآنية: وما من اهل الكتاب الامن ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وحذف(من) بعد(الا) لدلالة الكلام عليه، فاستغنى بدلالته عن اظهاره. وفي تفسير قوله تعالى{شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} الأعراف١٧٢ذهب الطبري الى القول بالحذف.

وتابع الشيخ الطوسي الطبري الى القول بذلك الحذف[3]، ففي تفسير قوله تعالى {وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ} الصافات١٦٤اشار الشيخ الطوسي الى ان المعنى: ما منا ملك الا له مقام، فحذف ومعناه لايتجاوز ما أمر به ورتب له، كما لايتجاوز صاحب المقام مقامه الذي حوله، فكيف يجوز أن يعبد من هو بهذه الصفة، وهو عبد مربوب ووصف المقام بانه معلوم، لأنهمعلوم لله على ما تقتضيه الحكمة، وهو محدود لايتجاوز ما علم منه ولا يخرج منه. وفي تفسير قوله تعالى{وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} المائدة٦٠ ذكرالشيخ الطوسي بعد ان عرض آراء القرآء في هذه الآية: ان معنى قوله تعالى: والذي عبد الطاغوت(بضم العين والباء).

---

١) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٤٤٣/١٠، و: ٣٧٧/٢٣، و: ٢٤٩/١٢.

٢) ينظر: المحيط في اللغة: ٢٢٤/٢، و: المخصص: ٩٢/٤، و: تاج العروس: ٤٦٣/١.

٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٥٢٠/٨، و: ٥٧٠/٣، و: ٣/١٠.

وأيضا في تفسيرقوله تعالى{كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً} الجمعة٥ أشارالشيخ الطوسي الى قول ابن عباس:....وانما مثلهم بالحمار لأن الحمار الذي يحمل كتب الحكمة على ظهره لايدري بما فيها، ولايحس بها كمثل من يحفظ الكتاب ولايعمل به.

وذهب السمرقندي متابعا الذين سبقوه من المفسرين[1]، اذ ذكر في تفسيرقوله تعالى{قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ} الشعراء٣٤: المعنى: قال فرعون لـ(من)حول، أي: الرؤساء والاشراف.

ولقد ذهب الماوردي الى ذلك القول[2]، ففي معنى تفسيرقوله تعالى{وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ} الصافات١٦٤ قولان، منها: وما منا يوم القيامة الا من له فيها مقام معلوم بين يدي الله تعالى.

ولقد ذهب الثعلبي الى القول بذلك الحذف[3] ففي تفسير قوله تعالى{وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ} الصافات١٦٤ ذهب الى ان المعنى: ما منّا الا من له مقام معلوم.وفي قوله {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} النساء١٥٩ ذهب الثعلبي الى حذف الموصول واقامة الصلة مقامه.

وتابع الواحدي ذلك القول[4]، عندما ذكرأن معنى قوله تعالى{وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ} الصافات١٦٤: ما منا ملك الا له مقام معلوم، أي أن هناك حذف(موصول)واقامة الصلة مقامه.

---

١) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٢٦٢/٣.

٢) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٤٨٧/٣.

٣) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٣٥٠/١١، و: ٧٧/٤.

٤) ينظر: تفسير الوجيز: ٧٩٤/١.

٦- حذف المعطوف:

ذهب اليه الكوفيون[١]، وتابعهم في ذلك مفسرو القرنين، فذهب الطبري في تفسيرقوله تعالى{وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ} النحل ٨١ الى القول[٢]: ان سبب خص السرابيل بانها تقي الحر دون البرد، هو أن المخاطبين كانوا اصحاب حر، فذكرتعالى نعمته عليهم بما يقيهم مكروه ماعرفوا مكروهه دونما لم يعرفوا مبلغ مكروهه، وكذلك في سائرالاحرف الاخر. وقال اخرون: ذكر ذلك خاصة اكتفاءً بذكر احدهما من ذكرالاخر، اذ كان معلوماً عند المخاطبين به معناه، والسرابيل التي تقي الحرتقي البرد أيضاً، وقالوا: ذلك موجود في كلام العرب مستعمل، واستشهدوا بقول الشاعر:

وَمَا أَدْرِي إذا يَمَّمْتُ وَجْهًا أُرِيدُ الخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي[٣]

و ذهب الشيخ الطوسي الى القول بذلك الحذف[٤]، وكذلك السمرقندي[٥] فهو الآخر ذهب الى القول بذلك الحذف، وتابعهم الماوردي[٦]في ذلك، وذهب الواحدي[٧] الى ذلك الحذف.

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١١٢/٢ ومابعدها.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٢٧١/١٧.

٣) البيت من شواهد الفراء في معانيه: ١١٢/٢، قال: وقوله(سرابيل تقيكم الحر) ولم = يقل(والبرد) فترك لأن معناه معلوم، والله أعلم، يريد الشاعر: أن الخير والشر يليني، لأنه إذا أراد الخيرفهو يتقي الشر.

٤) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤٠٨/٦.

٥) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٤٧٨/٢.

٦) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٣٨٨/٢.

٧) ينظر: تفسير الوجيز: ٤٢٩/١.

٧. حذف الجوابات:

أ ـ حذف جواب(لو):

قال به الكوفيون[١]، وتابعهم في ذلك المفسرون، فلقد ذهب الطبري الى القول بحذف جواب(لو) في تفسير قوله تعالى {وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى} الرعد٣١ فذكر[٢] اختلاف اهل التاويل في قوله تعالى، وذهاب بعضهم الى ان المعنى: وهم يكفرون بالرحمن، ولو أن قرآنا سيرت به الجبال، أي: يكفرون بالله ولوسير لهم الجبال بهذا القرآن، وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم، وجعلوا جواب(لو)مقدماً عليها، وقول الآخرين بان المعنى: (ولو ان قرآنا سيرت به الجبال) كلام مبتدأ منقطع عن قوله(وهم يكفرون بالرحمن). قال: وجواب(لو) محذوف استغنى بمعرفة السامعين المراد من الكلام عن ذكر جوابها. قالوا: والعرب تفعل ذلك كثيراً،. ومنه قول امرئ القيس:

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَرِيحَةً ... وَلكِنَّهَا نَفْسٌ تقَطَّعُ أَنْفُسَا[٣]

وهو آخر بيت في القصيدة، فترك الجواب اكتفاءً بمعرفة سامعه مرادَه.

ولقد ذهب الشيخ الطوسي[٤] الى القول بذلك الحذف، ففي تفسيرقوله تعالى{وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى} الرعد٣١ ذكر الشيخ الطوسي: لم يجيء جواب(لو) لدلالة الكلام عليه، وتقديره:

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٦٣/٢.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٤٤/١٦.

٣) ينظر: الديوان: ١٠٧، وروايتهم: فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ جَمِيعَةً. وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقَطُ أَنْفُسَا، وقوله: (سريحة)، أي معجلة في سهولة ويسر، من قولهم: (شيء سريح)، أي سهل أو(أمر سريح)، أي معجل.

٤) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢٤٨/٦.

لكان هذا القرآن لعظم محله في نفسه وجلالة قدره، وكان سبب ذلك انهم سألوا النبي - صلى الله عليه واله وسلم - ان يسيرعنهم جبال مكة لتتسع عليه المواضع، فانزل الله تعالى الآية، وبيّن انه لو سيرت الجبال بكلام، لسيرت بهذا القرآن لعظم مرتبته وجلالة قدره، وقد يحذف جواب(لو)اذا كان في الكلام دلالةعليه، وذكر قول امرىء القيس الذي ذكره الطبري.وأشارالشيخ الطوسي الى قول الفراء: يجوزان يكون جوابه: لكفروا بالرحمن لتقدم ما يقتضيه. والحقيقة انما ذكره الشيخ الطوسي هنا هو قول الفراء نصاً[1].

ولقد تابع السمرقندي[2]من سبقه من المفسرين، ففي تفسيرقوله تعالى {وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى} الرعد٣١ أشار السمرقندي الى انه تعالى: لم يذكر جواب(لو) لأن في الكلام دليلاً عليها.

وكذلك الماوردي فانه ذهب الى ذلك القول، فذكر[3] في تفسير قوله تعالى{وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى} الرعد٣: ان جواب هذا القول محذوف، وتقديره: لكان هذا القرآن، لكنه حذف ايجازاً لما في ظاهر الكلام من الدلالة على المضمر المحذوف.

وتابع الثعلبي الذين سبقوه من المفسرين، ففي تفسير قوله تعالى {وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى} الرعد٣ ذكر[4]: الاختلاف في جواب(لو)، فقال قوم:

هذا من القول محذوف الجواب اقتضى بمعرفة سامعه مراده، وتقديرالاية: لكان هذا القرآن. وقال اخرون: وجواب(لو) يقدم، وتقديرالكلام: وهم يكفرون بالرحمن(ولو ان قرانا سيرت به الجبال).

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٦٢.

٢) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٢/٤١٧.

٣) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٢/٣١٤.

٤) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٧/٢٨٧.

وذهب الواحدي الى القول بذلك الحذف، فذكر[1] في تفسير قوله تعالى {وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى} الرعد٣: ان الله تعالى يريد: لو قضيت على ان لايقرأ القرآن على الجبال الا سارت، ولا على الارض الا تخرقت بالعيون والانهار، وعلى الموتى ان لايكلموا، ما امنوا لما سبق عليهم في علمي، وهذا جواب(لو) وهومحذوف.

ب: حذف جواب(لولا):

وهو مما قال به الكوفيون[2]، وتابعهم فيه المفسرون. ففي تفسير قوله تعالى {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} النور١٠ ذهب الطبري الى ان المعنى[3]: ولولا فضل الله عليكم ايهاالناس ورحمته بكم، وانه عواد على خلقه بلطفه وطوله، حكيم في تدبيره اياهم وسياسته لهم، لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم، وبفضح اهل الذنوب منكم بذنوبهم، ولكنه ستر عليكم ذنوبكم وترك فضيحتكم بها عاجلاً رحمة منه بكم، وترك الجواب في ذلك، اكتفاء بمعرفة السامع المراد منه.

وتابعهم الشيخ الطوسي[4] في ذلك عند تفسيرقوله تعالى{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} النور١٠، اذ اشار الى ان: جواب(لولا) محذوف، وتقديره: لولا فضل الله عليكم ورحمته لفضحكم بما ترتكبون من الفاحشة ولعاجلكم بالعقوبة او لهلككم وما يجري مجراه.

وذهب السمرقندي[5]على خطى الذين سبقوه من المفسرين، اذ ذكر في تفسير قوله تعالى {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} النور١٠: قوله تعالى جوابه مضمر،

---

١) ينظر: تفسير الوجيز: ٣٨٥/١.

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٧٤/٢، و: تأويل مشكل القرآن: ١٦٦.

٣) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١١٥/١٩.

٤) ينظر: التبيان في تفسير القران: ٤٠٦/٧.

٥) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٢٠١/٣.

والمعنى: ولولا فضل الله عليكم ورحمته، لبين لكم الصادق من الكاذب، ويقال: ولولا فضل الله عليكم ورحمته، لنال الكاذب منكم بما ذكرناه من عذاب عظيم.وتابعهم في ذلك كل من الماوردي[1]، والواحدي[2]، إذ قالا بحذف جواب(لولا) وتقدير محذوف.

ج: حذف جواب(مَنْ):

وهو مما قال به الكوفيون[3]، وتابعهم فيه مفسرو القرنين.اذ اشار الطبري[4] في تفسير قوله تعالى {أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء} الرعد٣٣ الى: حذف الجواب من ذلك، فلم يقل: وقد قيل(افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت...): ككذا وكذا، اكتفاءاً بعلم السامع بما ذكر عما ترك ذكره. وذلك انه لما قال لكم جل ثناؤه(وجعلوا لله شركائه) ان معنى الكلام: كشركاءكم اتخذوها الهة. والحقيقة ان هذا هو قول الفراء.وكذلك تفسير قوله تعالى {أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} الزمر٢٤ ذكر الطبري: هــذا ايضاً مما ترك جوابه استغناء بدلالة ما ذكرمن الكلام عليه عنه. ومعنى الكلام: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة خير، أم ينعم في الجنان.

ويتفق الشيخ الطوسي مع الطبري باقرارذلك الحذف[5] فيذكر في تفسير قوله تعالى{أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء} الرعد٣٣: في الآية حذف الخبرلدلالة الكلام عليه، ومعنى قوله: (من هو قائم) بتدبيرها وجزائها على ما كسبت من خير او شر، كمن ليس بهذه الصفة. وفي تفسير قوله

---

١) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٣/١٥٨.

٢) ينظر: تفسير الوجيز: ١/٥٨٧.

٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٦٤.

٤) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٦/٤٦٢، و: ٢١/٢٨٢.

٥) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٦/٢٥٣، و: ٩/١٧.

تعالى{أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} الزمر٢٤ اشار الشيخ الطوسي الى ان: في القول محذوف وتقديره: كمن يدخل الجنة؟! وحذف كمن كان بخلاف ذلك لدلالة الكلام عليه. فان هذا لايكون ابداً.

وذهب السمرقندي الى القول بذلك الحذف[1]، فذكر في تفسير قوله تعالى{أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء} الرعد٣٣: ان الجواب مضمر، والمعنى: كمن هو ليس بقائم.....وأيضا في تفسير قوله تعالى{أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} الزمر٢٤.

وذهب الثعلبي الى ذلك، ففي تفسير قوله تعالى{أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء} الرعد٣٣ ذكر ان[2]: الجواب محذوف، والتقدير: كمن هو هالك بائد لايسمع ولا يبصر ولايفهم ولايدفع عن نفسه، نظيره قوله(ام من هو قانت انا ء الليل)يعني: كمن ليس بقانت.

وذهب الواحدي متابعاً الذين سبقوه بالقول في هذا الحذف[3]، فذكر في تفسير قوله تعالى {أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء} الرعد٣٣: ان الجواب محذوف والتقدير: افمن هو بهذه الصفة كمن ليس بهذه الصفة من الاصنام التي لاتضر ولا تنفع؟وكذلك تفسير قوله تعالى{أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} الزمر٢٤ ذهب الى القول بحذف الجواب، وان المعنى: أفمن هذه حاله كمن يدخل الجنة.

---

١) ينظر تفسير بحر العلوم: ٤١٩/٢، و: ٣٥/٤.

٢) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٢٨٩/٧.

٣) ينظر: تفسير الوجيز: ٣٦٨/١، و: ٨١٣/١.

د: حذف جواب(إنْ):

مما قال به الكوفيون[1] وتابعهم فيه مفسرو القرنين ؛ فذكرالطبري في تفسير قوله تعالى {فَإِن اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِي نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ} الأنعام٣٥[2]: في الآية محذوف(فافعل)وهو الجواب، ومعنى قوله: فان استطعت ان تبتغي... فافعل.

وقد تابعه الشيخ الطوسي في ذلك القول، ففي تفسير قوله تعالى{فَإِن اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِي نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ} الأنعام٣٥ ذكر الشيخ الطوسي: في الآية محذوف الجواب(فافعل) والمعنى: فان استطعت ان تبتغي... فتاتيهم باية فافعل ذلك وحذف الجواب لدلالة الكلام عليه[3]. وتابع السمرقندي الذين سبقوه، ففي قوله تعالى{فَإِن اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِي نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ} الأنعام٣٥ ذكرحذف الجواب[4]، والتقدير: فافعل ذلك، على وجه الاضمار. وذهب الماوردي الى القول بذلك، فذكر[5] في تفسير قوله تعالى{فَإِن اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِي نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ} الأنعام٣٥ قول الفراء: وفي الكلام مضمر محذوف وتقديره... فتأتيهم بآية فافعل. والى ذلك ذهب الواحدي، ففي تفسير قوله تعالى{فَإِن اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِي نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ} الأنعام٣٥ ذكر[6]: الجواب محذوف والتقدير: فان... فافعل ذلك.

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٣١/١.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٣٣٧/١١.

٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١٢٢/٤.

٤) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٣٢/٢.

٥) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٤٥٠/١.

٦) ينظر: تفسير الوجيز: ١٨٣/١.

هـ: حذف جواب القَسَم:

مما ذهب اليه الكوفيون، وتابعهم مفسرو القرون المذكورة فيه. فاشار الطبري[1] في تفسير قوله تعالى {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ} ق١-٢ الى اختلاف اهل العربية في موضع جواب هذا القسم، فذكر قول بعض نحويي البصرة: (ق والقران المجيد)، قسم على قوله(وقد علمنا ماتنقص الارض منهم). وقول بعض نحويي الكوفة: فيها المعنى الذي اقسم به، وقال: ذكرانها قضى الله.و رجّح القول الثاني، لأنه لايعرف في اجوبة الايمان قد، وانما تجاب الايمان اذا اجيبت باحد الحروف الاربعة: اللام، و ان، وما، ولا او بترك جوابها فيكون ساقطاً.

وتابع الشيخ الطوسي القول بذلك الحذف، فذكر[2] في تفسير قوله تعالى {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بل عَجِبُوا أن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ} ق١-٢: (والقرآن) قسم من الله تعالى بالقرآن، وجواب القسم محذوف وتقديره: لحق الامرالذي وعدتم به انكم لمبعوثون اتعجبوا، فقالوا: (ائذا متنا وكنا ترابا)!!

وذهب الماوردي الى ذلك الحذف، ففي تفسير قوله تعالى {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ} ق١-٢ اشارالى ان[3]: (والقرآن): قسم اقسم الله به تشريفاً له وتعظيما لخطره لأن عادة جارية في القسم ألا يكون إلّا بالمعظم. وجواب القسم محذوف. وكذلك السمرقندي، فانه تابع من سبقه بالقول في ذلك الحذف، ففي تفسيرقوله تعالى{ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ} ق١-٢ذكر[4]: جواب القسم مضمراً، هو: انكم مبعوثون.

---

١) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٣٢٦/٢٢.

٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣٤٥/٩.

٣) ينظر: تفسير النكت والعيون: ١٥٧/٤.

٤) ينظر: تفسير بحر العلوم: ١٨٣/٤.

و: حذف جواب(إذا):

مما قال به الكوفيون، وتابعهم فيه المفسرون.ففي تفسير قوله تعالى{فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ} الإسراء٧ اشار الطبري[1]الى اختلاف القراء في قراءة قوله(ليسوؤوا وجوهكم)، اذ قرأها عامة اهل المدينة والبصرة بالرفع مستشهدين بقوله(وليدخلوا المسجد)، وقرأ عامة قراء الكوفة بالنصب(وليسوءَ وجوهكم)، وقد يحتمل وجهين من التاويل: الاول: ليسوءَ مجيء الوعد وجوهكم، وجعل به جواب(فاذا)محذوف، وقد استغني بما ظهرعنه.

الثاني: ليسوء الله وجوهكم، ففيه ايضاً محذوفاً قد استغني بما قد ظهرمنه، فيكون المعنى حينها: فاذا جاء وعد الاخرة بعثناهم ليسوء الله وجوهكم، فيكون المضمربعثناهم. وذلك جواب(اذا) حينئذ.

وذهب الشيخ الطوسي الى القول بذلك الحذف، فذكر[2]في تفسير قوله تعالى{فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ} الإسراء٧: أن المعنى: المرة الاخرة بعثناهم(ليسوؤوا وجوهكم) فحذف(بعثناهم) لتقدم ذكره، لانه جواب(اذا) وشرطها يقتضيه فحذف للدلالة عليه. وتابعهم السمرقندي في ذلك، فذكر[3]في تفسير قوله تعالى{فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ} الإسراء٧: أن الآية فيها جواب محذوف، والتقدير: بعثانهم اليكم، ليقبحوا وجوهكم.

---

١) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٣٧٠/١٧، و: اتحاف الفضلاء: ٣٥٥، و: النشر في القراءات العشر: ٢٢٩/٢.

٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤٤٣/٦.

٣) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٤٩٧/٢.

والى ذلك الحذف ذهب الواحدي[1] ففي تفسير قوله تعالى{فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ} الإسراء٧ ذكر ان: جواب(اذا) محذوف على تقدير: بعثناهم(ليسؤوا وجوهكم).

ز: حذف الشرط:

مما قال به الكوفيون، وذهب الطبري الى القول به[2]، ففي تفسير قوله تعالى {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ} المؤمنون٩١ ذكر: قوله(اذاً لذهب) جواب لمحذوف، هو: لو كان معه اله لذهب كل اله بما خلق، اجتزئ بدلالة ما ذكر عليه عنه. وفي تفسير قوله تعالى{وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} البقرة٢١١ اشار الطبري الى وجود حذف جواب(فيكفربه)، فانه معاقبه بما أوعد على الكفر به من العقوبة، والله شديد عقابه اليم عذابه.

ولقد ذهب الشيخ الطوسي الى ذلك الحذف[3] ففي تفسير قوله تعالى {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ} المؤمنون٩١ أشار الى أن: قوله تعالى(اذاً لذهب) كلام فيه محذوف، وهو جواب لمحذوف، وتقديره: لو كان معه اله اخر(اذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض). وكذلك تفسير قوله تعالى {وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} البقرة٢١١ ذكر الشيخ الطوسي ان معنى قوله(من يبدل نعمة الله): من يغير بالاسلام وما فرض فيه من شرائع دينه وامره به من الدخول في الاسلام والعمل بشرائعه، فيكفر به، فانه يعاقبه بما اوعده على الكفر به من العقوبة(والله شديد العقاب).

---

١) ينظر: تفسير الوجيز: ١/٤٤.

٢) نظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٩/٦٦، و: ٤/٢٧٢.

٣) نظر: التبيان في تفسير القرآن: ٧/٣٨٤، و: ٢/١٦٧.

ولقد ذهب السمرقندي الى متابعة الذين سبقوه في هذا القول، فذكر[1] في تفسير قوله تعالى {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ} المؤمنون ٩١: قوله تعالى(اذاً لذهب) يعني: لو كان معه اللهة لذهب(كل اله بما خلق).

ولقد تابع الواحدي المفسرين الذين سبقوه بذلك القول، ففي تفسير قوله تعالى{وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً} الإسراء٧٣ ذكر[2]: ان معنى قوله تعالى و(اذاً) لو فعلت ما ارادوا(لأتخذوك خليلا).

ح: حذف الجملة(الجمل):

وهومما تابع فيه مفسرو القرنين الرابع والخامس الكوفيين[3]، فلقد ذهب الطبري[4] الى القول به في تفسير قوله تعالى{فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ} البقرة٦٠عندما ذكر أن: قوله تعالى مما استغني بدلالة الظاهرعلى المتروك منه، وذلك ان معنى الكلام فقلنا اضرب بعصاك الحجر، فضربه فانفجرت. فترك ذكر الخبر لوجود دلالة على المراد منه. وأيضا في تفسير قوله تعالى {فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ} الشعراء٦٣ ذكر الطبري ترك ذكر خبر الضرب لفهم المقصود منه. وفي تفسيرقوله تعالى{فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ} الذاريات٢٧ ذهب الطبري الى أن: في الكلام متروك استغني بدلالة الظاهر عليه منه، وهو: فقربه اليهم، فامسكوا عن اكله، فقال: ألا تأكلون؟ وأيضا في تفسير قوله تعالى {أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ} يوسف٤٥

---

١) ينظر: : تفسير بحر العلوم: ١٩٢/٣.

٢) نظر: تفسير الوجيز: ٤٥٧/١.

٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٧٩/٢.

٤) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري) ١١٩/٢، و: ٣٥٧/١٩، و: ٤٢٥/٢٢، و: ١٢/١٦.

ذكر الطبري: في الكلام محذوف قد ترك ذكره استغناءً بما ظهرعما ترك، وذلك: (فارسلوه، فاتى يوسف، فقال له: يا يوسف، يا ايها الصديق)وهذا ما قاله الفراء: اذ تجتزئ العرب بحذف كثيرمن الكلام وبقليله اذا كان المعنى معروفاً.

ولقد ذهب الشيخ الطوسي الى القول بذلك الحذف[1]، ففي تفسير قوله تعالى {فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ} البقرة٦٠ ذكر الشيخ الطوسي: ان قوله تعالى فيه استغناء بدلالة الظاهر على المتروك منه، لأن معنى الكلام: قلنا اضرب بعصاك الحجر فضربه فانفجرت منه. فترك ذكر الخبر غير ضرب موسى الحجر اذا كان في ما ذكره دلالة على المراد.وكذلك في تفسير قوله تعالى{فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ} الشعراء٦٣ ذكر الشيخ الطوسي: في هذا القول حذف، لأن تقديره: فضرب البحر فانفلق. وفي تفسير قوله تعالى{أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ} يوسف٤٥ اشار الشيخ الطوسي الى حذف في الآية، وأيضا في قوله تعالى {فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ} الذاريات٢٧ ذكر الشيخ الطوسي: في الكلام حذف والتقدير: فقربه اليهم فامسكوا عن الاكل، فقال: الا تاكلون؟ ولقد ذهب السمرقندي الى القول بذلك الحذف[2]، ففي تفسير قوله تعالى{فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ} الذاريات٢٧ ذكر: في الاية حذف، والتقدير: فقربه اليهم فلم ياكلوا، فقال: افلا تأكلون؟فقالوا نحن لا نأكل بغير ثمن، فقال ابراهيم: كلوا فاعطوا الثمن، قالوا: وما ثمنه؟ قال: اذا اكلتم، فقولوا: بسم الله. واذا فرغتم، فقولوا: الحمد لله. وأيضا في تفسيرقوله تعالى {أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ} يوسف٤٥ ذهب السمر قندي الى القول بذلك الحذف.

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢٦٦/١، و: ٢٦/٨، و: ١٤٥/٦، و: ٣٧٦/٩.

٢) ينظر: تفسير بحر العلوم: ١٩٥/٤، و: ٣٨١/٢.

وتابع الماوردي المفسرين السابقين بالقول بذلك الحذف[1]، ففي تفسير قوله تعالى{أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ} يوسف٤٥ ذكر ان معنى قوله تعالى: أي اخبركم بمن عنده علم بتاويله ثم لم يذكره لهم. قال ابن عباس: لم يكن السجن بالمدينة، انطلق الى يوسف حين اذن له وذلك بعد اربع سنين بعد فراقه. وكذلك في تفسير قوله تعالى{فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ} البقرة٦٠ ذهب الماوردي الى القول: في الكلام محذوف وتقديره: فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا.وكذلك في تفسير قوله تعالى {فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ} الشعراء٦٣ ذهب الماوردي الى القول: ذكر انه امر ان يضرب بعصاه البحر فضربه فانفلق. وكذلك تفسير قوله تعالى {فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ} الذاريات٢٧ ذكر الماوردي وجود حذف الجملة في هذه الآية.

وكذلك الواحدي فانه ذهب الى القول بذلك الحذف[2]، فذكر في تفسير قوله تعالى{فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ} البقرة٦٠ ان المعنى: فقلنا اضرب بعصاك البحر فضرب فانفجرت منه، وأيضا في قوله تعالى{أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ} يوسف٤٥ قال الواحدي بوجود حذف.

١) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٢٦٤/٢، و: ٥٢/١، و: ٢١٨/٣، و: ١٧٣/٤.

٢) ينظر: تفسير الوجيز: ١٨/١، و: ٣٦/١.

المبحث الثالث
أثر الزيادة والحذف في تفسير القرآن

لابد من التذكير بأنّ ما من حرف في كتاب الله تعالى الا وله وظيفة يقوم بها، او رسالة يؤديها، فهو ذو اسرار وايحاءات وأبعاد دلالية عجيبة مقصودة، ففي القرآن لاحرف واحد زائد او محذوف ـ في تقديرالنحاة ـ إلّا وله قيمة تعبيرية ومغزى مقصود.فكل حرف من حروف القرآن وضع وضعاً محكماً دقيقاً له مغزاه، ودلالة خاصة مقصودة من المجيء به، وهومن قبل خبيرعليم.

ولأجل الحفاظ على النص القرآني من اللحن الذي شاع بدخول الاعاجم الاسلام، كانت نقطة الشروع صوب تاسيس القاعدة النحوية التي تصون هذا النص المبارك من التحريف للوصول الى الاعراب الصحيح، بالرواية المشهورة(اشارة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام الى الدؤلي) ولهذا كان علم النحو الذي سعى الى افهام النص القرآني الى المسلمين الذين لم يتمكنوا من افهامه بالشكل الدقيق لاسباب عديدة، منها: عدم معرفتهم للغة العربية باتقان يؤهلهم لفهم المراد من النص القراني بجلاء ووضوح، ومنها: عدم فهم بعض الالفاظ التي وردت في القران الكريم حتى من قبل العرب ـ اهل اللغة ـ بسبب عدم سماعهم لها، وهذه الرواية تقتضي استنباط القواعد النحوية في ضوء النص القرآني، ومن هنا كانت الانطلاقة صوب تاسيس علم التفسير، فأنّ علم النحو مدخلٌ مهم لعلم التفسير.

ولما كان النص القرآني نصاً تشريعياً ودستوراً للمسلمين الى يوم الدين، وقد انزله الله تعالى بلسان عربي مبين، معجزة لرسوله الكريم - صلى الله عليه واله وسلم - في خطابه الى العرب الفصحاء. فجاء فيه ما لايتفق مع القواعد التي قعدت على لهجات معينة لم تشمل قبائل العرب جميعها، وهنا برزت الحاجة

لفهم النص القرآني وتوجيه معانيه، وكان التأويل، اذ كلما وجد لفظ مشكل لايمكن حمله على الظاهر، أو لاوجود لعامله في الآية، فلا بد من التأويل.

وهذا يعني ان النص القرآني اصبح مجالاً واسعاً رحباً لكثير من التأويلات التي تؤدي وظيفة مهمة في توجيه المعنى توجيهاً يلائم ما يترتب عليه.ولأن الاعراب فرع المعنى، وليس المعنى فرع الاعراب، فان من التأويلات النحوية لاتستقيم مع معاني النصوص القرآنية الكريمة، أي ان ذلك سبب محاولة النحويين تخريج الحركة الاعرابية من دون اهتمام بما يترتب على ذلك من المعنى، وهذا سوغَ لأحد المعاصرين الى تأليف كتاب في ظاهرة تعدد الوجوه الاعرابية[1].

ومن هنا تتضح الاهمية البالغة للتأويل لدى النحويين والمفسرين، ويتبين أثره الكبيرفي تاويل الاعراب والمعنى والقاعدة النحوية ايضاً، فهو لاينفك عن الاصول النحوية، اذ انه في الاصل منبثق منها وراجع اليها. وهذا يؤكد ان علمي النحو والتفسيرعلمان متداخلان، لأن المعنى الصحيح غاية كليهما، وكل منهما يؤدي الى الاخر، فالنحو- الاعراب - الصحيح المتقن يؤدي الى نظرة صحيحة في تفسير الآية القرانية، والعكس كذلك. اذ ان النظرة الصحيحة في التفسير تؤدي الى اعراب صحيح، فكلاهما اذن مؤثر بالاخر.

ولما كان كلام العرب يعرف الحذف والزيادة ويتداولها، بدليل قولهم لأبي عمر بن العلاء(١٥٤هـ): أكانت العرب تطيل؟ فقال: نعم لتبلغ. قيل: أكانت العرب توجز؟ قال: نعم ليحفظ عنها[2]. وحين اتسع الكوفيون بالرواية عن جميع العرب، ولم يتقيدوا بزمن، فانهم وجدوا الحذف شائعاً عن العرب. وجاء القرآن فأفادوا من صور تعبيره وطرائق ادائه، إذ أصبح مصدراً مهماً من مصادر العرب - البلاغيين والادباء والشعراء والنحويين - ففي مجال الاعراب

---

١) ينظر: المعنى في ظاهرة تعدد وجوه الاعراب، الدكتور: خليل عمايرة.

٢) ينظر: الخصائص: ٨٤/١.

اجتهد العلماء للوصول الى اعراب صحيح وسليم وفقاً لوجهة نظرهم في ذلك، فمنهم من ذهب الى تغليب التاويل والتقدير في وضع القواعد النحوية ـ وهؤلاء هم البصريون ـ ومنهم من ذهب الى تغليب الحمل على الظاهر ـ وهؤلاء هم الكوفيون ـ على ان الكوفيين لم ينفوا القول مطلقاً بالزيادة والحذف اللذين هما من اساليب التاويل، بل ذهبوا الى القول بهما حين اصطدمت القواعد النحوية بالنصوص، فوجدوا تناقضاً بالمعنى عند حمل بعض النصوص على ظاهرها، الى الحد الذي يكون القول فيه بالحذف والزيادة وجوباً، لأنه اذا خلا السياق منهما فهو مظنة للقول الضعيف، وحينها اعتمدوا على ما وجدوه من اصول مقررة عند العرب في هذا الشأن، وقاسوا النظير على النظير. ومن امثلة ذلك ما ورد في قوله تعالى {وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ} البقرة٩٣، فعند ذهاب البعض لحمل الآية على ظاهرها بلا تقدير، قال ان المعنى: وانهم اشربوا العجل، أي انهم سقوا الماءالذي فيه سحالة العجل[١]. و(السحالة): ما سقط من الذهب والفضة ونحوهما اذا برد[٢]. ويبدو ان عدم التقديرفيما يتطلب السياق تقديره يُعَدُّ من اسباب الشذوذ في التفسير، والشاذ في التفسير[٣]: هوما خالف طرق التفسير المعتبرة، او خالف اجماعاً مستقرياً. وإنَّ سبب عدم حمل الآية على مثل هذا المعنى، هو وجود التناقض من عدة امور[٤]:

الاول: ان الله تعالى قال(في قلوبهم)، ومقتضى القول المذكور انهم شربوا بـ(افواههم).

الثاني: ان صريح الاية انهم(واشربوا) لا(شربوا) فكان هذا من غير اختيارهم.

---

١) ينظر: الاقوال الشاذة في التفسير، الدهش: ١٥٣.

٢) ينظر: تاج العروس: ١٨٤/٢٤.

٣) ينظر: الاقوال الشاذة في التفسير: ٢٤.

٤) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٢٦٥/٢.

الثالث: انه خلاف ما قصه الله تعالى عن موسى(عليه السلام) وما فعله بالعجل، والمذكور في القصة انه احرق والقي في اليم.

ولما كان العقل مصدراً للتفسير فانه وجد حين دراسته لهذه الآية، عدم اطّراد الحمل على الظاهر، اذ في حملها على الظاهر عدم الفهم لوجود التناقض، وعليه فان هذه الآية طبقاً لحكم العقل لايكون ظاهرها هو المقصود، وهنا كان وجوب استنطاق الآية القرانية من خلال سبر الاعماق والذهاب الى التاويل ـ القول بالحذف ـ لغرض تفسيرها على النحو الذي لايتضمن معه التناقض. إذ إنّ وجود التناقض القائم من حمل الآية على ظاهرها، وبين الحكم القطعي للعقل، جعل العقل ان ينطلق بمفرده، ويصرف النظر عن المصادر الاخرى لرد المعنى الظاهر للآية القرآنية، وقال: إن الآية لا تمنحنا معناها الدقيق والحقيقي إلّا من خلال تقدير مضاف محذوف. وهذا ما ذهب اليه الطبري في تفسيره لهذه الآية، بعد ان ذكر مواطن التناقض الموجودة في حمل الآية على الظاهر، وذكر[1]: ولذلك فالصواب هو ان الآية على تقدير مضاف محذوف، أي: اشربوا حبه حتى خلص ذلك الى قلوبهم، وهذا قول قتادة، وابوالعالية، والربيع بن انس.

والحذف مظهر من مظاهر تكثيف التركيب اللغوي وايجازه، والحذف الذي يجري في سائر التعبيرات عند النحويين يطلعنا على حقيقة اللغة العربية وميلها الشديد الى الايجاز[2]. ولأهمية ظاهرة الحذف واثرها في دلالة التركيب وبلاغته، تناولها البلاغيون واللغويون والمفسرون جميعا بالدراسة والبحث.

---

١) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٢/٢٦٣ ـ ٢٦٤.

٢) ينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي: ١٣.

وكان أبرزمن فصّل فيها بصورة دقيقة(ابن جني) الذي اشاراليها بانها من باب ماسماه(شجاعة العربية)، فقال[1]ما نصه: ((ان العرب قد حذفت الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك الاعن دليل عليه، وإلّا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته)).

أما ابن قتيبة(٢٧٦هـ) فذكر[2]: ان العرب انما تحذف من الكلام ما يدل عليه ما يظهر ففائدة الحذف عندهم تقليل الكلام، وتقريب معانيه الى الافهام. واذا كانت هذه حال اللغويين، فكيف الحال واهل التفسيرالذين كانت الجوانب البلاغية ونحو التراكيب من أولويات عنايتهم، لكونها الصق بالتفسير والمعنى المراد من وراء النصوص القرآنية، وهذا مايظهر بوضوح في تفسير الطبري الذي كان لظاهرة الحذف نصيب وافر منه، لكونه من الموضوعات الرئيسة ذات الاهمية في الدرس اللغوي والنحوي، اذ كانت له فلسفة خاصة في الحذف يمكن تلخيصها بـ: الاستغناء بما يذكر عما يحذف، باعتبار ان الكلام يؤلف في بنيته العميقة والسطحية ـ الباطنة والظاهرة ـ وحدة متكاملة يكمل بعضها البعض الاخر[3] وهذا ما نص عليه[4] في سياق حديثه: ((عن اجتزاء العرب في منطقها ببعض من بعض اذا كان البعض الظاهر دالاً على البعض وكافياً منه)). اذن يشترط الطبري الافهام والبيان في ذهن السامع او المخاطب، بقيام علاقة متكافئة ومتكاملة بين الظاهر والباطن من التركيب، بحيث لا يحدث الحذف خلل في دلالة التركيب والمعنى المقصود منها.

وللمحذوف أثر في التركيب الجملي، أي انه وجه من أوجه التركيب العربي، وقيمة من قيم النظم التي أخذت مكانة واضحة في الأسلوب العربي، لان

---

١) الخصائص: ٣٦٠/٢.

٢) ينظر: تاويل مشكل القرآن: ٢١٩.

٣) ينظر: دراسة الطبري للمعنى في تفسيره: ٣٧٧، و: ٣٣٦.

٤) جامع البيان(تفسير الطبري): ١١٤/١.

العرب يميلون الى الايجاز، ولا يميلون لذكر المعلوم واثبات مادل عليه دليل. وتتضح اهمية المحذوف في الدرس النحوي من ارتباطه في ايضاح المعنى للكلام، زيادة على اسهامه في تفسير الحالة الاعرابية، لأن فهمنا لكثير من العبارات الموجزة يعتمد على تقديرنا لالفاظ غير منطوقة في لغة الحديث، او غير مكتوبة فيما نقرؤه، ومن ثم فلا مجال لإنكار هذه الظاهرة - الحذف - على الرغم من امكان وقوع الخلاف في بعض تفصيلاتها عند تقدير المحذوف[1].

والتركيب يصبح أبلغ بعد حذف احد عناصره، ويكون ابلغ في اعطاء الكلام التفخيم والاعظام، ذلك ان الذهن يحاول استنباط المحذوف فتكون في الكلام لذة لما في الحذف من الابهام. على انه يمكن اظهار المحذوف في السياق، ولكن اظهار المحذوف في النص القرآني يعود الى الاخلال باعجازه، فضلاًعن احترام قدسيته، وفي ذلك يذكر ابن الزملكاني: وامعن النظرفتعلم علم اليقين ان المحذوف لو ظهررأيت منكراً من القول، ويؤكد ايضاً: ان الحـذف لايختص بالمبتدأ، بل هو جار في كل اسم وفعل حذف بقصد التفخيم[2].

ويبدو ان التناقض الذي يكون بين ظاهر الآيات القرآنية وحكم العقل - طبقاً لرؤيتي القاصرة - ناتج من اسلوب وطريقة القرآن في استعمال اللغة وادواتها بشكل متحرر، إذ إن الاسلوب القرآني يتحرر من قاعدة الاصل في مواطن عدة، والطريقة القرآنية تتجاوز ما قد يحاصرها من قيود وصولاً الى فهم النص وتفهيمه. ولذلك نجد لبعض الادوات استعمالات مخصوصة تؤدي معاني مخصوصة. وقد تحدث السيوطي عن اهمية معرفة معاني الادوات للمفسر واثرها في اختلاف الكلام، وأثرها في الاستنباط.

---

١) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ١٨.

٢) ينظر: البرهان الكاشف: ٢٣٩.

والتأويل: هو محاولة ارجاع النصوص التي لم تتوافر فيها شروط الصحة نحوياً الى موقف تتسم فيه بالسلامة النحوية، او بتعبير اخر: هو صب ظواهر اللغة المخالفة للقواعد في قوالب هذه القواعد، والحذف والزيادة من اساليب التاويل النحوي[1]، وهما من طرق الاتساع والاختصار في القول درسهماالنحويون لتسويغ الاختلاف بين الواقع اللغوي والقواعد النحوية، من اجل الوصول الى صحة القواعد وسلامة النصوص[2]. ولقد وقف عندهما البلاغيون طويلاً[3]. وهذا ماجعل من التاويل حالة ضرورية، بل مهمة جداً لبعض النصوص القرآنية التي لايستقيم معناها إلّا به. وقد كثر الحذف في القرآن الكريم، يقول الشريف المرتضى(٤٣٦ هـ) في أماليه[4]: ((وفي القرآن من الحذوف العجيبة والاختصارات الفصيحة ما لايوجد في شيء من الكلام)). والذي يلحظ على الحذف انه كثيراً مايرد في القصص القرآني كقصة سليمان(عليه السلام) في سورة سبأ، وقصة يوسف(عليه السلام) وصاحبه في السجن ورؤيا الملك البقر السمان والعجاف(يوسف ايها الصديق افتنا)يوسف ٤٥، فلو بسط الكلام فاورد المحذوف لقال: انا انبئكم بتأويله فارسلون ففعلوا فأتى يوسف فقال يايوسف: أيها الصديق.

ولا ينبغي ان نتجاهل ادراك علماء العربية القدماء في بيانهم لأثر السياق في توجيه معنى اللفظ وتنويعه وتوليد معانٍ جديدة، بدليل تاليفهم لكتب الوجوه والنظائر. ويراد بالوجوه الدلالات المتنوعه للفظ الواحد بحسب مقتضى السياق. ولأن النص القرآني كوّن مساحة لفتح آفاق العربية واستثمار طاقاتها الكامنة فيها على مستوى الالفاظ والاساليب، فكان التأليف في ميدان الدراسات الدلالية

---

١) ينظر: الخصائص: ٣٦٠/٢.

٢) ينظر: الحذف والتقدير في النحو العربي: ٢٠٤.

٣) ينظر: اعجاز القرآن، الباقلاني: ١٦١، و: الصناعتين لابي الهلال العسكري: ١٧٥.

٤) أمالي المرتضى: ١٥٧/٣.

على المفردات القرآنية. وقد ارتكز الذين الفوا في الوجوه والنظائر على الجهود الاولى للمفسرين والمؤولين الذين تلقفوا النص القرآني واستوعبوا مقاصيده من خلال معرفتهم بظروف التنزيل ومناسباته وسياق احكامه ونصوصه. أي ان الجهود الاولى للمفسرين والمؤولين كانت ثمرة قيدها وافاد منها المصنفون في كتب الوجوه والنظائر.

ما تقدم ذكره يؤكد أثر السياق بوصفه رافداً اساسياً من روافد توليد المعاني الجديدة، من خلال تحديد المعاني بدلالتها المقصودة. فالمبهمات والغايات تغير دلالة الكلام، لقدرتها على تحمل الوظائف التركيبية بالنقل والتركيب والاضافة او قطعها والزيادة والحذف.

ومن هنا يبرز أثرالنحو لِيُعَدّ اداة مهمة للمفسر، بل وسيلته الاولى لإبانة المعاني والتماس النكات البلاغية وخصائص الاسلوب، ومن هذا المعنى انطلق المفسرون في تفسيرهم للنصوص القرآنية الى ايضاح المعاني وتحليلهم لها، وكانوا على قسمين: فمنهم من أفاض في مباحث الاعراب، واستعان باقوال ائمة النحو وآرائهم، الى الحد الذي زخرت بعض التفاسير بالمسائل النحوية وتفرعاتها.

واذا ما عدنا الى النحو الكوفي فاننا نجده متميزاً من النحو البصري، في توسعه برواية الاشعار وعبارات اللغة عبر أخذه عن جميع العرب ـ بدويهم وحضريهم ـ[1]. وان تشكيل القواعد النحوية التي كانت تحصيلاً لأشاعة اللحن، يسّر تعليم النحو العربي، الا ان هذه القواعد لم تطّرد بسبب مخالفة عدد من النصوص لها. وهو أمرجعل النحويين مضطرين للبحث عن وسيلة تسوغ اتفاق النص والقاعدة. ومن هنا كانت البدايات الاولى للتاويل النحوي الذي أسّس لظاهرة نحوية في تراث النحويين والمفسرين. فالتأويل اذن اما بدافع حاجة اللغة

---

١) ينظر: المدارس النحوية: ١٥٩ د. شوقي ضيف.

وفهم النص، واما بدافع موافقة النصوص القواعد النحوية، وكلاهما يقودان الى التأويل.

وما الزيادة والحذف الا مظاهر فعالة من مظاهر التاويل. فمثلاً في قوله تعالى{فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً} الكهف١٩ لايمكن فهم الآية فهماً صحيحاً يطمئن اليه بدون تقدير محذوف منها. وهنا تكون حاجة اللغة وفهم النص الى التاويل، فنقول: التقدير:... فلينظر أي اهلها ازكى طعاماً. اذ ان الضمير في مثل هذه الآية لا تعرف عائديته الا من خلال التقدير، وهذا يؤثر في فهم الآية. ومثلها الكثيرمن الآيات القرآنية.

اما التاويل لحاجة القواعد النحوية فيتمثل بقول النحاة: ان الحال لا تتقدم على صاحبها المجرور بحرف الجر، لكنهم يصطدمون بقوله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ} سبأ٢٨ فماذا يفعلون؟ فذهبوا الى التأويل وقالوا: ان(كافة) اصلها(كافا) أي مانعاً عن مخالفة الذين، فهي حال من الكاف في ارسلناك، والتاء في كافة للمبالغة، او(كافة) صفة لمصدر محذوف تقديره: ارساله كافة للناس. والحقيقة ان مثل هذا التأويل هو بحاجة الى تفسير، لانه يؤسس لاثارة مشكل جديد، ينبغي ان يدرك المعنى منه، لان عدم التقدير في قولنا: جواز تقديرالحال على صاحبها المخفوض بحرف الخفض هو الايسر قولا، والافضل معالجة لمثل هكذا نصوص، هو الاقل تكلفاً من الذهاب الى ان(كافة)صفة لمصدر محذوف.

وان اقوال العرب القدامى من البلاغيين والنحويين لدليل على وجود الحذف في لغة العرب، وانه ظاهرة من ظواهر جماليات التعبير فيها. ولما كان النص القرآني يمثل الذروة في تكامل النص العربي وتشكله، فكان وجود صيغا وتراكيبَ جرى الحذف فيها[1]، وهذا ما عرفناه في المبحث الثاني من هذا الفصل.

---

١) ينظر: النسق القراني، دراسة تطبيقية: ٤١٥.

والذي يتمعن بدراسة النص القرآني، يلحظ ان اسلوب التعبير القرآني لم يكن بمسار واحد، بل انه متنوع المسارات، فحين يتوجه بالخطاب الى بني اسرائيل فخطابه يكون مملؤاً بالتكرار والزيادة، وحين يخاطب العرب فانه يميل الى الايجاز واتباع اسلوب الحذف فيه[1].

ويظهر ان الكوفيين لم يخلقوا التاويل والتقدير خلقاً، ولم يتكلفوا فيهما ارتجالا، وانما اعتمدوا على مبادئ سليمة واصول مقررة، فقاسوا النظير على النظير، واستدلوا بالحاضرعلى الغائب، ورأوا المحذوف في المذكور، تهديهم رواية واسعة وملاحظة دقيقة وتجربة طويلة وحس لغوي فحين قالوا بتأويل: امرنا طاعة وقول معروف، من قوله تعالى{طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ} محمد٢١، يبدو ان قولهم هذا لم يكن باجتهاد منهم، بل كان قياسا على قول عمربن ابي ربيعة:

فقَالَتْ على اسْمِ اللهِ أمْرُكَ طاعَةٌ ‏ ‏ ‏ ‏ وإنْ كُنْتُ قَد كُلِّفتُ ما لَمْ أعوَّدِ[2]

وفي تاويل قوله تعالى {فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} آل عمران١٠٦ بتقدير: فيقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم، فان مثل هذا التقدير يستوجبه السياق، ويرحب به المعنى. وقوله تعالى {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا} البقرة١٢٧ يقدرون له: واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل(يقولان) ربنا تقبل منا.

وينبغي القول ان السياق والمعنى التي جاءت في هذه التقديرات كانت نتيجة حاجة اللغة. أي انها جاءت لفهم النص واثراء معناه عبر اظهار مواطن القوة والجمال فيه بلا تكلف او مشقة على القارئ[3].ويتضح ان مثل هذه

---

١) ينظر: الحيوان، الجاحظ: ٨٤/١.

٢) ينظر: ديوان عمر ابن ابي ربيعة: ٤٨٢.

٣) ينظر: من قضايا اللغة: ٩١ ـ ٩٢، و: تعدد التوجيه النحوي: ٣١٦.

التقديرات لها أثر حسن، لأنها كانت بمثابة الوسيلة المؤدية الى تماسك النص وترابطه، وفي الوقت نفسه كانت قادرة على كشف العلاقة الوثيقة بين علمي النحو والتفسير.

ولما كان الحذف منه بديع الكلام الفصيح ومحاسن، لكونه يرمي الى الافصاح عن المعنى المراد من الكلام في اوجز العبارات واقصرها دون خلل المعنى المراد، اقتضى ايصال أدق المعاني المطلوبة عبر اقصر العبارات واوجزها. لهذا فانه الحذف يؤدي دوراً مهماً في مادة التفسير، بل اعتماد على ثقافة المفسرالتي تجعل منه موجهاً الى الحذف بما يخدم مادته التفسيرية. ويتضح ان مثل هكذا قول بالحذف هو الذي عمل به الكوفيون وتابعهم في العمل عليه مفسرو القرنين، لأن الكوفيين وظّفوا الحذف توظيفاً دلالياً عوّلوا عليه كثيراً في النصوص التي تتناقض مع القواعد بحملها على الظاهر في عملية التفسير، ورفضوا الحذف الذي فيه تمحل او مخالفة لكلام العرب، او مخالفة لاصول الصناعة النحوية[1]. وأياً كان مذهب الكوفيين في تعليلاته من حيث القبول والرفض، فهم لايخرجون فيها عن طبيعة اللغة وظاهرها أوعن العلل التعليمية اوالعلل الاولى، لانهم في هذا التعليل يقيسون على النظير، وعلى ماتوصلوا اليه بالاستقراءوالاحصاء من الكلام العربي، وهذا يعني أنهم أسهموا اسهاما جادا في اضافة آراء للقواعد النحوية، تبعدها عن جادة التاويل البعيد المتكلف. ومن تلك الآراء التي اضافوها: قولهم: بان عامل النصب في المفعول به هو ـ الفعل والفاعل جميعاً، وهذا القول لم يكن بعيداً عن واقع اللغة، اذ توصلوا اليه من خلال الشواهد التي جمعوها.

وان ذهابهم الى عمل(المعنى) كما في النصب على الصرف او الخروج، لم يكن عبثاً، انما اعتمدوا بذلك على الشواهد التي جمعوها في هذا الباب، اذ

---

١) ينظر: نحو النص في تاويلات المفسرين: ١٨.

تراءى لهم هذا العامل(الصرف) من خلال ماجمعوه من شواهد. وكذلك نصب الفعل المضارع بعد الفاء السببية على ـ الخلاف ـ كون ما بعدها مخالفاً لما قبلها. وهذا نفسه ينطبق على ناصب الظرف الواقع خبراً للمبتدأ، لأن الظرف ليس في المعنى المبتدأ. وكذلك قولهم بان الضمير بين الخبر والنعت(عماداً) وله موقع اعرابي، من باب التوكيد المنزل منزلة النفس، اذ ان هذا الضمير يدل على ان ما بعده(خبر) لا(صفة)، ويؤكد، ويحصر الخبر في المبتدأ، ففي قوله تعالى{ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ} الحج١٢، يتعين بالعماد(هو)ان الضلال هو الخبر، ولولاه لاحتمل ان يكون البعيد هو الخبر، والضلال تابع، ليكون المعنى: ذلك الضلال هوالبعيد.وهذا يؤكد ان الكوفيين يحترمون ظاهرالنص، ولا يلجأون الى التقدير بلا مسوغ او حاجة اليه.

واذا ما ادركنا ان مسوغات الحذف هي قرائن تثبت ترابط النص القرآني، أي ان: العلم بالمحذوف، وقرينة سبق الذكر، وكثرة الاستعمال، ومقتضى السياق والمقام، تأخذ طابعاً خاصاً في النص القرآني، حين يكون العنصر الكلامي المحذوف مصرحاً به في سياق آية اخرى سابقة او لاحقة للآية موضع التفسير. فأن هذا يعني ان المقصود القرآني خاضع لخبرة لغوية معنوية أعلى مرتبة من التي يمتلكها العرب ـ اصحاب البيان ـ فيلحظ توصيل المقصود القرآني من الله تعالى، مرة عن طريق الايحاء والاشارة او التلميح في استعمال الالفاظ استعمالاً فنياً عالياً، ومرة اخرى عن طريق الاطناب والتكرار المتقن.

ان هذا الاستعمال القرآني يمثل ظاهرة اسلوبية، بدليل وجود الكثير من الآيات القرآنية المتشابهة لفظاً، المختلفة معنى، فنجد قوله تعالى{حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} الزمر ٧٣، وقوله تعالى{حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} الزمر٧١، فوجود(الواو) في الآية الاولى لايجيز القول بزيادتها، بل يمكن القول بانها(مزيدة) أي انها تزيد في المعنى شيئاً. وكثير من الآيات القرآنية المشابهة.

مما تقدم يظهر ان هناك ظروفاً لغوية مناسبة توافرت كي يكون الحذف ذا غاية في التفسير، لا تظهر لو ذكر المحذوف. ففي قوله تعالى {وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً} الفجر٢٢ يقدر النحاة محذوفاً: وجاء امر ربك، على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه، وقد دلهم العقل على وجود هذا الحذف، ويظهر ان ذهاب النحويين الى هذا التقدير كان تهرباً من دلالة اشارة التجسيم في الذات الالهية. لكن يتضح ان الحقيقة غير هذا، اذ ان مجيء الآية بشكلها التي جاءت به، فيه اظهار لآيات اقتدارالخالق العزيز الله تعالى، وبيان آثار قهره وسلطانه، فحضور الملك بنفسه مع جيشه و وزرائه وخاصته، فيه أثرٌ للهيبة والسطوة المفقودة في حال مجيء الامر مع الجند. لذلك يتضح ان اسناد الفعل(جاء) الى لفظ الجلالة هنا فيه بيان الهيبة، بعكس حضور الامر مع الجند. فلو قدر هذا المحذوف لما كان المعنى الذي اشرنا اليه من الهيبة والسطوة والسلطان للخالق الكريم واضحاً جلياً.

والحذف اذا اضفي على التركيب ألقى في النفس تشوقاً الى معرفة المراد، وهذا القول يرتبط باعجاب الشيخ عبد القاهرالجرجاني بالحذف في العربية حين يصرح[1] بانه: ((باب دقيق المسلك، لطيف الماخذ،....، واتم ما تكون بيانا اذا لم تبن)).ويبين الزملكاني فضل الحذف فيقول[2]: ((رب صمت افصح من الكلام ورمز آلم من لدغ الحسام)).وذهب السيوطي الى ذلك المعنى..وللرماني ذكر في فضل الحذف، اذ ان الحذف ابلغ من الذكر، لأن النفس تذهب فيه كل مذهب[3] ومن أثر الحذف في التفسير، ما نجده بحذف المفعول به من التركيب، رعاية للفاصلة القرانية، ففي قوله تعالى {وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ

---

١) دلائل الاعجاز: ١٦٢.

٢) البرهان الكاشف: ٢١٩.

٣) ينظر: النكت في اعجاز القرآن: ٧٦/٧٧.

رَبُّكَ وَمَا قَلَى} الضحى١ـ٣ أي: ما قلاك. فحذف المفعول به كان تحاشياً على وقوع الفعل على ضمير المخاطب(الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم) وصونه عن نسبة القلى اليه. اذن الحذف فيه حالة من شد المتلقي كي يبقى متأملاً حتى يصل الى المعنى المطلوب، وهذا هو الدور الذي يؤديه الحذف في تحريك ذهن المتلقي ورسم الملامح التي حذفت من النص لتتلقاها النفس بعد ذلك بشوق ورغبة.

ان كلام الله تعالى بليغ اساساً ولا زيادة فيه، لكن يظهر أن(التكرير ـ والتطويل) في النصوص القرآنية ينتظرها دلالة لايمكن ادراكها لو لم تكن. فالقرآن الكريم كما اسلفنا في البحث حينما يتوجه بالخطاب الى العرب فانه يوجز، وقد يشير او يوحي فقط، ذلك لأن العرب هم اهل اللغة واهل البيان. اما حين يتوجه بالخطاب الى بني اسرائيل فانه يطنب في الالفاظ، لأنهم لايمتلكون ما يمتلكه العرب من لغة وبيان. والمفعول لايحذف الا لاسرار بلاغية يخرج اليها المعنى، فان اريد اثبات المعنى في نفس الفاعل فلا ينظر الى المفعول ولا يخطر على بال، ولا يقدر فيتساوى مع الفعل اللازم[١]. أي ان الحاجة الى حذف المفعول ما سة، بل يظهر فيها الحسن والرونق اعجب واظهر[٢].ففي قوله تعالى {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى} النجم٤٣ – ٤٥، فمنه الاضحاك والابكاء، ومنه الاحياء والاماتة، والاغناء والافناء. والمفعول هنا لاينظر له لان التركيز على فاعل هذه الامور وهي واقعة على البشر لامحالة، وفي كل موضع يكون القصد فيه اثبات المعنى في نفسه. وذكر المفعول هنا يكون فيه ضياعٌ لبهجة الكلام ورونقه[٣]. يقول السكاكي: ((ان القصد في هذه

---

١) ينظر: شرح المختصر التفتازاني: ١/١٥٦.

٢) ينظر: دلائل الاعجاز: ١٥٣.

٣) ينظر: جواهر البلاغة: ١٢.

الآيات، الفعل نفسه تنزيل المتعدي منزلة اللازم))[1]. لأن المقام خطابي لا استدلالي، أي ان الغرض ثبوته لفاعله من دون النظر الى من قد يقع عليه[2]. فالمفعول هنا غائب لدواع بلاغية، منها افادته التعميم زيادة على اختصار الكلام وايجازه.

وهناك من يرى أ نه: لاحذف في الآيات القرآنية، لعدم استطاعة احد تقدير المراد من اقواله تعالى وفي هذا تقول الدكتورة بنت الشاطئ[3]: ((لايمكن لبشر أن يقدر المحذوف في أقواله تعالى، و...، وهو ان جاز في النحو استكمالاً لقواعد الصنعة، فليس بجائز في البلاغة التي هي فن القول ذلك وانه حين يقتضي المقام الحذف لسر من اسرار البيان فلا وجه لتقدير المحذوف، والا اضاع التعبير مقومات اصالته البيانية)). ويبدو ان ما ذهبت اليه الدكتورة بنت الشاطئ هو الأقرب للصواب، لأن آيات القرآن الكريم ينبغي ان تكون هي القاعدة الاصل التي يسير الانسان على هداها واصولها وقواعدها.

واما اثرحذف الجملة فيكمن وراءه اعجاز فني لأنه يوجزالكلام، ويؤدي الى المعنى البلاغي نفسه وتاثيره فيها[4]. ومن ذلك الحذف ما ورد في قوله تعالى{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} البقرة١٢٧يذكرالفراء[5] أن المعنى: يقولان ربنا تقبل منا.فالحذف اثرفي المعنى من خلال تصويره المشهد حياً بارزا، وكأننا نراه واقعا الآن ونشاهد ابراهيم واسماعيل وهما يقولان: ربنا تقبل منا. ويكثر حذف الجملة في القصص القرآني ليستغني به عن تفصيلات. ومن هذا يتضح انتاج ظاهرة الاتساع في دلالة الالفاظ

---

١) مفتاح العلوم: ٣٣٤.

٢) ينظر: شرح المختصر: ١٦٠/١.

٣) التفسير البياني للقرآن الكريم: ٣١.

٤) ينظر: علم المعاني: ٤٠٢، بسيوني عبد الفتاح.

٥) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٧٨/١.

والتراكيب، وهي ظاهرة عنى فيها القرآن الكريم اي عنايةً ، فنجد الحذف، واتساع في المعاني مترتب عليه. وفي بعض المواضع نجد ان المعنى يدعو الى أمر، والاعراب يمنع منه، وهنا يتوجب الالتزام بصحة المعنى لأنه الاصل، وينبغي التصرف في تقدير إعراب يتناسب مع المعنى الصحيح(١).

اي ان التقديرالاعرابي يجب ان يوافق المعنى الذي تدل عليه الادلة الشرعية(٢) فالقاعدة في ذلك تتمثل في حمل القرآن على أصح المعاني، وافصح الاقوال، فلا يحمل على معنى ضعيف، ولا على لفظ ركيك، ولا يقدرفيه من المحذوفات الا أحسنها وأشدها موافقة وملائمة للسياق. وهذا يحتّم على المفسر ألايخرج على خلاف الاصل او خلاف الظاهر لغير مقتض، اذ يجب ان يكون تفسيره خالياً من التقدير والحذف والاضمار قدر ماستطاع، لأن ذلك خلاف الاصل، ولا ينبغي اللجوء اليه الا اضطراراً، وهذا ما عمل عليه الكوفيون.

فضلاً عما تقدم، فان النحو الكوفي ومن خلال اجتهاد مؤسسيه واهتمامهم بالدراسات القرآنية، قد اضاف آراء في بعض القواعد البصرية بعد ما ذهبوا اليها مضطرين الى القول بالزيادة والحذف - مظاهر التاويل- حين اصطدمت النصوص القرآنية بتلك القواعد، فذهب الكوفيون الى القول بالتاويل، لكنه أي تأويل، ولا سيما بعد ادراكهم الناحية الوظيفية للمحذوف والمذكورمن الالفاظ ومعانيها، وهذا ما جعل قولهم بالتاويل هو الاقرب الى روح اللغة، بل وكان ميزة لهم في الدرس النحوي، ولهذا كانت اضافات الكوفيين لتلك القواعد البصرية، مؤثرة بدقة ووضوح بتفاسير القرنين عبرالتزامها بها، بل تمسكها بها من اجل عدم الذهاب بالتاويل المتكلف الساعي الى التعقيد.ومن الآراء التي اضافها الكوفيون في النحو، وأثّرت في التفسيرعبر القول بـ:

---

١) ينظر: مغني اللبيب: ٢٦٣/٢.

٢) ينظر: علم اعراب القرآن: ٢٨٣، العيساوي.

١. بحذف لام الامر من المضارع بشرط تقدم(قل) عليه.
٢. بنصب الفعل المضارع بالادوات(حتى)، و(لام الجحود)، و(لام التعليل) بأنفسها لا بـ(أن)مضمرة.
٣. بجواز الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف وحرف الخفض.
٤. بإعمال(أن)المصدرية محذوفة من غير بدل.
٥. بجواز العطف على الضميرالمرفوع المتصل في اختيار الكلام.

وعليه فان القرآن الكريم أكثر مَن راعى قضية الذكر والحذف، إذ لاذكر لكلمة الابمقتضى السياق، ولاحذف لكلمة الا اذا كان ذلك أبلغ وانسب وأكثر ترابطا في الاسلوب، بحيث تتداعى الالفاظ تداعياً طبيعيا حسبما تقتضيه الافكاروتنسج بسهولة ويسر لتتماسك في مواضعها التي هيّأت لها[1].فضلا عن أن اسلوب القرآن جعل سياقه يتطلب ان يقطع الصلة التقليدية المألوفة بين اللفظ والمعنى لحساب نظم الآية الداخلي الساعي الى وجود معنى جديد. ولهذا كان الاسلوب القرآنيُ متميزاً من أساليب العرب، كونه اسلوباً يستثمر طاقات اللغة للتعبيرعن المعاني الدقيقة المتفردة، وهذا أعجز العرب عن مجاراته، كونهم يحتكمون الى اشارة اللغة الى الواقع.

---

١) ينظر: فكرة النظم بين وجوه الاعجاز في القرآن الكريم: ١٥٨، الدكتور فتحي احمد عامرة.

الفصل الثالث

المصطلح النحوي الكوفي في تفسير القرآن

المبحث الاول

المصطلح، المفهوم وموقـف الكوفيين منه

المبحث الثاني

مواضع المصطلح الكوفي في تفسير القرآن

المبحث الثالث

أثر المصطلح الكوفي في تفسير القرآن

المبحث الاول
المصطلح النحوي عند الكوفيين والموقف منه

أولية المصطلح:

ان البحث عن تاريخ ظهور المصطلح النحوي ووضوح مفهومه يصطدم بالمصاعب نفسها التي تعترض سبيل البحث عن نشأة النحو قبل ظهور الكتاب، ذلك بسبب فقدان الوثائق التي تؤصل لذلك اولاً، ولكون المادة النحوية التي يتكون منها(الكتاب) بلغت درجة من الاكتمال والنضج، ومن الغزارة والشمول ما يحمل على التأكيد بانها نتيجة مخاض طويل ومجهودات أجيال متعاقبة يمثل الخليل الفراهيدي وسيبويه آخر حلقاتها ثانياً[1].

لكن الشيء الذي لايمكن تجاهله، او الذي ينبغي الاقرار به، يتمثل في ان الانسان العربي قبل الاسلام اعتاد ان يتحدث فيفصح القول، ويخطب في مجالس الرجال فلا يعتري كلامه اللحن، وان يعرف مواضع الزلل فينتبه، ويجدها عيباً إنْ تكرر من متحدث، فهو والاعجمي بمقياس واحد.وبعد دخول الاعاجم في الدين، وخوف العرب المسلمين على لسانهم من ان تشوبه لكنة الغريب الذي جمع واياهم بالاسلام، فأراد الغيارى على لغة الضاد كتابة قواعد لغتهم.

من هذا يتضح ان كتابة القواعد النحوية هي نقطة الشروع للمصطلح النحوي، بدءا بالمفردات الرئيسة كالنحو واللحن والاسم والفعل والحرف، وانتهاءً بالخلاف الذي نشأ بفعل دراسات الدارسين وتعصب المتعصبين لهذا

---

١) ينظر: اشكالية التاريخ لنشأة المصطلح النحوي: ٤٧٧- ٤٨٤، و: نظرات في التراث اللغوي العربي: ١٦٥.

المذهب او ذاك. أي يمكن القول: ان نشأة المصطلح النحوي كانت مع نشاة النحو، وهو يؤدي أثراً مهماً في الفكر النحوي.

وقد قيل: حياة العلم البيان[1]، وهذا القول يحمل معه سؤالاعن حقيقة البيان الذي يسبب حياة العلم. وسرعان ماتكون الاجابة: توضيحا للموضح وبيانا للمبين، فالبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى[2]. لكن ينبغي الوصول الى ماهية(اصول) ما يكشف قناع المعنى، اذ ان هذه الاصول توجد في اصناف الدلالات على المعاني التي تدور مابين لفظ واخر[3]. وهذا يتطلب البحث في حقيقة اللفظ الذي يدل على معنى العلم الموضوع له، والمختص ببيان دال عليه، ونتيجة لهاتين الخصيصتين انحرف اللفظ عن معناه المادي الاساس، الى وجهة دلالية اخرى. والوجهة الجديدة من عمل اهل العلم وطوائف اللغويين، الذين اتفقوا على استعمال خاص للفظ، ولهذا سمي(مصطلحا)، والاصطلاح كما هو في العرف اللغوي: اتفاق طائفة على شيء مخصوص، ولكل علم اصطلاحاته[4].

وفي ضوء ماتقدم فالمصطلح: اكتساب اللفظ المتفق عليه غير معناه الموضوع له في اصل الوضع اللغوي، وبهذا الكسب تخصص اللفظ بعد شيوعه. ومن الامثلة التي تؤكد ذلك، بل من ابلغها مصطلح(النحو) لما فيه من مراعاة المقال للمقام، فجاء في حد النحو: وهو في الاصل مصدرشائع، أي: نحوت نحواً، كقولك: قصدت قصداً، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم. وكذلك الفقه،

---

١) ينظر: البيان والتبيين: ١/٧٧.

٢) ينظر: م.ن: ١/٧٦.

٣) ينظر: شرح شذور الذهب: ٢٩ وما بعدها.

٤) ينظر: المعجم الوسيط: ٥٢٢ مادة(صلح).

ففي الاصل مصدر فقهت الشيء، اي: عرفته، ثم خص به علم الشريعة من التحليل والتحريم[١].

يتضح من هذا ان المصطلح اتجاه جديد في دلالة اللفظ، وتحوّل يبرّزه التشابه بين القديم والجديد أو بكلمة بين المعنى اللغوي الاساسي والمعنى الاصطلاحي[٢].

وما سوغ هذا الحمل الجديد علاقة مناسبة بينهما فاختيراللفظ ليقوم بحمل معنى معين وهو امر ينتبه عليه المصطلحون عند الاختيار، وتهيئة ظروف عدة. وقد اوضح الدكتور ابراهيم السامرائي ذلك، عندما قال[٣])(: تطلق كلمة مصطلح في اوساط الناس اليوم ليراد المعنى الذي تعارفوا عليه، واتفقوا عليه في استعمالهم اللغوي الخاص او في اعرافهم الاجتماعية، وعاداتهم السائرة، وتساعد الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية على ان تحمل كلمة ما غير الذي وضعت له في اصل اللغة التي تنتمي اليها)).

والمصطلح العلمي هو اداة البحوث العلمية، وعن طريقه يتم التفاهم بين العلماء في شؤون المواد العلمية. وليس هناك علم من دون قوالب لفظيه تعر ف به. وهذه القوالب اللفظية هي التي نعني بها المصطلح العلمي، وعندما تنمو العلوم تنمو معها هذه القوالب اللفظية[٤].

وقد عرف احد الباحثين[٥] المصطلح العلمي بقوله: ((هو كلمة واحدة او كلمات قليلة توضع تسمية لشيء قد يكون ملموساً، إما لتميزه عن سواه، وقد

---

١) ينظر: الخصائص: ١/٣٥.

٢) ينظ: مصطلح النحو العربي بين الاصل المادي والتطور الدلالي: ٧٥ وما بعدها، بحث، د.محمد كشاش.

٣) في المصطلح الاسلامي: ٨.

٤) ينظر: مباحث لغوية من حياة اللغة العربية: ١١٠.

٥) المصطلح، ماهو وكيف نضعه: ٦٣٥، بحث منشور، د. سعيد طه ياسين.

خلطت اللغة بينهما، وإما لحداثة اكتشافه ورؤيته او تقديره، واما لوصف بعض مراحلة على مر الزمن، واما لوجود فوارق دقيقة لم تكن مرئية في السابق، فاستعملت المرادفات اللغوية له بمعنى الترادف، بل لتثبت هذه الفوارق وقد يكون غير ملموس مما يستجد في الفرضيات العلمية)).

ولقد برز مفهوم(مصطلح) في اللغة العربية، نتيجة لتطورالحياة بمفاصلها الفكرية والسياسية والاقتصادية، التي وجهت بعض الألفاظ العربية وجهات معينة، وهذا الاجراء يُعَدُّ دليل حياة العربية، ونوع من الانتقالات التي تحاول الالفاظ فيها مواكبة مسار الحياة بتياراتها المختلفة، وهي ظاهرةٌ تشهد لها الحضارة العربية في جوانبها المختلفة. وجاء الاسلام وعمل على بروز كثير من العلوم مابين عقلية ودينية، وقد قسّموا العلوم على قسمين(١): عقلية: كالطبيعية والحساب والهندسة، ودينية: كالكلام والفقه واصوله وعلم الحديث وعلم التفسير.

ومن اهم العلوم الدينية التي تتقدم النظر في القرآن والسنة علم النحو، لأنَّ استنباط الاحكام الشرعية متوقف عليه، والاجتهاد يعود اليه.وقد ادرك الفقهاءأهمية النحو واللغة، فجعلوها شرطاً يجب توافره في الفقيه، الى الحد الذي قيل:.... انه لابد للفقيه ان يكون نحويا لغويا وإلّا فهو ناقص، ولايحل له ان يفتي لجهله بمعاني الاسماء وبُعده عن فهم الاخبار(٢).

ولقد عمل علماء العربية بدافع ديني الى جانب دوافع اخرى على وضع قوانين وقواعد للعربية تصون الالسنة وتحافظ على ملكة اللسان التي أخذ يعتريها الزيف، فضلاًعن الأثرالذي تؤديه في معرفة احكام كتاب الله، اذ كان الكلام العربي الفصيح ميدان عملهم ومادتهم، وهذا ما بيَّنه ابن خلدون عندما

---

١) ينظر: المستصفى من علوم الاصول: ٥/١ وما بعدها.

٢) ينظر: الاحكام في اصول الاحكام: ١٥١/١-١٥٢.

صوّرعمل علماء العربية بقوله[1]: ((... وخشية اهل العلوم منهم ان تفسد تلك الملكة رأساً، ويطول العهد بها، فينغلق القرآن والحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين ليجري عليها سائر انواع الكلام، ويلحقون الاشباه بالنظائر)).

ويمكن القول ان النحوالعربي بَدَأَ وظيفياً[2]، اذ بدأ بضبط الكلمات ونظام تأليف الجمل لاجل سلامة اللسان من الخطا في النطق، وسلامة القلم من الخطا في الكتابة. ويتعرف به العربي احكامه عن طريق نظم الكلام وضبطه ضبطاً صحيحاً، من دون ان يقدم نظرية بمصطلحات.يشهد لذلك رواية الامام علي- عليه السلام- للدؤلي بان ينحو الى الرجل الذي أخطأ في حلقة علمه، بوضع ما يعرفون به كلامهم.ثم اخذ النحو يتطورليصبح علماً له اصوله واحكامه، وان لكل علم مصطلحات بمثابة اوعية له. لكن السؤال: من أين استمد العربي هذه المصطلحات، ولاسيما ان قنوات الترجمة عن الامم الاخرى لم تكن مفتوحة بعد، زيادة على ان العلوم الاخرى لم ترس قواعدها لكي يستعارمنها، وتنقل مصطلحاتها الى النحو؟

ويبدو أن ما تحتويه البيئة العربية من موجودات ومسميات، يُعَد حقلاً لغوياً مادياً، فيه المد وعليه المعتمد، ومنه اقتلع علماء العربية مصطلحات نحوهم، فاستمدوا اسم الرفع من رفع الخيمة، والنصب من انتصاب اسبابها، والاعراب من البيان. والذي يرجح هذا القول وصف ابن خلدون لعلماء العربية وهم يقعدون قواعدهم، اذ ذكر:... ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميته اعراباً، وتسمية الموجب لذلك التغير عاملاً، وامثال ذلك. وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيّدوها بالكتاب وجعلوها صناعة

---

١) مقدمة ابن خلدون: ١٠٥٧.

٢) ينظر: النحو الوظيفي: هـ ـ و(المقدمة).

لهم مخصوصة، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو(١)، وان اسماء موجودات الصحراء كانت من بواكير ما عرفها العربي. وعليه أن البيئة العربية كانت مهيأة للانطلاق بتاسيس مصطلحات النحو، فنقلوها من معانيها المادية المحسوسة الى رحاب علوم العربية لتدل على جزئياتها، واحكام قواعدها، ومن ثمة سار المعنى الجديد بين الناس حتى اصبح في استعمالهم اليومي شيئاً مالوفاً، نسي معه ذلك المعنى اللغوي الاساسي او كاد(٢). وما يؤكد ذلك وجود مصطلحات نحوية ينبغي استقراء معانيها الاصلية لتكون الشاهد والبينة ـ لكن لم يكن هذا موضوع البحث ـ ومن تلك المصطلحات: التقدير، المبني، التجرد، الجامد ـ الحرف ـ الحركة ـ الادغام ـ المذكر ـ الرابط ـ الرفع ـ السكون ـ الضمة ـ الضمير ـ النصب ـ الفتحة ـ الماضي ـ النفي ـ النحو. ومن استقراء تلك المعاني يتضح جيداً التحول الذي اصابها وجعلها ان تحمل معاني اخر ووضعت كمصطلحات بهذا العلم.

ولفظ(المصطلح): مصدرميمي للفعل اصطلح، وقد يكون اسم مفعول لذات الفعل، على تقدير متعلق محذوف، أي: مصطلح عليه. وقد كان لعلمائنا القدامى جهوداً طيبة في مجال فهم المصطلح، وتحديد معناه والوقوف على اهميته، وذهبوا الى ضرورة الاتفاق بين مجموعة من العلماء عليه، ولا بد من استعماله في مجال علمي معين، كي يحمل معنى واضحاً، محدد الدلالة، مؤديا الغرض المراد.

وهنا يمكن القول ان المصطلحات لا تصاغ الا حينما ترقى العلوم، اذ ان رقيها يحفز المبدعين الى البحث عن أوعية لفظية تستوعب ما يدعون من افكار جديدة، وتنقلها الى سواهم، فالمصطلح يولد من الفكرة، والفكرة لاتولد منه، فالذي لم يتمخض عصره او فكره عن علم جديد فليس في حاجة الى مصطلح

---

١) ينظر: مقدمة ابن خلدون: ١٠٥٧ ـ ١٠٥٩.

٢) ينظر: في المصطلح الاسلامي: ٨ ـ ٩.

جديد، على اننا نقول بتداخل المصطلحات، على الرغم من ان المصطلح من أهم مفاتيح العلم، وهذا ماموجود في واقع النحوالعربي البصري والكوفي.

ولأن المصطلحات عنوانات تميز كل علم عن غيره، ولأن حاجة التفاهم والتواصل والفصل بين مفهوم وآخر متصلة بها، فانها تعد على اختلاف اشكالها وصورها، من اكثر العناصر اللغوية تداولاً وحضوراً في كلام الخاصة، وأوسعها استعمالاً وتوظيفاً.

ومتى تحلّى المصطلح بحد الجمع والمنع، أصبح حصنا حصيناً لذلك العلم، لأن العلاقة الموجودة بين العلم ومصطلحاته تتسم بالتفاؤل، كونها علاقة تعاوضية، فمتى غاب أحد طرفيها حضر الاخر. فالمصطلح ينشا من اللغة المتداولة كغيره من المصطلحات العلمية، فعلم النحو مثلاً وكما ذكرنا، لم يتم التفاهم بين العلماء الاوائل على عَدِّه مصطلحاً علمياً دالاً على هذا المفهوم، بل ان اشارة الامام علي(عليه السلام)الى الدؤلي بأن ينحو هذا النحو فتحول المدلول اللغوي الى مدلول علمي. فهو اذن مصطلح نشأ بشيء من العفوية ولم يتواضعوا عليه بهذا الشكل المعروف في وضع المصطلحات اليوم.

والحقيقة ان قضية نشاة المصطلح النحوي يبدو فيها نوع من الابهام، بسبب الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، لأن الحديث عن النحو العربي ينطلق من المرحلة الناضجة المتمثلة بكتاب سيبويه(١٨٠ هـ) مجموع علم الخليل الفراهيدي. وعلى اية حال فلقد جاء من بعد الخليل الفراهيدي(١٧٥ هـ) شيوخ وتلاميذ حذوا حذوه في هذا العلم، واقتفوا خطاه، فكان كتاب سيبويه في النحو، ذلك الكتاب الذي وصل متكاملاً من ناحية المصطلحات. ولقد ظهرت مدرسة نحوية بعد الخليل، كانت تنافس مدرسة البصرة، لها منهجها الخاص في النحو واللغة. وبطبيعة الحال فقد فرض اختلاف المنهج اختلافاً في الرؤية لهذا العلم، ومن ثم اختلافاً في المصطلح عند الفراء خاصة في معانيه، اذ لا يكاد يخلوهذا الكتاب من بديل للمصطلح البصري.

اصول المصطلح النحوي:

لقداستقرالمصطلح النحوي وأصبح علماً قائماً بذاته، بعد ما كان مجرد مصدر للفعل(نحا) كما مر ذكره. وللنحو في اللغة معانٍ عدة، منها: القصد والجهة كـ(نحوت نحو البيت)، ومنها: المثل كـ(زيد نحو عمر)، و المقدار كـ(عندي نحو الف)، والقسم كـ(هذا علي خمسة انحاء)، والبعض كـ(أكلت نحو السمكة)، واظهرها واكثرها الاول ثم استقر معناه الى اعراب اواخر الكلم. وهو علم استخرجه المتقدمون من استقراء كلام العرب وأرادوا به ان ينحو المتكلم اذا تعلمه كلام العرب.

ويذكر ابن جني[1] انه: انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من اعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير، والاضافة والنسب، والتركيب، وغير ذلك ليلحق من ليس من اهل العربية باهلها في الفصاحة فينطق بها وان لم يكن منهم، وان شذ بعضهم عنها رُدَّ به اليها.

ولقد كان شأن كلمة(المصطلح) شأن كلمة(النحو) نفسها في الانتقال من المعنى اللغوي الى المعنى العلم المجرد[2]. وهما كغيرهما من الالفاظ التي اتخذت مدلولها العلمي بعدما غبرت فترات طويلة تعرف بمعناها اللغوي، فالنحو مثلاً بدأ بمعنى الجهة والقصد، واستقر بانه العلم باصول يعرف بها احوال اواخر الكلم اعرابا وبناءً[3].

ويبدو من كتب القدماء ان(الاصطلاح) كان يعرف بـ(اللفظة). فابو جعفر النحاس(٣٣٨ هـ) يقول[4]: ((البدل ليس من لفظ الكوفيين)). ويقول

---

١) ينظر: الخصائص: ٢٤/١.

٢) ينظر: المصطلح النحوي نشاته وتطوره: ٢١.

٣) ينظر: الحدود النحوية للفاكهي: ١٠٩، و: المصطلح النحوي: ١٤٦.

٤) القطع والائتناف: ٥٤.

الزجاجي(٣٤٠ هـ) في تداوله لاصطلاح ما لم يسم فاعله(وليس هذا من الفاظ البصريين))[١] وصولاً الى ابن جني(٣٩٢ هـ).

وابن فارس(٣٩٥ هـ) اذ يعقد كل منهما باباً لهذه التسمية، فابن جني يقول[٢]: و((باب القول على اصل اللغة أإلهام هي أم اصطلاح؟))، وابن فارس يقول[٣]: و((باب القول على لغة العرب أتوقيف؟ ام اصطلاح؟)).

وبعدها عُرِفَ الاصطلاح بـ(العبارة)، فقد اشار ابن بابشاذ(٤٦١ هـ)الى ان[٤]: الجر من عبارة البصريين، والخفض من عبارة الكوفيين. و ابن السيّد البطليوسي(٥٢١ هـ)يقول[٥]: ((سمى ابن قتيبة في هذه الابواب حروف الجر صفات، وهي عبارة كوفية لابصرية))، وهذا ابن يعيش(٦٤٣ هـ) يقول[٦]: ((والجرعبارة البصريين والخفض من عبارات الكوفيين)).

مما تقدم يتضح ان المصطلح(الاصطلاح): يعنى به وبحروفه او يقرن به ماتوافق عليه قوم من اتفاق ينم عن الصلح او التقارب الفكري في مسائل اللغة أوالعقيدة[٧].

اذن يمكن القول ان المصطلح هو[٨]: ((عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه)). أوهو اخراج اللفظ من معنى لغوي الى

---

١) الجمل في النحو: ٧٨.

٢) الخصائص: ١/٤٠.

٣) الصاحبي في فقه اللغة: ٣١.

٤) ينظر: توجيه اللمع: ٢٢٧.

٥) الاقتضاب: ٢/٢٩٥.

٦) شرح المفصل: ٢/١١٧، ٣/١١٠، ٨/٨٨.

٧) ينظر: مصطلحات المذاهب الفقهية: ٩/١٢-١٣.

٨) التعريفات: ٢٢-٢٣.

آخرلمناسبة بينهما. أواتفاق طائفة على وضع اللفظ بازاء[1] المعنى، او لفظ معين بين قوم معينين[2].

وهذا الاتفاق ان كان بين جماعة من النحاة صنعوا مصطلحاً نحوياً، فكلمة(الاصطلاح)اذن تعني الاتفاق، وهذا الاتفاق بين النحاة[3] على استعمال الفاظ معينة في التعبيرعن الافكار والمعاني النحوية هو(المصطلح النحوي)، ويتم تداوله بينهم، ويشكل منهم طائفة تتمذهب بهذا التداول ويعرف به، مما يعني استقلالية هذا المذهب او ذاك في تبني المصطلحات والمسائل. وعليه فان المصطلح النحوي هو: اتفاق بين النحويين على الفاظ معينة تؤدي الى معانٍ و مفاهيم مستقرة عندهم[4].والنحو بوصفه علما وصناعة يجب ان تتوفر فيه مصطلحات خاصة به تكون أعلاما على موضوعات ومعان يطلقها اصحاب هذه الصناعة لأجل أن يفهمها الدارسون من اهلها[5].

ولم يتعد(المصطلح النحوي)عن الخلاف بين البصريين والكوفيين، لأن خلاف النحويين لم يتوقف عند المسائل النحوية فقط، بل تعداه الى الخلاف في المصطلح، فقد استعمل الكوفيون مصطلحات تختلف عن المصطلحات التي استعملها البصريون[6]. واستعمال الكوفيين لمصطلحاتهم المختلفة عن مصطلحات البصريين لم يكن عبثاً، بل كان لاجل الاستقلال، ولأجل قيام مدرستهم النحوية التي ينبغي ان تعرف بالمصطلحات الخاصة بها.على ان هناك

---

١) ازاء: بمعنى(امام)، و: ازاء هي الافصح، لان الامام في المقدمة ومنه سمي الامام الذي ياتم به الناس، ينظر: العربية تواجه العصر: ٨٠.

٢) ينظر: التعريفات: ٢٣.

٣) ينظر: المصطلح النحوي نشاته وتطوره: ٢٢.

٤) ينظر: م. ن.

٥) ينظر: المصطلح النحوي في كتاب سيبويه: ٢ ومابعدها.

٦) ينظر: المصطلح النحوي نشاته وتطوره: ١٦٢.

مصطلحا ت مشتركة استعملها كلا الفريقين من النحويين، فكانت النتيجة شيوع مصطلحات خاصة بنحويي البصرة، واخرى خاصة بنحويي الكوفة، وثالثة مشتركة بينهم[1].

فالمصطلح هوالفاصل والمميز للمذاهب بعضها عن بعض، وعليه قالوا: في نعته اصطلاح(القطع) انماهو مذهب الكوفيين[2].

وقالوا: ((سمي أهل البصرة ماكان حالاً... يسميه الكوفيون قطعاً))[3].

فالكوفيون انمازوا عن أقرانهم البصريين في تبني مسائل واستخدام مصطلحات.ويمكن القول: إن الكسائي يُعَد شيخ المدرسة الكوفية النحوية ومؤسس مصطلحاتها[4]، فهو يقول: مردوداً على المضمر، ولا يقول: على البدل. والفراء تبنى طريقة شيخه الكسائي، فهو ايضا لايقول: بدلاً، لأنه ليس من لفظ الكوفيين[5].وقد عرف الفرّاء بمخالفته سيبويه في القاب الاعراب وتسميةالحروف[6].

فعلم المصطلح اذن[7]: ((هو العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبرعنها)). وهذا يجعل الدقة مطلوبة في استدلال اللفظ على ذلك المعنى او بيان العلاقة بين المفاهيم، والا أحاط اللبس ذلك المراد. ويرى الدكتور مهدي المخزومي امتلاك اللغة العربية القدرة على توليد المصطلحات، فيذكرفي هذا الشان: انه اذا كانت اللغات تجد عسراً في توليد

---

١) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: ٣٠٥.

٢) ينظر: البحر المحيط: ١/٥٧٧.

٣) جامع البيان(تفسير الطبري): ٥/٤٢٠.

٤) ينظر: القطع والائتناف: ٥٤.

٥) ينظر: تفسير القرطبي: ١٤/٢٦٨.

٦) ينظر: مراتب النحويين: ٨٨ - ٨٩.

٧) مقدمة في علم المصطلح: ١٧ - ١٨.

المصطلحات، فان اللغة العربية اقدراللغات على وضع المصطلحات وتوليدها واشتقاقها ونحتها وتطورها، وذلك للعلاقة القائمة بين الصيغ الصرفية العربية والمفاهيم العامة في الوجود[1]، ويذهب الدكتورأحمد مطلوب[2]الى أن المصطلح هو(العرف الخاص)، وهو(اتفاق طائفة مخصوصة على وضع شيء)

مسوّغات وضع المصطلح الكوفي:

من المعلوم ان أي مصطلح علمي يمر بمراحل، ثم يستقر، والمرحلة الاخيرة هي التي ينضج فيها المصطلح ويستقرويطّرد في الاستعمال. والمتتبع لنشأة المصطلحات النحوية، يرى المرحلة الاخيرة بادية خاصة في النحو البصري، في كتاب سيبويه ومن قبله شيخه الخليل.والحقيقة التي لايمكن انكارها متمثلة: في ان الاصول النظرية(القياس والسماع والعامل وغيرها) التي قام عليها الدرس النحوي واللغوي بصرية، وهي مسلّم بها من علماءالعربية جميعاً في الكوفة أم في غيرها. وهي التي يجري على أساسها التحليل النحوي. لكن هذا لايمنع وجود مدرسة منافسة للمدرسة البصرية، لها منهجها الخاص في اللغة والنحو. ولكي يتسنى لنا معرفة مصطلح المدرسة الكوفية ينبغي ان نعرض لها وخصائصها.

على ان المصطلح الكوفي لم يكن بدعا في الدرس النحوي، بل كان مكملاً لأعمال المدرسة البصرية، فالفراء صاحب(معاني القرآن) الذي يعّد المصدر الاول في الدراسة النحوية الكوفية، جاء مكملا لما بدأه شيخه الكسائي. فقد أعمل فكره الثاقب، وعلمه الواسع فاستفاد منه وافاد، وبذلك اصبح ذا منهج متميز في النحو، ولا بد له من أن يظهر هذا المنهج المتميز وذلك لقدرته الفائقة على التحليل والاستنتاج[3]. وقد يقول قائل: ان ابتداع الفراء في المصطلح جاء

---

١) ينظر: مدرسة الكوفة: ٣٠٩ -٣١٠، و: مقدمة في علم المصطلح: ٣٧.

٢) ينظر: بحوث مصطلحية: ٨.

٣) ينظر: دراسة في النحو الكوفي: ٢١٠.

لغرض المخالفة.فنقول: ان الفراء وقد يشهد له الجميع بالتبحر في العلم استفاد من رواياته وقياسه واطلاعه، وتفرد بالتحليل والنقاش والفهم للمسائل النحوية المطروحة، وهو لايتقيد بما تعارف عليه النحاة قبله.اذ انه يمثل ثورة على التقليد في بعض المصطلحات، هوماسيوضح في المبحث القادم عبرعرض مواضع المصطلح الكوفي في القرون المذكورة.

ولقد كان عامل الاستقرار السياسي، وانشغال اهل الكوفة بالميادين العسكرية والسياسية من جهة، والقراءات القرآنية والفقه والحديث النبوي الشريف من جهة اخرى دافعاً وحافزاً للبصرة في سبقها في المصطلح.وكانت الكوفة مهجراً لكثير من الصحابة، على ان اهم ما يميزها انها كانت اكبر مدرسة لقراءة القرآن، ومنها تخرج ثلاثة من القراء وهم: عاصم وحمزة والكسائي(1) والقراءات القرانية علم يعتمد على الرواية، ويعتمد على التلقي والعرض، فلا يسمح بقراءة القرآن الا بعد تلقيه عن شيخ واجازته منه، لان القراءة علم باداء القرآن اداء معينا، وهو لا يقوم على مطلق او اجتهاد او تاويل، ولكنه يتوقف اولاً واخراً على الرواية والتلقي والعرض، وهما أصح طرق النقل اللغوي(2).

وفي هذا الجو الديني والفكري الواعي، تظهر لنا حلقتان لأهم عَلَمين في المدرسة الكوفية، فـ(الكسائي)كانت له حلقة في مسجد الكوفة كما تذكر كتب السِّير، يشرح فيها القرآن، ويعرض للمسائل اللغوية والنحوية والصرفية والصوتية المتعلقة بقراءته، أو بقراءات مخالفة له.

والعَلَم الثاني هو تلميذه(ألفرّاء) الذي كانت له حلقة مشهورة يملي فيها على الحاضرين ويشرح لهم ما يتعلق بآيات الكتاب الحكيم من قراءات، وما يعرض في عباراته والفاظه من مشكلات وصلت الينا في كتابه(معاني القرآن). وكان

---

1) ينظر: العربية والفكر النحوي: ٥٠.

2) ينظر: دروس في المذاهب النحوية: ٥٣.

للادباء والرواة حلقات يروون فيها الشعر ويناشدونه. وكان الدافع الى كل هذه العلوم الرغبة الخاصة فيها[1].

والمتتبع لكتاب الفراء(معاني القرآن) فانه يقف على الفاظ ومصطلحات خاصة، غير التي عهدناها في كتب النحو المبسوطة بين ايدينا. وهي التي تمثل مرحلة المصطلح النحوي الكوفي. فهل هذا الاختلاف المصطلحي بين المدرستين، ناتج عن الخلاف في المسائل النحوية؟ ام هو ناتج عن اختلاف المنهج المتبع في الدراسة؟ ام كانت هذه المصطلحات لمجرد اعطاء البديل ؟ لأن موقف الند لمدرسة الكوفة من البصرية واضح. حتى ان الكسائي وهو امام الكوفة ومقدمهم كان يقف موقف الند لـ(سيبويه) يناظره ويخالفه الرأي[2]. ففي مجال المصطلح النحوي كان الخلاف كبيراً، حتى انه شاع بين الدارسين المتأخرين ان هذا المصطلح بصري والآخركوفي، اذ نظر كل فريق الى مصطلحات كتاب سيبويه نظرة الناقد، ثم شرع في تهذيبها وتطويرها، حتى وصلو بها جميعاً الى الاستقرار[3].

ونجد أن مصطلحات الكوفيين قد انتشرت في بيئة القرّاء والمفسرين وكتب فقه اللغة واللحن وغيرها من كتب الرواية[4]، زيادة على ان استعمالها كان بارزاً في كتب الاحتجاج.ولذلك يمكن القول: ان الكوفيين قصدوا قصداً الى ان تكون لهم في النحو مدرسة يستقلون بها، على الرغم من تلمذة علمائهم الاولين على ايدي البصريين، واخذهم جميعاً من كتاب سيبويه(مجموع علم الخليل) ينهلون منه. الا انهم حاولوا جاهدين ان يميزوا نحوهم بمصطلحات تختلف عن

---

١) ينظر: م. ن: ٨٩ - ٩٠.

٢) ينظر: حضارة العراق، د. خديجة الحديثي، (مراكز نشاة الدراسات اللغوية)، مجلة جامعة بغداد: ٢٠٢.

٣) ينظر: طبقات النحويين واللغويين: ٨٠ ومابعدها.

٤) ينظر: المصطلح النحوي نشاته وتطوره: ١٥٦.

مصطلحات البصريين. فضلاعن محاولاتهم الجادة في اضافة قواعد نحوية جديدة الى النحو العربي عبرحملهم النص القرآني على ظاهره(الفصل الاول من هذه الرسالة)، واضافتهم آراء نحوية جديدة الى القواعد البصرية(ذكر بعضها في الفصل الثاني من هذه الرسالة)، وهم في هذا الفصل يؤسسون لمصطلحات نحوية جديدة تضاف الى مصطلحات النحو العربي، بعضها لم يقل به البصريون البتة، وبعضها تقابل مصطلحات موجودة في النحو البصري(وستعرض في المبحث القادم).

ويبدو أنَّ اول مصطلح عند الكوفيين تمثل بمصطلح(الاداة) وهويمثل القسم الثالث من اقسام الكلام، ويقابله مصطلح(الحرف) عند البصريين. اما المصطلح الثاني فتمثل بالقسم الثالث من اقسام الفعل حين ذهبوا الى تقسيم الفعل على: ماض ومستقبل[1](المضارع والامر) ودائم، ولم يريدوا بـ(الدائم) فعل الامر، وانما ارادوا اسم الفاعل، لان(الامر) عند الكوفيين مقتطع من المضارع المجزوم بلام الامر. جاء هذا مستندا الى مخالفة الكوفيين للبصريين اولاً في الاصول في أربع مسائل اساسية تمثلت[2]: بعدم تفرقة الكوفيين بين القاب الاعراب والبناء، وبذهابهم الى ان الفعل هو اصل المشتقات، وذهابهم ايضاً الى ان الاعراب اصل في الافعال كالاسماء، وذهابهم في المسألة الرابعة الى ان اقسام الفعل هي: ماض ومستقبل ودائم. واستمر الكوفيون في التبديل والتغييرللمصطلحات النحوية التي وضعها الخليل وسيبويه، بل واضافوا اليها مصطلحات جديدة، منها: مصطلح: التقريب، و: الصرف، و: الخلاف ـ الخروج وغيرها وهكذا نشات المدرسة الكوفية، بعد ان تطورت المدرسة البصرية

١) نقرأ عند ثعلب(٢٩١ هـ)وفي اشارة واضحة الى تقسيم الافعال الى ماض ومستقبل ودائم عند الكوفيين، عبر قوله: ولا تجيء(عسى)الا مع المستقبل، ولا تجيء مع ماض ولا دائم. وهذا يؤكد استعمال الكوفيين لـ(المستقبل).

٢) ينظر: في اللغة عند الكوفيين: ٩٦.

ووصلت الى القمة في هذا التطور، اذ استقرت قواعدها ونضجت اسسها وبلغ اشده قياسها وتعليلها. وحينما نشات المدرسة الكوفية اقبل طلاب النحو على اساتذتها ينهلون من علمهم الغزير. وقد استطاعت ان تقف على قدميها بجانب مدرسة البصرة ويكون لها منهج خاص بها، يخالف في كثير من اصوله المنهج البصري. ومن ثم نشأ الخلاف بين المدرستين، واحتدم النزاع، وكان لكل مدرسة انصار واتباع[1]. ولقد كان لاختلاف المناهج بين المدرستين اثر كبيرفي اختلاف المصطلحات، اذ فرض المنهج الدراسي للمدرستين، ان تكون هنالك فروقٌ، اهمها:

١. قبول الكوفيين بكل ما وصل اليهم من كلام العرب، وجعله اصلاً من الاصول اللغويةالتي يقاس عليها، حتى ولو اقتصرالذي وصلهم على بيت واحد من الشعر. اما البصريون فاختلفوا معهم باشتراطهم الكثرة والتداول على السنة العرب والفصحى للاكتفاء باستخلاص القاعدة، ورفضوا الاعتماد على المثال الواحد او الامثلة القليلة، اذ اكتفى الكوفيون بالقليل النادر المخالف للاصول وجعلوه اصلاً وبوّبوا عليه[2].

٢. وضع البصريون الأمثلة النحوية لتلائم الأصول الموضوعة، بحيث لو اصطدم باصل منها فزعوا الى التاويل والتقدير، فان لم يخضع له وصفه بالشذوذ، او بالندرة او بالتخطئة[3]، على العكس من الكوفيين الذين عملوا جاهدين على تغيير الاصل وفقا للامثلة المسموعة المستعملة، أي ان البصريين اخضعوا النص الى القاعدة، في حين ان الكوفيين يعملون جاهدين على ان يخضعوا القاعدة للنص.ولذلك وجد القدماء في مذهب الكوفيين القياس على

---

١) ينظر: المدرسة النحوية في مصر والشام: ١٩٧ - ١٩٨.

٢) ينظر: المدارس النحوية، د. شوقي ضيف: ١٦١.

٣) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو: ٣٧٩.

الشاذ، وفي مذهب البصريين اتباع التأويلات البعيدة التي خالفها الظاهر. وعليه فان المدرسة البصرية تنقي المسموعات، وتطرح ما لايتفق مع قواعدها الموضوعة، بينما تقبل المدرسة الكوفية جميع المسموعات التي تكون مجموعة لابأس بها من المواد[1].

من هنا يمكن القول: ان البصريين اعتمدوا في تقسيم الظاهرة اللغوية على القوانين العقلية واصول المنطق، ليعوّضوا تخلفهم في مجال الشعر والرواية. فهم امتازوا في استخدام المنطق وبرعوا فيه، بل لجأوا احيانا الى النظر المجرد[2].أما الكوفيون فقد درسوا المادة اللغوية على اساس وصفي ؛ أي بطريقة تقريرية تبتعد عن التعليل الفلسفي، وكلمة الكسائي في ذلك مشهورة عندما سئل في مجلس يونس عن شذوذ أيٍّ الموصولة في استعمالها عن سائرأخواتها الموصولات، قال: أيٌّ كذا خلقت[3]، و(هكذا خلقت) هي جوهر المنهج الوصفي.

وعلى الرغم من ان المادة كانت واحدة، الا ان الاختلاف في المصطلحات كان نتيجة ما تميزت به كل بلدة من طبيعة جغرافية، وثقافة وظروف وتاثيرعلوم وسيطرتها في بلد دون الاخر. كل هذه العوامل ساعدت على ان يكون الاختلاف حاصلاً في المنهج والمصطلح والتفكير.

ووسط هذه الحدود والمفاهيم يمكن ان نستخلص: بان تداول المسألة من الدراسات اللغوية يعني ان نحويي كل مذهب قد اتفقوا على ان ينهجوا نهجاً جماعياً في ترويج مذهبهم النحوي، فافادوا من المعنى اللغوي وخصّوا هذا الاتجاه بدلالة قد أملاها عليهم المنظور الفكري لمذهبهم، فنقلواهذا المعنى الى

---

١) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو: ٣٤٩ -٣٥٠.

٢) ينظر: البحث اللغوي عند العرب: ٢٤.

٣) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٥٩/٣، و: مدرسة الكوفة: ٣٨١.

معنى آخر اصطلحوا عليه لمناسبة بينهما. فمصطلح(المحل - او الصفة) عند الكوفيين، يقابله(الظرف)عند البصريين، وأنّ(الفعل المستقبل)، هوالمضارع عند البصريين، و(ما لم يسم فاعله) عند الكوفيين، ومصطلحات غيرها سنذكرها في المبحث القادم.

وخلاصة القول: ان النحويين عندما جاءوا بعلم النحو لخدمة القرآن الكريم وحمايته من التحريف، وصونه عن اللحن، احتاجوا الى مصطلحات اتفقوا عليها حسب المقامات والمناسبات، فأوائل العرب، بدءا من الامام علي-عليه السلام- واشارته الى الدؤلي في النحو، مروراً بالقُرّاء، وصولاً الى الخليل وسيبويه والكسائي والفراء وثعلب، لهم قصب السبق في ارساء مصطلحات النحو العربي بمدرستيه البصرية والكوفية، مهما يكن من خلاف قائم بين المدرستين، حتى وصلنا بهذا الاكتمال اليوم، وظلت هذه المصطلحات مستقرة حتى اليوم.

المبحث الثاني
مظاهر المصطلح الكوفي في تفسير القرنين

ينبغي التذكير اولاً بان المساحة التي تهيأت لتداول المصطلح الكوفي تمثلت في بيئة القرّاء والمفسّرين وكتب فقه اللغة واللحن وغيرها من كتب الرواية[1]، زيادة على ان استعمال المصطلح الكوفي كان حضوره مميزاً في كتب الاحتجاج. ولقد تم تقسيم المصطلحات الكوفية التي سيرد ذكر مظاهرها في تفسير القرنين على ما ياتي:

مصطلحات الفعل:

١. الفعل ما لم يسم فاعله
٢. الفعل الواقع وغير الواقع
٣. الفعل المستقبل
٤. الفعل الدائم

مصطلحات الاسم:

١. الترجمة والتبيين ـ او التكرير ـ او الرد والمردود
٢. التفسير والمفسر
٣. العماد ـ الدعامة
٤. القطع
٥. الكناية والمكني

---

١) ينظر: في اللغة عند الكوفيين: ٩٦.

٦. المصدر
٧. النعت

مصطلحات الحروف والأدوات:

١. الادوات اللفظية، وتشمل:
٢. الخفض ـ الصفة
٣. الصلة والحشو
٤. النسق
٥. الجحد
٦. لام اليمين ـ لام القسم
٧. التقريب

الأدوات المعنوية، وتشمل:

١. الصرف
٢. الخلاف ـ الخروج
٣. المدح
٤. الشتم ـ الذم

مصطلحات الفعل

١. الفعل ما لم يسم فاعله[1]:

مصطلح قال به الكوفيون وتابعهم فيه مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة، فذكرالطبري[2] الى ذكر هذا المصطلح، وقد اكثر من استخدامه في التفسير، ففي تفسير قوله تعالى {وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ} البقرة٢٨٢ ذكر الطبري: جاء عن بعضهم: ولا يضار المستكتب والمستشهد والشهيد، وتاويل الكلمة على مذهبهم: ولا يضار على وجه ما لم يسم فاعله. وفي تفسير قوله تعالى {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ} النساء١٤٠ اشار الطبري الى ان: قرأها عامة القراء بضم النون وتثقيل الزاي وتشديدها على وجه ما لم يسم فاعله. وكذلك تفسير قوله تعالى {مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ} المائدة١٠٧ ذكر الطبري بعد عرضه لآراء عديدة: والصواب عندي من القول: (الاوليان) مرفوعان بما لم يسم فاعله، وفي كثير من الآيات القرآنية[3] استخدم الطبري هذا المصطلح. علماً ان هذا المصطلح عند سيبويه هو: المفعول الذي لم يتعد اليه فعل فاعل[4].

---

١) مصطلح كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٠٣/١، و: ٢١٠/٢ و: ٥٣/٣، و: مجالس ثعلب: ٢٠٨/١

و: المدارس النحوية، د. شوقي ضيف: ٢٠٠، و: نحو القراء الكوفيين: ٣٤٦.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٣٥/٣، و: ٣١٢/٥، و: ٨٧/٧.

٣) ينظر: م. ن: ١٢/٨، و: ٧١/١٢، و: ٣٥/١٣، ١٦١ و: ٤٠/١٥، ٥٢، و: ٨١/١٧، و: ١٥٩/١٨، و: ١٠٢/٧، و: ٦٦/١١، و: ٨٠/٢، ٣٧٠، و: ١٣٠/٤، و: ٦/١٤، ٨٧، و: ٢٤/١٧، ٦٥، و: ٣٧/٢٦، و: ١٢٦/٢٧، و: ٦٧/٣٠.

٤) ينظر: الكتاب: ٤٢/١.

وقد تابعهم الشيخ الطوسي في تداول ذلك المصطلح في تفسيره[1]، فعند بيانه للقراءة المشهورة في قوله تعالى{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ} البقرة١١٩ ذكر الشيخ الطوسي: قرأ نافع: لا تسأل بفتح التاء وجزم اللام على النهي... الباقون على لفظ الخبر على ما لم يسم فاعله. وقد اورد الشيخ الطوسي هذا المصطلح في تفسيره اكثر من عشرين مرة.

وقد ذهب السمرقندي متابعاً الذين سبقوه من المفسرين في استخدام ذلك المصطلح في تفسيره[2]، ففي تفسير قوله تعالى {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} البقرة١٨٥ ذكر السمرقندي:... وانما صار رفعاً لمعنيين: منهما: انه مفعول ما لم يسم فاعله، يقول: كتب عليكم شهر رمضان، وقد استخدمه في مواضع اخرى متفرقة من تفسيره واستعمل الماوردي هذا المصطلح في تفسيره متابعاً المفسرين، ففي تفسير قوله تعالى {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ} هود٢٨ اشار الماوردي الى ان[3]: حمزة والكسائي وحفص قرأوا(فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) بضم العين وتشديد الميم على ما لم يسم فاعله.

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤٣٦/١، و: ١٠٩/٢، ١١٦، ١٢١، و: ١١/٣، و: ٥٢/٤، ٥٣٨، و: ٦٠/٦، ٣١٩، ٤٢٦، و: ٢٠٦/٧، ٤٣٩، و: ١٨٠/٨، ٣٠٢، ٣٨٦، ٣٩١، ٤٢٩، ٤٩٤، و: ٨٧/٩، ١١٤، ١٤١، ٢٧٦، ٢٧٩، ٣٠١، ٤١٧، ٥٢١، ٥٧٨، و: ٣٣٤/١٠، و: ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢٢١/٢، و: اتحاف الفضلاء: ١٤٦، و: معجم القراءات: ١٠٧/١.

٢) ينظر: تفسير بحر العلوم: ١٥٤/١، ١٧٤، ١٩٠، ٣٦٦، ٣٦٤، ٣٤٥، ٤٢٦، ٤٣٣ و: ٢٥/٢، ٧٢، ٨١، ١٠٣، ٢٣٢، ٢٤٥، ٤٦٧، ٢٨٥.

٣) ينظر: تفسيرالنكت والعيون: ١٩٦/٢، و: ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢١٦/٢، و: اتحاف فضلاء البشر: ٣٢٠، و: معجم القراءات: ١٠٧/٣.

وقد ذهب ابن زمنين الى استعمال ذلك المصطلح[1] في تفسير قوله تعالى {وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ} هود٧٨، اذ ذكر:... قيل: اهرع الرجل أي اسرع على لفظ ما لم يسم فاعله، وكذلك قوله تعالى {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ} الحاقة١٣، ذكر: القراءة نفخة واحدة بالرفع على ما لم يسم فاعله.

وذهب الثعلبي متابعا الذين سبقوه من المفسرين الى استعمال ذلك المصطلح[2]، ففي تفسير قوله تعالى {يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً} البقرة٢٦٩، اشار الثعلبي الى ان: (وَمَن) في محل الرفع على اسم ما لم يسم فاعله، والحكمة خبرها، وقد استخدم ذلك المصطلح في مواضع اخرى من تفسيره.

٢. الفعل الواقع وغير الواقع[3]:

مما قال به الكوفيون، واستعمله مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة. فذهب الطبري الى استعمال هذا المصطلح[4]، وقد ابرزه في كثير من تفسيره، ففي تفسير قوله تعالى {وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} الحج٢٥ ذكر الطبري ان: يُرِدْ فعل واقع. وفي تفسير قوله تعالى {أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى} الملك ٢٢ اشار الطبري الى ان: اكب فلان على وجهه فهو مكب، لانه فعل غير واقع. وايضاً في تفسير قوله تعالى {وَلَوْ يُعَجِّلُ اللّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ} يونس١١ ذهب الطبري الى استعمال ذلك المصطلح.

---

١) ينظر: تفسير ابن زمنين: ١/٢٩٣، و: ٢/٢٦٩.

٢) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١/٣٢٠، ٣٢٨، و: ٢/١١١، و: ٩/٢٤٧، و: ١١/٤٢٦.

٣) مصطلح كوفي: ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/١٦، ١٧، ٢١، ٤٨، ٧٩، و: ٢/٢١، ١٥٠، و: ٣/١٧١، ٢٢٨، و: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الانباري: ٢٨٧، و: لسان العرب: ١٧/١٤٢، و: نحوالقراء الكوفيين: ٣٤٦.

٤) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٧/١٤٢، و: ٢٩/ ٩، و: ١١/٦٥.

وذهب الشيخ الطوسي متابعاً الكوفيين في استعمال هذا المصطلح واورده كثيراً في تفسيره[1]، و كذلك الثعلبي فهو الآخر استعمل هذا المصطلح في تفسيره[2] متابعا السابقين له في هذا الاستعمال، وكان يستعمل تعبير: وقوع الفعل عليه، أي تعديته اليه..

٣. الفعل المستقبل[3]:

وهو مما قال به الكوفيون، وذهب الى القول به مفسرو القرون المذكورة، فذكر الطبري[4] في تفسير قوله تعالى {وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} الأنعام٧١: ان(لنسلم) لاتصحب الا المستقبل في الافعال. وذكره الطبري في مواضع اخرى من تفسيره.

وذهب الشيخ الطوسي الى القول بمصطلح الفعل المستقبل[5]، ففي تفسير قوله تعالى {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا} النساء١٢٨ ذكر الشيخ الطوسي: ارتفعت المرأة بفعل مضمر دل عليه ما بعد الاسم، ولا يجوز ذلك في الفعل المستقبل. وفي تفسير قوله تعالى {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} البقرة٣ ذكر الشيخ الطوسي:...، و(يؤمنون) رفع لأنه فعل مستقبل، والواو والنون رفع لانه كناية عن الفاعل. وايضا. في قوله تعالى {يَقْدُمُ

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢٧/٦، و: ٣٧/١، و: ٤٤، ٤٦، ٢٠٧، ٤٦٩، و: ١١٦/٢، و: ٧٥/٣، ٤٥٢، و: ١٤٢/٤، و: ٥١٧/٨، و: ٢٨/٩.

٢) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٣٣٨/٤.

٣) ينظر، معاني القرآن للكسائي: ٦٠، ٦٤، و: معاني القرآن للفراء: ١٦٥/١، و: اعراب القرآن للنحاس: ١٢٣/١، و: الانصاف في مسائل الخلاف: (مسألة ٧٤).

٤) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٢٣٨/٧، و: ٢/١٤، و: ٤٢٥/١٧.

٥) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣٤٦/٣، و: ٥٣/١، ١٣٨، و: ٥٧/٦، ٦٦، ٣١١، و: ٦٤/٢، و: ٢١٩/١٠.

قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ} هود٩٨ ذكرالشيخ الطوسي قول أبي علي: انما لم يقل يوردهم النارلأنه ذكر ذكر يوم القيامة انه يقدمهم فيه، يدل على انه فعل مستقبل فاجرى الماضي مجرى المستقبل لدلالة الكلام عليه، وذكره في مواضع اخرى من تفسيره.

ولقد تابع السمرقندي الكوفيين والمفسرين الذين سبقوه باستعمال مصطلح الفعل المستقبل[١]، فذكرفي تفسير قوله تعالى{يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} البقرة٢٥٧: ان المعنى يخرجهم من الكفر الى الايمان.واللفظ لفظ المستقبل والمراد به الماضي يعني اخرجهم.ولقد ذكره في مواضع اخرى متعددة من تفسيره.

وكذلك الماوردي فانه استعمل مصطلح الفعل المستقبل[٢]عند تفسير قوله تعالى{وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ} المائدة٨٩ اذ ذكر:... ثم في عقدها قولان:

منهما: ان يكون على فعل مستقبل، ولا يكون على خبر ماض، والفعل المستقبل نوعان: نفي واثبات. وقد ذكره في مواضع اخرى من تفسيره.

وذهب ابن زمنين الى القول بذلك المصطلح[٣]، ففي تفسير قوله تعالى{طسم} الشعراء١ اشار ابن زمنين الى:... وقال محمد: فظلت معناه: فتظل اعناقهم لان الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل تقول: ان تاتني اكرمتك، معناه: اكرمك. ولقد ذكر ابن زمنين هذا المصطلح في مواضع اخرى من تفسيره.

ولقد تابع الثعلبي المفسرين الذين سبقوه بالقول في ذلك المصطلح[٤]، ففي تفسير قوله تعالى {حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ} البقرة٢١٤ ذكر اختلاف القُرّاء بالقراءة،

---

١) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٢١٢/١، ٢٢٥، و: ٢٠٦/٢، و: ٤١٦/٣، و: ٦٣/٤.

٢) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٣٧٦/١، ٤٨٧.

٣) ينظر: تفسير ابن زمنين: ٤٨٤/١، و: ٤٩/٢.

٤) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٤٢٢/١، و: ينظر: معجم القراءات القرآنية: ١٦٥/١.

فهناك من قرأ بالرفع، وهناك من قرا بالنصب، ومن قرأبالنصب فعلى ظاهرالكلام لأن(حتى) تنصب الفعل المستقبل.

٤. الفعل الدائم[١]:

وهوмما قال به الكوفيون، على أن الفراء أطلقه على اسم الفاعل لقرب(الفعل) من(اسم الفاعل) في العمل والمعنى، وليس للاختصار كما ذهب الدكتورأحمد مكي الانصاري[٢].واستعملـــه مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة، فلقد ذهب الطبري[٣] الى ذلك، اذ ذكر: وقد يجوز أن يصحب(ربّما) الدائم. ولقد ورد مصطلح الفعل- في التفسير- وأريد به اسم الفاعل، ففي قولـــه تعالى{وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيّاً} الأحقاف١٢، وبعد أن عرض آراء للبصريين والكوفيين، ذكر[٤]: والصواب عندي أن يكون منصوبا على أنه حال مما في مصدق من ذكر الكتاب، لأن قوله(مصدق) فعل، فتأويل الكلام اذا كان ذلك كذلك: وهذا القرآن يصدق كتاب موسى بأنّ محمدا نبيٌ مرسل لسانا عربيا.

وتابع الشيخ الطوسي الكوفيين باستعمال مصطلح الفعل ويريد به اسم الفاعل[٥]، ففي تفسير قوله تعالى{وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ} البقرة٨٩، ذكر الشيخ الطوسي:... ويحتمل أن يكون المراد: مُصَدِّقٌ من التوراة والانجيل من عند االله. ومصدق رفع، لأنه نعت الكتاب. وإن نصب على

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٣٢-٣٣، ١٦٥، و: ٤٢٠/٢، و: شرح القصائد السبع الطوال: ٢٤٤، و: مدرسة الكوفة: ٢٤٠.

٢) ينظر: ابو زكريا الفراء ومذاهبه في النحو: ٤٥١.

٣) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٢٠١/١٤.

٤) ينظر: م. ن: ١١٠/٢٢.

٥) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣٤١/١، و: ٣٦٦/٦.

الحال، لكان جائزاً.والحقيقة أن ماذكره الشيخ الطوسي هو قول الفراء حين قال: إن شئت رفعت المصدق ونويت أن يكون نعتاً للكتاب لأنه نكرة، ولو نصبته على أن تجعل المصدق فعلاً للكتاب لكان صوابا(أي: حال من كتاب، وجاز ذلك لأنه قد تخصص بالوصف فقرُبَ من المعرفة). وأيضا في تفسير قوله تعالى {أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} النحل٢١ فلقد ذكر الشيخ الطوسي:... و(أموات) رفع بأنه خبر ابتداء، والتقدير: هن أموات غير أحياء، ويجوز أن يكون خبراً عن(الذين)والتقدير: والذين يدعون أموات. وهذا ماذهب اليه الفراء بقوله[١]: (أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء)رفعته بالاستئناف. وإن شئت رددته الى أنه خبر لـ(الذين) فكأنه قال: والذين تدعون من دون الله أموات. أي: النصب على القطع(يُخْلَقون أمواتاً) كأنه يريد الحال، وعلى وقوع الفعل أي: ويخلقون أمواتاً ليسوا باحياء، كأن الاصل: لايخلقون أمواتا، وهذا بالبناء للفاعل وما قبله بالبناء للمفعول.

وذهب السمرقندي الى ذلك، في تفسير قوله تعالى{وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً} عندما ذكر: ان المعنى، وأنزل اليك هذا الكتاب، مصدق للكتب التي قبله(لسانا عربيا)بلغتكم، لتفهموا مافيه[٢].

وتابع ابن زمنين المفسرين الين سبقوه، فذكر في تفسير قوله تعالى{وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً} الأحقاف١٢: قوله(ولسانا عربيا)منصوب على الحال، والمعنى: مصّدق لما بين يديه عربيا، وذكر لسانا توكيدا[٣]. وذهب الواحدي متابعا الكوفيين والسابقين له من المفسرين بذلك القول في تفسيره[٤].

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٩٨/٢.

٢) ينظر: تفسير بحر العلوم: ١٤٠/٤.

٣) ينظر: تفسير ابن زمنين: ١٦٦/٢.

٤) ينظر: تفسير الوجيز: ١ /٩٠٣.

مصطلحات الاسم

١. الترجمة والتبيين – او التكرير – او الرد والمردود[1]

وهو مما قال به الكوفيون، وتابعهم فيه مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة، فالطبري أكثر من القول في تفسيره بهذا المصطلح[2]، ففي تفسير قوله تعالى {وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ} الشعراء١٠-١١ ذكر الطبري: نصب القوم الثاني ترجمة عن القوم الاول. واستخدم الطبري صيغ اشتقاقية من المصطلح نفسه مثل(تترجم) و(مترجم) و(يترجم) و(لايترجم) و(ترجم). فنجده يذكر: ان معنى الطاغوت: تراجمة الاصنام. واستخدم التكرير في تفسير قوله تعالى {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ} البقرة١٨ ذكر الطبري: ان(صم) رفع على نية تكرير هؤلاء. واستعمل هذا المصطلح في مواضع اخرى من تفسيره.

ولقد تابع الشيخ الطوسي الكوفيين والطبري الى القول بذلك المصطلح[3]، ففي تفسير قوله تعالى {بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أنَزَلَ اللّهُ} البقرة٩٠ ذكر الشيخ الطوسي: ان يكفروا مترجما عن بئس فيكون التقدير: بئس الشيء باع اليهود به انفسهم كفرهم بما انزل الله. وذكر(التبيين) عند تفسير قوله تعالى {قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} البقرة١٣٣ اذ اشار الى ان قوله: ابراهيم واسماعيل واسحاق في موضع خفض، والعامل فيها ما عمل في ابائك لانه مبين له. وذكر(التكرير) في تفسير قوله تعالى {أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ بَغْياً} البقرة٩٠ عبر

---

١) مصطلح كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٧/١، ٥٦، و: ١٠/٢، ١٧٨، و: مجالس ثعلب: ٢٠/١، و: الموفي في النحو الكوفي: ٦٠، و: نحو القراء الكوفيين: ٣٤٣.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٦٤/١٩، و: ٨٢/٢٢، و: ٤٥٤/١، ١٤٢، ٣٣٠، و: ٢١٩/٣، و: ١٣١/٥.

٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣٤٨/١، ٤٦٧، ٣٤٧، ٤٢٣/٩، و: ٦٧/٣.

تصريحه: (ان) في موضع خفض ان شئت، وان شئت في موضع رفع، فالخفض ان ترده على الهاء في(به) على التكرير، لانك قلت: اشتروا أنفسهم بالكفر.

وذكر الشيخ الطوسي مصطلح(الرد والمردود) عند تفسير قوله تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَاكُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ} النمل٦٧ حين ذكر: فرد الآباء على الضمير. وايضاً في تفسير قوله تعالى {إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ} الجاثية٣ وكذلك قوله {وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} الجاثية٤ ذكر الشيخ الطوسي: ان(آيات) تقرأ بالرفع والخفض، فمن خفضها، فعنى انه في موضع نصب رداً على(ان).

وذهب الثعلبي متابعاً الذين سبقوه من المفسرين بالقول في ذلك المصطلح[1]، ففي تفسير قوله تعالى {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ} قريش١ـ ٢ ذكر الثعلبي: ايلافهم: بدل من الايلاف الاولى وترجمة له. وذكر مصطلح(الرد والمردود) عند تفسير قوله تعالى {رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ} الدخان٧ اذ اشار: كسر أهل الكوفة(باءه) رداً على قوله(من ربك)، ورفعه الآخرون رداً على قوله(هو السميع العليم)وان شئت على الابتداء

٢. التفسير والمفسر[2]:

وهو مما قال به الكوفيون، وتابعهم في ذلك المفسرون، فذهب الطبري الى القول بذلك المصطلح[3] عند تفسير قوله تعالى {إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ} البقرة١٣٠ اذ اشار الى: نصب النفس على معنى المفسر، ذلك ان السفه من الاصل للنفس،

---

١) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٥٥٦/٦، و: ٤٢٩/٥.

٢) مصطلح كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٧٩/١، ٢٢٥، و: مجالس ثعلب: ٢٦٥/١، و: ٤٣٧.

٣) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٥٥٩/١، و: ١٤٥/٤، و: ١٢٨/١٥، و: ٢١٧/٤، و: ٥٧/٧، و: ١١/١٣، و: ٢٠٦/١٥، و: ١٣/١٦، و: ٨٥/٢٨، و: ١٠٣/٥، و: ٦٠/٩، و: ينظر: اتحاف الفضلاء: ٢٨٨معجم القراءات: ١٤٨/٣.

فلما نقل الى(من) نصبت النفس بمعنى التفسير، كما يقال: هو أوسعكم داراً. وفي تفسير قوله تعالى {خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ} آل عمران١٩٨ ذكر الطبري: ان(نزلاً) نصبت على التفسير من قوله(لهم جنات تجري من تحتها الانهار) ال عمران ١٩٨، كما يقال: لك عند الله جنات تجري من تحتها الانهار ثواباً، وكما يقال: هو لك صدقة، وهو لك هبة. وايضا في تفسير قوله تعالى {مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً} الكهف٥ ذكر الطبري: قرئ بنصب(كلمة) بمعنى(كبرت كلمتهم التي قالوها كلمة على التفسير)، كما يقال: نعم رجلاً عمر، ونعم الرجل رجلاً قام، ونعم رجلاً قام. ولقد استخدم الطبري هذا المصطلح في مواضع كثيرة من تفسيره.

وتابع الشيخ الطوسي القول بمصطلح التفسير[1] الذي قال به الكوفيون، ففي تفسير قوله تعالى{فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً} البقرة٦٠أشارالشيخ الطوسي ان: عينا نصب على التمييز، وعند الكوفيين على التفسير.وفي تفسيرقوله تعالى{إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً} البقرة٢٦، ذكر الشيخ الطوسي ان انتصاب(مثلاً) على التفسير.

و ذهب السمرقندي الى القول بذلك المصطلح[2] متابعاً السابقين له من المفسرين، اذ اشار في تفسير قوله تعالى{لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّن عِندِ اللَّهِ} آل عمران١٩٥:... وروي عن الفراء انه قال انما صار نصب على التفسير. وفي تفسيرقوله تعالى {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ} المائدة٢٦ ذكر السمرقندي ان النصب هنا على التفسير. وايضاً في تفسير قوله تعالى {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢٧٠/١، و: ١٤/١.

٢) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٣٥٤/١، ٤٦٧، ٤٨٧، و: ٨١/٢، ٤٧٢، و: ١٤٠/٣، ٤٠٧، ٤٨٥.

اللَّه مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْه} المائدة٦٠، فالنصب هنا على التفسير ايضاً. وكذلك تفسير قوله تعالى{وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ} الأنعام١٣٧، وفي تفسير قوله تعالى{نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِّلشَّارِبِينَ} النحل٦٦ذكرالسمرقندي ان النصب في الآيات المذكورة على التفسير. وفي آيات قرآنية اخرى.

ولقد تابع ابن زمنين[1] المفسرين الذين سبقوه بالقول في ذلك المصطلح، ففي تفسير قوله تعالى{وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً} النساء٣٨ ذكر ان: قريناً منصوب على التفسير. وكذلك تفسير قوله تعالى{قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً} الأنعام١٦١اشار الى نصب(دينا) على التفسير. وذكره في مواضع اخرى من تفسيره.

وذهب الثعلبي الى القول بمصطلح التفسير[2]، ففي تفسير قوله تعالى {وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ} البقرة٥١اشارالى: نصب ليلة على التفسير.

ولقد تابع الواحدي في تفسيره القول بذلك المصطلح[3]، ففي تفسير قوله تعالى{وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً} الفرقان٧٢ ذكرالواحدي: ان(كراما) نصب على التفسير.

---

١) ينظر: تفسير ابن زمنين: ١/١٢٤، ٢٠٢، ٤٣٨.

٢) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١/١١٦.

٣) ينظر: تفسير الوجيز: ١/٦١٤، و: الوسيط: ١/٤٦١.

٣. العماد ـ الدعامة[١]:

مما قال به الكوفيون، ويقصد به: الفصل بالضمير بين المبتدأ والخبر او ما اصله مبتدأ وخبر، ليعرف السامع أن المقصود بعده خبر لاتابع[٢]، ويسميه الكوفيون(عماداً) لانه يعتمد في الفائدة، اذ به يتبين الخبر، أي أنه حافظاً لما بعده حتى لا يسقط عن الخبرية، كالعماد في البيت الحافظ المسقف من السقوط[٣]. والخلاف بين البصريين والكوفيين ليس في المصطلح بقدر ماهو خلاف في توجيه اعراب هذا الضمير، وإنّ هذا الاعراب كان السبب في تسمية هذا المصطلح(عماداً) أو(فصلاً).

عليه قال أبو البركات الانباري[٤])(ذهب الكوفيون الى أن مايفصل به بين النعت والخبر يسمى عمادا، وله موضع من الاعراب....، وذهب البصريون الى أنه يسمى فصلاً لأنه يفصل بين النعت والخبر... ولاموضع له من الاعراب)). إذن سمّاه الكوفيون(عمادا)للإعتماد عليه في الفائدة، لذا فهوعماد في الجملة، وسمّاه البصريون(فصلاً)لأنه جاء لمعنى الفصل بين الخبر والنعت فلا محل له من الاعراب. وقال ابن يعيش[٥]: ((والعماد من عبارات الكوفيين، كأنه عَمَدَ الاسم الاول وقوّاه بتحقيق الخبر بعده)). وذهب الكنغراوي الى مثل هذا، فأكّد: أنه

---

١) مصطلح كوفي، ينظر: معاني القرآن للكسائي: ١٦٤، و: معاني القرآن للفراء: ٢٩٩/٣، و: اعراب القرآن للنحاس: ١٠٤/٢، و: تذكرة النحاة: ٧٣١. وهو يقابل ضمير الفصل عند البصريين، و: همع الهوامع: ٢٣٦/١، و: المصطلح النحوي نشاته وتطوره: ١٧٥، و: نحو القراء الكوفيين: ٣٤١.

٢) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون: ٤٥٣/٣ ومابعدها، و: مدرسة الكوفة: ٣١٢.

٣) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢٤/٢.

٤) الانصاف في مسائل الخلاف: ٧٠٦/٢، مسألة ١٠٠.

٥) شرح المفصل: ١١٠/٣.

سمّي عمادا لأنه حافظ على الخبر ومنع من أن يصير وصفاً[1].واستخدم الفراء مصطلح العماد وأراد به: الضمير المتصل بـ(ان واخواتها من النواسخ). وتابع الطبري الكوفيين بالقو ل في مصطلح العماد[2]، واظهاره في مواضع عدة من تفسيره، ففي تفسير قوله تعالى {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ} الحج٤٦ اشار الطبري الى ان: الهاء في قوله(فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى) هاء عماد، كقول القائل: انه عبد الله قائم. وفي تفسير قوله تعالى {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ} لقمان١٦، ذكر الطبري ان: الهاء في قوله تعالى عماد. وكذلك تفسير قوله تعالى {إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً} الكهف٣٩ فأشار: اذا جعلت(انا) عماداً نصبت(أقل) وبه القراءة عندنا. وذهب الطبري الى استخدام ذلك المصطلح كثير في تفسيره.

ولقد تابع الشيخ الطوسي الكوفيين باستخدام ذلك المصطلح وفي مواضع عدة من تفسيره، ففي تفسيرقوله تعالى{أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ} البقرة١٢ ذهب الشيخ الطوسي الى القول[3]: (وهم لايشعرون) يسميه الكوفيون عماداً. وايضا في تفسيرقوله تعالى{إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ} آل عمران٦٢ ذكرالشيخ الطوسي ان: موضع(هو)من الاعراب يحتمل امرين:

الاول منهما: وهو الذي يسميه الكوفيون عماداً، فلا يكون له موضع من الاعراب.

والحقيقة هي ان الكوفيين يقولون: بان العماد له موضع من الاعراب. ولقد ذكر الشيخ الطوسي ذلك المصطلح في مواضع عدة من تفسيره.

---

١) ينظر: الموفي في النحو الكوفي: ٩٣.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٨٣/١٧، و: ٧١/٢١، و: ١٦٢/١٥، و: ٤٠١/١، و: ١٨٩/٤، و: ٨٥/١٣، و: ٢٤٨/١٥، و: ٩٢/١٧، ١٨٣، و: ٧٥/٢٩.

٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٧٦/١، و: ٤٨٧/٢، ٥١٦، و: ٧٦/٣، ١٢٠، ٥٩، ٣٦٠، و: ٤٢١/٦، و: ٢٨٠/٧، ٣٢٦، و: ١٧٧/٨، ٢٧٨، و: ٦٩/٩، و: ١١٩/١٠.

وذهب الثعلبي الى استخدام ذلك المصطلح[1]،. ففي تفسير قوله تعالى {وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا} الأنبياء٩٧ اشار الثعلبي الى وجود اوجه اعرابية لـ(هي) منها: ان تكون(هي) عماداً، كقوله {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ} الحج٤٦.

٤. القطع[2]:

وهو مما قال به الكوفيون، ويقابل(الحال عند البصريين) وذهب عند استعماله مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة. فالطبري[3] في تفسير قوله تعالى {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} البقرة٢ اشار الى ان قوله(هُدًى) يحتمل أوجهاً من المعاني، احدها: ان يكون نصبا، لمعنى القطع من الكتاب، لانه نكرة والكتاب معرفة. وقد يحتمل ان يكون نصبا على القطع من راجع ذكر الكتاب الذي في(فيه) من الهاء فيكون معنى ذلك حينئذ: ألم الذي لاريب فيه هادياً. وقد يحتمل ان يكون ايضا نصب على هذين الوجهين، اعني على وجه القطع من الهاء التي في(فيه)، ومن(الكتاب)على ان(ألم) كلام تام. وكذلك قوله تعالى {مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ} البقرة٢٣٦ذكرالطبري ان المعنى لـ(حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ): متاعاً بالمعروف الحق على المحسنين، فلما دل ادخال الالف واللام(على الحق) وهومن نعت(المعروف)، و(المعروف) معرفة، و(الحق) نكرة، نصب على القطع منه، كما يقال: أتاني الرجل راكباً.

---

١) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٢٧٥/٤.

٢) مصطلح كوفي، ينظر: معاني القرآن للكسائي: ٩٦، ١٥٦، ٢٠٧، و: معاني القرآن للفراء: ٣٥٨/١، و: ٢ /٣٣٨.

٣) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٢٣٠/١، و: ١٣٧/٥، و: ٦٧٨/٢٤، ٣٣، و: ٤٢٨/٢١، ٣٤٩، ٣٦٨، و: ٤٢٢/١٩، ١٦٣، و: ٥٢٣/١٨، و: ٤٢٩/٩، ٤٠٧، و: ٤٥٥/١، و: ٢٧٧/١٥، ٧٦.

ولقد تابع الشيخ الطوسي الكوفيين في القول بذلك المصطلح[1]، ففي تفسير قوله تعالى{وَيَكْفُرونَ بِمَا وراءهُ وهُوَ الْحَقُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ} البقرة٩١ ذكر الشيخ الطوسي ان قوله(وَهُوَ الْحَقُ مُصَدِّقاً) نصب على القطع طبقاً لما يسميه الكوفيون.وكذلك تفسيرقوله تعالى{فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ} آل عمران١٧٠ذكر الشيخ الطوسي في اعراب قوله(فرحين): أن قال: يجوز نصبه على القطع.

وفي تفسير قوله تعالى {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً... تَوْبَةً مِّنَ اللّهِ} النساء٩٢ذكر الشيخ الطوسي: أن قوله: (توبة من الله) نصب على القطع.وكذلك تفسيرقوله تعالى {رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ} النساء١٦٥ذكر الشيخ الطوسي: ان(رُسُلاً)نصب على القطع.وأيضا في تفسير قوله تعالى {وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً} النساء١٧٥اشار الشبخ الطوسي الى: نصب(صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً) على القطع. و تفسير قوله تعالى{وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ} المائدة٤١ذكر الشيخ الطوسي أنه: وصف لهؤلاء اليهود الذين تقدم وصفهم، ورفعه كما رفع سماعون الاول سواء، لأنه صفة بعد صفة، وقد يجوز النصب في الموضعين على القطع.وعرض الشيخ الطوسي الى ذكرهذا المصطلح في مواضع اخرى من تفسيره.

وذهب الثعلبي الى القول بذلك المصطلح[2]، ففي تفسير قوله تعالى{وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} البقرة١٣٥أشار الثعلبي الى أن: (حنيفا) نصب على القطع. وكذلك تفسير قوله تعالى {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} البقرة١٨٥ ذكر الثعلبي أن(هُدًى لِّلنَّاسِ) من الضلالة وهــوفي محل

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١/٣٤٨، و: ٣/٤٧، ٣٩٠، ٣٩٣، ٤٠٦، ٥٢٦.

٢) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١/٣٤٩، ٣٣٥، و: ٣/٢٣، ٣٤، ٦١، ٣٢٠، ٤١٣، و: ٥/١٦، ٣٥٣، ٣٦٨، و: ٦/١٦٨، و: ٧/٤، و: ٩/١٠٣، و: ١٤/١٨٠، و: ١٣/٤٢٦.

النصب على القطع. وأيضا في تفسير قوله تعالى {لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنُّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ} البقرة٢٣٦ ذكر الثعلبي: قال بعضهم(متاعا) نصب على المصدر، ويجوزان يكون نصبا على القطع. وكذلك تفسير قوله تعالى {وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} الرعد٤٣ذكر الثعلبي: هو نصب على الحال، وقال الفراء هو نصب على القطع. وكذلك تفسير قوله تعالى{إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} آل عمران٣٣ـ ٣٤ فاشار الثعلبي الى ان: (على العالمين ذرية) نصب على حال قاله الاخفش، والفراء قال نصب على القطع. وايضا في تفسير قوله تعالى {وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} آل عمران١٩٥ ذكر الثعلبي: ان الكسائي قال: نصب(ثوابا) على القطع. وكذلك في قوله تعالى {وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاء قِرِيناً} النساء٣٨ ذكر الثعلبي: انها نصبت على التمييز، وقيل: على الحال، وقيل: على القطع.وذكره مواضع اخرى كثيرة من تفسيره.

وقد تابع ابن زمنين[1] الكوفيين والمفسرين الذين سبقوه بالقول بمصطلح القطع، ففي تفسيرقوله تعالى} وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ} الحج٥ ذكرابن زمنين: ونقرفي الارحام: الرفع على القطع مما قبله.

---

١) ينظر: تفسير ابن زمنين: ٤٢٨/١.

٥.الكناية والمكني[1]:

وهو مما قال به الكوفيون، ويقابله(الضميرعند البصريين)، وتابعهم فيه مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة. ولقد اورده الطبري كثيرا في تفسيره، اذ اشاراليه عند تفسير قوله تعالى{مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ} البقرة٩٨ بقوله: اما اظهار اسم الله وتكريره فلئلا يلتبس لو ظهر ذلك بكناية... اذ لو جاء ذلك بكناية فانه يلتبس معنى ذلك. وايضاً في تفسير قوله تعالى{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} يونس٣٨ فان الطبري ذكر: الهاء في قوله(مثله) كناية عن القرآن. ولقد اورد الطبري هذا المصطلح كثيراً في تفسيره[2].

وتابع الشيخ الطوسي الكوفيين والطبري في استعمال ذلك المصطلح[3]، فقد ذكر في تفسير قوله تعالى {فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} البقرة٧٣: ان الهاء في قوله(اضربوه) كناية عن القتيل، والهاء في قوله(ببعضها) كناية عن البقرة. وقد اورد الشيخ الطوسي هذا المصطلح عند تفسير آيات قرآنية كثيرة.

---

١) مصطلح كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٥٠/١، ١٠٤، ٢٣١، و: ١٠/٢، و: ١٦/٣، و: مجالس ثعلب: ٤٣/١، ٣٣٢، و: شرح المفصل، ٨٤/٣.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٣٤٩/١، و: ٨٢/١١، و: ٤٢/٤، و: ١٦٣/٣٠، و: ٥٤/١، ٣١٧و: ١٢٠/٢، ٣٠، و: ١٧٣/١٦، و: ٨٦/١٠، ٩٠، و: ٣٣/١٢، و: ١٨٥/١٥، و: ٥٥/١٦، و: ١٨/٢١، ٤٦٠، و: ١٣/٢٤، ٧٧، و: ٣٠/٢٩، ٤٧.

٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣٠٥/١، ٥٤، ١٤٥، ٢٩٦، ٢٨٨، ٢٩٢، ٣٠٢، ٣٥٠، ٣٦٠، ٤٦١، ٤٦٩، ٥٤١، ٥٩١، و: ١٨٠/٤، ٤١١، ٥١٨، و: ٦٠/٥، ٦٣، ١٥٠، ١٥٢، ١٦٥٢، ٤٦، ٢٥٨، ٢٦٣، ٤٥٩، ٥٠٠، و: ١٦٣/٦، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٤١، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٩، و: ٢٧٩/٧، ٣٤٤، و: ٦٢/٨، ٧٧، ١٦١، ٢٧١، ٤٤٥، و: ١٠/٩، ٦٢، ٤٢٣، و: ١٠/، ١٠٤، ٢٣٠، ٢٨٣.

وذهب السمرقندي[1] متابعاً السابقين له من المفسرين باستعمال مصطلح الكناية والمكني، ففي تفسير قوله تعالى{نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} البقرة٢٢٣ ذكرالسمرقندي ان: الحرث في اللغة هوالزرع، فسمى النساء حرثاًعلى وجه الكناية، اي: هن للولد كالارض للزراعة. وذكره أيضا في تفسيره.

ولقد ذهب الماوردي الى استعمال ذلك المصطلح، ففي تفسير قوله تعالى {وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَـا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} الأعراف١٥٦ ذكر: فاما المكني عنه بالهاء التي في قوله(فسأكتبها) فقد قيل ان موسى لما انطلق بوفد بني اسرائيل كلمه الله. ولقد اورد الماوردي ذلك المصطلح عند تفسيره لآيات قرانية اخرى[2].

وتابع القشيري الذين سبقوه من المفسرين في القول بهذا المصطلح، ففي تفسير قوله تعالى {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّـنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} آل عمران٩٧ ذكر قولهم: ويقال ان الكناية بقوله(يدخله) راجعة الى البيت، فمن دخل بيته على الحقيقة كان آمنا. وذكره في مواضع اخرى[3].

ولقد ذهب الثعلبي متابعاً الكوفيين باستعمال ذلك المصطلح، ففي تفسير قوله تعالى {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} لقمان١٦ ذكر الثعلبي:

---

١) تفسير بحر العلوم: ١ /١٨٦، ٢١٠، ١٥١، ٤٨٨.

٢) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٢/٢٢، ١٠٢، و: ١/٤٢، ١٨٩، ٤٢٢.

٣) ينظر: تفسير القشيري: ١/٣٥٨، و: ٣/٩٩، ٤٩٣، و: ٨/٣٧.

قال بعض النحاة: هذه الكناية راجعة الى الخطيئة والمعصية، يعني(ان تك)... وقد اورد الثعلبي هذا المصطلح في تفسيره آيات اخرى[1].

وتابع الواحدي الكوفيين والذين سبقوه من المفسرين بالقول بهذا المصطلح[2]، اذ اشار في تفسيره قوله تعالى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة٥ الى أن: (ايّا) ضمير المنصوب المنفصل من قوله تعالى(اياك نعبد) يدخل عليه المكاني من الياء –والنون –والكاف –والهاء، نحو: اياي-وايانا –واياك –واياه، ويستعمل مقدما على الفعل كما في قوله(اياك نعبد) وكما في قولنا: اياك أعني، ولايستعمل مؤخراً الا اذا تم الفصل بينه وبين الفعل فيجوز أن يأتي مؤخراً، نحو: ماعنيت الا اياك. وقد ذكر الواحدي هذا المصطلح في مواضع متفرقة اخرى من تفسيره.

٦. المصدر[3]:

قال به الكوفيون، وتابعهم في ذلك القول مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة، فذهب الطبري[4] الى اظهار هذا المصطلح في مواضع عديدة من تفسيره، ففي تفسيرقوله تعالى {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ} آل عمران١٤٥ وبعد عرضه لاوجه الخلاف في اعراب(كتاباً) ذكر الطبري: والصواب من القول عندي: ان كل ذلك منصوب على المصدر. وكذلك تفسير

---

١) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٥٢/٥، و: ١١٥/٣، و: ١٥٩/٥.

٢) ينظر: تفسير الوسيط للواحدي: ٦٨/١، ٨٢، ١٥٠، ١١٢، ١٠٢، ١٥١، ١١٠، ١٥٣، ١٣١، ٢١٢، ١٦٩، ٢٧٠، ٣٨٣، و: ٣١١/٢، ٣٠٦، ٥٠٤، و: ٦٩/٣، ٣٦٩، ٤٤٢، ٢٩٤، ٥٦٤.

٣) مصطلح كوفي، ينظر: معاني القران للكسائي: ١٠٩، و: اعراب القران للنحاس: ٣٨٨/١، و: ١١١/٢.

٤) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١١٥/٤، و: ٢٢/٢١، و: ٤٠٣/١٩.

قوله تعالى{وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ} الشعراء٢٠٨- ٢٠٩ ذكر الطبري ان النصب على المصدر.وأورده في مواضع اخرى.

وذهب الشيخ الطوسي[1]متابعاً الطبري والكوفيين باستعمال ذلك المصطلح، ففي تفسير قوله تعالى {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} الفاتحة١ ذكر الشيخ الطوسي:... فوضع الاسم موضع المصدر ويكون موضع(بسم) نصباً. وايضاً في تفسير قوله تعالى{قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} البقرة٣٢ ذهب الشيخ الطوسي الى القول: وقوله(سبحانك) نصب على المصدر، ومعناه: اسبحك وسبحانك مصدر لاينصرف.وكذلك تفسير قوله تعالى{فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} محمد٤. واورده في مواضع اخرى من تفسيره.

وتابع السمرقندي السابقين له من المفسرين باستعمال هذا المصطلح[2]، ففي تفسير قوله تعالى {فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} محمد٤ ذكرالسمرقندي: نصب(مَنّاً)على المصدر، وكذلك(فِدَاءً).وذكر قراءة عاصم في رواية حفص(متاع) بالنصب على المصدر، في تفسير قوله تعالى{مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} يونس٢٣.

وذهب ابن زمنين متابعاً المفسرين السابقين باستعمال مصطلح المصدر، فذكر: ان(عدداً) منصوب على المصدرفي تفسير قوله تعالى{فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً} الكهف١١، أي: تعد عداً ثم بعثناهم.

وتأثرالثعلبي[3] بالكوفيين والذين سبقوه من المفسرين باستعمال مصطلح المصدر، ففي تفسير قوله تعالى{قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢٥/١، ١٤٠، و: ١٣٤/٧، ١٤١، و: ٢٨٢/٩.

٢) ينظر: تفسير بحر العلوم: ١٤٩/٤، و: ٢٨٩/٢، و: ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢١٢/٢، و: اتحاف الفضلاء:.٣١١، و: معجم القراءات القرآنية: ٦٨/٣.

٣) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١١٠/١، و: ٢٢٦/١٤، و: ٢٤٢/٥.

الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} البقرة٣٢ ذكر:... وهو نصب على المصدر.وايضاً في تفسير قوله تعالى{إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ} قريش٢ اشار الى نصب(رحلة) على المصدر. وذهب الى نصب(ذكرى) على المصدرقوله تعالى{وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَـكِن ذِكْرَى} الأنعام٦٩

٧. النعت[١]:

قال به الكوفيون، وذهب اليه مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة، فذهب الطبري محاولاً ابرازه عبرتداوله بكثرة في تفسيره، ففي تفسير قوله تعالى{فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ} هود٨٢ ـ٨٣ ذكر الطبري: و المسومة من نعت الحجارة، ولذلك نصبت ونعت بها. ولقد اورد الطبري هذا المصطلح في مواضع عدة من تفسيره[٢].

و لقد تابع الشيخ الطوسي[٣] الكوفيين بالقول بهذا المصطلح، ففي تفسير قوله تعالى{وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ} الإخلاص اشار الشيخ الطوسي الى ان: (احد) مرفوع لان اسم(كان)، و(كفوا) نصب لانه نعت نكرة متقدمة، كما تقول: عندي ظريفا غلام، تريد: عندي غلام ظريف، فلما قدمت النعت على المنعوت نصبته على الحال في قول البصريين، وعلى الظرف في قول الكوفيين. ولقد اورد الشيخ الطوسي هذا المصطلح في مواضع من تفسيره.

---

١) مصطلح كوفي، ينظر: معاني القرآن للكسائي: ١٩٠، ٢٢٤، و: مشكل اعراب القرآن للقيسي: ٢٦٠/٢، و: اعراب القرآن للنحاس: ٣٦/٤، و: همع الهوامع: ١١٦/٢، و: المدارس النحوية، د. ضيف: ٢٠٢.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٩٥/١٢، و: ٩٩/٢، و: ٣١٢/٣، و: ٢٠٩/٤، و: ٢٥٢/١٥، و: ١٢١/١٨، و: ١٦٨/٨، و: ٢٢٢/٢٩، و: ٨٣/٥، و: ١٥٠/٧.

٣) ينظر: التبيان في تفسير القران: ٤١١/١٠، و: ١٨٤/١، و: ٣٤٠/١.

ولقد ذهب السمرقندي الى القول بذلك المصطلح[1]، ففي تفسير قوله تعالى{ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} الأنعام٢٣ ذكر السمرقندي: (والله ربنا) بكسر الباء على معنى النعت. وايضا في تفسير قوله تعالى{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} الأنعام٣٢ أشار السمرقندي الى ان: قراءة(وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ) بلامين و(الاخرة) بالضم على معنى النعت. ولقد أورده السمرقندي في مواضع اخرى من تفسيره.

وكذلك الماوردي فانه استعمل مصطلح النعت[2]، ففي تفسير قوله تعالى{هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ} لقمان٣ ذكر الماوردي: قوله(ورحمة) فيه وجهان:

احدهما: القرآن رحمة من العذاب، وهو وجهان: الاول: انه خرج مخرج النعت بانه هدى ورحمة والثاني: انه خرج مخرج المدح بان فيه هدى ورحمة.

ولقد ذهب ابن زمنين الى القول بذلك المصطلح[3]، ففي تفسير قوله تعالى {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ} الفاتحة٧ ذكر: ان من قرأ(غير) بالخفض فهو على البدل من الذين، وجاز ان يكون على النعت. وكذلك في تفسير قوله تعالى {ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} الأنعام٢٣ فاشار الى ان: من قرأ(ربنا) بالخفض فهو على النعت والثناء. وقد ذكر ابن زمنين هذا المصطلح في مواضع اخرى من تفسيره.

---

١) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٢٧/٢، ٣١، ٧٥، ٩٦، ٤٠٤، و: ١٩٢/٣، ٢١٣، ٢٩٦، و: ٥/٤، ٨٢، ٢١٩.

٢) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٣٣١/٣.

٣) ينظر: تفسير ابن زمنين: ٢/١، ١٧٧، و: ١٨٣/٢، و: ينظر: معجم القراءات القرآنية: ١٤/١.

ولقد تابع الثعلبي المفسرين الذين سبقوه في القول بهذا المصطلح[1]، ففي تفسير قوله تعالى {وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا} النساء٧٥ ذكر الثعلبي: وانما خفض الظالم لانه نعت الاهل. وقد ذكر الثعلبي هذا المصطلح في مواضع عدة من تفسيره.

وذهب الواحدي الى استعمال مصطلح النعت[2]، متابعاً الكوفيين والذين سبقوه من المفسرين، ففي تفسير قوله تعالى {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ} الأنعام١٥٤ ذكر الواحدي:... واجاز الكوفيون قولاً آخر وهو: ان يكون(احسن) اسماً موضعه خفض على النعت لـ(الذي) وهو ساد مسد الصلة. وفي تفسير قوله تعالى {رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ} الرحمن١٧ذكر الواحدي: أجمع القراء على الرفع في(رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ) وقال أبوعبيد: لولا اجماعهم على الرفع لكان الخفض أحب الي على النعت للاسم قبله. وكذلك عند تفسيرقوله تعالى {وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً} الكهف٢٥ذكر الواحدي:... وجائز أن يكون(سنين) من نعت المائة، وهو راجع في المعنى الى ثلاث....

١) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٣١٩/٢، و: ٤١/١، ٤٢، ٩٢، ١٧٠، و: ٣١٩/٢، ٥٨٣، و: ٢٣٣/٤، و: ١١٨/٥، و: ١١٩/٦، ٢٩٩، ٣٦٤.

٢) ينظر: تفسير البسيط للواحدي: ٥٤١/٨، و: ١٥٣/٢١ و: ٥٩٠/١٣.

مصطلحات الأدوات والحروف

ان لفظة الاداة من مصطلحات الكوفيين[1]، واريد بها حروف المعاني على كثرتها واختلاف وظائفها، وقد قال به الكسائي عند حديثة عن موضع الباء من قوله(بسم الله) فذكر[2]: لاموضع للباء لانها اداة. ويبدو ان الكسائي اراد حرف الجر الزائد بلفظ(الاداة).ثم توسع الفراء في استعمال مصطلح الاداة، اذ اطلقه على(اسم الفعل)ويتضح ذلك من تعليقه على الآية الكريمة{هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ} المؤمنون٣٦ حين اشارالى انه: لو لم تكن في(ما)اللام لكان صواباً: ودخول اللام عربي.. ومن ادخل اللام قال: هيهات اداة ليست بمأخوذة من فعل بمنزلة بعيد وقريب[3] وقد تابع مفسرو القرون الثالث والرابع والخامس للهجرة الكوفيين في استعمال مصطلح الاداة، فذهب الطبري الى القول به[4]، ففي تفسير قوله تعالى{أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ} الأنعام٥٤ اشار الطبري الى اختلاف القرّاء في القراءة، فقرأته عامة قرءة المدنيين[5]: (أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً) فيجعلون(أن) منصوبة على الترجمة بها عن(الرحمة) ـ(ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم) على ائتناف(انه) بعد(الفاء) فيكسرونه، ويجعلونها اداة لاموضع لها، بمعنى: فهو غفور رحيم، او: فله المغفرة والرحمة. وقرأها بعض الكوفيين بفتح الالف فيهما جميعاً. ولقد استعمل الطبري مصطلح الاداة

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٩٦/٢، ٣٧١، و: مدرسة الكوفة: ٣١٠ ـ ٣١١، و: مفاتيح العلوم: ٢٩.

٢) ينظر: اعراب ثلاثين سورة من القران الكريم: ٩.

٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٢٥/٢، ٣٣٦/١ ـ ٣٣٧ و: الادوات النحوية عند الكوفيين: ٨.

٤) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٣٩٢/١١، ٣٠/١٩، ٥٦٦، و: ١٩٤/٢٠، و: ٢١ /٣٨٧، ٥٠٩.

٥) ينظر: معجم القراءات القرآنية: ٢٧٢/٢، وينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٣٦/١-٣٣٧.

في تفسير قوله تعالى {هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ} المؤمنون٣٦ حين ذكر: يعني البعث والعرب تدخل اللام مع هيهات في الاسم الذي يصحبها وتنزعها منه، تقول: هيهات لك هيهات، وهيهات ما تبتغي هيهات، واذا اسقطت اللام رفعت الاسم بمعنى هيهات، كانه قال: بعيد ما ينبغي لك،. كما قال جرير:

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ العَقِيقُ وَمَنْ بِهِ   وهَيْهَاتَ خِلٌّ بالْعَقِيقِ نُواصِلُهْ[1]

كأنه قال: العقيق واهله، وانما ادخلت اللام مع هيهات في الاسم، لأنهم قالوا: هيهات اداة غير مأخوذة من فعل، فادخلوا معها في الاسم اللام، كما ادخلوها مع هلّم.وذكره في مواضع اخرى.

ولقد ذهب الشيخ الطوسي[2]الى استعمال مصطلح(الاداة)، ففي تفسير قوله تعالى{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} آل عمران٢٦ذكرالشيخ الطوسي قولين بزيادة الميم في(اللهم):

احدهما: انها عوض من(ياء) التي هي اداة للنداء بدلالة انه لايجوز ان تقول: غفر اللهم لي، ولا يجوز ايضاً مع(يا) في الكلام.

والثاني: ما قاله الفراء من انها الميم في قولك: يا الله أمّنا بخير، فالقيت الهمزة وطرحت حركتها على ما قبلها. وايضاً في تفسير قوله تعالى{وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ} الأنفال٢١ اشار الشيخ الطوسي الى ان:... والتشبيه على ثلاثة اوجه: اعلى وادنى واوسط، فالاعلى هو الذي حذف معه اداة التشبيه...، والاوسط تثبت معه مجردة...، والادنى تاتي معه مقيدة.

---

١) البيت لجرير بن عطية، والرواية فيه: العقيق وأهله، وفي الديوان: ٤٧٩، طبعة الصاوي:

فأيهاتَ أيهاتَ العَقِيقُ وَمَنْ بِهِ   وأيهاتَ وَصْلٌ بالعَقِيقِ نُوَاصِلُهْ.

٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤٢٧/٢، و: ٩٢/٥.

وكذلك تفسير قوله تعالى{وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ} إبراهيم٢٦ذكر الشيخ الطوسي[١]:... والتشبيه في الامثال، لما يحتاج اليه من البيان وهوعلى وجهين، احدهما: ما يظهر فيه اداة التشبيه، والاخر: ما لايظهرفيه.

ولقد تابع الثعلبي[٢] الكوفيين والمفسرين الذين سبقوه في استعمال مصطلح(الاداة) ففي تفسير قوله تعالى {يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً} الأحزاب٣٠ اشار الثعلبي الى اختلاف القراءات في هذه الآية، فمنهم من قرأها بالتاء، وغيره قرأها بالياء... قال قتادة: كل قنوت في القران فهو طاعة(وقراءة العامة بالتاء) وقرأ يحيى والاعمش وحمزة والكسائي وخلف(تعمل)(يؤتها) بالياء. غيرهم بالتاء. قال الفراء: انما قال(يأت) و(يقنت) لأن(من) اداة تقوم مقام الاسم يعبر به عن الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث. وكذلك تفسير قوله تعالى{هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ} المؤمنون٣٦ اشار الثعلبي:... وانما ادخلت اللام مع هيهات في الاسم لانها اداة غير مشتقة من فعل فادخلوا معها في الاسم اللام كما ادخلوها مع هلّم لك. وايضاً في تفسير قوله تعالى {يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ} البقرة٢٠ ذكر الثعلبي ان: (كلما) حرف علة ضم اليه(ما) الجزاء فصار اداة للتكرار، وهي منصوبة بالظرف ومعناها: متى ما.

وتابعهم القشيري[٣] في القول بمصطلح(الاداة)، ففي تفسير قوله تعالى {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً} الفرقان٥٧ فاشار

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢٨٩/٦، و: ٤٦٣/٢.

٢) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١٢٥/١١، و: ٢٤٢/٩، و: ٩١/١، و: ينظر: لتحاف الفضلاء: ٤٥٤، و: ينظر: معجم القراءات القرآنية: ١٢١/٥-١٢٢.

٣) ينظر: تفسير القشيري: ٣٨٨/٥.

القشيري الى ان: (الا) اداة استثناء منقطع، اذ ابتغائهم السبيل الى ربهم ليس بأجر ياخذه منهم، فهو لمن أقبل بشير ولمن اعرض نذير.

اولاً: الأدوات اللفظية:

١. حروف الخفض ـ الصفة[١]:

قال به الكوفيون، وتابعهم في ذلك مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة، فالطبري تابع الكوفيين[٢] فاستعمل مصطلح(الخفض)عند تفسير قوله تعالى {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} المؤمنون٦٠ حين ذكر: أن بعضهم يقول: هو في موضع خفض، وان لم يكن ظاهراً، أي بتقدير حرف خفض، أي: انهم الى ربهم راجعون، اما المراد بـ(بعضهم يقول) هو الكسائي.. وذهب الطبري الى استعمال مصطلح(الصفة) في تفسير قوله تعالى {يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ} النساء١١حين ذكر: ورفع قوله(مثل) بالصفة، وهي اللام التي في قوله(للذكر). واستعمل الطبري مصطلح(حروف الصفات) في تفسير قوله تعالى{وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ} البقرة١٤حين قال ان المعنى: اذا خلوا مع شياطينهم، اذ كانت حروف الصفات يعاقب بعضها بعضاً. وايضاً في تفسير قوله تعالى {قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ} المائدة١١٩ اشار الطبري بعدعرض قراءات متعددة الى أنَّ أولى القراءات في ذلك عنده بالصواب(وهذا يومَ ينفع الصادقين) بنصب اليوم على انه منصوب على الوقت والصفة.وذكره في مواضع اخرى من تفسيره.

---

١) مصطلح كوفي، ينظر: معاني القرآن للكسائي: ٧٦، و: معاني القرآن للفراء: ٢/١، ٧، ١٠، ١٤٨، و: ٣٨٥/٢، و: شرح المفصل: ١١٧/٢، و: مدرسة الكوفة: ٣١٤.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٣٤/١٨، و: ١٥٠/٤، و: ١٠١/١، و: ٩١/٧، و: ١٣٨/٣، و: ٦٦/٨، و: ينظر: اتحاف الفضلاء: ٢٥٩، و: ينظر: معجم القراءات القرآنية: ٢٥١/٢.

ولقد تابع الشيخ الطوسي الكوفيين باستعمال هذا المصطلح[1]، ففي تفسير قوله تعالى{الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الفاتحة٢ ذكر الشيخ الطوسي: ان قوله(لله)مخفوض بالاضافة، و(رب العالمين) مخفوض لأنه نعت، والعالمين مخفوض بالاضافة.ولقد ذكرالشيخ الطوسي مصطلح الخفض في الكثير من تفسيره للآيات القرآنية المباركة.

وذهب السمرقندي الى القول بالمصطلح المذكور[2]، ففي تفسير قوله تعالى {وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ} المائدة٦ ذكر السمر قندي:... ومن قرأ بالكسر جعله كسراً لدخول حرف الخفض وهو الباء. وكذلك عند تفسير قوله تعالى {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ} الأنعام٧٤ اشار السمرقندي: وقرأ الحسن ويعقوب الحضرمي(آزر) بالضم ويكون معناه: واذ قال ابراهيم لابيه: يا آزر. والقراءة المعروفة بالنصب لانه على ميزان افعل. ينصرف فصار نصباً وهو بموضع الخفض ولأنه اسم اعجمي فلا ينصرف.وأورد السمرقندي مصطلح الخفض في مواضع من تفسيره.

ولقد تابع الثعلبي[3] الكوفيين والذين سبقوه من المفسرين بالقول بمصطلح الصفة، ففي تفسير قوله تعالى {مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ} الحج ٧٨ اشار الثعلبي الى ان معنى(ملة) كملة ابيكم ابراهيم) نصب بنزع حرف الصفة. وقد ذكر الثعلبي هذا المصطلح، ومصطلح الخفض في مواضع اخرى من تفسيره.

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣١/١، ٣٣، ٥٤، ٥٩، ١٢٠، ٣٤٧، ٣٤٨، ٤٤١، ٤٧٦، و: ٢٨/٢، ٢٢٧، ٢٤٠، و: ٦٧/٣، ٩٨، ٢٠٢، ٣٢٦، و: ١٦٢/٥، ٤٨٩، و: ٦ /١٧٥، ٣٣٤، ٣٦.

٢) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٤٥٧/١، و: ٥٠/٢، ٣٤٥، و: ينظر: النشر في القراءات العشر: ١٩١/٢.

٣) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٢٤٤/١، ٣٣٠، ٤٧٨، و: ١٨/٢، ٤٣، ٣٥٨، و: ٣١٤/٤، و: ١٨٠/٦.

ولقد ذهب الواحدي متابعاً الذين سبقوه باستعمال مصطلح الخفض[1]، ففي تفسير قوله تعالى {وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} الأنفال٦٢ ذكر الواحدي ان: الكاف في(حسبك) موضعها الخفض. وقد استعمل الواحدي هذا المصطلح في مواضع اخرى من تفسيره(الوسيط).

٢. الصلة والحشو[2]:

وهومما قال به الكوفيون، وتابعهم فيه مفسروالقرنين الرابع والخامس للهجرة، فقد ذهب الطبري الى القول بهذا المصطلح[3]، ففي تفسير قوله تعالى{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى} البقرة٣٨ ذكر أن: ما التي تاتي بمعنى توكيد اللام تسميها أهل العربية صلة وحشواً. وأيضا في تفسيرقوله تعالى{فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا} البقرة١٥٨ ذكر الطبري: من قرأ: فلا جناح عليه أن لا يَطَّوَّفَ بهما، أن تكون(لا) التي مع(ان) صلة في الكلام اذا كان قد تقدمها جحد في الكلام قبلها.

وفي قوله تعالى {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ} آل عمران١٥٩ اشار الطبري الى ان معنى قوله: فبرحمة من الله، و(ما) صلة.. والعرب تجعل(ما) صلة في المعرفة والنكرة. ولقد استعمل الطبري هذا المصطلح في مواضع عدة من تفسيره.

---

١) ينظر: تفسير الوسيط للواحدي: ٢٣٢/١٠، و: ٢٦٠/٢، و: ٢٣٣/٤، و: ٣١٧/٣، و: ١٨٦/٦.

٢) مصطلح كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٢٤٤-٢٤٥، و: ٢٢/٢، و: ١٣٧/٣، ١٨٩، ٢٥٤، و: شرح المفصل: ١٢٨/٨، و: المصطلح النحوي: نشاته وتطوره: ١٧٨، والاصول، د.تمام حسان: ٤٠، و: موسوعة المصطلح النحوي: ٣٤٨/١- ٣٤٩.

٣) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٩٥/١، و: ٣١/٢، و: ٩٩/٤، و: ١٧٥/١٢، و: ٢١٢/٧، و: ١٥٣/٩، و: ٢٤/١٣، و: ٤٢/٢٠، و: ٧٥/٢٤، و: ٢٣/٢٦، و: ١٤٣/٢٧، و: ٦٣/٢٩، و: ينظر: المحتسب لأبن جنّي: ١١٥/١، و: ينظر: معجم القراءات القرآنية: ١٢٨/١.

ولقد تابع الشيخ الطوسي الكوفيين في استعمال هذا المصطلح كثيراً من تفسيره[1]، ففي تفسير قوله تعالى {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ} الفاتحة٧ ذكر الشيخ الطوسي ان: من نصب(غير) على الاستثناء، جعل(لا) صلة. وايضا في تفسير قوله تعالى {هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ} آل عمران١١٩ فانه اشارالى: جواز ان تكون(اؤلاء)بمعنى الذين وتحبونهم صلة، ويكون التقدير: الذين تحبونهم. ولقد ذكر الشيخ الطوسي هذا المصطلح في مواضع عدة من تفسيره.

وذهب السمرقندي الى استخدام هذا المصطلح[2]، ففي تفسير قوله تعالى{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ} آل عمران١٥٩ ذكر السمر قندي ان المعنى: فبرحمة من الله و(ما) صلة. وأيضا في تفسير قوله تعالى{أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ} آل عمران١٦٥ أشارالى أن: قوله(أَوَلَمَّا) الالف للاستفهام والواو للعطف، و(ما) صلة، فكأنه قال: ولئن مُتُّم أو قتلتم أو اصابتكم مصيبة يوم أحد، فقد اصبتم مثلها يوم بدر. وقد ذكر السمرقندي هذا المصطلح في مواضع عدة من تفسيره.

وتابع الماوردي الذين سبقوه من المفسرين باستعمال هذا المصطلح[3]، ففي تفسير قوله تعالى {فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا} البقرة١٥٨ ذهب الماوردي الى ان: (لا) صلة في الكلام اذا تقدمها جحد، كقوله تعالى {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤٥/١، و: ٥٧٣/٢، ٤٨١، و: ١٨٠/٣، ٢٥٤، و: ٧٤/٤، و: ١٣٥/٥، ٤٤٨، ٥٣٣، ٥٥٤، و: ٤٣٠/٦، و: ١٠٣/٧، ٢٦٦، ٣٥٦، ٤٨٠، و: ١٣٩/٨، ٤٥٥، و: ٨٩/٩، ١٩٥، و: ٧/١٠، ١٠٨، /١١٥، ١٩٠، ٢٦٠، ٢٨٥، ٣٢٣، ٣٤٩.

٢) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٣٣٢/١، ٣٨١، ٣٩٨، ٤٧٠، ٣٨١، ٣١٥، ٣٢١، ٣٥٧، ٤١٠، ٤٨٠، ٢٠٨، ٢١٠، ٣٦١، و: ٩٨/٢، ١٧٣، ٢٨٢، و: ١٠٦/٣، ١٢٢، ١٢٣، ١٨٢، ١٩٢.

٣) ينظر: تفسير النكت والعيون: ١١١/١ - ١١٢، و: ١/١، ٢٧، ٣١، ١٢١، ١٦١، ١٦٢، ٣٥٢، ٤٠٠، و: ٥٣/٢، ٢١٠، ٣٩١، ٤١٥، و: ١٦٧/٣، ١٧٧، ٢٩٠، ٤٨٣، و: ١٢٢/٤، ١٧٢، ٢٢٧، و: ٣٢٠، ٢٥٤، ٤٠٤، ٤٥٨.

إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} الأعراف١٢، بمعنى: ما منعك ان تسجد. وايضا في تفسير قوله تعالى {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} الفاتحة١ اشار الماوردي الى: ذهاب بعض العلماء الى عد(بسم) صلة زائدة، وانما هو الله الرحمن الرحيم.وقد استخدم الماوردي هذا المصطلح كثيراً في تفسيره وذهب ابن ابي حاتم الى القول بذلك المصطلح[١]، ففي قوله تعالى{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} النور٣٠ ذكر: أن(من)هنا صلة في الكلام. وأيضا في قوله تعالى{وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ} الكهف٢٤ أشارابن ابي حاتم: هي خاصة لرسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وليس لأحدنا ان يستثني الا في صلة يمينه.

ولقد استخدم ابن زمنين هذا المصطلح[٢]، ففي تفسير قوله تعالى{فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ} المائدة١٣ ذكر ابن ابي زمنين ان المعنى: فبنقضهم ميثاقهم، و(ما)صلة. وكذلك قوله تعالى {وَإِنَّ كُـلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} هود١١١ اشار بعد عرضه للقراءات المتعددة، ان المعنى هو: ان كلا ليوفينهم، وتكون(ما) صلة، ونصب(كلاً) بـ(ان). وقد ذكر ابن ابي زمنين هذا المصطلح في مواضع اخرى من تفسيره.

وذهب القشيري الى استخدام هذا المصطلح[٣] في مواضع كثيرة من تفسيره، ففي قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ} المائدة١ ذكر القشيري ان: (يا) حرف نداء، و(أي) اسم منادى، و(ها): تنبيه، و(الذين آمنوا) صلة الذين. وكذلك تفسير قوله تعالى{فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ} الأنفال١٢ اشار القشيري بعد

---

١) ينظر: تفسير ابن ابي حاتم: ١٠/١٠٠، ٩/١٩٦.

٢) ينظر: تفسير ابن زمنين: ١/١٤٦، ٣٩٨، ١٠٣، ٣٢٨، ٣٦٢، ٣٧٣، ٤٥٢، و: ٢/٣١، ٨٩، ١٥٣، ٢٦٣.

٣) ينظر: تفسير القشيري: ٢/٨٣، و: ٣/٤، ٢١٤، و: ٤/١٩٣، ٤٧٤، و: ٦/٢٥٠، و: ٧/١٦٩، ٢٩٤، ٤٦٨، ٤٧٧.

عرضه آراء عدة الى ان: لفظ(فوق) يكون صلة. وايضا في تفسير قوله تعالى {وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا} يونس٢٧ ذهب الى القول:... والباء في(بمثلها) صلة، أي: للواحد واحد.

ولقد تابع الواحدي الكوفيين والمفسرين الذين سبقوه في القول بهذا المصطلح[١]، ففي تفسير قوله تعالى {فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ} النساء١١ ذكر الواحدي: ان(فوق) ها هنا صلة، لأن اثنتين يرثان الثلثين. وكذلك في قوله تعالى{إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى} طه١٥ اشار الواحدي الى ان: (اكاد) صلة. وايضا في تفسير قوله تعالى {لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ} الحاقة٤٥ فذكر ان: (من) صلة، والمعنى: لاخذناه بالقوة والقدرة. ولقد استعمل الواحدي هذا المصطلح بكثرة في تفسيريه(الوجيز، والوسيط).

٣. حروف النسق[٢]:

مصطلح قال به الكوفيون، وتابعهم فيه مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة فلقد ذكر الطبري هذا المصطلح في مواضع كثيرة من تفسيره[٣]، منها: في تفسير قوله تعالى {ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} الحج٢٩ ذكر الطبري: ان تسكين اللام في كل ذلك طلب للتخفيف، كما فعلوا في(هو) اذا كانت قبله(واو)، فقالوا {وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} الحديد٦،

---

١) ينظر: تفسير الوجيز للواحدي: ١/١١٨، ٤٣١، ٥٠٢، ١٠٢٨، و: تفسير الوسيط: ١/١١٦، ١٠٤، ٢٢١، ١٨٧، ٣٨٥، ٥١٢، و: ٢/٢٢٩، ١٧٦، ١٣٦، ٣١٨، و: ٤/٢٥٧، ٣٥٣، ٣٩٠، ٤٩٤.

٢) مصطلح كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/٧٥، ٢٣٥، و: مجالس ثعلب: ١/١٤٦، و: شرح المفصل: ٨/١٤٣، و: همع الهوامع: ٥/٢٢٣، و: الموفي في النحو الكوفي: ٦٢.

٣) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٨/٦١٦، و: ٢/٢٧١، و: ٣/٦٢، و: ٦/١٩، و: ١٦/٤٦، و: ٧/٢٤٧، و: ٢٩/١٠٦، و: ٢٤/١٠٣، و: ٢٣/١٥٢، و: ٢٢/١١٤، و: ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢/٢٢٨، و: ينظر: اتحاف الفضلاء: ١٥٩، و: ينظر: معجم القراءات: ١/١٨٨-١٨٩.

فسكنوا الهاء، وكذلك يفعلون في لام الامر اذا كان قبلها حرف من حروف النسق كالواو، والفاء، وثم. وايضا في تفسير قوله تعالى {مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ} البقرة٢٤٥ اشار الطبري الى اختلاف القرّاء في قراءة(فيضاعفه) بالألف ورفعه بمعنى: الذي يقرض الله قرضا حسناً فيضاعفه له، نسق(يضاعف) على قوله(يقرض). وفي تفسير قوله تعالى{وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} البقرة٢٧١.

ذكر الطبري: اذا قال قائل: وكيف اخترت الجزم على النسق على موضع الفاء، وتركت اختيار نسقه على ما بعد الفاء، وقد علمت انه الافصح من الكلام في النسق على جواب الجزاء الرفع؟ وقد استخدم الطبري هذا المصطلح في مواضع اخرى من تفسيره.

ولقد تابع الشيخ الطوسي الكوفيين في استخدام مصطلح النسق(١)، ففي تفسير قوله تعالى {وَلَقَدْ جَاءكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ} البقرة٩٢، ذهب الشيخ الطوسي الى القول: وليس المراد بـ(ثم) هنا النسق، وانما المراد بها التوبيخ... لكفرهم.وفي تفسير قوله تعالى{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى} البقرة٦٢ أشارالشيخ الطوسي بعد عرضه آراء النحويين الى رأي الفراء: ان عطف... فيه الاعراب وهو(الذين)، ويجوز النسق على مثل(الذين) وعلى المضمر نحو: اني وزيد قائمان، فعطف على موضع(ان). وكذلك تفسير قوله تعالى{وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} البقرة٢٣٣ ذكر الشيخ الطوسي بعد عرضه لآراء النحويين:... وقال الكسائي والفراء: هو منسوق على(لايكلف).

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١/٣٥٠، و: ٣/٥٩١، و: ٢/٢٥٩ - ٢٦٠.

وذهب السمرقندي[1] متابعاً الكوفيين والذين سبقوه من المفسرين باستخدام مصطلح النسق، ففي تفسير قوله تعالى{أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ} الأعراف ٩٧ ذكرالسمرقندي: وكذلك أفأمن لأنها فاء العطف دخلت عليها ألف الاستفهام. قرأ نافع وابن كثير: أو أمن بجزم الواو لان أصله أو وأمن، و أو حرف من حروف الشك فادغم في حرف النسق.

وتابع الثعلبي الذين سبقوه من المفسرين الى القول بهذا المصطلح[2]، ففي تفسير قوله تعالى {أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} البقرة١٠٠ اشـــار الثعلبي الى قراءة ابن السماك العدوي: بتسكين الواو على النسق، و(كلما) نصب على الظرف.وايضا في تفسير قوله تعالى {وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ} البقرة١٨٥ ذكر الثعلبي:... والواو في قوله(والتكملوا) واو النسق واللام لام كي. وكذلك تفسير قوله تعالى {فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ} البقرة٢٨٤ اشار الثعلبي الى اختلاف القراءات فيها: فمنهم من رفعها، ومنهم من نصبها، وجزمها الباقون، فالجزم على النسق، والرفع على الابتداء، والنصب على الصرف. وايضا في تفسير قوله تعالى{أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ } الأنعام١٢٢ ذكر الثعلبي:... دخلت على واو النسق. وقد ذكره في مواضع اخرى من تفسيره.

ولقد ذهب الواحدي الى استعمال هذا المصطلح[3]، ففي تفسير قوله تعالى{وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} البقرة٢٣٣ اشار الواحدي الى

---

١) ينظر: تفسير بحر العلوم: ١٣٠/٢، و: ينظر: معجم القراءات القرآنية: ٣٨٣/٢.

٢) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١٩٢/١، ٣٤٢، و: ١٥٤/٢، و: ٢٨٦/٥، و: ١٨٢/٩، و: ١٧٥/١٢، و: ١٤٥/١٣، و: ١٤٦/١٤.

٣) ينظر: تفسير الوجيز للواحدي: ٦٢/١، ٣٢٦، ٥٢٦، و: تفسير الوسيط: ١١٩/١، ٣٥٥، ٣٤١، و: ٩٥/٤.

ان قوله(وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ) هذا نسق على قوله(وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ).ولقد استعمله في مواضع اخرى من تفسيريه(الوجيز- والوسيط).

٤. الجحد[1]:

وهو مما قال به الكوفيون، وتابعهم فيه مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة، فذهب الطبري الى استعماله[2]، ففي تفسير قوله تعالى {وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ} البقرة١٠٢.

أشار الى ان: معناه الجحد، ثم قال: والصواب من القول ان توجه(ما) الى معنى(الذي) دون معنى(ما) التي هي بمعنى الجحد. وقد ورد(الجحد) بمعناه اللغوي عند الطبري في مواضع من التفسير منها قوله:... أي جحدوا، من جحود. وبمعناه الاصطلاحي كما في قوله تعالى {وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ} آل عمران١٣٥ عندما اشار الى ان: اسم الله مرفوع ولا جحد قبله، انما يرفع بعد إلاَّ باتباعه ما قبله اذا كان نكرة ومعه جحد.

وفي تفسير قوله تعالى {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ} الفاتحة٧ ذهب الطبري الى القول:... لان(لا) نفي وجحد، ولا يعطف بجحد الا على جحد، وقالوا: لم نجد في شيء من كلام العرب استثناء يعطف عليه بجحد، وانما وجدناهم يعطفون على الاستثناء بالاستثناء، وبالجحد على الجحد.وقد ذكره في مواضع عدة من تفسيره.

---

١) مصطلح كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٨/١، ٥٢، ١٢٥، ٢٢٨، ٢٣٥، و: ١٣٧/٣ ومجالس ثعلب ١٠١/١، و: المصطلح النحوي نشاته وتطوره: ١٧١.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٣٥٩/١، ٣٠٤، ٣٦١، و: ٣٤٥/٣، ١١٧، و: ١٩٧/٤، و: ٦١/١، ١٨٤، ١٩١، ١٩٢، ٥٤٩، و: ٢٨١/٢، ٤١٩، ٤٢٤، ٢٨٥، ٥٠٢، و: ٣٠١/٥، ٣٠٢، و: ٥٥١/٦، و: ٤٨٩/٧، و: ٢٠٢/٩، ٢٥٠، ٣٤٥.

ولقد تابع الشيخ الطوسي الكوفيين باستخدام ذلك المصطلح[1]، ففي تفسير قوله تعالى{وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ} البقرة١٣٠ ذهب الشيخ الطوسي الى القول: لفظه الاستفهام ومعناه الجحد. كأنه قال: ما يرغب عن ملة ابراهيم ولا يزهد فيها الا من سفه نفسه. وايضا في تفسير قوله تعالى{لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} البينة١ ذكر الشيخ الطوسي:... ولابد لها من خبر وحرف الجحد.وكذلك تفسير قوله تعالى{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ} الصف٦، فاشار فيه الشيخ الطوسي:... قد جرى في ذلك مجرى الجحد بنعم الله في انه قد كفر. ولقد ذكر الشيخ الطوسي هذا المصطلح في مواضع كثيرة من تفسيره.

وذهب السمرقندي الى استخدام هذا المصطلح[2]، ففي تفسير قوله تعالى {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ} البقرة٢١٠ ذكر السمر قندي ان: هل تاتي لمعانٍ متعددة، منها: قد، ومنها: الاستفهام، ومنها: التفهيم، ومنها: التوبيخ، ومنها: الامر، ومنها: الجحد كقوله في هذا الموضع(هل ينظرون)، أي: ما ينظرون.

ولقد تابع الثعلبي الكوفيين والذين سبقوه من المفسرين بالقول بذلك المصطلح[3]، ففي تفسير قوله تعالى {وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَاعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي} يوسف٦٥.

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤٦٩/١، و: ٣٦٠/١٠، و: ٥٧٧/٩، و: ٤٥/١، ٣٢٥، ٣٧٣، و: ٢٧٤/٤، و: ١٣٢/٥، ١٠٩، ٢٠٢، ٣٦٢، ٢٠٦، و: ٤٥٥/٨، ٥٣٦، و:، ٤٦٣/٩، ٤٣٢، ٢٧٣، و: ٣٧٠/٣، ٣٢٣، ٨٨.

٢) ينظر: تفسير بحر العلوم: ١٧٤/١.

٣) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٣٩٠/٣، ٢٩٧، و: ٣٥/٤، و: ١٣٣/٧، ١٦٣، ٣٥٥، ١٣٦، ٢٥٥، و: ١٢٦/٦، و: ٥/١٠، و: ٢٨١/١١، و: ٣٠٠/١٢، و: ٨٣/١٣.

ذكر الثعلبي: (ما) استفهام في موضع نصب، ويكون معناه جحداً، كأنهم قالوا: لسنا نريد منكم دراهم. وايضا في تفسير قوله تعالى{مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ} آل عمران١٧٩ فان الثعلبي ذكر:... واللام في قوله(ليذر) لام الجحد وهي في تاويل(كي) ولذلك نصب ما بعدها. وكذلك تفسير قوله تعالى {فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً} النساء١٠٣ اشار الثعلبي الى قول الفراء:... لا يكون الرجاء بمعنى الخوف الا مع الجحد ولقد ذكر الثعلبي هذا المصطلح في مواضع كثيرة من تفسيره.

وذهب القشيري الى استخدام مصطلح[1] الجحد، متابعا بذلك الكوفيين والمفسرين الذين سبقوه، ففي تفسير قوله تعالى{قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} المائدة٢٤ ذكر القشيري: انهم تركوا آداب الخطاب فصرحوا ببيان الجحد ولم يحتشموا من مجاهرة الرد. وايضا في تفسير قوله تعالى {فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ} الأعراف١٠١ ذهب القشيري الى القول: سلكوا طريقاً واحدا في التمرد، واجتمعوا في خطا واحداً في الجحد والتبلد، فلا للايمان جنحوا، ولا عن العدوان رجعوا. وكذلك قوله تعالى {بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ} هود٨٦ اشار القشيري الى انه: يعني القليل من الحلال اجدى الكثير،... والتمادي في ما هو دائم من الجحد والكنود. ولقد ذكر القشيري هذا المصطلح في مواضع كثيرة اخرى من تفسيره.

وذهب الواحدي الى استعمال مصطلح الجحد[2]، ففي تفسير قوله تعالى {وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ

---

١) ينظر: تفسير القشيري: ١٠٦/٢، ٤٠٩، و: ٣٦٠/٣، و: ١٢٥/٢، ٢٣٨، ٢٧٠، ٤٦٤، و: ١٢٢/٤، ٣٩٥، و: ٦٧/٥، ٣٣٢، ٤٦٨، و: ٤٧٥/٦، ١٨٠، و: ٢٨/٧، ١٣٦، ١٥٣.

٢) ينظر: تفسير الوجيز: ١٨١/١.

شَيْءٍ قَدِيرٌ} الأنعام١٧ذكر الواحدي:...فكانما رأى محمد(عليه السلام) قل: (أإنكم لتشهدون ان مع الله اله اخرى) استفهام معناه الجحد والانكار(قل لااشهد...).

٥٠ لام اليمين ـ لام القسم[١]:

وهو مماقال به الكوفيون، وتابعهم فيه مفسرو القرنين، بدءاً من الطبري الذي ذهب الى استخدام هذا المصطلح كثيرا في تفسيره[٢]، ففي تفسيرقوله تعالى{وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ ا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ} البقرة١٠٢ ذكر الطبري: ان قوله تعالى(قد علموا) بمعنى اليمين حققت بلام اليمين في(لمن اشتراه) كما يقال: اقسم لمن قام خيرممن قعد... وانما قيل(اشتراه) ولم يقل(يشترونه) لدخول لام القسم على(من) ثم اضاف: ومن شأن العرب اذا احدثت على حرف الجزاء لام القسم ان لاينطقوا في الفعل معه الا بـ(فعل) دون(يفعل) الا قليلاً. وايضا في تفسير قوله تعالى{لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ} آل عمران٨١ ذكر الطبري بعد أن عرض عدة قراءات للآية بأن: أولى الاقوال هو على قراءة من قرأ بفتح اللام بالصواب ان يكون له(لما) بمعنى(لهما)، وان تكون(ما)حرف جزاء ادخلت عليها اللام وصيّرمعها الفعل على فعل الفعل على فعل، ثم اجيبت بما تجاب به الايمان، فصارت اللام الاولى يمينا، اذ تلقيت بجواب اليمين وكذلك قوله تعالى{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ} غافر١٠ ذكرالطبري: دخلت اللام لتؤذن ان مابعدها إئتناف، وأنها لام اليمين.

---

١) مصطلح كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/٦٥.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١/٤٦٥، و: ٣/٢٣٥، و: ٢٤/٣١، و: ١٢/١٢٨، و: ٢/٤٥٢، و: ١٥/٤٩٧، و: ٢١/٣٥٩ ـ ٣٦٠، و: ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢/١٨١، و: ينظر: اتحاف الفضلاء: ٢٢٦، و: ينظر: معجم القراءات القرآنية: ٢/٤٨- ٤٩.

ولقد تابع الشيخ الطوسي الكوفيين باستعمال هذا المصطلح[1]، ففي تفسير قوله تعالى {وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ} الصافات٧١ ذكر الشيخ الطوسي: ان الله تعالى اقسم به لان اللام في(لقد) هي لام القسم، وتدخل على الجواب لقولك: والله لقد كان كذا. وايضا في تفسير قوله تعالى {يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ} الحج١٣ اشار الشيخ الطوسي الى ان: اللام لام اليمين، والتقدير: يدعو وعزتي لمن ضره اقرب من نفعه. ولقد ذكر الشيخ الطوسي هذا المصطلح في مواضع كثيرة من تفسيره.

ولقد ذهب السمرقندي الى استعمال هذا المصطلح[2]، فذكر في تفسير قوله تعالى {اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً} النساء ٨٧، ان: اللام في قوله تعالى(لَيَجْمَعَنَّكُمْ) لام القسم، وكل لام بعدها نون مشددة هي لام القسم.

وكذلك الماوردي فانه ذهب الى استخدام هذا المصطلح[3]، ففي تفسير قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ} غافر١٠ ذكر الماوردي ان: اللام في قوله تعالى(لمقت الله)فيها وجهان: منهما: انها لام اليمين تدخل على الحكاية وما ضارعها. قاله ثعلب.

ولقد ذهب الثعلبي متابعا الكوفيين والمفسرين السا بقين له بالقول في هذا المصطلح[4]، ففي تفسيرقوله تعالى{وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ} البقرة٩٦ ذكر أن: اللام في(لتجدنهم) لام القسم، والنون تأكيد القسم، تقديره: والله

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٥٠٤/٨، و: ١١/١٠، و: ١٨/٢، و: ٧٢/٣، ٢٥٤، ٢٦٧، ٢٩٤، ٥٨١، ٥٩٩، و: ٢٣/٤، و: ٧٥/٦، ٢٥٥، ٢٨٨، و: ٢٩٨/٧، ٣٦٨، ٥٠٤، و: ١٧١/٩، ٤٥١، ٥٦٩.

٢) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٤٠٧/١.

٣) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٣١/٤.

٤) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١٨٧/١، و: ١٢٦/٣.

لتجدنهم يامحمد يعني اليهود، وأيضا في تفسير قوله تعالى{لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ} آل عمران٨١ اشار الثعلبي ان اللام في قوله(لتنصرنه) لام القسم، والتقدير: والله لتؤمنن به. فأكّد في أول الكلام بلام التأكيد، وفي اخر الكلام بلام القسم.

٦. التقريب(١):

وهو مما قال به الكوفيون، اذ ذكره الكسائي والفراء وثعلب، وذكرالسيوطي ذهاب الكوفيين الى ان(هذا) و(هذه) اذا اريد بهما التقريب كانا من اخوات كان في احتياجهما الى اسم مرفوع وخبر منصوب.

وقد بيّن ثعلب معنى هذه التسمية، اذ قال(٢): ((سمي تقريباً، أي قرب الفعل به)).

وتابع مفسرو القرنين الرابع والخامس الكوفيين باستعمال هذا المصطلح، إذ استعمل الطبري هذا المصطلح(٣)، ففي تفسير قوله تعالى{هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ} آل عمران١١٩ اشارالى انه: قال(ها انتم اؤلاء) ولم يقل(هؤلاءأنتم) ففرق بين(ها) و(اؤلاء) بكناية اسم المخاطبين، لأن العرب كذلك تفعل في(هذا) اذا ارادت به التقريب ومذهب النقصان الذي يحتاج الى تمام الخبر، وذلك مثل ان يقال لبعضهم: أين انت؟ فيجيب: ها انا ذا، فيفرق بين التنبيه و(ذا) بمكنى اسم نفسه، ولا يكادون يقولون: (هذا انا) وربما أعادوا حرف التنبيه مع(ذا) فقالوا(هاانا هذا)، ولا يفعلون ذلك الاّ فيما كان تقريباً، فاما اذا كان على غير التقريب والنقصان، قالوا: (هذا هو) و(هذا انت)،

---

١) مصطلح كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٢/١، ٢٣١ ـ ٢٣٢، و: مجالس ثعلب: ٣٤٧/٢، و: ايضاح الوقف والابتداء: ١٣٢/١، و: ٧٦٣/٢، و: ينظر: همع الهوامع: ٧١/٢.

٢) ينظر: مجالس ثعلب: ٣٥٩/٢.

٣) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١٥٠/١، و: ٤١٦/١٥، و: ١٩٢/٢٢، و: ٦٥/٢٦، و: ٨/١٢.

وكـذلك يفعلـون مـع الاسمـاء الظـاهرة، يقولـون: (هـذا عمـرو قائمـا)، وان كان(هذا) تقريباً، وانما يفعلون ذلك في المكني مع التقريب تفرقة بين(هذا) اذا كان بمعنى الناقص الذي يحتاج الى تمام، وبين ما اذا كان بمعنى الاسم الصحيح، وقوله(تحبونهم) خبر للتقريب. وايضاً في تفسير قوله تعالى {هَـؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَـرُ لَكُـمْ} هـود٧٨ اشار الطبري الى أن:... وقال اخر منهم: مسموع من العرب: (هذا زيد اياه بعينه)، قال: قد جعله خبرا لـ(هذا) مثل قولك: كان عبد الله اياه بعينه. قال: وانما لم يجز ان يقع الفعل هاهنا، لأن التقريب رد كلام، فلم يجتمعا، لانه يتناقض. وكذلك تفسير قوله تعالى {هَاأَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ} محمد٣٨ ذكر الطبري: يقول تعالى ذكره للمؤمنين: (ها انتم) ايها الناس(هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله) يقول: تدعون الى النفقة في جهاد أعداء الله ونصرة دينه،...، وادخلت(ها) في موضعين، لان العرب اذا ارادت التقريب جعلت المكنى بين(ها) و(ذا)، فقالت: ها انت ذا قائماً، لأن التقريب جواب لكلام، فربما اعادت(ها) مع(ذا) وربما اجتزأت بالاولى، وقد حذفت الثانية، ولا يقدمون انتم قبل(ها)، لان(ها) جواب فلا تقرب بها بعد الكملة. ولقد ذكر الطبري هذا المصطلح في مواضع اخرى من تفسيره.

وتابع الشيخ الطوسي الكوفيين باستعمال مصطلح التقريب[1]، ففي تفسير قوله تعالى {هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ} آل عمران١١٩، اشار الشيخ الطوسي الى قول الفراء: العرب اذا جاءت الى اسم مكني قد وصف بـ(هذا ـ هذه ـ هؤلاء) فرقوا بين(ها) وبين(هذا) فجعلوا المكني منهما في جهة التقريب لاغير، يقولون اين انت؟ فيقول القائل: ها أنذا، ولا يكاد يقول ها انا، ومثله في التثنية والجمع، ومثله قوله{هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ}... والتقريب لابد فيه من فعل لنقصانه... وقال الفراء: يحبونهم: خبر.

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢/٥٧٣.

وذهب الواحدي الى ذلك المعنى[1] عندما أشار في تفسير قوله تعالى{هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ} آل عمران١١٩ الى ان معنى قوله تعالى(ها انتم اؤلاء): (ها) تنبيه دخل على(انتم)، و(اؤلاء) بمعنى الذين، كأنه قيل: الذين تحبونهم ولا يحبونكم، أي ان: (تحبونهم) خبر.

الأدوات المعنوية:

١. **الصرف**[2]:

وهو مما قال به الكوفيون، ولم يقل به البصريون البتّة.وقدعرُف الفراءالصرف حين ذكر: فان قلت: وما الصرف؟ قلت: ان تاتي بالواو معطوفة على كلام في اوله حادثة لا تستقيم اعادتها على ما عطف عليها، فاذا كان كذلك فهو الصرف، كما في قول الشاعر:

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إذا فَعَلْتَ عَظِيمُ

ألا ترى انه لايجوزاعادة(لا) في تاتي مثله، فلذلك سمي صرفاً. اذ كان معطوفا ولم يستقم ان يعاد فيه الحادث الذي قبله. وذكرالفراء في موضع اخر: والصرف ان يجتمع الفعلان بالواو او ثم او الفاء، وفي اوله جحد ا استفهام، ثم يمتنع ذلك الجحد او الاستفهام ان يكرالعطف فذلك الصرف.

ولقد تابع مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة الكوفيين باستعمال هذا المصطلح، وتم الحديث عن هذا المصطلح مفصّلاً في المبحث الثاني من الفصل الاول من هذه الرسالة – مواضع الحمل على الظاهر في تفسير القرنين الرابع

---

١) ينظر: تفسير الوجيز للواحدي: ١/١٠١.

٢) مصطلح كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/٣٣،، ٢٣٥، و: مغني اللبيب: ٢/٣٥، و: المصطلح النحوي: ١٨٧.

والخامس للهجرة، فذهب الطبري الى استعمال هذا المصطلح في تفسيره كثيراً[1]، ففي تفسير قوله تعالى {وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} البقرة٤٢ ذكر الطبري: وتكتموا منصوبة بانصرافه عن معنى قوله(ولا تلبسوا الحق بالباطل) اذ كان قوله(ولا تلبسوا) نهيا، وقوله(وتكتموا الحق)خبرا معطوف عليه غير جائز ان يعاد عليه ما عمل في قوله(تلبسوا)من جازم، وذكره في مواضع اخرى من تفسيره.

وتابع الشيخ الطوسي الكوفيين باستخدام مصطلح الصرف[2]، وذكر: ان الفراء هو الذي وضع هذا المصطلح وحده، بقوله فان قلت: ما الصرف؟قلت: ان تاتي بالواو معطوفة على كلام في اوله حادثة لا تستقيم اعادتها على ما اقيم عليها. ويبدو ان اهمية الصرف تتضح من اخراج الفعل الثاني المعطوف عما وقع على الفعل الاول المعطوف عليه من حكم. ولذلك سمى الكوفيون الواو بـ(واو الصرف) لانها صرفت الفعل الثاني عن حكم الاول. ففي تفسير قوله تعالى {وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ} البقرة١٨٨ اشار الشيخ الطوسي الى ان: موضع(تدلوا)يحتمل ان يكون نصبا على الصرف، وذكرالمصطلح في مواضع اخرى.

ولقد ذهب السمرقندي الى استخدام مصطلح الصرف[3]، ففي تفسير قوله تعالى{وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ} الشورى٣٥ ذكر السمرقندي: أن: من قرأ بالنصب، كان نصبا للصرف يعني: صرف الكلام عن الاعراب الاول، ومعناه: ولكي(يعلم الذين يجادلون).

١) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ١/٥٦٩ ـ ٥٧٠، و: ٤/٧١، و: ١٣/٣٧، و: ٢٢/١٨٩، و: ٢/١٠، و: ٧/١١٢، و: ٩/١٤٦، و: ٢٥/٢٢.

٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١/١٩١، و: ٢/١٣٩، ٤٩٨، و: ٣/٤، و: ٤/٥٤٥، و: ٥/١٢٥، ٢١٧.

٣) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٤/٩٧، و: ينظر: معجم القراءات القرآنية: ٦/٩٣.

وذهب ابن زمنين متابعا السابقين له من المفسرين بالقول في هذا المصطلح[١]، ففي تفسير قوله تعالى{وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} آل عمران١٤٢ ذكر: قال محمد ان قراءة قوله تعالى(ويعلم الصابرين) بالفتح على الصرف من الجزم.

وذهب الثعلبي الى استخدام مصطلح الصرف[٢]، وذكر: انه مصطلح كوفي خالص لم يعرف من البصريين، والكوفيون يطلقونه على(الواو ـ الفاء ـ او) التي ينتصب الفعل المضارع بعدها مسبوقة بـ(جحد) او(طلب)، وهي الناصبة للفعل المضارع عند جمهورالكوفيين.

وذكر الثعلبي ماقال به الفراء بشأن هذا المصطلح. وفي تفسير قوله تعالى{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} الأنفال٢٧ اشار الثعلبي الى أن: النصب على الصرف، وذكر ذلك المصطلح في مواضع اخرى من تفسيره.

وتأثرالواحدي بالكوفيين والمفسرين الذين سبقوه باستعمال هذا المصطلح[٣]، ففي تفسير قوله تعالى {وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} آل عمران١٤٢ ذكر الواحدي: ان قوله تعالى(ويعلم الصابرين) انتصب على الصرف عن العطف، وذكرالواحدي قول ابن الانباري بهذه الواو، بأن اهل النحو يسمونها(واو الصرف).

---

١) ينظر: تفسير ابن زمنين: ٩٨/١، و: ينظر: اتحاف فضلاء البشر: ١٧٩، و: ينظر: معجم القراءات: ٦٧٠/٢.

٢) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ١٣٤/٣، و: ٣٥٥/١.

٣) ينظر: تفسير الوسيط للواحدي: ٤٩٨/١.

٢. الخروج ـ الخلاف[1]:

وهو مما قال به الكوفيون، فذكر الفراء مصطلح(الخروج)في اعراب(قادرين) من قوله تعالى(بلى قادرين) القيامة ٤: (قادرين)نصب على الخروج من(نجمع).أما الخلاف فيقصد به: ان كل شيئين مختلفين فالثاني منهما منصوب، وأصله مخالفة المفعول الفاعل ونحو ذلك[2]. ويذهب الدكتور عائد الحريزي الى ان[3]: قول الكوفيين حول نصب الفعل المضارع بعامل لفظي أو معنوي، يقصد بالمعنوي منه(الخلاف)، وهو كون الفعل الثاني مخالفا للأول وغير داخل في حكمه، وموضعه بعد(أو)و(فاء السببية)و(واو المعية).

ولقد تابع الكوفيين في قولهم السابق المفسرون ومنهم الطبري، إذ استعمل هذا المصطلح[4]، ففي تفسير قوله تعالى{فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيما حَكِيماً} النساء١١ اشار الطبري الى ان: جاء عن(فريضة)وقد يجوز ان يكون نصبه على الخروج من قوله: فان كان له اخوه فلامه السدس فريضة، فتكون الفريضة منصوبة على الخروج من قوله(فان كان له اخوة فلامه السدس) كما تقول: هو لك هبة، وهو لك صدقة مني عليك. وايضا في تفسير قوله تعالى {وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً أَو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ} النساء١٢ فذكر بعد ان عرض اراء للنحاة في هذه المسألة: ان الصواب

---

١) مصطلح كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٠٨/٣، و: شرح الرضي على الكافية: ٨٣/١، و: الموفي في النحو الكوفي: ٣٠، و: المصطلح النحوي: ١٨٨.

٢) ينظر: التبيين عن مذاهب النحويين: ٢١٦، و: مسائل الخلاف النحوي بين الكوفيين: ٤٩.

٣) ينظر: فلسفة المنصوبات في النحو العربي: ١٣٨.

٤) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٥١/٢٤، و: ٢٨٢/٤، و: ٥٠/٧، و: ٥٨/٨، ٦٧، و: ٤٠٤/١٨، و: ٢٩٧/٥، و: ٥٨٦/٦، و: ٣٩٥/٧، و: ٤١٣/٩، و: ٥١٢/١٧، و: ٣٤/٢٤، ٥١.

من القول في ذلك عندي: ان(كلالة) منصوب على الخروج من قوله(يورث)، وخبر(كان) يورث.ولقد ذكرالطبري هذا المصطلح في مواضع اخرى من تفسيره.

ولقد ذهب الشيخ الطوسي متابعا الكوفيين باستعمال هذا المصطلح[1]، ففي تفسير قوله تعالى {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} البقرة١٧٩ ذكر الشيخ الطوسي:... واما الحسن بتاليف الحروف المتلائمة، فهو مدرك بالحس، وموجود في اللفظ، فان الخروج من الفاء الى اللام اعدل من الخروج من اللام الى الهمزة. وايضا في تفسير قوله تعالى {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} الأنفال٥١ فذكر الشيخ الطوسي: وقوله: (ان الله ليس بظلام للعبيد): العامل في(ان) يحتمل شيئين، منهما: أن يكون موضعه نصبا بتقدير: وبأن الله او خفضا على الخلاف فيه. وكذلك تفسير قوله تعالى {قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} يونس٩٠ اشار الشيخ الطوسي:... قال ابو علي: من فتح الهمزة فلأن هذا الفعل فصل بحرف الجر في نحو(يؤمنون بالغيب) و(يؤمنون بالجبت) فلما حذف الحرف وصل الفعل الى(ان) فصار في موضع نصب اوخفض على الخلاف.

وذهب الثعلبي الى استعمال هذا المصطلح[2]، ففي تفسير قوله تعالى{لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ} النساء٧، ذكر الثعلبي القضية التاريخية لوفاة آوس بن ثابت الأنصاري وتركه لأمرأة يقال لها: أم كحة وثلاث بنات له منها، ومجيء أولاد عم المتوفى وأخذهم الثروة من دون اعطاء ام كحة وبناتها شيء، فقصدت الرسول- صل الله عليه وآله وسلم-، فقال لهم الرسول: انصرفوا حتى أنظر، فأنزل الله تعالى هذه الاية) للرجال) يعني للذكور من اولاد الميت واقربائه نصيب...، والاناث لهن حصة من الميراث(مما قل منه) المال(أو كثر نصيب

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١٠٤/٢، و: ٣٤١/٢، و: ٤٢/٥.

٢) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٣٥١/٣، و: ٤٣/١٣.

مفروضا) حظا معلوما واجبا، نظيرهما فيما قال{تَخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا} وهو نصب لخروجه مخرج المصدر كقول القائل: لك عليَّ حق حقاً واجباً، وعندي درهم هبة مقبوضة، قاله الفراء. وأيضا في تفسير قوله تعالى {بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أن نُسَوِّيَ بَنَانَهُ} القيامة٤ اشار الثعلبي الى قول الفراء من أن: (قادرين)نصب على الخروج من(نجمع) كأنك قلت في الكلام: أيحسب أن لن يقوى عليك، بلى قادرين على أقوى منك، يريد: بلى نقوى مقتدرين على أكثر من ذا.

وهناك من يشير[1] الى ان النصب على الصرف هو النصب على الخلاف، اذ يقول: ((نصب على الصرف، بمعنى قولهم: نصب على الخلاف سواء)). ويبدو أن: الصرف والخروج والخلاف، تتفق من ناحية وتختلف في اخرى، فهي تتفق في المعنى والعمل،. اذ معناها واحد وهو عدم المماثلة في المعنى بين السابق واللاحق، وفي العمل النحوي من حيث نصب الاسم او الفعل بعدها اذا خالف ما كان حقه ان يشاركه فيه من حكم ومعنى. وتختلف من حيث العموم والخصوص، فـ(الخلاف) أعَمّها، اذ يمكن ذكره في كل موضع من المواضع الثلاثة. في حين ان(الصرف) لايذكر الا مع(واو المعية ـ فاء السببية) كما فعل الفراء[2]، اومتى عطف فعل على فعل او اسم، اذ لايكون معنى هذه حينئذ للعطف وانما تكون للصرف، ولذا ذكر الفراء: ان العرب تجيز الرفع، لو ترك عبد الله والاسد لاكله.واجاز في الاسماء التي نصبت بالواو ان تعاد على الاسماء التي قبلها في حالة الرفع ولذلك قال[3]: ((انها تكون مردودة على ما قبلها وفيها معنى الصرف)).

---

١) شرح الرضي على الكافية: ٢٤١/٢.

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٤/١.

٣) معاني القرآن للفراء: ٣٤/١.

والخروج ايضا يدل على الخلاف اذ هو مخالفة اللفظ المتاخر للفظ المتقدم في احكامه، فكل خلاف خروج،. وكل خروج خلاف، وعلى هذا قال الفراء[1] في نصب(قادرين) من قوله تعالى {أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ} القيامة٣ ـ ٤ بان نصبها على الخروج من(نجمع). والخروج هنا لايفهم منه الا المخالفة، اذ ان كلمة(قادرين) مخالفة في النصب لمفعول(نجمع) اذ لايستقيم المعنى بعطف(قادرين) على(عظامه)لذا فقد نصبت على الخروج من المعنى الذي في الآية بفعلها الاول(نجمع) او المخالفة له لأنه وقع منفيا بـ(لن)، (لن نجمع عظامه)ثم جاء الجواب مثبتاً(بلا قادرين).

٣. **المدح**[2]:

وهو مما قال به الكوفيون، وقد تابعهم فيه مفسرو القرنين الرابع والخامس، اذ ذهب الطبري الى القول بمصطلح المدح[3]، ففي تفسير قوله تعالى{كَلَّا إِنَّهَا لَظَى نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى} المعارج١٥، ينقل الطبري رأي شيخه الفراء ويصوب رأيه عند قوله(لظى) الخبر، ونزاعة حال، فقال: ومن رفع استأنف، لانه مدح أو ذم. وأيضا في تفسير قوله تعالى{المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ} الرعد١ اشار الطبري الى ان: (الواو) دخلت في(والذي) كما أدخلها الشاعر:

---

١) ينظر: م. ن: ٢٠٨/٣.

٢) مصطلح كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٠٩/١، و: ايضاح الوقف والابتداء للانباري: ٤٩٠ ـ ٤٩١.

٣) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٧٥/٢٩، و: ٣٢١/١٦، و: ١٠٣/٤، و: ١٥٩/٢٤، ٩٣، و: ٢٣١/١، ٣٢٩، ٣٦٢، و: ٣٥٢/٣، ٣٥٤، و: ٥٣٢/٨.

إلَـى المَلِـكِ القَـرْمِ وَابْـنِ الهُمَـامِ وَلَيْـثَ الكَتِيبَـةِ فِـي المُـزْدَحَمْ[1]

فنصب ليث الكتيبة على المدح.

وكذلك تفسير قوله تعالى{وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً} الإنسان١٤ ذكر الطبري ان: نصب(دانية) له اوجه، منها: نصبه على المدح. وأيضا في تفسير قوله تعالى {لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً} النبأ٢٣ أشار الطبري الى قراءات(لابثين) بالالف، وبدونها، وذكر ان الافصح منها، والاصح مخرجا في العربية هي قرائتها بالالف، لأن العرب لاتكاد توقع الصفة اذا جاءت على فعل فتعملها في شيء، وتنصبه بها، لايكادون ان يقولوا: هذا رجل بخل بماله، ولا عسر علينا، ولا هو خصم لنا، لأن فعل لايأتي صفة الا مدحاً او ذماً، فلا يعمل المدح او الذم في غيره. واذا ارادوا اعمال ذلك الاسم او غيره جعلوه فاعلاً فقالوا: هو باخل بماله، وهو طامع فيما عندنا، فلذلك قلت ان(لابثين) اصح مخرجا في العربية وافصح، ولم احل قراءة من قرأ(لبثين). ولقد ذكره الطبري في مواضع اخرى من تفسيره.

ولقد تابع الشيخ الطوسي الكوفيين باستعمال مصطلح المدح[2]، ففي تفسير قوله تعالى{الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم} آل عمران ١٧٢ذكر الشيخ الطوسي ان: موضع(الذين) يحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب: الجر - على أن يكون لغة للمؤمنين - والرفع - على الابتداء - وخبر الذين الجملة - والنصب - على المدح -

---

١) البيت لم يعرف قائله، وهو من شواهد الفراء في معانيه: ١٠٥/١، و: امالي الشريف: ٢٠٥/١، و: الانصاف: ١٩٥، و: خزانة الادب: ٢١٦/١.

٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٥٠/٣.

ولقد ذهب السمرقندي متابعا المفسرين الذين سبقوه بالقول بمصطلح المدح[1]ففي تفسير قوله تعالى{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ} سبأ٣ ذكر اختلاف القراءة في(عالم الغيب) بين الكسر والفتح والضم، فمن قرأ بالضم، فهو على المدح، ومعناه: هو(عالم الغيب). وأيضا في تفسير قوله تعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} الصافات١٨٠ اشار السمرقندي الى القول بقراءة الشذوذ(رب العزة) ويكون نصبا على المدح، وبالكسر(رب العزة) بالكسر على معنى النعت.

ولقد ذهب الماوردي متابعاً الكوفيين والذين سبقوه من المفسرين بالقول بمصطلح المدح[2]، ففي تفسير قوله تعالى {هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ} لقمان٣ ذكر الماوردي ان(رحمة) فيها وجهان: منهما: ان القرآن رحمة من العذاب لما في من الزجر عن استحقاقه وهو وجهان:

أحدهما: انه مخرج مخرج النعت.

الثاني: انه مخرج مخرج المدح.

وايضا في تفسير قوله تعالى {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـذَا الأدْنَى} الأعراف١٦٩ اشار الماوردي الى الفرق بين(الخلف) بتسكين اللام، و(الخلف) بتحريكها، وجهان:

احدهما: بالفتح اذا خلفه وكان من اهله. وبالتسكين اذا خلف من ليس من اهله.

الثاني: ان الخلف بالتسكين تستعمل بالذم، وبالفتح تستعمل بالمدح.

---

١) ينظ: تفسير بحر العلوم: ٢٤٧/٣، ٥/٤،.، وينظر: النشرفي القراءات العشر: ٢٦١/٢، و: اتحاف الفضلاء: ٤٥٧.

٢) ينظر: تفسير النكت والعيون: ٣٣١/٣، ٢٨.

وذهب ابن زمنين الى القول بذلك المصطلح[1]، ففي تفسير قوله تعالى{فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ} الأعراف١٦٩ ذكرابن زمنين:.... ان الاختيارعند اهل اللغة ان يوضع الخلف بتسكين اللام في موضع الذم، والخلف بالفتح في موضع المدح.

ولقد تابع الثعلبي الكوفيين والمفسرين الذين سبقوه باستخدام مصطلح المدح[2]، ففي تفسير قوله تعالى {فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ} آل عمران١٣ ذكر الثعلبي اختلاف قراءة(فئة) فبعضهم قرأها بالرفع(فئةٌ) على معنى: منهما فئة او احداهما فئة، وقرأها الزهري بالخفض على البدل من الفئتين، وقرأ ابن السميقع: فما، على المدح. وايضا في تفسير قوله تعالى {الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الفاتحة٢ اشار الثعلبي الى قراءة زيد بن علي(ع) لـ(رب العالمين) بالنصب على المدح.. وكذلك تفسير قوله تعالى {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَاذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ} آل عمران١٦ـ ١٧ذكرالثعلبي: الصابرين...وان شئت نصبتها واخواتها على المدح.وأيضا في تفسير قوله تعالى{الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ} الحج٣٥ اشار الثعلبي الى ان: (نصب الصابرين)فيه أقاويل، منها:...قول الفراء: نصب على المدح والعرب تنصب على المدح وعلى الذم كأنهم يريدون بذلك افراد الممدوح والمذموم ولا يتبعونه باول الكلام فينصبونه.

وكذلك القشيري فانه ذهب الى استعمال مصطلح المدح[3]، ففي تفسير قوله تعالى{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا}

---

١) ينظر: تفسير ابن زمنين: ٢١٩/١.

٢) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٢٠/٣، و: ٢٧/١، و: ٢٩/٣، و: ٣١٤/١، وينظر: معجم القراءات: ٦/١.

٣) ينظر: تفسير القشيري: ٣٢٥/٤، و: ٧١/٢، و: ١٩٧/٣.

الكهف١ اشار القشيري الى:... انه اذا حمل(الحمد) في هذه الاية على معنى المدح، فان الامرفيه بمعنى الثناء عليه سبحانه. وايضا في تفسير قوله تعالى{وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} النساء١٦٢ ذكر القشيري: خص في الاعراب فنصب اللفظ باضمار اعني على المدح، لما للصلاة من التخصيص من بين العبادات. وقد ذكر القشيري مصطلح المدح في مواضع اخرى من تفسيره.

ولقد تابع الواحدي الكوفيين باستعمال مصطلح المدح[1]، ففي تفسير قوله تعالى{الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ} الحج٣٥ اشار الواحدي الى قول الفراء في نصب(والصابرين) وهو: انه ذهب به الى المدح. وان كان من صفة(من) والعرب تعترض في صفات الواحد اذا تطاولت بالمدح او بالذم.

٤. الشتم أو الذم[2]:

قال به الكوفيون، وتابعهم فيه مفسرو القرنين الرابع والخامس، فذهب الطبري الى استخدام مصطلح الشتم[3]عند تفسير قوله تعالى{مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً} الأحزاب٦١ حين ذكر: ان(ملعونين) نصب على الشتم. وفي قوله تعالى{وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ} المسد٤ ذكر: أن(حمالة)نعت للمرأة، واما النصب فيه فعلى الذم، و قد يكون على القطع من المرأ ة.

وكذلك تفسير قوله تعالى{عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} الأنفال، ٦٠ و في قوله تعالى{أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ} فصلت١٩ذكرالطبري ان نصب(عدو) و(أعداء) على الذم. وكذلك تفسير قوله تعالى{صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ} البقرة١٨ ذهب الى جواز النصب فيه على وجه الذم. وفي تفسير قوله تعالى{زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا}

---

١) ينظر: تفسير الوسيط للواحدي: ٥٢٥/٣.

٢) مصطلح كوفي، ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٦/١، ٣٠٩، و: ايضاح الوقف والابتداء: ٣٢٠.

٣) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٣٢٨/٢٠، و: ٣٣٨/٣، و: ٢٢٥/٩، و: ٤٥١/١٠، و: ٣٣٠/١، و: ٤٠٨/١٨.

طه ١٣١ ذكرالطبري وجوه الاعراب التي ذكرها العكبري، ومنها: النصب على المفعولية ويكون على الذم.

ولقد تابع الشيخ الطوسي الكوفيين في ذلك[١]، ففي تفسير قوله تعالى{مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً} الأحزاب٦١ ذكرالشيخ الطوسي: ان نصب(ملعونين)على الحال من الضمير في قوله(يجاورونك)، وقيل: انه نصب على الذم. والصفة لـ(تقتيلاً)كأنه قال: الا أذلاء ملعونين، و(اينما) منصوب بـ(تقفوا).

وذهب السمرقندي الى القول بمصطلح الذم[٢]، ففي تفسيرقوله تعالى{وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ} المسد٤ اشارالسمرقندي الى قراءة عاصم بنصب الهاء، وذكرانه يكون على معنى الذم والشين.

وتابع ابن زمنين المفسرين الذين سبقوه بالقول بهذا المصطلح[٣]، ففي تفسير قوله تعالى {وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ} المسد٤ ذكرأن: من قرأ(حمالة)بالرفع فعلى معنى سيصلى هو وامرأته حمالة الحطب، حمالة نعت لها، ومن قرأ(حمالة)بالنصب فعلى الذم، أعني: حمالة الحطب.

ولقد تابع الثعلبي الكوفيين والسابقين له من المفسرين باستعمال مصطلح الذم[٤]، فاستعمله عند تفسير قوله تعالى{صماً بكماً عمياً} البقرة ١١٨.وأيضا في قوله تعالى {وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ} المسد٤ وقد ذكره الثعلبي هذا المصطلح في مواضع اخرى من تفسيره.

---

١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣٤٩/٨.

٢) ينظر: تفسير بحر العلوم: ٤٤٧/٤.

٣) ينظر: تفسير ابن زمنين: ٣٣٠/٢، و: ينظر: اتحاف الفضلاء: ٦٠٦، و: ينظر: معجم القراءات القرآنية: ٢٦٦/٨.

٤) ينظر: تفسير الكشف والبيان: ٨٩/١، و: ٢٥٨/١٤، و: ٦٩/٤، و: ٣٤١/٥، ٣٦٨، و: ١١٥/٦، و: ٣٤٣/٩، و: ١٧٧/١١ و: معجم القراءات القرآنية: ٣٢/١.

المبحث الثالث
أثر المصطلح الكوفي في تفسير القرنين

من المعلوم أن المصطلح هو الذي يفصل ويميز المذاهب بعضها عن بعض، وهو الذي يؤكد استقلالية هذا المذهب أو ذاك. وعلى الرغم من ان المصطلح الكوفي لم يحظ بمثل الاهتمام الذي حظى به المصطلح البصري من العلماء، لكن الحقيقة الثابتة التي لايمكن لأحد انكارها، تتمثل بوجود مصطلح نحوي خاص للكوفة، يختلف في كثير منه عن المصطلح النحوي البصري، الذي تأسس باعتماد الكوفيين الأوائل على الكثير مما انتهى اليهم من البصريين.

ان المصطلح يبتكر؛اذ يلفظ لما ينطوي عليه تعريفاً بصفته، وينتهي بالتعريف الشامل لما يندرج في عمله. وهذا يعني ان المصطلح يوضع ويبث ثم يدخل حلبة الاستعمال، فاما ان يروج فيثبت، واما ان يكسد فيمحى. وقد يدلى بمصطلحين فاكثر لتصوراً واحد، فتتسابق المصطلحات الموضوعة، ويبدأ التنافس ثم يحكم الاستعمال للأقوى فيستبق، ويزول الأضعف، وهذا بحسب سمات المصطلح، فمقياس الاستعمال ضروري لبقاء المصطلح. ولابد من سمات تميز المصطلح حتى يستحق الأولوية، وحتى تكون له الاحقية بالاتصاف بكلمة مصطلح، ومن هذه السمات: الدقة والدلالة المباشرة في لغة المصطلح النحوي خاصة، والعلم عامة، اذ كلتاهما سمة جوهرية في المصطلحات. زيادة على ان المصطلح يجب ان يكون دالاً على معنى التعريف. على الرغم من اليقين بعدم امكانية حمل المصطلح على الصفات والمعلومات الموجودة في المفهوم.

ولقد استطاع الكوفيون في منتصف القرن الثاني للهجرة ان يضعوا ملامح مذهب جديد في دراسة اللغة والنحو، وكان لابد من هذا المذهب من مصطلحات تتصف بما ينسجم مع خصائص ذلك المذهب الذي اسس له

الكوفيون. ولقد ذكرنا ان مصادر المصطلح الكوفي اعتمدت على الكثير مما انتهى اليهم من البصريين، وهذا لم يجعلهم من الاستقلال التام عن المذهب البصري، بدليل بقايا اثره واضحاً في مجموعة كبيرة من مصطلحاتهم، الا انهم وضعوا لأنفسهم مجموعة من المصطلحات وجدوا فيها دلالة اقرب على صفات مااصطلحوا من تسميات البصريين[1].وهذا يعني ان الكوفيين قد وضعوا مصطلحات خاصة بنحوهم، تقابل المصطلحات البصرية، وفي الوقت نفسه انهم انفردوا بعدد من المصطلحات التي لم يقل بها البصريون.وحين بدأت بدراسة تفاسير القرنين الرابع والخامس للهجرة، اتضح ان اثر المصطلح الكوفي هو الاكثر وضوحاً والصاقاً بهذه التفاسير، نتيجة لما تحمله تلك المصطلحات من درجة متميزة من البيان والوضوح في معناها التوظيفي الدلالي عند النحويين، وهذا الاهتمام من مفسري القرنين يعكس اثر المصطلح النحوي الكوفي من خلال تاثيره بهم.

ويبدو ان المصطلحات الكوفية تحمل دلالة قريبة في المعنى بما تحمله من صفات على ما اصطلحوا عليه. فمصطلح(الاداة) الذي وضعه الكوفيون قسماً ثالثاً من اقسام الكلام، مقابل مصطلح (الحرف)عندالبصريين، ادق واوضح واكثرابتعاداًعن اللبس في المعنى، لأن مصطلح(الحرف)تتعسرمعرفةعائديته للهجاء أم للمعنى؟ والادوات عند الكوفيين تشمل: حروف الخفض والصلة والاستفهام والظرف والشرط(جازمة وغيرجازمة) وعاملة وغيرعاملة، فهي لاتنحصر عندهم في حروف الخفض والنصب والجزم أو الرفع، زيادة على أن وظيفتها لا تنحصر بالدخول على الاسماء، وانما على الافعال والاسماء، مما يعني توسعاً في استخدام الادوات، وسعة في الوظيفة التي تؤديها. ولقد رجح

---

١) ينظر: دراسة في المصطلح النحوي عند الكوفيين: ٢١.

المحدثون مصطلح(الاداة)على مصطلح(الحرف)، فالدكتورمهدي المخزومي يرى ان تسمية(الأداة) جاءت لسببين[1]:

الاول: المغايرة بين لفظ يطلق على حروف الهجاء، ولفظ آخر يطلق على حروف المعاني.

الثاني: ان الادوات عندهم هي حروف المعاني، كـ(هل) و(بل)، وهنَّ أدوات يستعان بها للدلالة على الاستفهام والاضراب وغيرها. وعلى أساس هذين الدليلين يؤشر الدكتورمهدي المخزومي: ان الكوفيين أدق من البصريين في مصطلحهم، لأن الحرف يطلق عند البصريين والكوفيين جميعاً، ويراد منه احد حروف الهجاء، أو أحد حروف المعاني،. بل قد يطلق على الكلمة ايضاً كما جاء في كلام سيبويه في مواضع كثيرة من كتابه، وكما جاء في كتاب معاني القرآن للفرّاء[2]. وعندما يطلق الكوفيون مصطلح(الاداة) فانهم يكونون في غنى عن ان يخصصوا كماخصص سيبويه بقوله: وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولافعل.

ويتضح ان تعميم مصطلح الكوفيين(الأداة) فيه اشارة واضحة الى الشمولية في المصطلح، اذ انه يضم الاسماء والافعال والحروف، وهذا يعني دقة في الاختيار وفي انتقاء المصطلح، زيادة على ما يحمله من اتساع المعنى الوظيفي لهذه الادوات عبر شمولها ادوات النصب والرفع والخفض والجزم وظروفاً واسماء افعال وافعال. وان هذا الاستعمال اكثر قبولاً لتوجهه صوب التيسير في الاستخدام والتداول، وفي معنى لاتحتمله حدود الحرف.

والحقيقة أن الأدوات في العربية بما تحمل من معانٍ متعددة، ووظائف كثيرة وبنيةمتنوعة، تستحق أن تفرد بـعلم نحوي مستقل، ويمكن تسميته بـ(علم الأدوات النحوية)، اذ لو أخذنا هذاالمصطلح بمعناه الواسع الشامل للاسمية

---

1) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو: ٣٣٣ وما بعدها.

2) ينظر: الكتاب: ٢٩/١، و: معاني القرآن للفراء: ٩٧/١.

والفعلية والحرفية منها، ساغ لنا تسميتها بهذه التسمية، لأنها تضفي على الجملة العربية معاني يحددها السياق الذي تقع فيه، فضلاً عن كونها روابط لأجزاء الجملة.

فمجال الكلام عن الأدوات في التعبير العربي، مجال حيوي للربط متعدد الوظائف، ووسيلة جوهرية لانشاء الأساليب وتمييزها، ومفتاح لفهم النحو العربي برمته[1]. وأن ماذهب اليه الكوفيون في الدلالة والاعراب في عمل بعض الادوات يكوّن مذهبا خاصا بهم مغايراً لغيرهم، لأنه يقوم على بعض الاسس العامة التي بنوا عليها مذهبهم النحوي، مثل: التوسع في السماع وقبول الرواية، وهذا الاساس طوّر مذهبهم الى الحد الذي جعل منهجهم أقرب الى الواقع اللغوي، فكان له أثر فعال في جعلهم رواداً للمنهج الوصفي المعاصر، لأن كثيراً مما يقوم عليه هذا المنهج يتوافر في منهج الكوفيين النحوي[2].

وعندما نتابع استعمال المصطلح الكوفي في تفسير القرنين، نجد من مصطلحات الافعال التي قال بها الكوفيون مصطلح(الفعل الدائم)الذي اطلقه الكوفيون وارادوا به القسم الثالث من اقسام الفعل، اذ قسّموا الفعل على ثلاثة اقسام: ماض و مستقبل ودائم. ويقابل(الدائم) الكوفي، (اسم الفاعل)عند البصريين. والحقيقة ان مصطلح الدائم الى الفعلية أقرب، اذ ان الفراء يريد بالدائم: اسم الفاعل، ومن الماضي: الفعل الماضي، والمستقبل: الفعل المضارع، وان عطفه ماض على دائم اشارة الى انه كان يسمي اسم الفاعل فعلا. وفي هذا الشأن يقول ثعلب[3]: ((لايحال بين الدائم والاسم بـ(ما)... ويعضّد هذه الفعلية في الدائم عدم سقوط الياء منه، فحين القول: ياغلام أقبل، تسقط الياء

---

١) ينظر: الأدوات النحوية في كتب التفسير: ١٢-١٣.
٢) ينظر: الكوفيون في النحو والصرف والمنهج الوصفي المعاصر: ٦ ومابعدها.
٣) مجالس ثعلب: ١/٢٧١.

منه، لكن القول: ياضاربي أقبل، لاتسقط الياء منه، وذلك فرق بين الاسم والفعل)).

وحين نستقري الدرس الحديث، فإنّ الاستاذ فاضل الساقي[1] قد قال بذهاب الكوفيين بفعلية هذه المادة(الدائم)عبردراسة معمّقة، فاغلب الظن أن الكوفيين أدركوا الحقائق المتمثلة في فعلية(اسم الفاعل)شكلاً ووظيفة ودلالة، وسموه(فعلاً) وجعلوه قسيماً للماضي والمستقبل، فالافعال عندهم ثلاثة: ماض ومستقبل و دائم.

ويذهب الاستاذ الساقي الى الاشارة بأنّ: الكوفيين كانوا أقرب الى المنهج اللغوي من اخوانهم البصريين في عدّ(اسم الفاعل) العامل فعلا، فهو عندهم كذلك، لانه دال على حدث وزمن، كدلالة بقية الافعال تماماً، بل يزيدها دلالة على الذات الفاعلة، ويبدو أنهم كانوا يراقبون استعماله في الكلام، فوجدوه يقوم بما يقوم به الفعل ويدل دلالته، ومن اجل هذا جعلوه فعلا واعملوه كما يعمل الفعل من دون ان يضعوا شروطا لعمله، فهوعندهم يعمل في كل الأزمنة سواء في دلالته على المضي او الحال او الاستقبال. وفي هذا مؤشر او دليل على ان الكوفيين قد حرروا أنفسهم من القيود التي وضعت على اعمال اسم الفاعل(الفعل الدائم)من البصريين، وعدّوا صيغة(الدائم) تدل على حدث ثم انها تنصرف الى زمن بعينه يحددهاالاستعمال، وتفصح عنه القرائن السياقية، ولهذا عَدُّوها من الافعال.

ويظهر ان الفراء والكوفيين قد راقبوا استعمال هذه الصيغ في الجملة العربية، كما احسّوا بدلالتها الزمنية، فكانت تلك المراقبة، وكان هذا الاحساس، اساساً لجعل بناء(فاعل) و(مفعول) فعلين، وكانوا بذلك ينهجون نهجاً سليماً هو

---

١) ينظر: اسم الفاعل بين الاسمية والفعلية: ٥٠ ـ ٥١.

الاقرب الى روح اللغة، عبر استنادهم الى واقع اللغة من واقع نصوصها وتراكيبها الكلامية[1].

والدكتور مهدي المخزومي يستدل على فعلية(الدائم) عبر اللغات الجزرية، ففي كلامه عن التقسيم عند الكوفيين الى ماض ومضارع ودائم، ذكر ان: هذا التقسيم الكوفي للافعال مبني على ما لوحظ فيها من دلالات على ازمنة مختلفة، فزمان(الماضي)هو الماضي، وزمان(المضارع) هو الحال او الاستقبال، وزمان(الدائم) زمان تمام مستمر، لا نص فيه على مضي، او حالية، او استقبالية[2]. ويتضح صدق ملاحظة الفراءفي تسميته اسم الفاعل(فعلاً دائما)، لأنَ الدارسين المحدثين المعنيين بالساميات قد اثبتوا ان للبابلية او الاكدية مثل هذا التقسيم للافعال، أو اثبتوا وجود الفعل الدائم بالتسمية التي سمى الفراء اسم الفاعل بها[3]. ويقوي الدكتور المخزومي رأيه عن طريق سؤال المتخصصين باللغات، فسأل الدكتورعبد الحليم النجار(وهو من المتخصصين باللغة الاكدية)عن اسم الفاعل، وتسمية الفراء اياه(فعلاً دائماً)، فقال: ان اعتباره فعلا دائماً يوافق ما في الاكدية، ففيها هذا الفعل بالتسمية نفسها، وهو اسم الفاعل نفسه في العربية. وهذا ماأيده الدكتور المخزومي بقوله[4]: ((يؤيده الاستعمال)).

ولقد نوّه الدكتور ابراهيم السامرائي بهذه المسألة، بقوله[5]: ((وقال اصحابنا الدارسون للنحو الكوفي ان الكوفيين قالوا بالفعل الدائم، وزعموا ان علماء الساميات اثبتوا ان بعض هذه اللغات قد قسمت الفعل الى ماض ومستقبل ودائم. و(الدائم) هو أسم الفاعل. وان الذي اشاع القول بان(الدائم) عرف في

---

١) ينظر: اسم الفاعل بين الاسمية والفعلية: ٥٠-٥١: ٧١ ومابعدها.

٢) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: ٢٤١ - ٢٤٢.

٣) ينظر: م.ن.

٤) في النحو العربي نقد وتوجيه: ١١٩.

٥) المدارس النحوية، د. السامرائي: ١٧٤ - ١٧٥.

بعض اللغات السامية هو الاستاذ الدكتورعبد الحليم النجار(رحمه الله)، فقد كتب مقالة له نُشرت في مجلة كلية الاداب منذ ثلاثين سنة حبسهاعلى(الفعل في اللغة الاكدية) والذي اتفق عليه اهل العلم من المستشرقين ان صيغة(فاعل) ربما استعملت استعمال الفعل)).

وبهذا يمكن القول: ان الفراء استطاع بفكره الثاقب ان يهتدي الى هذا المصطلح وعمله، ويعمل على ديمومة من دون ان تعترضه عقبة في طبيعة العربية التي تأتلف مع طبيعة اللغات الجزرية في المنشأ والجذور، وان كان من اعتراض على المصطلح او عمله، ففي الاشارة اليه سبقاً يتبى تفكيراً استوعبه ثعلب[1] والطبري الذي يُعَدُّ من حذاق الكوفيين[2] وابن يعيش[3]. وعمل به المفسرون في القرنين الرابع والخامس للهجرة.

ويبدو ان المقصود بالفعل الدائم هو الاطلاق، مما يعني استمرارية الزمن وفعلية الدائم. والحقيقة ان التقسيم الكوفي للفعل كان على حساب دلالات الزمن، فالدراسات الزمنية مختلفة، فزمان الماضي هو الماضي، و زمان المضارع هو الحال او الاستقبال، اما ما ذكره البصريون من الامر، فيظهر انه تسمية عقلية منطقية على العكس من تسمية الدائم الذي رأى فيه الكوفيون الدلالة على الزمان العام المستمر، اذ لا نص فيه على المضي، اوالحالية اوالاستقبال.

وكذلك مصطلح(فعل مالم يسم فاعله) عند الكوفيين، ان الذي ينبغي ذكره او بيانه: انه اذا لم يذكر الفاعل رفع المفعول ونصب سوى ذلك، لأن الفعل لابد ان يكون معه اسم مرفوع او مايقوم مقامه. وفي قول الفراء[4]: ((ان كل مالم تسم فاعله اذا كان فيها اسمان احدهما غير صاحبه، رفعت واحداً

---

١) ينظر: مجالس ثعلب: ٢٧/١، و: ٥٤/٢، ٣٨٨، ٣٩٥.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٤٦٢/٦.

٣) ينظر: شرح المفصل: ٦٨/٦.

٤) معاني القرآن للفراء: ١١٢/١.

ونصبت الاخر)) اشارة واضحة الى بناء الفعل الواقع على مفعولين، فاذا بني للمجهول سمي(مالم يسم فاعله). وفي الوقت نفسه فان قول الفراء المذكور، فيه رد على الدارسين الذين ذهبوا الى ان الفراء من الكوفيين كان يريد بـ(ما لم يسم فاعله) مرة الفعل، واخرى الاسم، في اشارة الى عدم استقرار المصطلح عند الكوفيين. غير أن التمعن في كتاب معاني القرآن للفراء يظهر لنا وضوح ما يريده الفراء من اقواله.

واذا ماعدنا الى مصطلح(الفعل المستقبل)الذي اطلقه الكوفيون، فيظهرأن دلالة المستقبل اقرب الى معنى الفعلية في الاقتران بالزمن والدلالة المستوحاة من المصطلح.اما المضارع فينم عن مشاكلته الاسماء فيما يلحقة من الاعراب، أويضارع الشيء، كأنه مثله او شبهه في تعليل البصريين[1].

والحقيقة ان هذه المشابهة بين الاسماء والفعل المضارع لا يظهر فيها بوضوح المعنى اللغوي في الفعل المقترن فيه الحدث والزمن، وانما تحتوي على ايحاء في المواضعة على المنطق، زيادة على البعد فيها عن طبيعة اللغة، و ما يوحيه اللفظ من دلالة، وهذا بسبب مجاراة واضعي المصطلح من البصريين للمشابهة فيما يلحق الاسماء من الاعراب.ولذلك يبدو ان مصطلح(المستقبل) هو الاكثر التصاقاً بمعنى الحدث المقترن بالزمن من القول بالمضارع. واذا لوحظ ماذكره الازهري(٣٧٠ هـ) بدقة[2]: والنحويون يقولون للفعل المستقبل: مضارع. فسنجد فيه نزعة واضحة الى مصطلح(المستقبل) من قبله.وكذلك السيرافي(٣٦٨ هـ) في تقسيمه لأزمنة الفعل، عندما اشارالى استخدام المستقبل وهو مسبوق بنصوص وردت عن الكوفيين في تداول هذا المصطلح، اذ يروى عن الكسائي: الفعل المستقبل مرفوع بالزوائد في أوله، وايضا قوله: في

---

١) ينظر: الانصاف في مسائل الخلاف: ٥٥٠/٢(مسالة ٧٤).

٢) ينظر: تهذيب اللغة: ٢١٤/٣.

ادخالهم(أن) في(مالك)... لأنك تقول: في قيامك، ماضيا ومستقبلاً، فلذلك جاءت في(مالك) في المستقبل، وكذلك ورد في اجابة الكسائي عن سؤال في مجلس يونس بن حبيب(١٨٢ هـ) بقوله: لم صارت(حتى)تنصب الافعال المستقبلة؟ وفي هذا دليل على ان هذا المصطلح اخذ بالديمومة في التداول عند نحاة اصول مختلفة[1].

اما في تفسبر القرنين الرابع والخامس للهجرة فيتضح استحواذ مصطلح(المستقبل)على اقوال المفسرين كما تبين ذلك في المبحث الثاني من هذا الفصل، وهذا يعني ان الترويج قد حصل لهذا المصطلح الكوفي عندما اخذ سعة في الاستخدام. على ان هناك مصطلحاً كوفياً آخر يشارك(المضارع البصري) و(الفعل المستقبل) في الدلالة، وهو(الفعل المنتظر) والذي يعزى[2] الى الرؤاسي(١٨٩ هـ)، الّا انه لم يكتب له الدوام اوالتداول، اذ لم نلمس استخدامه فيما توافرفي دراستنا هذه من مصادر.وقد يأتيك بالاخبارماهو قادم من الدراسات. فضلاًعن وجودمصطلحات مخصوصة بالفعل قال بها الكوفيون، لكن لم تستعمل من هؤلاء المفسرين كـ(الفعل السالم- السليم) وغيره. وفي هذا دليل على الاهتمام الدقيق للمفسرين في القرنين الرابع والخامس بانتقاء المصطلحات المتداولة عندهم وفق ضوابط معينة. ولذلك نجد أن هناك مصطلحات قال بها الكوفيون تخص الفعل والاسم والحرف، لكن هؤلاء المفسرين لن يستعملوها.

وفي مصطلحات الاسم، ذهب الكوفيون الى وضع مصطلح(الترجمة والتبيين، التكرير، والرد، والمردود) الذي يقابل مصطلح(البدل) عند البصريين. اذ استخدم مفسروالقرنين الرابع والخامس للهجرة المصطلح الكوفي، بل اكثروا

---

١) ينظر: توجيه اللمع: ١٠٠ وما بعدها.

٢) ينظر: النحو الكوفي في تفسير الطبري: ٣٥.

من استخدامه في تفاسيرهم، كما تم بيانه في المبحث الثاني من هذا الفصل. واذا ماعدنا الى علّة ذلك، فاننا سنجد أن: قرب تلك الصطلحات الى الواقع اللغوي، وشموليتها، من أهم تلك الاسباب.فالترجمة مثلا في اللغة تعني: التفسير، اذ ذهب الكسائي في تفسير قوله تعالى{ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ} الزمر٢٩ الى: نصب(رجلا)لانه ترجمة للمثل وتفسير له(١).وان هذا المصطلح يمكن الافادة منه في تفسيرالنحو وعبرالاتساع بمفهومه، وجعله عنوانا يضم كل ما يكون تفسيرا لما قبله وتوضيحا اوتقوية له(٢).

والحقيقة ان مصطلحي الترجمة والتفسير يصبّان في رافد معنوي واحد، ويشتركان بدلالة واحدة، اذ يقال: قد ترجم فلان كلامه اذا فسره بلسان اخر(٣)، وكذلك التَرجمان والتُرجمان: المفسر.... الجمع: التراجم(٤). والمنقول عن ابن مسعود(رض) نعم الترجمان للقرآن ابن عباس(٥)، أي: مفسره. وينبغي التذكير ان التفسير والترجمة لم يكونا الّا لتقريب الفهم على المخاطب، وفي ايضاح الدلالة عينها وتبيين المراد منها. ما قيل عن المعمّرالذي يصيبه الصمم وهو أحوج ما يكون الى مفسر، أو ترجمان مفسر، قول الحماسي:

إنّ الثّمانينَ وبُلّغتَها قد أحوجتْ سمعي الى تُرجمانْ(٦)

وذهب المبرد الى القول ان: الترجمة أي ما يسمى(البدل)عند البصريين، هو في الحقيقة تبيين...(٧). مما يوحي الى اشتراك الدلالات الثلاث في معنى مدلول

---

١) ينظر: معاني القرآن للكسائي: ٢٢٢.

٢) ينظر: دراسة في المصطلح النحوي عند الكوفيين: ٦٨.

٣) ينظر: الصحاح: ٥٦٦/٤.

٤) ينظر: لسان العرب: ٦٣/٥.

٥) ينظر: تفسير ابن كثير: ٩/١.

٦) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: ٣٨٨/٢، ٣٩٦.

٧) ينظر: المقتضب: ٢٩٥/٤.

واحد. وهناك من أفضى الى هذا الايحاء في مجيء الترجمة والتفسيرالى معنى البيان[1].

والتجنيس الواقع بين مفردتي البيان والتبيين يؤشر بوضوح الى تطابق في المدلول وترادف في المحتوى او الفحوى. ومهما كان الترادف المعنوي بين مصطلح الكوفيين(الترجمة او التبيين) ازاء مصطلح(البدل)عند البصريين في فهم المتلقي الا ان المصطلح الكوفي أوسع في مفهومه من ضيق مفهوم(البدل)البصري، ولوضوح معناه أكثر من المصطلح البصري، فالبصريين يقصدون بـ(البدل): ابدال كلمة من كلمة اخرى في الحكم، لانها المقصودة به، وهو يكاد يكون اعتبارا لفظياً محضا، وهذا يفهم من قول ابن مالك:

التابع المقصود بالحكم بلا واسطة هو المسمى بدلا[2]

وان وضوح معنى المصطلح الكوفي وبيانه، وأحقيته بالاستخدام من المصطلح البصري، جعل بعض من البصريين يدعون الى استخدامه، فهذا المبرد(٢٨٥ هـ) يقول عن مصطلح البدل: البدل انما هو في الحقيقة تبيين ولكن قيل بدل، لان الذي عمل في الذي قبله فصار يعمل فيه بان فرغ له[3]. فقوله: انما هو في الحقيقة تبيين، فيه اشارة واضحة للميل باتجاه المصطلح الكوفي في ايقاعه الحافر على الحافر، وأبين من استدراكه بالقول: ولكن قيل بدل. على ان السياق هو الذي يحدد معنى المصطلح، أي ان المعنى يكتشف عن طريق ملاحظة الاستعمال للمصطلح، أي: الاستعمال ياتي اولاً، وحينئذ يتقطر المعنى

---

١) ينظر: التفسير الكبير: ٤٣٦/٥.

٢) ينظر: مدرسة الكوفة: ٣١٠، والشاهد من الفية ابن مالك: ٤١.

٣) ينظر: المقتضب: ٢٩٥/٤.

منه[1]، وهذا ما عمل به الفراء، عندما منح المصطلح دلالة من خلال السياق، كما هو الحال في كتابه معاني القرآن.وكذلك مصطلح التفسير أو المفسرفقد استخدمه الكوفيون مقابل البدل، وان هذا المصطلح يحمل أكثر من دلالة لمن يتوخى الدقة والتفسير معاً. وقد استخدم الفراء هذا المصطح لأكثر من المعاني التي أوجدها الكوفيون له، ففي تفسير قوله تعالى{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ} الأنفال٦٤، ذكرالفرّاء: أن(مَن)في موضع نصب على التفسير[2]، كما قال الشاعر:

اذا كانت الهيجاء وانشقّتِ العصا فحسبُك والضَّحاكَ سيفٌ مُهَنَّد[3]

وفي قول الفراء دلالة على أن من معاني هذا المصطلح(المفعول معه).

وان مصطلح العماد(الدعامة ـ المجهول)الذي استخدمه الكوفيون وتابعه في استخدامه مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة، مصطلح أوضح في المعنى والدلالة من مقابله البصري، لأنه يدعم الكلام ويقوى به ويؤكده، والتأكيد من فوائد مجيئه. وعن دلالة هذا المصطلح، ماجاء في رواية ثعلب عن ابن الاعرابي قال: العمود والعماد والعمدة والعمدان: رئيس العسكر...[4]. فاذا كانت وظيفة العماد ـ رئيس العسكر-[5] حماية ووقاية مَن في امرته، فقد انتقلت هذه الدلالة الى مصطلح العماد عند الكوفيين، فهولايفقد معنى الوقاية عندهم. ففي تفسير قوله تعالى{فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ} الحج٤٦ ذكرالفراء: الهاء هاءعماد توقى بها ـ

---

١) ينظر: علم الدلالة: ٧١.

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٤١٧/١.

٣) البيت نسبه القالي في ذيل أماليه: ١٤٠ الى جرير.

٤) ينظر: تهذيب اللغة: ١٥٦٤/٣.

٥) مصطلح مستخدم في الجيش كرتبة عسكرية، ففي سورية يقال(العماد)، اما في العراق وعدد من الاقطار العربية فيقال(العميد) وهي رتبة خاصة في ضباط كبار، أي: زعيم قوم أوقائد جماعة.

إن ـ[1]. فضلا عن هذا فان الكوفيين يسمونه عماداً لكونه حافظا لما بعده، حتى لايسقط الخبر، كالعماد في البيت الحافظ للسقف من السقوط[2]، او لأن الخبر يعتمدعليه، او هو عمدة بيان الغرض، او كأنه عمد الاسم الاول وقوّاه بتحقيق الخبر بعده[3].

ويبدو ان العلماء واصحاب الشأن قد اشبعوا هذا الجانب في بيان مفهوم من هذا المصطلح، او الغرض الذي يتطلب وجوده في السياق. وكذلك مصطلح(الدعامة) فهوعند الكوفيين يرادف(العماد) في الدلالة الوظيفية، ويشترك معه في المفهوم. ومصطلح(الدعامة) لغة: اسم الخشبة التي تدعم بها...، البئر، والمدعوم: الذي يميل فيريد ان يقع، فتدعمه ليستقيم. واما العمود: فالذي تحامل الثقل عليه من فوق كالسقف، فعمد بالاساطين المنصوبة[4].

ومن هذا التقديم يتضح حصول التقارب الدلالي في الاخذ بمعنى الوقاية، واضفاء هذا المعنى على الدعامة كما اضفي المعنى(الوقاية) نفسه على العماد. فضلا عن هذا يلحظ التشابه والتجانس بين حروف المصطلحين(عمد) و(دعم)، فهما أشبه بلفظتي(جذب) و(جبذ) في التقارب في المعنى، يقال: جبذ يجبذّ، و جذب يجذبّ بمعنى واحد[5].

ومن هنا يمكن القول: ان العماد والدعامه قد اشتركا في وظيفة الوقاية، ودعم الكلام، والتوكيد، الا ان مصطلح العماد هو الذي استحوذ على

---

١) ينظر: معاني القرآن للفرّاء: ٢٢٨/٢.

٢) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٢٠٢/٣.

٣) ينظر: شرح المفصل: ١١٠/٣.

٤) ينظر: تهذيب اللغة: ١١٩٨/٢.

٥) ينظر: المدخل الى تقويم اللسان: ٢٥٦.

استخدامات الكوفيين حتى عُزي اليهم ازاء ضمير الفصل(1).وتابعهم في استخدامه مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة.

والحقيقة التي ينبغي ادراكها تتمثل بان: الوظيفة هي التي تحدد دلالة المصطلح، زيادة على المعنى العرفي للدلالة اللغوية داخل التركيب، اذ تخرج اللفظة عن معناها المجرد الى معنى آخر يحدده السياق، وان السياق يؤدي دوراً في هذا المعنى الجديد، لأن الوظائف تتحدد في اللغات تبعاً لمواقع مفرداتها. وهذا ما ورد في مصطلح(الترجمة والتبيين ـ والتفسير)عندما استخدم الكوفيون التفسير بمعنى(الترجمة ـ البدل) مرة، ومرة اخرى استخدمه الفراء بمعنى(المفعول معه). وكذلك مصطلح(القطع) الذي استخدمه الكوفيون، فنجد ابن منظور(٧١١ هـ) وحين عرض لمادة(قطع) وما جاء من اشتقاقات عنها، وقبل ان يقطع كلامه، ينقل قول الازهري(٣٧٠ هـ) من حديثه عن هذه المادة(2): ((كل ما مرفي هذا الباب من هذه الالفاظ فالاصل واحد، والمعاني متقاربة وان اختلفت الالفاظ، وكلام العرب يأخذ بعضه برقاب بعض)). وهذا يعني ان مصطلح(القطع) انبثق عن تلك الرقاب من الكلام المتجانس في أخذ البعض عن البعض، اذ قد ترجع المدلولات المتعددة للمادة الواحدة لجذر مشترك في المحتوى. فالمعاني المتعددة في مادة(قطع)لاتخرج عن هذا المدلول، فهي متقاربة في معنى من تلك المعاني كالفصل او القطع اوالسقوط او الهجر وما الى ذلك(3) من معنى يقترب الى العودة الى اصل او مدلول موحّد.

ويبدو ان مصطلح(القطع) عند الكوفيين لم يأت من فراغ، بل ذهب الفراء الى توضيح ذلك في شرح قوله تعالى {إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/٥١، ٥٢، و: ٢/٢١٢، و: ٣/١٨٥، ٢٣٦، و: مجالس ثعلب: ١/٤٣، و: ٢/٥٩٣.

٢) لسان العرب: ١١/٢٢٠ ـ ٢٢٨(مادة قطع).

٣) ينظر: م. ن.

بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} آل عمران٤٥ عندما سمى هذا قطعاً، كأنه قال: عيسى بن مريم الوجيه فقطع منه التعريف[1].وكذلك في قوله تعالى{بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً} البقرة١٣٥، فذهب الفراء الى ان(حنيفاً) منصوب على القطع، أراد ملة ابراهيم الحنيف فلما سقطت الالف واللام لم تتبع النكرة المعرفة فانقطع منه فانتصب.ويبدو ان اطلاق هذا المصطلح من الكوفيين انبثق من متابعتهم للقراءات القرآنية، من ذلك متابعتهم لقراءة عبد الله بن مسعود[2] قوله تعالى{شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِماً بِالْقِسْطِ} آل عمران١٨، (القائم بالقسط) بالرفع نعتا للفظ الجلاله، ولا من مذهب آخر في توجيه اعراب القائم حين تحليته بـ(ال).إلّا أنّ النص القرآني جاء في القرآن الكريم(قائماً) من غير(ال) على القطع، اي انه: كان من حقه ان يرتفع نعتا لله تعالى بعد تعريفه بـ(ال)، والاصل: شهد الله والقائم بالقسط.

فلما نُكّر امتنع اتباعه فقطع الى النصب. وهذا ما اعتمده الكوفيون وادى بهم الى استخلاص هذه المسألة. ثم القاعدة التي انبثق من خلالها مصطلح(القطع) فاخذ يطّرد في اوضاع مشابهة، ويعمم على مواضع شتى. وهي موازنة دقيقة اخذت بلغة القرآن واخذت بالقراءة التي هي الاخرى لغة، لتنبثق مسألة وينبثق المصطلح. ومن هنا يمكن القول ان القطع هو أحد دلالات الحال الذي لم تثبت عند البصريين، فهي خاصة بالكوفيين، وعلى هذا يصح القول:

ان كل قطع هو حال فيما لو كان الاسم تابعا لما قبله ونعت له، ثم جاء نصبه بعد قطع(ال) التعريف عنه. وفي حالة فقدان هذا الشرط، فالاسم المنصوب حال

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢١٣/١.

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٠٠/١، و: ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٧٥/٣، و: ينظر: معجم القراءات القرآنية: ١٥/٢.

لاغير. ويترتب على هذا: ليس كل حال قطع، والعكس هو الصحيح. فاذا ماجاء في السياق ما يسوغ كونه تابعا لما قبله، ونعتا له، وفي حالة قطع(ال) التعريف عنه، منصوب على القطع عند الكوفيين، وهذا مايسوغ ان يحمل هذا المنصوب المصطلحين معا(الحال ـ والقطع)، لان كل قطع حال، وليس كل حال قطعاً، وهذا يعني ان القطع يمكن ان يفسر في الحال. وفي هذا اشارة الى دقة الكوفيين وتفريقهم بين حالة واخرى، وما قول الفراء: ((ان ما كان فيما قبله دليل عليه فهو المنصوب على القطع، وما لا فمنصوب على الحال)) لدليل على ما ذهبنا اليه. وزيادة على اهمية هذا التفريق في ضبط المصطلح وتحقيقه، نجد ان الفراء قد اكمل مسيرة شيخه الكسائي، وفي هذا دليل على تطور النحو الكوفي وعدم توقفه. وهذا التحليل من الكوفيين هو الذي جعل مصطلح القطع مؤثرا بمفسري القرنين الرابع والخامس للهجرة ومتابعتهم للكوفيين في استخدامه، وفي هذا الاستخدام من المفسرين المذكورين دلالة على ان ما وضعه الكوفيين من مصطلحات هو الاقرب الى المعاني المطلوبه لها، بسبب حصولها على درجة من المقبولية والرواج في الاستخدام. وهنا لابد من القول: انه اذا كانت نظرية العامل قد استحوذت بوضوح في تعليلات البصريين عامة، فان المراقبة لماجاء في رسم القرآن لـ(قائما) بالنصب[1] في قوله {قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ}، وبين قراءة ابن مسعود(القائم بالقسط) برفع(قائم)هي التي أوحت الى الكوفيين اختراع هذا المصطلح عبر اختزال(ال) التعريف.ويتضح انما ذهب اليه الكوفيون من تخريج او اختراع عبر هذه القراءة، يمكن ان يُشَبَّه بدراسة حقلية قد قربت البحث اللغوي من مناهج البحث العلمي، لأنها تقوم على الاتصال المباشر باللغة المنطوقة كما هي[2]، في حين ذهب البصريون الى تقدير مبتدأ محذوف لـ(القائم)،

---

١) ينظر: البحر المحيط: ٤٠٣/٢، و: الكشاف: ١٧٩/١، و: معجم القراءات القرآنية: ١٥/٢.

٢) ينظر: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه: ١٢.

والتقدير: هو القائم، وعدم التقدير أولى من التقدير، والمذهب الحسن حين لايكون في الكلام اضمار. من هذا يتضح ان تفريق الكوفيين بين مصطلحي القطع والحال قد بني على اسس علمية، فاخرجوا الحال الى دلالتين،. واحدة اتفق عليها الفريقان: البصري والكوفي، وهي الموسومة بـ(الحال)، والاخرى: لم تثبت عند البصريين، وهي دلالة القطع اذ انها خاصة بالكوفيين[1]، وفي هذا بيان لعدم اقتصار اثر النحو الكوفي في تفسير القرآن في القرنين الرابع و الخامس للهجرة بل تجاوزها الى العصور المتعاقبة بدليل ذهاب صاحب البحر المحيط الى ذلك.

وكذلك مصطلح(الكناية والمكني) فهو أعم وأوضح دلالة على مدلوله من المصطلح البصري. اذ ذكراحمد بن فارس(٣٩٥ هـ) في بابين في الحديث عن الكناية، وموضوع البحث هوالباب الثاني، لأن الباب الاول حديث عن المصطلح. ومما جاء من كلامه في الباب الثاني: الاسم يكون ظاهرا مثل: زيد وعمر، ويكون مكنيا، وبعض النحويين يسميه مضمرا، وذلك مثل: هو ـ هي ـ هما ـ هن. وزعم بعض اهل العربية: ان اول احوال الاسم الكناية، ثم يكون ظاهرا، قال: و ذا ان اول حال المتكلم ان يخبر عن نفسه ومخاطبه فيقول: انا وانت وهذان لا ظاهر لهما، وسائرالاسماء تظهر مرة ويكنى عنها مرة[2].

وأضاف ابن فارس: والكناية متصلة ومنفصلة ومستجنة(أي مستترة، الضميرالمستتر)، فالمتصلة كـ(التاء) في حملت و قمت، والمنفصلة كقولنا: اياه اردت. والمستجنة قولنا(قام زيد) فان كنينا عنه قلنا: قام، فتستر الاسم في الفعل[3].

---

١) ينظر: البحر المحيط: ٢٦٧/١.

٢) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة: ٢٦١.

٣) ينظر: م ن: ٢٦٢.

ويبدو أن مقبولية مصطلح(الكناية والمكني) الكوفي، تنطلق من سببين، الاول: لأن الضمير كناية عن الاسم الظاهر، والثاني: عموميتها، اذ هي أعم من الضمير لأن مصطلح الكناية فيه معنى الشمول، إذ يشمل هذا المصطلح اسماء الاشارة والاسماء الموصولة لأنهن جميعاً كنايات عن الاسماء الظاهرة[1]، او: ان المضمرات كلها كنايات[2]. ولعل ما يساند تسمية الكوفيين في ضم هذه الانواع تحت مصطلح واحد(الكناية والمكني) ذهاب المستشرق الالماني(برجرستراسر) حين جمع الاسم الموصول باسماء الاشارة، بعدّه ان الموصول من الاشارة اصلاً[3]. لكن فات هذا المستشرق عمل الكوفيين الذي هو الاصل له، وكذلك منحهم اسماء الاشارة معنى الاسماء الموصولة. واخيراً تظهر اهمية هذا المصطلح عبر اقتفاء مفسري القرآن في القرنين الرابع والخامس لأثر الكوفيين في استخدام وترسيخ هذا المصطلح.

والحقيقة ان هذا المصطلح يمكن الافادة منه كونه يضُمُّ مجموعة من ابواب النحو(الضمائر واسماء الاشارة والاسماء الموصولة)فهذا الاتساع بالمعنى وجمع المتفرقات مؤشرباتجاه التيسير، اذ انه يغني عن تعدد الابواب، ويقلل من الاخطاء التي يقع فيها الدارسون، اذ كثيراً ما يقع الخلط بقين الضمائر وأسماء الاشارة.وعليه فان جمع هذه الابواب تحت مسمى واحد هو(باب الكنايات) يحقق الهدف المراد منه: تقليل الابواب واجتناب الخطأ لضمّها تحت باب واحد

وكذلك مصطلح(المصدر) الذي استخدمه الكوفيون، فهو الآخرجاء عبر مراقبة مكثفة من الكوفيين للقراءات، ووضعوا ذلك المصطلح بناء على تكراره من القرّاء.فلما آثر عيسى بن عمر وبعض القرّاء النصب في قوله تعالى {قَالَ بَلْ

---

١) ينظر: شرح المفصل: ٣/٨٤.

٢) ينظر: م. ن: ١/٤٨.

٣) ينظر: التطور النحوي: ٨٣.

سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرا جَمِيلاً} يوسف٨٣ لم يكن يرى غير وقوع النصب على المصدرية، أي: فلأ صبرنّ صبراً جميلاً، فذهب الكسائي الى النصب على المصدر.وهناك قول بأرجحية الرفع، ومهما كان من امر فان قراءة عيسى بن عمر لها وجهٌ من القياس بدليل ميول كثير من علماء العربية اليها[1].

وهو بهذه القراءة له فضل السبق الى هذا المصطلح بهذه القراءة ونحوها مما قُرأ نصبا على المصدر نحو قوله تعالى {سَلَامًا قَوْلاً مِن رَبٍّ رَحِيمٍ} يس٥٨ وكذلك قوله تعالى {الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنَ مَآبٍ} الرعد٢٩ بنصب(حسن)على ان(طوبى) مصدر كما قالوا(سقياً) وانها في موضع نصب، و(حسن مآب) معطوف عليها[2].

وما ذهب اليه الكوفيون في هذه المسالة يتمثل بعملية استقرائية دقيقة للنص القرآني، توصلوا منها الى استخلاص هذا المصطلح، واخذ بالاطّراد في النصوص القرآنية المشابهة ويعمم عليها.

وكذلك مصطلح(النعت) الذي استخدمه الكوفيون بعد رؤيتهم لعدم استقرار مصطلح النعت عند البصريين. اذ ان(النعت) لغة: تكاد تجمع المعاجم اللغوية على فائدة النعت في اللغة معنى الوصف بالحسن. فهذا ابن فارس يقول: والنعت: هو وصفك الشيء بما فيه من حسن، وكل شيء جيد بالغ فهو نعت[3].وذكر ابن منظور: ان النعت: وصفك الشيء، تنعته بما فيه وتبالغ في وصفه، والنعت: ما نعت به[4]، وهوأيضاً من: نعته ينعته نعتا: وصفه، ورجل ناعت من قوم نعات.

---

١) ينظر: اتحاف فضلاء البشر: ٢٦٧، و: ينظر: معجم القراءات القرآنية: ١٨٧/٣.

٢) ينظر: المصطلح النحوي نشاته وتطوره: ٦٨ ـ ٦٩.

٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٤٨/٥(نعت).

٤) ينظر: لسان العرب: ١٤ /١٩٧ ـ ١٩٨(نعت).

ولقد ذهب الفراء كثيراً الى استعمال مصطلح النعت وهو يعني به الوصف، ذلك من خلال متابعة دقيقة في كتابه[1]. فيستخدم الفراء مصطلح(الصفة) ويريد به(الحال) كما في قوله تعالى {وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً} النساء٦٩ اذ اشار في هذه الآية الى القول: انما وحد الرفيق وهو صفة[2]. و ذكر الفراء مصطلح(الصفة) وأراد به(حرف الجر) حين ذكر في شرح قوله تعالى{وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً} البقرة٤٨: فانه قد يعود على اليوم والليلة ذكرهما مرة بالهاء وحدها ومرة بالصفة[3]، فيجوز ذلك كقولك: لاتجزي نفس عن نفس شيئاً وتضمر الصفة،. ثم تظهرها فتقول: لاتجزي فيه نفس عن نفس شيئاً[4].

وعليه يلحظ توسع الفراء في دلالة استعمال مصطلح(الصفة)، ولكن نجد في مقابل تعدد هذه الاستعمالات لمصطلح(الصفة)، ان الفراء كان يحصر استعماله لمصطلح(النعت) ولا يعني به غيرالوصف التابع[5]. ويتضح ان من مسوغات استعمال الكوفيين لمصطلح(النعت) والاقتصار على ما ذكره الفراء كان: بدافع أمن اللبس عبر التفريق بين النعت الذي يقصد منه(الوصف) ومصطلح(الصفة) الذي يراد به عندهم حرف الجر.

و(النعت) عند ثعلب ما كان خاصاً: كالاعور والاعرج، لأنهما يخصان موضعا من الجسد[6].

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٤٤/١،.٥٥، ١٢، ٢٥٧، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢٤، و: ٥٨/٢، ٦٠، و: ١٨٣/٣.

٢) ينظر: م. ن: ٢٦٨/١.

٣) ان مراده بالصفة حرف الجر كما هو مصطلح الكوفيين.

٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٢/١-٣٣، ١١٩، ٣٤٧.

٥) ينظر: النعت في التركيب القرآني: ٢٧/١ -٢٨.

٦) ينظر: الاشباه والنظائر: ٢٢٨/٤.

وذكر ابن يعيش[1]: ان الصفة والنعت واحد، وقد ذهب بعضهم الى ان النعت يكون بالحلية نحو: طويل وقصير. والصفة تكون بالافعال نحو: ضارب وخارج. ومن قول ثعلب يتضح ان: النعت الثابت في المنعوت والخاص به من دون غيره كالاعور صفة ثابته، والاعرج صفة ثابتة، وهي عيوب ثابتة، ويمكن شمول الحلية والزينة كالكَحَل والحَوَر. وعليه يمكن ان نقول: ان مصطلح النعت عند الكوفيين لايكون إلاّ في مواضع، فيكون النعت ملازما للمنعوت وخاصا به لايفترق عنه وتابع له من دون سواه، فالنعت اذن عند الكوفيين يطلق على اللاصق الثابت والمخصص، وكان هذا التشخيص من متابعتهم الدقيقة له. وما يقوّي هذا الرأي ذهاب الطبري(وهو من حذاق الكوفيين) على قول شيخه ثعلب، في تفسير قوله تعالى {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ} هود٨٢ -٨٣ الى ان: المسومة من نعت الحجارة، ولذلك نصبت على النعت[2].فالمسوّمة ليست نعتا لكل حجارة، فهي لاتشبه أو تضارع حجارة الارض، فهي لاتشاكل حجارة الارض.اذن هي حجارة لها نعت خاص وختم خاص، عليها امثال الخواتيم، فهو نعت ثابت في هذا المنعوت على شاكلة طويل وقصير الذي اوضحه ابن يعيش، او كالاعور والاعرج لأنهما يخصان موضعا من الجسد. وفي تفسير قوله تعالى {هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ} الكهف ٤٤ اشار الطبري الى ان الفراء ذكر[3]: ان(الحق) قد رفع لأنه من نعت(الولاية)، وفي قراءة أُبَي[4]: (هنالك الولاية الحق لله)، وان شئت خفضت تجعله من نعت(لله)، فهو نعت ثابت لا يقبل التغيير ولم ولن يتغير. ومن هذا يتضح ان النعت تابع نحوي وهو مكمل للكلمة الاولى في المعنى، اذ لايفهم المعنى الا

---

١) ينظر: شرح المفصل: ٣/ ٤٧.

٢) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٦/ ٣٩٩.

٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/ ١٤٥ - ١٤٦.

٤) ينظر: اتحاف الفضلاء: ٢٩٠، و: ينظر: معجم القراءات القرآنية: ٣/ ٣٦٩.

بهما معاً، وحتى يكونا في الدلالة على مايراد بمثابة(عبد الله) في الدلالة على مسماه. اذن الذي يتضح من استعمال الكوفيين لمصطلح النعت هو دقتهم في الاستعمال، والتي تولّدت من تتبعهم للقراءات القرآنية واصدار قواعدهم او مصطلحاتهم، وهذا يعني: انهم يعتمدوا المعنى اولاً ثم القاعدة. وهم بهذا ينهجون نهجاً سليماً مستنداً الى واقع اللغة من واقع نصوصها وتراكيبها الكلامية. وقد نقل ابو هلال العسكري رأيا لابي العلاء، اذ يرى: ان النعت لما يتغير من الصفات، والصفة لما تتغير ولما لاتتغير، فالصفة أعم من النعت. اما ابو هلال العسكري فيذكر: عندي ان النعت هو مايظهر من الصفات ويشتهر، ولهذا قالوا: هذا نعت الخليفة كمثل قولهم: الامين والمأمون، والرشيد، وقالوا: اول من ذكر نعته على المنبر، الأمين ولم يقولوا صفته[1].

وعندما ننتقل الى بيان أثر المصطلح الكوفي الذي استعمل في الحروف والادوات، فنجد اولاً استعمالهم لمصطلح الاداة مقابل ما يسميه البصريون بحروف المعاني، فيذكر الفراء: ان ما جاء من هذه الادوات لمعنى آخر فانه يخصصه بمصطلح خاص، فعند التفريق بين(نعم - بلى) في مثل قوله تعالى {فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُواْ نَعَمْ} الأعراف٤٤ ذكرالفراء: بلى لاتصلح في هذا الموضع، وفي مثل قوله تعالى{أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌقَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ} الملك٨ اشارالفراء[2] الى: عدم صلاحية(نعم)ها هنا اداة، لأن(بلى)وضعت لكل اقرارفي اوله جحد، ووضعت(نعم) للاستفهام الذي لاجحد فيه، فـ(بلى) بمنزلة(نعم) الا انها لاتكون الا لما في اوله جحد.

والحقيقة ان مصطلح(الاداة) الذي استعمله الكوفيون، يتبين وضوحه واتساع معناه، اذ لم يقتصر على عنصر واحد من عناصر الكلام، وفي هذا توجه

---

١) ينظر: الفروق اللغوية للعسكري: ٢١/ ومابعدها.

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/٥٨، ٥٢.

نحو التيسير عبر جمع اكثر من مكون تحت باب واحد. ويرجح الدكتور مهدي المخزومي مصطلح الكوفيين لما فيه من دقة في الدلالة واختصار في اللفظ[1]، ويوافقه على ذلك الدكتور احمد مكي الانصاري[2]. غير ان نحويي الكوفة قد عمّموا مصطلح الادوات على عموم ما يسمى بحروف المعاني، وقد احتفظت ـ عندهم ـ مصطلحات بلفظة الحروف، منها(حروف الخفض ـ حروف الصفة ـ حروف الصلة ـ حروف النسق). ولبيان مفهوم مصطلح(الاداة) يذكر صاحب تهذيب اللغة: ان الاداة وساطة معينة، يستعان بها للوصول الى معنى او غاية في الجملة او السياق، والغرض منها الوصل والربط لفهم الجملة، وبالتالي للتعبير عن علامات داخلية بين مكونات الجملة او السياقات الواردة من خلال وظيفتها التي تكمن لتفرقة المعاني[3].ولم يقتصر تاثير مصطلح الادوات في مفسري القرون الثالث والرابع والخامس للهجرة، لشموليته وسعة معناه، بل تجاوز الى ما بعد تلك القرون، فنقرأ كتاب(الادوات) للميداني(٥١٨ هـ)، ونقرأ للسيوطي(٩١١ هـ)عقده بابا بعنوان(في معرفة معاني الادوات التي يحتاج اليها المفسر) شارحا ذلك بقوله: واعني بالادوات الحروف وماشاكلها من الاسماء ولافعال والظروف[4]، وبلغ مجموع الادوات في هذه الادوات عند السيوطي(١١٠) مئة وعشر ادوات. وعلى الرغم من انتقاد السيوطي للزجاجي(٣٤٠ هـ) لجعله(كان) ضمن حروف المعاني[5]، الا انه ادرجها ضمن الادوات في بابه(في معرفة معاني الادوات التي يحتاج اليها المفسر). وفي هذه الاستعمالات اشارة واضحة جداً الى مصطلح الادوات هو الاكثر قبولاً لكونه

١) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو: ٣١١.

٢) ينظر: ابو زكريا الفراء ومنهجه: ٤٥، و: المصطلح النحوي: ١٧٤.

٣) ينظر: تهذيب اللغة: ٧٨٨/١.

٤) ينظر: الاتقان في علوم القرآن: ١٤٠/٢.

٥) ينظر: همع الهوامع: ٤٠/١.

عنواناً ينضوي تحته الحروف والافعال والاسماء، وبهذا فهو مصطلح يتصف بالشمول، ويركزعلى الجانب الوظيفي لهذه المواد لا الجانب اللغوي او المعنوي في المادة(فعلاً او اسما او حرفا).

وفي هذا التفاته كوفية باتجاه التيسير، تركت أثرها، بل نستطيع القول: انها كوّفت حتى المحدثين على الأخذ بمصطلح الادوات[1] ونذكرمن المواد التي وضعها الكوفيون تحت عنوان الادوات هي[2]: (نعم - بلى - اذا - ان - من - كم - بل - هل - ليت - لعل - اين - حتى - لا - اما - ال - و...).

مما يعني ان الادوات عند الكوفيين تشمل حروف الخفض والصلة والاستفهام، والظرف والشرط(الجازمة وغير الجازمة،) و الحروف العاملة وغير العاملة. فهي لاتنحصر عندهم في حروف الخفض او النصب او الجزم او الرفع، ولا تنحصر وظيفتها بالدخول على الاسماء، وانما على الافعال والاسماء، مما يعني توسعا في استخدام المصطلح وسعة في الوظيفة. وان استمرار مصطلح الادوات، يعني: ان الرواج لهذا المصطلح حالة قائمة، فهو دليل على ان هذا المصطلح ادق واشمل من حروف المعاني. وفي التفاتة السيوطي بتوجيهه النقد للزجاجي مسوغا لهذا الرواج، واخيراً فان تعميم هذا المصطلح على(الاسماء والافعال والحروف) يعني دقة في الاختيار، وفي انتقاء المصطلح، ومسوغ ذلك يتمثل في ان: هذه الادوات جميعاً تقوم بوظيفة الربط داخل السياق، وكذلك تقوم باعمال توصل الى مراد القائل وتفهيم المتلقي، فالادوات حروف يستعان بها وتؤدي معاني في الجملة، والغرض منها الوصل والربط لفهم الجملة.

---

١) ينظر: مدرسة الكوفة: ٣١٠ وما بعدها، و: المصطلح النحوي: ١٧٤.

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٥٢/١، ٥٨، ٤٦٧، و: ٢٠٧/٢، ٢١٣، ٢٣٥، ٢٣٦، ٣٩٦، و: ٨٤/٣، و: المذكر والمؤنث: ١٦٦، ١٦٧، ١٠٧، و: مجالس ثعلب: ١٥٨/١، و: ٥٩٠.

ومما تقدم يمكن القول ان مصطلح(الاداة) فيه توجه نحو التيسير، لأن يمثل مرحلة اكثر اقترابا من الاستعمال اللغوي، لدقته اولاً وكون الحروف ادوات تؤدي معاني مختلفة[1].

ويظهر ان ترجيح مصطلح الاداة، قد شاع في مصنفات الكوفيين معبرين فيه عن حروف المعاني، واستمر اثره حتى العصر الحديث، فالدكتور المخزومي يرجح هذا المصطلح لما فيه من الدقة والاختصار[2]. ويرى الدكتور عبد الكاظم الياسري[3] أهمية توظيف مصطلح الاداة ليمثل باباً من ابواب النحو تحت عنوان(باب الادوات) تنضوي فيه جميع الادوات التي تؤدي معاني مختلفة سواء كانت عاملة ام غيرعاملة. وبذلك يتسع مفهوم هذا الباب ليدخل فيه:

ادوات الجر ـ ادوات النصب ـ ادوات العطف ـ ادوات الاستفهام ـ ادوات الشرط ـ ادوات النفي ـ ادوات الجزم ـ ادوات العرض والتحضيض ـ ادوات الجواب ـ الاحرف المشبهة بالفعل ـ واي مجموعة اخرى يمكن ضمها تحت هذا العنوان.وعليه تكون باب واحدة هي باب الادوات تدرس فيها هذه الادوات بحسب ما تؤيديه من وظيفة في التركيب وما تنصرف اليه من دلالة وما تحدثه من اثر في الالفاظ التي تقع بعدها. وفي هذا جمع للادوات المتفرقة، واسلوب ناجح للالمام بدراسة هذه الادوات ومعرفة دورها في السياق، وهو الافضل.

واذا ما اردنا الادوات اللفظية والتي منها مصطلح حروف(الخفض ـ او الصفة) الذي استخدمه الكوفيون، فيكفي ان نقرأ: الاصوب استعمال مصطلح الكوفيين وهو(حروف الاضافة) بدلا من حروف الجر الذي درج عليه البصريون[4] ذلك لأنه الصق بالمفهوم اللغوي لهذه الحروف، اذ انها حروف

---

1) ينظر: مدرسة الكوفة: ٣١١.

2) ينظر: مدرسة الكوفة: ٣١١.

3) ينظر: دراسة في المصطلح النحوي عند الكوفيين: ٦٧ ـ ٦٩.

4) ينظر: مقدمة في تاريخ العربية: ١٢.

وصل وربط، اما القول بـ(الجر) فانه يشير الى الاعراب، اذ ذهب البصريون الى ان: الكسرة في اخر الاسم كانت بسبب تقدم عامل الجر، وهو الحرف[١]

ويبدو ان مصطلح الكوفيين هو الاكثر وضوحا ودلالة على معناه، فالسيوطي يلمح الى ذلك حين اشارته بقوله: هذا مبحث حروف الجر وسميت به،... ويسميها الكوفيون حروف الاضافة، لانها تضيف الفعل الى الاسم، أي توصله اليه وتربطه به، وحروف الصفات لانها تحدث صفة الاسم[٢]، أي لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات[٣]. ومن خلال ما تقدم يتبين بوضوح سعة معنى المصطلح الكوفي، وفي الوقت نفسه توجهه صوب التيسير.

وحروف الصلة او الحشو، مصطلح استخدمه الكوفيون مقابل احرف الزيادة عند البصريين. واستعمل الكوفيون مصطلح(الصلة) مع الأحرف التي قيل انها زائدة في القرآن خاصة، تأدباً وورعا من ان تنسب الزيادة في القرآن الكريم[٤]، وقال الفراء[٥]: ((وانما يجوز ان تجعل(لا) صلة اذا اتصلت بجحد قبلها مثل قول الشاعر:

ما كان يرضى رسولُ اللهِ دينَهم والطيّبان ابو بكر ولا عمرُ[٦]

فجعل(لا) صلة لمكان الجحد الذي في اول الكلام)).وذكر الفراء في اعراب قوله تعالى {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ} آل عمران١٥٩: ان العرب تجعل(ما) صلة في المعرفة والنكرة واحداً ويبدو ان الدافع الرئيس للكوفيين بعد اطلاق

---

١) ينظر: مدرسة الكوفة: ٣١٤، وتاريخ النحو واصوله: ٥٢.

٢) ينظر: همع الهوامع: ٣٣١/٢.

٣) ينظر: شرح المفصل: ٤٧/٨.

٤) ينظر: الفراء ومذهبه في اللغة والنحو: ٤٤٢.

٥) معاني القرآن للفراء: ٨/١، ٢٤٤.

٦) البيت من قصيدة لجرير في هجو الاخطل، ينظر: الديوان: ٢٦٣ طبعة الصاوي.

مصطلح الزيادة الذي اطلقه البصريون، هو ايمانهم بمنع اطلاق لفظ الزائد، الزيادة على حرف في كتاب الله تعالى، ومن المصطلحات التي استعملوها للتعبيرعن تلك الحروف تسميتهم لها(عازلاً)، ففي قول الشاعر:

بـني غُدَانَـةَ مَـا إِنْ أَنـتُمُ ذَهَـبٌ   وَلا صَـرِيفٌ ولكِـنْ أَنـتُمُ الخَـزَفُ[1]

قال ابن الحاجب[2]((فان في هذا البيت نافية عازلة عند الكوفيين، وزائدة عند البصريين)) اذن يتضح ان الهدف الاساس من اطلاق الكوفيين لمصطلح الصلة هو الابتعاد عن القول بالزيادة في القرآن الكريم، لان مفهوم الزيادة عندهم ان يكون دخولها كخروجها.

وكذلك مصطلح(النسق) الذي استعمله الكوفيون، فهو الاخر يحمل دلالة اوسع على معناه من المصطلح البصري(العطف)، اذ قيل: ان النسق تبع للاول على طريق الشركة[3]، او الاشتراك في تاثير العامل، واصله الميل كأنه أميل به الى حيز الاول. وقيل له نسقاً، لمساواته الاول في الاعراب[4]. ويرى الدكتور المخزومي ان مصطلح(النسق)أدق وأوضح من المصطلح البصري لاختصاره، وغنائه عن التخصيص والتقييد[5]، وتبدو دقته واضحة في نقل المدلول اللغوي لهذا المصطلح الى استخدام وظيفي في الدرس اللغوي عند الكوفيين ويعضد هذا المذهب ما سمع عن العرب فيما نقل عن عمر بن الخطاب(رض): ناسقوا بين

---

١) البيت محل شاهد تسمية(عازل)عند الكوفيين، شرح شذور الذهب: ٢٥٣/١، و: شرح قطر الندى: ١٤٣/١.

٢) شرح الرضي على الكافية: ١٨٦/٢، و: ينظر: المصطلح النحوي: ١٧٩.

٣) ينظر: الحدود، للرماني(٣٨٨ هـ): ٦٩.

٤) ينظر: شرح المفصل: ٧٤/٣.

٥) ينظر: مدرسة الكوفة: ٣١٥.

الحج والعمرة[1]. وفي هذا التداول عن العرب، وفي توظيف الكوفيين ما يجعل التطابق متناسقا وقائما بين اللغة والواقع.

اما مصطلح الجحد الذي استخدمه الكوفيون، فينبغي التذكير ان هذا المصطلح قد استخدم في التفسير قبل استخدامه في اللغة، اذ اشار قتادة(١١٨هـ): الى أنّ الجحد لايكون الا من بعد معرفة[2]ونقرأ عن الجحد بأنه: انكار الشيء مع العلم به[3].

اما في الدراسات النحوية فقد اخذ سبيله الى الفاظ النحويين خارجا عن معناه اللغوي الموضوع، الى معنى عرفي تميز باستخدامه نحويو الكوفة وهو يقابل مصطلح(النفي) عند البصريين. وقد تبين اثر هذا المصطلح في تفسير القرنين، عبرالاستعمال المتكرر له من المفسرين.

ورجح الدكتور احمد مكي الانصاري مصطلح(الجحد) لأنه اكثر توفيقا في مسايرة اللغة، اذ يرى أن النفي يساير روح الفلسفة[4]. وينبغي عدم تجاهل مسألة مهمة تخص الكوفيين تتمثل في استقرائهم للنص القرآني، فهم لم يأتوا بمصطلح الجحد عبثاً، بل من خلال تتبعهم الدقيق للنص القرآني ووجودهم ان مصطلح(الجحد) قد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} النمل١٤ وكذلك قوله تعالى {فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَـذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} الأعراف٥١، فلما تيقن الكوفيون من ان معنى(الجحد) في هذه الآيات ضد الاقرار كـ - الانكار والمعرفة -[5] وهو المعنى الذي يساير روح اللغة، و

١) ينظر: لسان العرب: ١٤ /١٢٧.

٢) ينظر: التفسير والمفسرون: ٨١/١ - ٨٢.

٣) ينظر: الفروق اللغوية: ٥٧.

٤) ينظر: الفراء ومذهبه في اللغة والنحو: ٤٤٢.

٥) ينظر: تهذيب اللغة: ٥٤٠/١، و: لسان العرب: ١٨٢/٢.

ذهب الى ذلك الدكتور الانصاري، فاستخدموه مقابل مصطلح النفي عند البصريين. وتتبين دقة مصطلح(الجحد) الكوفي من قراءة في الفروق اللغوية لابي هلال العسكري(٤٠٠ هـ) التي قال فيها[1]((الجحد اخص من الانكار، وذلك ان الجحد انكار الشيء الظاهر، والشاهد قوله تعالى{بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ}، فجعل الجحد مما تدل عليه الآيات، ولا يكون ذلك إلّا ظاهرا، وقال تعالى{يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ} النحل٨٣ فجعل الانكار للنعمة، لأن النعمة قد تكون خافية، ويجوز ألقول ان الجحد: انكار الشيء مع العلم به، والشاهد قوله تعالى {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ} فجعل الجحد مع اليقين، والانكار يكون مع العلم وغير العلم)).

ولقد ذهب التها نوي صاحب كشاف اصطلاحات الفنون الى التفريق بين النفي والجحد، فذكر: النافي ان كان صادقاً يسمى كلامه نفياً، ومنفياً لا يسمى جحدا، وان كان كاذباً يسمى جحداً ونفياً. فكل جحد نفي، وليس كل نفي جحد[2].

اما مصطلح(التقريب) فهومصطلح كوفي لايقرّ له البصريون، وهو بمعنى اضافة(هذا ـ هذه ـ واسماء الاشارة) اذا قصد بهما التقريب الى كان واخواتها في الاحتياج الى مرفوع ومنصوب،. ويعد من الاضافات الكوفية في النحو العربي[3]. على اننا نُذكّر أنّ مذهب الكوفيين في اعراب الاسم المنصوب بعد(كان واخواتها)هوالنصب على الحال او شبهه[4]، ولأنهم أعملوا اسماء الاشارة عمل(كان واخواتها) فالاعراب عندهم لايختلف.

---

١) ينظر: الفروق اللغوية: ٥٧.

٢) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون: ٧٢٢/١.

٣) ينظر: مدرسة الكوفة: ٣٢٠.

٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٢/١، وهمع الهوامع: ١١١/١.

ولقد أراد الفراء بمصطلح التقريب[1]: ان يكون محط الخبرهو مفيد الحدث، في فعل او وصف، ففي القول: ها انت ذا، تقريب، والتقريب: عنده مما يكون فيه رفعاً ونصب كـ(كان الناقصة).

اذن المراد بالتقريب: عمل اسم الاشارة(هذا ـ هذه) في الجمل الاسمية مثلما ذكره السيوطي: وذهب الكوفيون الى ان هذا و هذه اذا اريد بهما التقريب فهُما من اخوات(كان) في احتياجهما اسما مرفوعا وخبرا منصوبا وذلك بشرطين[2]:

اولاً: أن يكون الاسم التالي لإسم الاشارة له في الوجود، نحو: كيف اخاف البرد وهذه الشمس طالعة.

وثانياً: ان يكون الاسم الواقع بعد اسم الاشارة اسم جنس معرفة غيرمختص، نحو: ما كان من السباع غير مخوف فهذا الاسدُ مخوفاً. اذن المعنى الذي أراده الكوفيون من التقريب يتمثل في ان: اسم الاشارة يفيد الحضور والوجود، وهم خصّوا به اسم الاشارة المتبوع باسم معرفة بعد نكرة منصوبة. وهذا المصطلح لم يقل به أحد قبلهم، وهو يفيد معنى خاص لأسماء الاشارة اذا اريد بها التقريب.

أما الادوات المعنوية التي قال بها الكوفيون، فالصرف والخروج والخلاف ادوات معنوية خاصة بالنصب، وخاصة بمذهب الكوفيين فقط إذ عزوا وقوع النصب الى عامل معنوي، لم يكن للأدوات الموجودة داخل التركيب أثر في إحداث هذا النصب. بل يشيرمذهبهم الى عامل معنوي يقوم بتوجيه النصب من دون أي اثر لأداة ما ظاهرا كان أو مضمرا.

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/٢٣٢.

٢) ينظر: همع الهوامع: ١/١٣.

وقد حدد الكوفيون سمات التراكيب أو السياقات التي تشير الى هذا العامل المعنوي، فوضعوا له حداً، وبينوا ملامح هذا الحد الذي كان يسمى(الصرف)في موضع، و(الخلاف)في موضع آخر، و(الخروج)في موضع ثالث.ففي مصطلح الصرف ذكر الكسائي: أن النصب مغيض النحو، كلما صرف شيء عن جهته نصب[1]، وجاء الفراء تلميذه مفصّلا القول في هذا المصروف عن جهته، فحدّد ملامحه وقدّم أمثلة من التطبيق العملي على بيانه وتوضيحه، ويمكن تلخيص ماجاء به الفراء بما يأتي: الصرف معناه: أن تأتي بالواو معطوفة في كلام في أوله حادثة لاتستقيم إعادتها على ما عطف عليها فإذا كان كذلك فهو ألصرف[2].

فوجود(الواو)شرطا في وقوع الصرف، وهي التي تسمى بـ(واو الصرف) عند الكوفيين[3].وقد جمع الفراءفي موضع آخر حروفا اخرى، وهي(أو- ثم – الفاء -) بقوله[4]: ((والصرف أن يجتمع الفعلان بالواو أو ثم أو الفاء أو أو،... وفي أوله جحد أو استفهام، ثم ترى ذلك الجحد أو الاستفهام ممتنعا أن يُكَر في العطف، فذلك الصرف)).

معنى هذا أن هناك شرطا آخرا تمثل باجتماع فعلين يتقدم الأول استفهام أو جحد، ويمتنع تكرارهما في العطف بعد الواو، فيصرف الفعل بعد الواو الى النصب على الصرف.وقد ذكر الفراء أمثلة من القرآن الكريم ومن لسان العرب على مجيء الصرف. وقد أشار الفراء الى وقوع الصرف في الاسماء أيضا عندما ذكر: ومثله من الاسماء التي نصبتها العرب وهي معطوفة على مرفوع، وبهذا فإن(واو الصرف) تسمية كوفية، وهي(واو المعية) عند البصريين[5]. ومن المفيد

---

١) ينظر: اعراب القرآن للنحاس: ١٢٢/٢.

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٤/١.

٣) ينظر: مغني اللبيب: ٤٧٢/٢.

٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٣٥/١.

٥) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٤/١، ٣٩١، و: الكتاب: ٤١/٣، و: ا لمقتضب: ٢٥/٢-٢٧.

بيانه أن(واو الصرف)مشروطة، فهي ترشد بالصرف عن سنن الكلام، وهي غير عاطفة، وشرطها أن يتقدم عليها نفي أو طلب[1]. والنفي والطلب يشمل: الامر- النهي -النفي- الاستفهام-التمني - العرض. ومنهم من يضيف اليها الدعاء[2].

وما يعضّد كوفية العامل المعنوي(الصرف) ماورد من أقوال بعض العلماء، فهذا النحاس يقول[3]: ((والكوفيون يقولون: هو منصوب على الصرف، وشرحه أنه عن الاداة التي عملت فيما قبله ولم يستأنف فيرفع، فلم يبق الاّ النصب، فشبّهت الواو والفاء بـ(كي) فنصب بها كما قال الشاعر:

لاتنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

أمّا تفاسير القرنين الرابع والخامس للهجرة فيمكن أن نلمس فيها مايأتي:

متابعة ألمفسرين في هذين القرنين للكوفيين، إذ قالوا بمصطلح الصرف الكوفي عبر التطبيق العملي بتفاسيرهم.ومن خلال المبحث الثاني اتضح بأنهم اكثروا من استخدام هذا المصطلح، أي ان هذه المصطلحات تم قبولها بشكل واسع في الاستعمال، وهذا يعني اطّراد المصطلح الكوفي عند مفسري هذين القرنين، وهذا يدّل على أثرالنحو الكوفي في تفاسيرهم[4].

والحقيقة أن ذهاب الكوفيين الى إعمال مصطلح الصرف بالافعال والاسماء قد منح لهذاالمصطلح مساحة أوسع في التطبيق، إذ إنّه حفّز مفسرو هذين القرنين الى القول به في تطبيقات كثيرة من تفاسيرهم. وفيه دليل على ان هذا المصطلح هو الاقرب الى روح اللغة عبر ابتعاده عن التأويل والتقدير، وفيه اشارة للذهاب

---

١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣٤/١.

٢) ينظر: شرح المفصل: ٢٣٨/٤.

٣) ينظر: اعراب القرآن للنحاس: ٤٢/١.

٤) ينظر: جامع البيان(تفسير الطبري): ٥٦٩/١، و: ٧١/٤، و: ٢٢/٢٥، و: التبيان في تفسير القرآن: ٤٤٥/٤، و: تفسير: الكشف والبيان: ٣٣٥/١.

بالنحو صوب التيسير، إذ إن البصريين يذهبون الى اضمار(أن) بعد الواو، ومعنى هذا: انهم عدّوا الواو حرف عطف، والاصل في حروف العطف عدم عملها، كونها غير مختصة، وكونها تدخل تارة على الاسم وتارة على الفعل[1]، فهم أسسوا قاعدتهم على أصل وفرّعوا عليه، وأبوا الخروج عنه، من دون مراعاةللغة وروحها وما فيها من تغيير وتصريف.فهم يضمروا ويقدّروا لأجل اكتمال ظاهرة هي على مقربة من منطق الفلاسفة منه الى روح اللغة التي تنمو وتتطور، وأن الذي يخالف قاعدتهم يعدّ شاذا[2].

غيرأن الدرس الحديث عدّ التقدير والاضمار أو التأويل من مشكلات النحو العربي، وان الذي ألجأهم الى ذلك هوماقترفته أياديهم من تقدير إصول منطقية افترضوا وجودها في اللغة، ومن ذلك تقديرهم: أن الحرف لايعمل في الاسم أو الفعل إلاّ إذا اختص بالدخول على أحدهما، فإن دخل على الاثنين فقَد القدرة على العمل[3]. وعندما واجهتهم(الواو)و(الفاء)و(حتى)و(اللام)التي تنصب المضارع بنفسها ذهبوا الى التقدير والاضمار والتأويل، وبدأوا يقنّنون قواعدهم عبر ماذهبوا اليه من تقديرات وتأويلات.

ويتضح أن أخذ الكوفيين بظاهر المسألة يُعدّ حسنة تضاف الى مذهبهم، إذ هم أقرب الى روح النص في النقل المسموع من غير تقدير، فاعتداد الكوفيين بالنقل، وتناولهم القياس تناولا يمس روح النص اللغوي، وجنوحهم عن اتباع التأويلات البعيدة والتوجهات المتكلفة، والامعان الدقيق وتعديلهم القواعد حتى تتلاقى مع المسموع، وتفسيرهم النصوص القرآنية والنصوص اللغوية الاخرى في تفسير لايكاد يخالف الظاهر، وميلهم عن اخضاعها للإصول التي وضعوها، ثم

---

١) ينظر: الانصاف في مسائل الخلاف: ٥٥٦/٢(مسألة ٧٥)، و: ٢٤٩/١(مسألة٣٠)

٢) ينظر: مظاهر التطور: ١١-١٢.

٣) ينظر: في حركة تجديد النحو: ٢٤-٢٥.

بناء كثير من أحكامهم على القراءات التي سبق للبصريين أن اكرهوا جانبا منها على قبول معنى خاص هدفوا اليه، وأبعدوا جنبا آخر منها لأنه استعصى على الخضوع لقواعدهم، وأبعد في الخروج على تأويلاتهم، ثم التماس ذلك في أقوال أئمتهم واعمالهم، ووجدوا انهم يلتزمون الدقة فيه، ويتجنبون مخالفته ويتحرجون من الخروج عليه[1]، كل هذا جعل ان يكون ذهاب الكوفيين بالقول على الصرف أفضل من قول البصريين الذين كانوا يرجعون القرآن الى قواعد النحو، إذ إنَّ الكوفيين عملوا على اخضاع القواعد النحوية للنص القرآني، وجاهدوا في سبيل اخضاع القاعدة الى النص. وعليه فان التأويل كلما قلَّ في الكلام كان أفضل، وهذا الحكم يرجح رأي الكوفيين ويصرف النظر عن تقدير البصريين.

وكذلك مصطلح الخلاف فانه خاص بالنصب فقط، وبمذهب الكوفيين، لكن الذي لوحظ بشأن هذا المصطلح هو التباس الامرعلى بعض المحدثين[2]، فاعتقدوا الخلاف صرفاً والصرف خلافا، فيرى الدكتور المخزومي: انه مهما يكن من امر فملاك الصرف والخلاف واحد، وكذلك الدكتورة خديجة الحديثي ترى: ان مصطلح(الخلاف او الصرف)هوعامل النصب عند الكوفيين في ابواب متعددة. وكذلك الاستاذ عوض حمدالقوزي حين يقول: ان المصطلحات الثلاثة(الخلاف ـ والصرف ـ والخروج) تدوركلها حول مخالفة اللفظ المتاخر لأحكام اللفظ السابق له(اسما كان ام فعلاً) فهي تعني عدم المماثلة. فالصرف خلاف، والخلاف خروج[3].

---

١) ينظر: المنهج اللغوي: ١٥.

٢) ينظر: في اللغة عند الكوفيين: ٩٦، و: مدرسة الكوفة: ٢٩٥، و: المدارس النحوية: د. الحديثي: ١٦٨.

٣) ينظر: المصطلح النحوي: ١٨٨.

ونعتقد بأنهم لو انعموا النظر في هذه المصطلحات لَإتضح عندهم: أنَّ كل صرف خلاف وليس كل خلاف هو صرف!! فما الخلاف؟ حتى لاتلتبس مفاهيم مصطلحي(الصرف والخلاف)، فقد تنفع العودة الى حديث الفراء عن الصرف عندما قال[1]: ((والصرف ان يجتمع الفعلان بالواو اوالفاء...)).اذن اجتماع فعلين في الواو او الفاء او... هو أمر لا مردّ له في وقوع الصرف، ثم هذه الواو التي هي تسمية كوفية بـ(واو الصرف) هو اسم على مسمى فلا يقع معه الا الصرف. اما ماجاء في امثلة اخرى عن اجتماع الفعل مع الاسم في مذهب النصب على الصرف مثل: لو تركت والاسد.... و: لو خليت ورأيك، فهو مااحتمل النصب على الخلاف ايضاً، وامثلة اخرى تدل على ان النصب على الخلاف وليس الصرف.

فكلام السيوطي عن الخبر حين يكون ظرفاً: من ان العامل في نصب الخبر: كون مقدر، وقيل: المبتدأ، وقيل: بالمخالفة وعليه الكوفيون. فاذا قلت: زيد اخوك، فالاخ هو زيد وزيد هو الاخ.اما اذا قلت: زيد خلفك، فالخلف ليس بزيد. اذن مخالفته له(بعدم كونه هو المبتدأ بعينه)عملت النصب. ردّ((بأن المخالفة معنى لايختص بالاسماء دون الافعال، فلا يصح ان تكون عاملة، لأن العامل اللفظي شرطه للعمل ان يكون مختصاً، فالمعنوي الاضعف اولى))[2].

ونتيجة لهذه المخالفة نُصِبَ الخبر. وهذا ما ذهب اليه الكوفيون، فالعامل عندهم معنوي وقدحمل دلالة النصب على الخلاف من دون حاجة الى تقدير. في حين ذهب بعض البصريين الى تقدير فعل محذوف عامل النصب، وذهب بعضهم الى تقدير اسم فاعل محذوف. واذا ماعلمنا أنّ ثعلباً ذهب الى نصب هذا الظرف على الاصل الذي يتمثل بان: زيد حل امامك، فحذف الفعل(حلَّ)

---

١) معاني القرآن للفراء: ٢٣٥/١.

٢) ينظر: همع الهوامع: ٣١/٢.

للدلالة عليه واصبح غير مطلوب، واكتفى بالظرف منه الذي بقي منصوباً على ماكان عليه الفعل[1]. والحقيقة ان ذهاب ثعلب هذا، ورغم مافيه من ثقل في التقدير، إلّا انه هو الاقرب الى روح اللغة من تقدير البصريين، لانه قدر فعلاً محذوفاً للدلالة عليه، ولم يقدر اسم فاعل اولاً، ولأنه يخالفهم في اصل من اصول المذهب الكوفي، و الذي يتمثل ببقاء عمل المعمول في حالة حذف العامل، اذ ان الكوفيين قالوا ببقاء الخفض في الاسم حتى في حالة حذف الخافض، . وهذا ما لايقبل به البصريون البتّة[2].

وما يعضد قولنا في التفريق بين(الصرف والخلاف)، وقولنا: بان كل صرف هو خلاف وليس كل خلاف هو صرف. فالخلاف يكون في الاسم المنصوب بعد الواو في حالة اجتماع الفعل والاسم بتوسط(واو المعية)، وكذلك في حالة الخبر مع المبتدأ حين يكون الخبر ظرفاً[3].. ويرى سيبويه ان النصب لما بعد هذه الحروف يكون بـ(ان) مضمرة. في حين ذهب الكوفيون الى ان النصب على الخلاف وليس بهذه الحروف. لانها عطفت مابعدها على غير شكله، أي انك اذا عطفت فعلا على فعل لايشاكله استحق النصب بالخلاف كما استحق ذلك الاسم المعطوف على مالا يشاكله في المعنى. ومن هنا استحق في اجتماع فعلين توسط بينهما(واو الصرف)ان يعرب الثاني في النصب على الصرف لاستحالة العطف على ما قبل الواولأنه لاتستقم اعادته على ما عطف عليه.على ان هناك محدثين حصروا مصطلح الخلاف في الظروف التي هي اخبارا عن مبتدآت، وجعلوه علة النصب في الظرف الوقع خبرا[4] وبهذا لم يشرالمفسرون الى العامل المعنوي(الصرف) عند الكوفيين الا في مواضع جمعت بين فعلين بـ(الفاء)

---

١) ينظر: الانصاف في مسائل الخلاف: ٣٠٧/١(مسالة ٤١).

٢) ينظر م. ن: ٢٤٥/١(مسألة ٢٩).

٣) ينظر: المصطلح النحوي: ١٨٧ ومابعدها.

٤) ينظر: المدارس النحوية، د. شوقي ضيف: ١٦٥ وما بعدها.

او(الواو). ولم نجدهم يشيرون الى(الخلاف) في المواضع التي ذكروا فيها(واو الصرف)، فالمذكور في هذا الموضع(مع واو الوصرف) هو النصب على الصرف،. وقد تم ذكر ذلك في المبحث الثاني من هذا الفصل. مما يجعلنا ان نقول: ان الكوفيين عامة، والفراء خاصة، قد فرقوا بين الصرف والخلاف، ولم يذهبوا الى ان الصرف والخلاف شيئا واحدا كما زعم بعض المحدثين. ومن خلال رحلتنا مع هذه المسالة يمكن: عد كل صرف خلاف، وليس كل خلاف صرف، وفي(واو الصرف) حجة على ذلك. على ان الكوفيين قالوا بالخلاف في: المفعول معه،. والظرف الواقع خبرا، والفعل المضارع المنصوب بعد الواو والفاء المسبوقتين بنفي او طلب، وبعد او. أي ان الصرف هو الذي يسبق بأحرف الصرف(الواو ـ والفاء ـ و او) والتي ينصب بعدها الفعل المضارع في جواب النفي او الطلب المحض.أما الخلاف فقالوا به: في نصب الظرف الذي يقع خبرا كونه ليس عين المبتدأ، ثم توسعوا فادخلوا نصب المفعول معه ونصب المضارع بعد حروف العطف في جواب الطلب. ويرى الدكتورعبد الكاظم الياسري امكانية التوسع بهذا المصطلح بحيث يدخل فيه كل مانصب لمخالفة ماقبله مثل الحال والاستثناء وخبر ما الحجازية وغيرها[1]. والحقيقة ان ما دعا اليه الدكتور الياسري هو الذي ذهب اليه الكوفيون، وقد ذُكِرَ في الفصل الاول من هذه الرسالة، في(النصب على الصرف).

واما مصطلح المدح و الشتم او الذم. فلقد ذكر بعضهم: أنَّ مصطلح النصب على الشتم مصطلح كوفي لكنه لم يستمر عندهم، وحل مصطلح(الذم) بديلاً عنه[2]. وبهذا فان مصطلحي: المدح ـ و الذم هما اللذان استعملا من مفسري القرنين الرابع والخامس للهجرة وهذه المصطلحات(المدح و الذم)

---

١) ينظر: دراسة في المصطلح النحوي عند الكوفيين: ٤٤-٤٨.

٢) ينظر: تمثال الامثال: ١/١٥٣، نقلا عن: النحو الكوفي في تفسير الطبري، رسالة ماجستير.

استعملت نتيجة لقطع النعت، اذ ان القطع هو الخروج عن المشاكلة الاعرابية، او هو كما عند بعض الدارسين: ان تجعل نهاية السياق غير تابعه لبدايته[1]. لذلك فالقطع في النعت يعني: مغايرة النعت للمنعوت في الاعراب، فان كان المنعوت مرفوعاً جاز في نعته المرفوع النصب على القطع، ولا يجوز الرفع منعا للالتباس، لانه اذا رفع فلن يعرف انه مرفوع. وان كان المنعوت منصوباً جاز قطع النعت الى الرفع، ولايجوز النصب منعا للالتباس كذلك. اما اذا كان المنعوت مجرورا فيجوز قطعه الى الرفع او النصب، اذ لا لبس مع احدهما.

ولقد اشار الدكتور فاضل السامرائي الى ان القطع يقع كثيرا في النعت[2]. والذي يلحظ عند اصحاب النظر النحوي ان النعت يقطع في سياقات مختلفة، كالمدح والذم والترحم، فاذا قطع للرفع فهو خبر لمبتدأ محذوف، واذا قطع للنصب فهو مفعول لفعل محذوف[3].

والقطع يعني وجود جملة ذات طرفين، طرف محذوف(وهو المبتدأ او الفعل)، وطرف مذكور(وهو النعت المقطوع). اي ان الذي يحدث هو: تحويل النعت من سياقه المالوف(الاتباع) وتغيير جهته الاعرابية بقطعه عن منعوته، وهذا يعني تحويل مسار النعت من الوضع الطبيعي الذي هو فيه الى وضع اخر يطلب منه معنى اخر يستحق لفت النظر الى جلال المعنى الذي هو جدير بالتنويه به، وذلك بتوجيه النظر والسمع اليه، اي: من خلال صب الاهتمام الى المعنى الجديد المطلوب في السياق، لانه دل على ان اتصاف الموصوف بهذا النعت بلغ حدا يثير الانتباه، بمعنى: انه تجاوز المعنى القديم الذي كان عليه، واريد به تجديد المعنى كالمدح او الذم او غيره، لان في تجديد اللفظ عما كان عليه دليل على

---

١) ينظر: النحو الوصفي من خلال القران الكريم: ٤٢٥/١.

٢) ينظر: معاني النحو: ١٩/٣.

٣) ينظر: الجمل في النحو: ١٥، و: شرح الفية ابن معطي: ٧٧٦/١، و: شرح جمل الزجاجي: ٢٠٧/١.

تجدد المعنى، وكلما كثرت المعاني وتجدد المدح او غيره كان ابلغ[1]. ولقد تنبه الكوفيون الى حقيقة هذا المظهر، فذكر الفراء[2]: ان العرب تقصد بمخالفة النعت للمنعوت في الحركة ان تجدد له وضعا جديداً غير متبع لأوله.وقد نُقِلَ عن ابي علي النحوي بان قطع المنعوت في مقام المدح والذم ابلغ من اجرائها، وتجسد ذلك بقوله: اذا ذكرت صفات في معرض المدح او الذم، فالاحسن ان يخالف في اعرابها، لان المقام يقتضي الاطناب، فاذا خولف في الاعراب كان المقصود اكمل، لأن المعاني عند الاختلاف تتنوع وتتفنن وعند الاتحاد تكون نوعا واحدا[3].

ويرى الدكتور عائد الحريزي من المحدثين[4]: ان المخالفة الاعرابية هذه، هي احد اساليب لفت النظر في العربية الى أهمية شيء أو قلِّته، مدحه او ذمّه.

ويذهب الزركشي الى: ان قطع النعت الى النصب بتقدير(فعل) او على الرفع بتقدير(هو) لايظهران لئلا يصيرا بمنزلة الخبر[5].

ويبدو ان النعت قبل قطعه يدل دلالة اخبارية وان سيق للمدح او الذم، اما عند قطعه لهاتين الجهتين، فهو يؤلف حينها خبرا جديدا يخرج مخرج الانشاء، زيادة على ان الاخبار الجديد يكون اكثر ابلاغية، لانه يشد ذهن السامع ويحرك مشاعره. وهذا يعني ان حالة الاخبار الجديد لاتساوي حالة الاصل، لأن الاخبار الجديد فيه تغيير لقيمة المعنى في ذهن المخاطب، وفيه قوة في الدلالة على المعاني الانفعالية مدحا او ذما، ففي قوله تعالى {وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ} المسد٤ قرأ

---

١) ينظر: بدائع الفوائد: ١٨٩/١.

٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١٠٥/١.

٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٤٤٦/٢، و: النعت في التركيب القرآني: ١٣١/٢ - ١٣٢.

٤) ينظر: مباحث في لغة القرآن الكريم وبلاغته: ٩٠ - ٩١.

٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١٩٨/٣.

عاصم(حمالة) بالنصب وقرا الجمهور(حمالة) بالرفع[1] وهو الاصل لانه نعت لامرأته على احد التوجيهات النحوية[2]، ولكن قراءة عاصم قد خرجت عن الاصل، لانها جاءت للمبالغة في الشتم(الذم) ولذلك فقد تغير اعرابها تبعا لتغير اسلوبها من اخبار عادي الى اخبار اكثر ذما ومبالغة في التشنيع. وفي هذا دلالة على زيادة التنبيه ومزيد من الاهتمام، وكان النصب في(حمالة الحطب) نصبا على الذم لها وكانها اشتهرت بذلك، فجرى النعت عليها للذم لاللتحضيض و التخليص من موصوف غيرها[3].

اما قراءة الجمهور فكانت إخباراً عن المرأة دون ابلاغية(اي انها حالة وصف اعتيادية) في حين قطع النعت كان للمبالغة في الشتم(الذم) او المدح. ففي قوله تعالى {سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} المؤمنون٩١- ٩٢، قراءة(عالم) بالضم فهو على المدح،. ومعناه: هو عالم الغيب[4] فهنا نعت مقطوع الى الرفع من اجل المبالغة بالمدح.وكذلك قوله تعالى {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} الأنعام١٤، فهناك من(جر) فاطر عى النعت، وهناك من(رفع) فاطر على الابتداء أي: هو فاطر، أي انه مرفوع على المدح، اذن خروج النعت(فاطر) عن التبعية لما قبله(وهو يدل في الاصل على معنى المدح) الى صورة اخرى لم يتبع فيه معنوته في الاعراب، يعني ان النعت قد تجدد اسلوبه بالمخالفة الاعرابية من الاخبار عن محض مدح الى اخبار متجدد فيه لفت انتباه المخاطب وضمان المساحة الابلاغية المرادة بان الله تعالى هو الموصوف حقا بانه خالق السموات والارض ومبدعهما، أي ان الله تعالى هو المعبود الحق وهو المبدع والمنشئ ولا سواه. وعليه فان مصطلح

---

١) ينظر: حجة القراءات: ٧٧٦ ـ ٧٧٧، و: اتحاف الفضلاء: ٦٠٦.

٢) ينظر: معاني القرآن للاخفش: ٥٤٨/٢: وحجة القراءات: ٧٧٧.

٣) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٥٥٨/٥.

٤) ينظر: النعت في التركيب القرآني: ١٣٨/٢.

المدح او الشتم(الذم) لم يكن اعتباطا، وانما كان معبرا عن نعت مقطوع، ولذلك يعد اسلوبا فنيا يراد به الاهتمام بالنعت، زيادة على لفت الانتباه وزيادة الاصغاء، وان سبب قطع النعت بلاغي(١).

ومما تقدم يمكن تخريج النعت المقطوع على انه اسلوب معدول عن اخبار الى خبر جديد يراد منه معاني انشائيةعلى وجه التجديد ايضا، لأن تجديدغير اللفظ الاول دليل على تجدد المعنى(٢) وعليه يمكن القول ان وجود المصطلح الكوفي بين سطور تفاسيرمفسري القرنين الرابع والخامس للهجرة هو من الاثار الواضحة للنحو الكوفي في هذه التفاسير. وهو أثر لغوي تمثّل باضافة مصطلحات كوفية جديدة الى مصطلحات النحو العربي، واضافة مصطلحات لها مايقابلها في النحو لكنها تختلف في عملها ودقة معانيها، إذْ تبدو أكثر سعة وفهما من المصطلحات البصرية- كما بيّنا ذلك -.

وهذا يجعلنا ان نقول ان: المصطلحات الكوفية تعد وسائلا في ميدان تيسير النحو، وكذلك ان الكوفيين قد استطاعوا بفكرهم الثاقب ان يهتدوا الى هذه المصطلحات وعملها عبر متابعة دقيقة منهم لمستويات الكلام العربي حتى وصولهم الى القول بهذه المصطلحات التي اتسمت بالدقةوالشمولية. اذ ان الذي يُلحظ على المصطلح الكوفي، هو أن اغلبه ان لم يكن مُستقرء عن النص القرآني، فانه يعود بجذوره الى مفسري القرآن الذين سبقوا مرحلة تاسيسه، وهذا ما يحسب له. وسيكون مع هذا الفصل ملحقا بالمصطلحات الكوفية التي قال بها مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة، والمصطلحات الكوفية التي لم يقل بها هؤلاء المفسرون، اذ ان هناك مصطلحات قال بها بعضهم، وهناك مصطلحات لم يقل بها جميع هؤلاء المفسرين. وهذا يعني: ان ليس بالضرورة ان يكون جميع

---

١) ينظر: النحو الوافي: ٣/٤٩٢.

٢) ينظر: بدائع الفوائد: ١/١٩٨.

ما ذهب اليه الكوفيون من قواعد وآراء ومصطلحات كانت صحيحة بالضرورة، زيادة على ان هؤلاء المفسرين يتمتعون باستقلالية لغوية خاصة بهم لا تتأثر إلاّبما يدركه الحس اللغوي لديهم.

المصطلحات الكوفية التي استعملها
مفسرو القرنين الرابع والخامس للهجرة

المصطلح الكوفي	مايقابله عند البصريين
ما لم يسم فاعله	المبني للمجهول
الفعل الواقع وغير الواقع	المتعدي واللازم
الفعل المستقبل	المضارع
الفعل الدائم	اسم الفاعل
الترجمة والتبيين ـ او التكرير ـ الرد والمردود	البدل
التفسير والمفسر	التمييز
العماد ـ الدعامة ـ المجهول	ضمير الفصل
القطع	الحال
المصدر	المفعول المطلق
الكناية والمكني	الضمير
النعت	الصفة
الاداة	حرف المعنى
حروف الخفض ـ الصفة	حروف اجر
حروف الصلة والحشو	حروف الزيادة
حروف النسق	حروف العطف
الجحد	النفي
لام اليمين ـ القسم	لام الابتداء
التقريب	لامقابل عندالبصريين له
الخروج ـ الخلاف	لامقابل عند البصريين له

الخاتمة ونتائج البحث

بعد أن انتهيت بعون الله تعالى من محاولة بيان مساحة النحو الكوفي في تفاسير القرآن في القرنين الرابع والخامس للهجرة، وبذلت فيها غاية جهدي متوخياً أهدى السبل الى توضيح ذلك وبيان أثره، عبر متابعة دقيقة لكتب التفسير في هذه المدة من الزمن، التي تنوعت مذاهب مؤلفيها واختلفت؛الاّ انها اتفقت جميعاً على أن تتأثر بما تركه النحو الكوفي من قواعد نحوية خاصة به، وآراء أضافها الى قواعد النحو البصري، ومصطلحات نحوية، بعضها انفرد به الكوفيون، وبعضها قابلت مصطلحات بصرية موجودة، وهذا تطلب العودة الى مصادر النحو الكوفي التي تحتاج اليها المكتبة العربية عامة، والنحوية خاصة، فحاولت جاهدا ماستطعت الى ذلك سبيلا، وعلى هذا لابد لي من تلخيص أبرز النتائج التي توصّل اليها البحث، هي فيما يأتي:

❖ ظهر للباحث بوضوح، أنه لايمكن تجاهل النحو الكوفي، لأن كثيراً من الآيات القرآنية قد فُسِّرَتْ حملاً على توجيه الكوفيين، الذي تمثّل بتأسيس منظومة نحوية تخضع فيها القاعدة النحوية الى النص، أي انهم أسسّوا لتعديل القواعد النحوية على وفق النصوص القرآنية، وهذا يُعدَ انتصاراً لمنطق اللغة الذي يستحسن اخضاع القاعدة للنص وليس العكس، أي أن النحو الكوفي حقيقة من حقائق النحو العربي الى جانب النحو البصري، وأثره واضح في التفسير.

❖ تبيَن من البحث ان توجيه الكوفيين، ترتَب عليه زيادة قواعد نحوية كوفية جديدة الى قواعد النحو العربي، وزيادة آراء نحوية كوفية الى القواعد النحوية الموجودة أصلا، ومصطلحات نحوية كوفية زيدت على مصطلحات النحو العربي، وان ماذهب اليه الكوفيون يُعدُ تمثيلا حقيقياً للغة.

❖ أوضح البحث ميل الكوفيين في كثير من المواضع الى حمل النصوص على ظاهرها، وهجر التأويل البعيد الذي يحمّل النص ما لايطاق، وتأكّد ذلك من

خلال أكثر من ثلاثين مسألة نحوية حملها المفسرون على ظاهرها متابعين خطى الكوفيين في ذلك.

❖ تأثُر مفسرو القرآن في هذين القرنين بالنحو الكوفي- بوضوح - على أنَّ هناك تفاوتاً يسيراً في ذلك الاثر، واذا ما أدركنا أن الاثر والتأثيرهما نتيجة تلاقح فكري بين آراء النحويين والمفسرين، فهذا يؤكد نشاط مفسري القرآن في هذه المدة الزمنية عبر بحثهم ودراستهم للقواعد النحوية، ومِن ثَمَّ تأثرهم بما هو أصَح في توجهاتهم.

❖ تيقَن البحث من امكان عدَ كتب التفسيرفي هذين القرنين(التي ألَفت المادة العلمية للدراسة)، مصادرَ للنحو الكوفي، لأنها جمعت أغلب قواعد النحو الكوفي، واغلب الآراء التي زادها الكوفيون للقواعد الموجودة أصلاً، واغلب المصطلحات التي اسس لها الكوفيون.

❖ تبين من البحث رواج مصطلح النحو الكوفي بأسلوب لافت للنظر، الى درجة استحواذ ذلك المصطلح على المفسرين في تلك المدة الزمنية، وهو دليل على أحقَية شهرة هذا المصطلح في الاستعمال لما يحمله من مزيات جعلته يستحوذ على مفسري هذه القرون.

❖ أثبت البحث من خلال تقصّي مصادر النحو الكوفي، أن الكوفيين هم أوائل الذين زرعوا بذورا صوب التيسير النحوي، بدءاً من حملهم النصوص على ظاهرها وهو يُعَدُ من مظاهر التيسير النحوي لتجنبه التأويل البعيد واثقال النصوص بما لاينبغي.

❖ أثبت البحث أن القول بالزيادة والحذف هو وسيلة من وسائل النحويين للتخلص من المآزق التي ورّطوا أنفسهم فيها، التي لاتصلح أن تكون حلولا لتفسير ماورد من ذلك في القرآن الكريم.

❖ أظهر البحث ان ماذهب اليه الكوفيون من قول بالزيادة، هو الأقرب الى طبيعة اللغة وروحها ومنطقها، لأنه كان بدافع حاجة اللغة وفهم النص، وليس كما ذهب اليه البصريون لحصول الاتفاق مع القواعد النحوية.

❖ يرى البحث ان لفظة(زيادة – زائد)على حرف او لفظ في القرآن، توحي الى عدم الفائدة(أي ان وجودها وعدمه واحد). ممّا لايمكن لأحد القول به، لأنه لايتناسب مع مقام القرآن، وعلى هذا يرشح البحث استعمال لفظة(مزيد) لاحتوائها اشارة دالة على زيادة الفائدة في المعنى، بدلا من لفظة(زيادة -زائد).

❖ يرى البحث ان وجود المزيد في النص القرآني فيه اشارة من الله تعالى تسعى الى اشراك القارىء في تحديد المطلوب من النص القرآني، وبهذا فان وجوده يُعَدُّ حافزاً للوصول الى فهم التركيب وبيان مراده من باب التدبر في القرآن والتفكر في آياته.

❖ تيقن الباحث أن القول بـ(أصلية الجذر) سيحسم خلافا نحويا في مسألة(أيهما الاصل الفعل أم الاسم) الذي طال أمده قرونا عدة، وسيجعل المحدثين لا يفكرون بهذه المسألة الخلافية، بل يتوجهون في بحوثهم الى مسائل أخرى.

❖ اثبت البحث كوفية الشيخ الطوسي في مذهبه النحوي، عبر تأثره بأغلب قواعد النحو الكوفي ومصطلحاته، فضلا عن متابعته الطبري في اللغة والنحو، إلاَ ان استاذنا الدكتور الفاضل كاصد الزيدي –رحمه الله - في دراسته لمنهج الشيخ الطوسي في تفسيره يقول ببغدادية الشيخ الطوسي في مذهبه النحوي، فنحن نقول فضلا عمّا اثبته البحث، هناك عدم اعتقاد بوجود مدارس نحوية سوى البصرية والكوفية، ويبدو أن رأي الدكتور الزيدي مقبول عندي ذلك أن الشيخ الطوسي لم يكن متشددا في آرائه النحوية كتشدد البصريين، زيادة على اعتداله في توجيهاته لكثير من المسائل النحوية.

❖ تبين من البحث ان اغلب مفسري هذه القرون كالطبري والشيخ الطوسي والسمرقندي والماوردي والواحدي هم من النحويين، وهذا مايؤصل لآرائهم في التفاسير.

❖ تيقن البحث انه للخصوصية التي يحملها النص القرآني؛ التي تعلو على القواعد النحوية، ينبغي القول: ان لاتناوب بين حروف الجر في القرآن الكريم، ولازيادة ولاحذف فيه، على الرغم من امكان وجود التناوب ووجود الزيادة، و الحذف في كلام العرب.إذْ إنّ البحث يرى ان لكل حرف وظيفة تمّيزه عن غيره، بحيث لايمكن بأي حال من الاحوال ان يحّل حرف مكان الآخر، ويؤدي المعنى نفسه.

❖ تيقن الباحث أن أثر النحو الكوفي لم يقتصر على مفسري القرنين الرابع والخامس للهجرة فقط، بل ترك أثره الواضح على مؤلفات علماء اللغة في القرن الرابع الهجري، منهم: الزجّاج، وأبوعلي الفارسي، وابن جني وغيرهم، وقد تبين ذلك الأثر عبر متابعة مؤلفاتهم.

❖ يتجلى الأثر الكوفي في تفسير القرآن في تلك المدة بالأثر اللغوي والبلاغي والعقائدي، ولكن الأثر اللغوي هو الأهم لما ترتب عليه من تأسيس لمنظومة نحوية، أو توجيه للمعنى الذي يترتب عليه حكم فقهي.

❖❖❖ بناءً على ماتقدم يرى الباحث: أنّه كان على النحويين والبلاغيين ومن بعدهم المفسرين أن ينظروا الى النص القرآني بما يحمله من عدول عن المعهود من الكلام، لأنه يفوق الفنون النثرية والشعرية باسلوبه الذي جعله بالغ ذروة التفوق، وكان عليهم ان لايخضعوه الى القواعد التي استنبطوها من كلام العرب، لأنهم أطاحوا بالقيم الجمالية والاعجازية في التعبير القرآني عندما لم يذهبوا الى ذلك. وهنا يرى الباحث ضرورة أن يكون للقرآن الكريم نحو خاص به يتعامل معه نصا متكاملا، لاعلوما متفرقة(صوت-صرف-نحو - دلالة) ويسمى بـ(نحوالنص القرآني)، لأن النحو العربي لم يصل الى مستوى نحو

النص المطلوب تطبيقه على النص القرآني، إذ إنَّ(نحو الجملة)يمثّل أعلى مرتبة من المراتب التي وصل اليها النحويون في دراساتهم النحوية للنص القرآني.

روافد البحث

خير مانبتدىء القول به: القرآن الكريم

- ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، تأليف عبد اللطيف بن ابي بكر الشرجي الزبيدي(٨٠٢هـ)، تحقيق: الدكتور طارق الجنابي، كلية التربية، جامعة الموصل، عالم الكتب، مطبعة النهضة العربية، الطبعة الاولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ م.

- ابن الانباري في كتابه الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، الدكتور محيي الدين توفيق ابراهيم، بحث في مجلة جامعة الموصل، العدد ٣٨ لسنة ١٩٧٩م.

- أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة، الدكتور احمد مكي الأنصاري، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة،، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

- أبو العباس ثعلب وجهوده في النحو، جمهور كريم الخمّاس، رسالة ماجستير مقدّمة الى مجلس كلية الاداب في جامعة البصرة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- اتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربعة عشر، تأليف العلامة شهاب الدين احمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي الشهير بالبنّاء(١١١٧هـ)، وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦ م.

- الإتقان في علوم القرآن، تأليف الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي(٩١١هـ)،، ضبطه وصححه وخرّج آياته: محمد سالم هاشم، منشورات دار ذوي القربى، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ.

- أثرالنحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، القاهرة، مصر، دار نهضة مصر ١٩٧٥م.

- أثر خلاف اللهجات العربية في النحو، يحيى علي يحيى المباركي، دارالنشر للجامعات، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٧ م.
- أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، تأليف الدكتور محمد سمير نجيب اللبدي، دار الكتب الثقافية، الكويت - حولي، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.
- الإحكام في اصول الأحكام، لأبي محمد علي بن احمد بن سعيد، ابن حزم الظاهري(٤٥٦هـ)، تحقيق: احمد محمد شاكر، منشورات دارالآفاق الجديدة، الطبعة الاولى بيروت ١٩٨٠ م.
- احياء النحو، الاستاذ ابراهيم مصطفى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر ١٩٣٧م.
- الادوات النحوية عند الكوفيين، الدكتور أحمد محمد الجميل، جامعة المنيا، مصر، دارالمعرفة، الاسكندرية، الطبعة الثانية ٢٠٠٧ م.
- الادوات النحوية في كتب التفسير، الدكتور محمود احمد الصغير،، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، الطبعة الاولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م.
- اساس البلاغة، لجارالله أبي القاسم محمود بن عمرالزمخشري(٥٣٨هـ)، تحقيق: عبدالرحيم محمود، بيروت ١٩٧٩م، وطبعة القاهرة، تحقيق: محمد نديم ١٩٥٣م.
- اسباب التعدد في التحليل النحوي، الدكتور محمود حسن الجاسم، منشورات جامعة حلب، كلية الآداب، ٢٠٠٣م.
- اسم الفاعل بين الاسمية والفعلية، الدكتور فاضل مصطفى الساقي، القاهرة، مصر، الطبعة الرابعة ١٩٧٠ م.

- الأشباه والنظائر في النحو: عبد الرحمن بن كمال جلال الدين السيوطي(٩١١هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة، ١٩٧٥م.

- اشكالية التاريخ لنشأة المصطلح النحوي، الدكتور عبد القادر المهيري، بحث منشور في مجلة(المعجمية) العدد ٥ -٦ لسنة ١٩٨٩- ١٩٩٠م، ص: ٤٧٧ - ٤٨٤، جامعة تونس للآداب والفنون والعلوم الانسانية.

- اصل المشتقات، جواد محمد الدخيل، مقال في مجلة الفيصل السعودية، العدد١١٦، لسنة ١٩٨٦م.

- ا لاصول، دراسة ايبستمولوجية لاصول الفكر اللغوي العربي، الدكتور تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، الدارالبيضاء، ١٤١١هـ -١٩٩١م.

- اصول التفكيرالنحوي، الدكتورعلي ابو المكارم، الجامعة الليبية، بيروت، مطابع دارالقلم ١٩٧٩م.

- الاصول في النحو، لأبي بكر السراج البغدادي(٣١٦هـ) تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مطبعة سلمان الاعظمي، بغداد ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

- أصول النحو العربي، الدكتور محمدعيد، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٢م.

- اصول النحو عند البغدادي، دراسة في شواهد الخزانة، الدكتورة فاطمة راشد الراجحي، جامعة الكويت، كلية الاداب، قسم اللغة العربة وآدابها، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الخمسة والعشرون، الرسالة الخامسة والعشرون بعد المئتين ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

- اعجازالقرآن، لأبي بكرمحمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة ١٣٧٤هـ - ١٩٧٤م.

- اعجازالقرآن، مصطفى صادق الرافعي، مطبعة الاستقامة، الطبعة السادسة، القاهرة، مصر، د.ت.

- اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، تأليف امام اللغة والادب ابي عبد الله الحسين بن احمد المعروف بابن خالويه(٣٧٠هـ)، دارالتربية للطباعة والنشر والتوزيع.

- الاعراب على الخلاف في الجملة العربية، الدكتور صاحب ابو جناح، بحث في مجلة المورد التراثية بغداد، العدد الثالث، عن المجلد الثالث عشر لسنة ١٩٨٤ م.

- إعراب القرآن، لأبي جعفر احمد بن محمد إسماعيل النحاس(٣٣٨هـ)، تحقيق: الدكتور زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ -١٩٧٧م.

- الأغاني، لأبي علي بن الحسين الأصفهاني(٣٥٦هـ)، الطبعة الأولى، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- الاقتراح في علم اصول النحو، الامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي(٩١١هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٨هـ -١٩٩٨ م.

- الاقتضاب في شرح ادب الكاتب، عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي(٥٢١هـ)، بيروت دار الجيل ١٩٧٣م.

- الاقوال الشاذة في التفسير(نشأتها واسبابها وآثارها)، الدكتورعبد الرحمن بن صالح الدهش، سلسلة اصدارات الحكمة، مانشستر، بريطانيا، الطبعة الاولى ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.

- الاكليل في المتشابه والتأويل، لابن تيمية، طبعة القاهرة، مصر ١٩٤٧م

- الألسنية العربية، ريمون طحان، بيروت، دار الكتاب اللبناني، المكتبة الجامعية، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

- أمـالي المرتضـى، الشـريف المرتضـى علـي بـن الحسـين الموسـوي العلـوي(٤٣٦هـ)، تحقيـق: محمـد ابـو الفضـل ابـراهيم، بـيروت، الطبعـة الثانيـة ١٣٨٧هـ -١٩٦٧م.
- الأمالي الشجربة، ضياء الدين ابي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي ابن الشجري(٥٤٢هـ)، طبعة بيروت.
- انباه الرواة على أنباه النحاة، الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي(٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تأليف الشيخ الإمام كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن أبي سعيد الانباري(٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.
- الإيضاح في علل النحو، لأبي القاسم الزجاجي(٣٣٧هـ)، تحقيق: الدكتور مازن المبارك، دار النفائس، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن(٧٣٩هـ)تحقيق: لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالأزهر، أعادت طبعه بالاوفسيت مكتبة المثنى بيغداد.
- ايضاح الوقف والابتداء، محمد بن القاسم بن بشار ابو بكربن الانباري(٣٢٨هـ)، تحقيق: محي الدين يحيى عبد الرحمن رمضان، دمشق، مجمع اللغة العربية ١٣٩٠ هـ.
- البحث الدلالي في تفسير الميزان، دراسة في تحليل النص، الدكتور مشكور كاظم العوادي، مؤسسة البلاغ، بيروت – لبنان، الطبعة الاولى ٢٠٠٣ م.
- البحث اللغوي عند العرب، الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ.

- البحث النحوي عند الاصوليين، الدكتور مصطفى جمال الدين، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٠ م.

- بحر العلوم المسمى(تفسير السمرقندي)، لأبي الليث نصر بن أحمد بن ابراهيم السمرقندي(٣٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الرحيم أحمد الزقّة، الطبعة الاولى، مطبعة الارشاد، بغداد ١٩٨٥م.

- البحر المحيط، لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الغرناطي(٧٤٥هـ)، مكتبة ومطابع النصر الحديثة لأصحابها عبد الله و محمد صالح الراشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود وآخرين، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

- بحوث مصطلحية، الدكتور أحمد مطلوب، منشورات المجمع العلمي، مطبعة المجمع العلمي ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

- بحوث ودراسات في اللغة وتحقيق النصوص، الدكتور حاتم صالح الضامن، مطبعة جامعة الموصل ١٩٩٠ م.

- بدائع الفوائد، ابو عبد الله محمد بن ابي المشقي المعروف: ابن القيّم الجوزي(٧٥١هـ)، عنى بتصحيحه ومقابلة اصوله والتعليق عليه ادارة الطباعة الميرية بالقاهرة.

- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي(٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

- البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني(٦٥١هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد مطلوب، والدكتور ة خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الاولى ١٩٧٤م.

- البسيط في شرح جمل الزجاجي، لأبن ابي ربيع الاشبيلي(٦٨٨هـ)تحقيق: الدكتور عيّاد الثبيتي، دار الغرب الاسلامي،، بيروت – لبنان ١٤٠٧هـ -١٩٨٦م.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٦٤ م.

- البلاغة والاسلوبية،، الدكتور محمد عبد المطلب، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.

- البيان في غريب اعراب القرآن، لأبي بركات بن الانباري(٥٧٧هـ)، تحقيق: طه عبد الحميد طه، مراجعة: مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

- البيان والتبيين، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الاولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.

- تأثر العربية باللغات اليمنية القديمة، الاستاذ هاشم الطَعان، بغداد، مطبعة الارشاد ١٩٦٨م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي(١٢٠٥هـ)، القاهرة، المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ - ١٣٠٧ هـ.

- تاريخ الادب العربي، كارل بروكلمان(١٣٧٥هـ)، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الرابعة ١٩٧٧ م.

- تاريخ النحو واصوله، الدكتورعبد الحميد السيد، القاهرة، مكتبة الشباب ١٩٧٦ م.

- تاريخ اليمن الحديث والمعاصر من المتوكل اسماعيل الى المتوكل يحيى حميد الدين، الدكتور حسين عبد الله العمري، دار الفكر، مكتبة الاسرة ١٩٧٩ م.

- تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة(٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ

- التأويل النحوي عند المفسرين، مجمع البيان للطبرسي انموذجا، حسين خضير، مجلة الوعي اللغوي، العدد العاشر، لسنة ٢٠٠٩م، الجمهورية العربية السورية.

- التأويل النحوي في القرآن الكريم، الدكتور عبد الفتاح الحموز، الرياض، الطبعة الأولى ١٩٧٥م، مكتبة الرشد، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- تأويلات أهل السنة(تفسير الماتردي)، ابو منصور محمد بن محمد(٣٣٣هـ)، تحقيق: الدكتور محمد مستفيض الرحمن، بغداد مطبعة الارشاد ١٩٨٣ م.

- التبيان في اعراب القرآن، أبو البقاء العكبري(٦١٦هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، الطبعة الاولى، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ١٩٧٦م.

- التبيان في تفسير القرآن، ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: احمد حبيب العاملي، دار احياء التراث العربي.

- التبيين عن اختلاف النحويين البصريين والكوفيين، تأليف: أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري(٦١٦هـ)، تحقيق ودراسة الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الدار اللبنانية بيروت، الطبعة الاولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١١م.

- التحويل في النحو العربي، مفهومه، أنواعه، صوره، البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة، الدكتور رابح بو معزة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الطبعة الاولى، عمان، الأردن، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.

- تذكرة النحاة، محمد بن يوسف أبو حيان الاندلسي(٧٤٥هـ)، تحقيق الدكتور: عفيف عبد الرحمن، بيروت لبنان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الاولى ١٤١٦هـ.

- التراكيب اللغوية في العربية، دراسة وصفية تطبيقية، الدكتور هادي نهر، كلية الا داب، الجامعة المستنصرية، مطبعة الارشاد، بغداد ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م.

- التطور النحوي للغة العربية، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية سنة ١٩٢٩م المستشرق الالماني: برجرستراسر، أخرجه وصحّحه وعلّق عليه الدكتور رمضان عبد التواب العميد السابق لكلية الآداب جامعة عين شمس، الناشر مكتبة: الخانجي بالقاهرة، الطبعة الرابعة ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م.

- تعدد الاحتمالات النحوية وأثرها الدلالي في كتاب منة المنان للسيد الشهيد محمد الصدر(قدس)، تأليف الدكتورعبد الكاظم محسن الياسري، طبع في لبنان، الطبعة الاولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م.

- تعدد التوجيه النحوي، مواضعه، أسبابه، نتائجه، الدكتور محمد حسنين صبرة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الاولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.

- التعريفات، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني(٨١٦هـ)، داراحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

- تفسير ابن ابي حاتم الرازي(٣٢٧هـ)، تأليف ابن ابي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن ادريس الرازي التميمي، تحقيق: اسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، لبنان - صيدا.

- التفسير البسيط، لأبي الحسن علي بن احمد بن محمد الواحدي(٤٦٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد بن صالح بن عبد الله الفوزان، أشرف على طباعته واخراجه الدكتورعبد العزيز بن سطام آل سعود، والاستاذ الدكتور تركي بن سهو العتيبي، جامعة الامام محمد بن مسعود الاسلامية ١٤٣٠ هـ، سلسلة الرسائل الجامعية.

- التفسير البياني للقرآن الكريم، الدكتورة عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطىء)، الجزء الاول والثاني، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٨م.

- تفسير القرآن العزيز، المشهور بتفسير ابن زمنين، عبد الله محمد عبد الله بن ابي زمنين(٣٩٩هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل، وأحمد فريد

المؤيدي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الاولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- تفسير القرآن العظيم، المشهور بتفسير ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل القرشي الدمشقي(٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن حمد السلامة، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

- التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن المعروف بالفخر الرازي(٦٠٦هـ)، عالم الكتب، بيروت - لبنان ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- تفسير الكشف والبيان، للامام ابي اسحاق أحمد المعروف بالامام الثعلبي(٤٢٧هـ)، دراسة وتحقيق الامام ابي محمد بن عاشور، مراجعة الاستاذ نظير الساعدي، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الاولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

- تفسير لطائف الاشارات، المشهور بتفسير القشيري، عبد الكريم زين الاسلام(٤٦٥هـ)، قدّم له وحققه وعلّق عليه الدكتور ابراهيم بسيوني، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة – مصر.

- التفسير اللغوي وأثره في اظهار المعاني القرآنية، دراسة في علم التفسير، الدكتور عثمان حسين عبد الله الفراجي، مركز البحوث والدراسات الاسلامية، بغداد، ديوان الوقف السني ٢٠٠٧ م.

- تفسير المنار(تفسير القرآن الكريم)السيد محمد رشيد رضا، الطبعة الثانية، مصر، دار المنار ١٩٥٣ م.

- تفسيرالنكت والعيون، المشهور بتفسير الماوردي(٤٥٠هـ)، تصنيف ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، راجعه وعلق عليه السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، تحقيق: خضر محمد خضر، طبعة الكويت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م.

- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، دار الكتب للطبع والنشر، الطبعة الاولى ١٣٨١هـ - ١٩٦١ م.
- تمثال الامثال، لأبي المحاسن محمد بن علي العبدري، الشيبي(٨٣٧هـ)، تحقيق: اسعد ذيبان، بيروت - لبنان ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- تهذيب اللغة، ابو منصور محمد بن احمد الأزهري(٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- توجيه اللمع، لابن الخباز(٦٣٩هـ)، تحقيق: الدكتور فايز زكي محمد علي،، دار السلام، القاهرة، الطبعة الاولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.
- تيسير النحو وبحوث اخرى، تأليف الدكتورة خديجة الحديثي، مطبعة المجمع العلمي ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧ م.
- جامع البيان عن تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري(٣١٠هـ)، تأليف الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الامة على تقدمه في التفاسير الامام ابي جعفر محمد بن جرير الطبري، ضبط وتعليق: محمود شاكر الحرستاني، تصحيح: علي عاشور، الطبعة الاولى، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن احمد الانصاري القرطبي(٦٧١هـ)، بيروت، دار التراث العربي، الطبعة الثانية ١٩٦٥ م.
- الجمل في النحو، لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي(٣٣٧ هـ)، تحقيق: الدكتور علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الامل، بيروت وأربد، الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- جمهرة اللغة، لابن دريد(٣٢١هـ)، بيروت – لبنان، دار صـــادر.
- الجنى الداني في حروف المعاني، صنعة الحسن بن قاسم المرادي(٧٤٩هـ)، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، والاستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.

- جهود الباحثين العراقيين في تيسير النحو من ١٩٥٠ -٢٠٠٠م دراسة وتقويم، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الاداب، جامعة الكوفة، محمد ياسين عليوي الشكري، اشراف الدكتور عبد الكاظم محسن الياسري ٢٠٠٧ م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، الطبعة الا ولى، دار الآفاق العربية، القاهرة ٢٠٠٢ م.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الامام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ابو زيد الثعالبي المالكي(٨٧٥هـ): تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل احمد عبد الموجود، والاستاذ عبد الفتاح ابو سنة، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان ١٤١٨ هـ.
- حاشية الصبان على شرح الاشموني على الفية ابن مالك في فن العربية،، محمد بن علي بن الصبان ابو العرفان(١٢٠٦هـ)، تحقيق: محمود بن الجبل، مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الاولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.
- حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد ابو زرعة(القرن الرابع الهجري)، تحقيق: الاستاذ سعيد الافغاني، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ.
- الحدود في النحو، للرماني، تحقيق: الدكتور مصطفى جواد، بغداد ١٩٦٩م.و تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي، دار الفكر العربي، عمان ١٩٨٤ م.
- الحذف والتقدير في الدراسة النحوية، الدكتور عائد كريم علوان الحريزي، مطبعة السراج المنير، الحويش، النجف الاشرف، دار الكتب والوثائق ٢٠٠٩م.
- الحذف والتقدير في النحو العربي، الدكتور علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الاولى ٢٠٠٧ م.
- الحروف الزائدة في ضوء الدراسات القرآنية، الدكتور طالب محمد اسماعيل الزوبعي، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٩ م.

- الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين، اعداد: هادي عطية مطر الهلالي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت الطبعة الاولى ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.
- الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر ١٣٥٦هـ - ١٩٧٨م.
- الخصائص، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني(٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الطبعة الرابعة، مزيدة ومنقحة، مشروع النشر العربي المشترك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار الشؤون الثقافية العامة.
- خطى متعثرة على طريق تجديد النحو العربي، الدكتور عفيف دمشقية، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٢ م.
- الخلاف بين النحويين(دراسة - تحليل - تقويم)، الدكتور سيد رزق الطويل، مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية، الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ.
- الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين وكتاب الانصاف، الدكتور محمد خير الحلواني، دار الاصمعي ودار القلم العربي بحلب ١٩٧٤م.
- الدرس النحوي في بغداد، الدكتور مهدي المخزومي، وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٧٤ م.
- الدرس النحوي في القرن العشرين،، عبد الله جاد الكريم، مكتبة الآداب مصر، الطبعة الاولى، ٢٠٠٤ م.
- دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، الدكتور صاحب ابو جناح، كلية الآداب، جامعة مؤته، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
- دراسات لاسلوب القرآن الكريم، الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، مصر مطبعة السعادة، الطبعة الاولى ١٩٧٣ م.

- دراسة الطبري للمعنى في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف محمد المالكي، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في المملكة المغربية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

- دراسة في المصطلح النحوي عند الكوفيين، الدكتورعبد الكاظم محسن الياسري، ٢٠٠٧ م

- دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء، الدكتور كاظم ابراهيم كاظم، دارقنيبة للطباعة والنشر، طرابلس، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م.

- دروس في المذاهب النحوية، الدكتورعبده الراجحي، بيروت – لبنان، دار النهضة العربية ١٩٨٠ م.

- دلائل الاعجاز، تأليف الشيخ الامام ابي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ)، قرأه وعلق عليه: أبو فهر/ محمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، اللطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

- ديوان الاعشى، شرحه: الدكتور محمد محمد حسين، المطبعة النموذجية، القاهرة، مصر ١٩٥٠ م.

- ديوان امريء القيس، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة، مصر، دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٦٤ م.

- ديوان جرير، تأليف: محمد اسماعيل عبد الله الصاوي، مضافا اليه تفسيرات العالم اللغوي ابي جعفر بن حبيب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان.

- ديوان عمر بن ابي ربيعة، لبنان – بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٦٦ م.

- الذات الالهية والمجازات القرآنية والنبوية وازالة شبهة التشبيه والتجسيم من اساسها، تأليف: الاستاذ سعد رستم،، الناشر: الاوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، سورية – دمشق، الطبعة الاولى ٢٠٠٢ م.

- الرازي النحوي من خلال تفسيره، رسالة ماجستير، يحيى الطوبجي، كلية الآداب – جامعة الموصل، ١٩٨٦م.

- الرد على النحاة، لأبي العباس احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء القرطبي(٥٩٢هـ)، ويليه كتاب مختصر الالفات لأبي بكر محمد بن القاسم الانباري(٣٢٨هـ)تحقيق محمد حسن محمد حسن اسماعيل، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الاولى ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.

- رصف المباني في شرح حروف المعاني، احمد بن عبد النور المالقي(٧٠٢هـ)، تحقيق: الدكتور احمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ.

- زاد المسير في علم التفسير، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الاولى ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

- الزاهر، لأبي بكر محمد بن القاسم الانباري(٣٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، العراق، دار الرشيد ١٩٧٩ م.

- سر صناعة الاعراب، ابو الفتح عثمان بن جنبي النحوي(٣٩٢هـ)، تحقيق: الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م، والطبعة الثانية، تحقيق: محمد حسن اسماعيل و احمد رشدي عامر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى ٢٠٠٠م.

- شرح ابن عقيل، على الفية ابن مالك، قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري(٧٦٩هـ)، تأليف: محمد محي الدين عبد

الحميد، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، مطبعة السعادة، الطبعة الرابعة عشر ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م.
- شرح الفية ابن معط، عبدالعزيز الموصلي بن القواس(٦٩٦هـ)، تحقيق: الدكتور علي موسى الشوملي، الرياض، مكتبة الخريجي، الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ.
- شرح التسهيل(ابواب النحو) لابن أم قاسم المرادي(٧٤٩هـ)، تحقيق: محمد عبد النبي محمد، مكتبة الايمان، المنصورة، مصر، الطبعة الاولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.
- شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور الاشبيلي(٦٦٩هـ)، تحقيق: الدكتور صاحب ابو جناح، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- شرح الحدود النحوية، عبد الله بن احمد بن علي الفاكهي(٩٧٢ هـ)، تحقيق: الدكتور زكي فهمي الآلوسي، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق ١٩٨٨ م.
- شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، الاستاذ بكلية اللغة العربية والدراسات الاسلامية، منشورات جامعة قار يونس١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م(الاجزاء ١- ٥).
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام الانصاري(٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لا بي بكر محمد بن القاسم الانباري(٣٢٨هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية ١٩٦٩ م
- شرح المختصر على تلخيص المفتاح، سعد الدين مسعود بن عمرالتفتازاني(٧٩١هـ)، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، منشورات دار الحكمة.

- شرح المفصّل للزمخشري، الشيخ موفق بن يعيش النحوي(٦٤٣هـ)، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه، الدكتور أميل بعقوب، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، لأحمد بن فارس(٣٩٥هـ)، تحقيق: مصطفى السنوسي، بيروت ١٩٦٤م
- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفار عطار، دارالعلم للملايين، بيروت - لبنان، اللطبعة الرابعة كانون الثاني ١٩٩٠م.
- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد علي البجاوي و محمد ابو الفضل ابراهيم، الطبعة الثانية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ١٩٧١م.
- ضحى الاسلام، احمد امين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، الطبعة السابعة ١٩٦٤ م.
- طبقات النحويين واللغويين، لابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي(٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية ١٩٨٤ م
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، ليحيى بن حمزة العلوي(٧٤٩هـ+)، مصر ١٩١٤م.
- الظاهر اللغوي في الثقافة العربية، دراسة في المنهج الدلالي، ناصر المبارك، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مملكة البحرين -وزارة الاعلام، الثقافة والتراث الوطني.
- ظاهرة التأويل في الدرس النحوي، بحث في المنهج، محمد الخثران، النادي الادبي، الرياض ١٤٠٨ هـ.
- ظاهرة التأويل وصلتها باللغة، احمد عبد الغفار، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

- ظـاهرة الحـذف في الـدرس اللغـوي، طـاهر سـليمان حمـودة، جامعـة الاسكندرية، كلية الآداب، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩٨ م.
- ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، الدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني، وكالة المطبوعات، الكويت، شارع فهد السالم، الطبعة الاولى ١٩٧٤ م.
- ظهر الاسلام، أحمد امين، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩.
- العربية تواجه العصر، تأليف الدكتور ابراهيم السامرائي، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد ١٩٨٢ م.
- العربيـة والفكـر النحـوي، ممـدوح عبـد الـرحمن، دار المعرفـة الجامعيـة، الاسكندربة، مصر ١٩٩٩ م.
- علـم اعـراب القرآن تأصيل وبيان، يوسف بـن خلف العيساوي، تقديم الـدكتور حـاتم صـالح الضـامن، دار الصـميعي للنشـر والتوزيـع، الطبعـة الاولى ١٤٢٨ هـ -٢٠٠٧ م.
- علـم الدلالـة، أف -آر- بـالمر، ترجمـة مجيـد الماشـطة، الجامعـة المستنصـرية، بغداد ١٩٨٥ م.
- الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري(٤٠٠هـ)، تحقيق: لجنة احياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٨٠ م.
- فقه اللغة المقارن، الدكتور ابراهيم السامرائي، دار الحكمة، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٨ م.
- فكرة النظم بين وجوه الاعجاز في القرآن، الدكتور فتحي احمد عـامر، مطابع الاعلام، القاهرة ١٩٧٥ م.
- فلسفة المنصوبات في النحو العربي، تأليف الاستاذ الدكتور عائد كريم علوان الحريزي، العراق ٢٠٠٨ م.

- الفهرست، محمد بن احمد بن ابي يعقوب اسحاق ابو الفرج بن النديم(٣٨٦هـ)، تحقيق: رضا، تجدد، طهران ١٩٧١ م.
- في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث، الدكتور نعمة رحيم العزاوي، جامعة بغداد، كلية ابن رشد للبنات، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الاعظمية ١٩٩٥ م.
- في اللغة عند الكوفيين، شرف الدين علي الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٩٤ م.
- في المصطلح الاسلامي، الدكتور ابراهيم السامرائي، دار الحداثة، بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٩٩٠ م.
- في النحو العربي نقد وتوجيه، الدكتور مهدي المخزومي، بيروت، الطبعة الاولى ١٩٦٤م.
- القاموس المحيط والقاموس الوسيط، لمجد الدين الفيروز آبادي(٨١٧هـ)، شرح وديباجة القاموس على الحواشي الفراللهويني، مطبعة السعادة ١٩١٣ م.
- القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، الدكتور عبد العال سالم مكرم،، دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م.
- القطع والإئتناف، ابو جعفر النحاس(٣٣٨هـ)، تحقيق: الدكتور احمد خطاب العمر، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الاولى ١٩٧٨م.
- القياس النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة، محمد عاشور السويح، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، مصراته، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، الطبعة الاولى ١٣٩٥ هـ -١٩٨٦م.
- الكـــتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م.

- الكسائي رئيس المدرسة الكوفية، الدكتور كمال ابراهيم، بحث في مجلة كلية التربية، جامعة بغداد(الاستاذ)، العدد ١٤ لسنة ١٩٦٧ م.

- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم المعروف بـ(موسوعة اصطلاح العلوم الاسلامية)، محمد بن علي الفاروقي التهانوي(ق ١٢ هـ)، الجزئين الاول والثاني، تحقيق: الدكتور لطفي عبد البديع، والدكتور عبد المنعم محمد حسين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف ١٣٨٢ هـ -١٩٦٣ م، الجزء الثالث الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ م، الجزء الرابع الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٧٧ م.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل من وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر ابو القاسم الزمخشري(٥٣٨هـ)، دار المعرفة، بيروت – لبنان.

- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة مصطفى بن عبد الله(١٠٦٧هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

- الكوفيون في النحو والصرف والمنهج الوصفي المعاصر، الدكتور عبد الفتاح الحموز، دار عمار، عمان، الطبعة الاولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م.

- اللامات، علي بن محمد الهروي، تحقيق وتعليق: يحيى البلداوي، الكويت، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م.

- لسان العرب، الامام العلامة ابن منظور(٧١١هـ)، اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

- مباحث في لغة القرآن الكريم وبلاغته، الاستاذ الدكتور عائد كريم علوان الحريزي، استاذ الدراسات العليا، كلية الآداب، جامعة الكوفة، العراق ٢٠٠٨ م.

- مباحث لغوية من حياة اللغة العربية، بين الفصحى واللهجات المعاصرة، المعرَب والدخيل في اللغة العربية، المصطلح العلمي العربي، تأليف: الدكتور مناف مهدي محمد الموسوي،، دار البلاغة بيروت – لبنان ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م.

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الاثير، تحقيق أحمد الحوفي وزميله، دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

- مجاز القرآن لأبي عبيدة، معمر بن المثنى ابوعبيدة(٢١٠هـ)، تحقيق: الدكتور محمد فؤاد سزكن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٩٨١ م.

- مجالس ثعلب، تأليف: ثعلب ابو العباس احمد بن يحيى(٢٩١هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطابع دار المعارف بمصر ١٩٦٠م، القسم الاول الطبعة الثالثة ١٩٦٩م، والقسم الثاني الطبعة الرابعة ١٩٨٠ م.

- مجمع البيان، أمين الاسلام ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(٥٤٨هـ)، دار احياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الاولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.

- المحتسب في تبيين وجه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح بن جني(٣٩٢هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٦هـ.

- المحكم والمحيط الاعظم في اللغة، علي بن اسماعيل بن سيده(٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، الطبعة الاولى ١٣٧٧هـ - م١٩٥٨.

- المحيط في اللغة، الصاحب اسماعيل بن عباد(٣٨٥هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار الرشيد ١٩٨١ م.

- مختار الصحاح، تأليف: محمدبن ابي بكر بن عبد القادر الرازي(بعد ٦٦٦هـ)، دار الرسالة، الكويت.

- المدارس النحوية، الدكتور شوقي ضيف، الطبعة العاشرة، دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٨ م.

- المدارس النحوية، تأليف الدكتورة خديجة ألحديثي، الطبعة الثانية، مطابع دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠م.

- المدارس النحوية، اسطورة وواقع، تأليف لدكتور ابراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى ١٩٨٧ م.

- المدخل الى تقويم اللسان، لابن هشام اللخمي(٥٧٧هـ)، تحقيق: الاستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن، كلية الدراسات الاسلامية والعربية بدبي، دار البشائر الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣ م، بيروت – لبنان.

- مدخل الى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الاخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم، ناشرون، الطبعة الاولى ذ٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

- مدرسة البصرة النحوية، نشأتها وتطورها، الدكتورعبد الرحمن السيد، دار المعارف، مصر، الطبعة الاولى ١٣٨٨هـ.

- مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو، تأليف الدكتور مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م

- مراتب النحويين، عبد الواحد بن علي ابو الطيب اللغوي(٣٥١هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، المطبعة العصرية، صيدا – بيروت – لبنان، الطبعة الاولى١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.

- المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن للهجرة، الدكتور عبدالعال سالم مكرم، نشر وطبع دار الشروق، بيروت ١٩٨٠ م.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي(٩١١هـ)، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى ألبابي الحلبي، الطبعة الرابعة، مصر، ١٩٥٨م.

- مسائل الخلاف النحوي بين الكوفيين، الدكتورمهدي صالح الشمري، كلية الآداب، جامعة بغداد ٢٠٠٦ م.

- المستصفى من علوم الاصول، لأبي حامد الغزالي(٥٠٥هـ)، الطبعة الاولى، مصر، ١٣٢٤هـ.

- مسند أحمد، تأليف: الامام احمد بن حنبل(٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان.

- مشكل اعراب القرآن، ابو محمد مكي بن ابي طالب القيسي(٤٣٧هـ)، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، دار الحرية للطباعة، بغداد، الطبعة الثالثة ١٩٧٥ م.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، احمد بن محمد بن علي الفيومي(٧٧٠هـ)، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣ م.

- المصطلح ماهو وكيف نضعه؟ الدكتور سعيد طه ياسين، بحث في مجلد مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي، طباعة بغدا د ١٩٨٠ م.

- مصطلح النحو العربي بين الاصل المادي والتطور الدلالي، الدكتور محمد كشاش، بحث في مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق، العدد ٦٨، ربيع الاول ١٤١٨هـ - آب ١٩٩٧م، السنة السابعة عشر.

- المصطلح النحوي في كتاب سيبويه، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، صباح عبد الهادي ٢٠٠٢ م.

- المصطلح النحوي، نشأته وتطوره حتى اواخر القرن الثالث الهجري، تأليف عوض حمد القوزي، الناشر: عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الاولى ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

- مصطلحات الدلالة العربية، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، الدكتور جاسم محمد العبود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م.

- مصطلحات المذاهب الفقهية واسرار المرموز في الاعلام والكتب والآراء والترجيحات، الدكتورة مريم صالح الظفيري، دارابن حزم، بيروت-لبنان، الطبعة الاولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢.
- مظاهر التطور في اللغة العربية، الدكتور نعمة رحيم العزاوي، بغداد، دار الشؤون
الثقافية العامة، آفاق عربية، الطبعة الاولى ١٩٩٠ م.
- معاني القرآن، لعلي بن حمزة الكسائي(١٨٩هـ)، أعاد بناءه وقدم له: الدكتور عيسى شحاته عيسى، مدرس العلوم اللغوية، كلية الدراسات العربية، جامعة المنيا، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٨٨ م.
- معاني القرآن، تأليف: أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء(٢٠٧هـ)، تحقيق: احمد يوسف نجاتي - محمد علي النجار، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م.
- معاني القرآن، سعيد بن مسعدة الاخفش، تحقيق: الدكتور فائز فارس، الشركة الكويتية، الطبعة الثانية ١٩٨١م.
- معترك الاقران في اعجاز القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي ١٩٧٠ م
- معجم الادباء، لياقوت بن عبد الله الحموي(٦٢٦هـ)، مطبعة دار المأمون، مصر ١٩٣٦م.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت - لبنان ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- معجم الجملة القرآنية، الدكتور طالب محمد اسماعيل، جامعة الموصل، دار الكتب ١٩٨٨م.
- كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدي(١٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور ابراهيم السامرائي، بغداد، مطبعة العاني ١٩٨٢ م.

- معجم القراءات القرآنية، مع مقدمة في القراءات وأشهر القرّاء، اعداد الدكتورعبد العال سالم مكرم، جامعة الكويت، دار الاسوة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية.
- معجم لغة الفقهاء، الدكتور محمد رواس قلعة جي، والدكتور حامد صادق قنيبي، دار النفائس، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.
- معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، الدكتور محمد ابراهيم عبادة، القاهرة، مصر، دار المعارف.
- المعجم الوسيط، أخرجه الدكتور ابراهيم أنيس وآخرون، الطبعة الثانية، دارالامواج، بيروت –لبنان ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.
- المعنى في ظاهرة تعدد وجوه الاعراب، الدكتور خليل عمايرة، عمان – الاردن، الطبعة الاولى ١٩٩١م
- المعنى القرآني بين التأويل والتفسير، دراسة تحليلية معرفية في النص القرآني، عباس أمير، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الاولى ٢٠٠٨ م.
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، تأليف الامام: أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن احمد بن عبد الله بن هشام الانصاري المصري(٧٦١هـ)، حققه وفصله وضبط غرائبه محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، شارع العباسية.
- مفاتيح العلوم، لأبي عبد الله محمد بن احمد الخوارزمي(٣٨٧هـ)، مطبعة الشرق، القاهرة، مصر، الطبعة الاولى ١٣٤٢هـ.
- مفتاح العلوم، ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر محمد بن علي السكاكي(٦٢٦هـ)مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الاولى ١٩٣٧ م.

- مفردات الفاظ القرآن، العلامة الراغب الاصفهاني(٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، المدينة المنورة، شعبان ١٤٠٨ هـ.
- المفصّل في علم العربية، جار الله محمود بن عمر الزمخشري(٥٣٨هـ)، طبعة ادارة الطباعة الميرية بمصر، مطبوع مع شرحه لابن يعيش.
- مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس(٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٣٦٦ هـ - ١٣٧١ هـ
- المقتضب، صنعة ابي العباس محمد بن يزيد المبرد(٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، جمهورية مصر العربية، وزارة الاوقاف، المجلس الاعلى للشؤن الاسلامية، لجنة احياء التراث الاسلامي، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م.
- مقدمة ابن خلدون(كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر)، طبع على نفقة ملتزمه عبد الرحمن محمد، ملتزم طبع المصحف الشريف بمصر، صاحب المطبعة البهية المصرية بميدان الازهر المنير بمصر ١٩٤٥م.
- مقدمة في تاريخ العربية، الدكتور ابراهيم السامرائي، الموسوعة الصغيرة(٥٣)، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، دارالحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٩ م.
- مقدمة في علم المصطلح، تأليف الدكتور: علي القاسمي، منشورات الموسوعة الصغيرة، تصدرها دائرة الشؤون الثقافية والنشر، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٥ م.
- مقدمة في النحو، خلف بن حيان الاحمر(١٨٠ هـ)، تحقيق: عز الدين التنوخي، دمشق، وزارة الثقافة ١٣٨٠ هـ.
- مراكز نشأة الدراسات اللغوية، الدكتورة خديجة الحديثي، بحث في مجلة جامعة بغداد، كلية الآداب، سلسلة(حضارة العراق).

- مناهج البحث في اللغة، الدكتور تمام حسّان، الناشر: مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٩٠ م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر، الطبعة الثانية ١٣٦٢ هـ.
- من تاريخ النحو، تاريخ ونصوص، الاستاذ سعيد الافغاني، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.
- المنجد في اللغة والادب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت – لبنان، دار المشرق، توزيع المكتبة الشرقية آب ١٩٦٠ م.
- المنطلقات التأسيسية والفنية في النحو العربي، الدكتور عفيف دمشقية، معهد الانماء العربي، بيروت، الطبعة الاولى ١٩٧٨ م.
- من قضايا اللغة والنحو، تأليف الاستاذ علي النجدي ناصف، القاهرة، مصر ١٩٥٧ م.
- منهج الأخفش الاوسط في الدراسات النحوية، الدكتور عبد الامير محمد امين الورد، بغداد، دار التربية، الطبعة الاولى ١٣٩٥هـ.
- منهج الشيخ ابي جعفر الطوسي(٤٦٠هـ)في تفسير القرآن(دراسة لغوية نحوية بلاغية)، الدكتور كاصد ياسر الزيدي، بيت الحكمة، بغداد، الطبعة الاولى ٢٠٠٤ م.
- المنهج اللغوي في كتاب سيبويه، الدكتورعبد الصبور شاهين، بحث في مجلة الآداب والتربية، جامعة الكويت، العدد الثالث والرابع ١٩٧٣ م.
- المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب، الباحث نوزاد حسن احمد، ١٩٩١ م.
- موسوعة المصطلح النحوي من النشأة الى الاستقرار، الدكتور يوخنا مرزة الخامس، منشورات محمدعلي بيضون، دارالكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الاولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢ م.

- الموفي في النحو الكوفي، صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي(١٣٤٩هـ)، شرح محمد بهجت البيطار، دمشق، مطبعة الترقّي ١٩٥٠م.
- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمدحسين الطباطبائي(١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشرالاسلامي.
- نحو التيسير، دراسة ونقد منهجي، الدكتور احمد عبد الستار الجواري، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- النحو الجديد، الاستاذ عبد المتعال الصعيدي، القاهرة، مصر، دار الفكر العربي، ١٣٦٦هـ.
- نحو القرّاء الكوفيين، رسالة ماجستير، خديجة المفتي، اشراف الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي، دار الندوة الجديدة، بيروت - لبنان، الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ -١٩٨٥م.
- النحو الكوفي في تفسير الطبري، رسالة ماجستير مقدّمة الى كلية تربية البنات في جامعة تكريت، عدنان امين محمد، اشراف الدكتور احمد خطاب العمر ١٤١٨هـ -١٩٩٨ م.
- النحو الكوفي، مباحث في معاني القرآن للفراء، الدكتور كاظم ابراهيم كاظم، عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة اتلاولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- نحوالنص في تأويلات المفسرين، الحذف والتقدير في تفسير النهر الماد لأبي حيان الاندلسي(٧٤٥هـ)انموذجا، الدكتور احمد الصغيرعلي، جامعة قطر، كلية الانسانيات، الطبعة الاولى ٢٠٠١ م.
- النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم، الدكتور محمد صلاح الدين مصطفى بكر، القاهرة، ١٩٧٩م.
- النحو الوظيفي، الاستاذ عبد العليم ابراهيم، دار المعارف ١٩٧٨م.

- النحو وكتب التفسير، الدكتور ابراهيم عبد الله رفيدة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، الطبعة الاولى ١٩٨٢ م، الطبعة الثالثة ١٩٩٠م، مصراته، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

- نزهة الألبّاء في طبقات الادباء، عبد الرحمن بن محمد ابو البركات الانباري(٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار النهضة، مصر ١٩٦٧ م.

- النسق القرآني، دراسة اسلوبية، تأليف الدكتو محمود ديب الجاجي، دار القبلة للثقافة الاسلامية، جدة، المملكة العربة السعودية، الطبعة الاولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

- نشأة النحو وتاريخ اشهر النحاة، الشيخ محمد الطنطاوي، تعليق عبد العظيم الشناوي، ومحمد عبد الرحمن الكردي، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ.

- النشر في القراءات العشر، الامام االحافظ أبوالخير الدمشقي، الشهير بابن الجزري(٨٣٣هـ)، قدم له صاحب الفضيلة الاستاذ على محمد الضباع، خرّج آياته الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

- النظام النحوي في القرآن الكريم - دلائل النظام النحوي، الدكتور: عبد الوهاب حسن محمد، دار الصادق للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، عمان - شارع الملك حسين.

- نظرات في التراث اللغوي العربي، الدكتور عبد القادر المهيري، جامعة تونس للآداب والفنون والعلوم الانسانية، دار الغرب الاسلامية، تونس، الطبعة الاولى ١٩٩٣ م.

- نظرية النحو القرآني، نشأتها، تطورها، مقوماتها الاساسية، الدكتور احمد مكي الانصاري، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، كلية اللغة العربية، دار القبلة للثقافة الاسلامية، الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ.

- النعت في التركيب القرآني، الدكتور فاخر هاشم الياسري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد الاعظمية، الطبعة الاولى ٢٠٠٩ م.

- نقد النثر، قدامة بن جعفر(٣٣٧هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤٠٠هـ ١٩٨٠ م.

- النكت في اعجاز القرآن، ابو الحسن علي بن حسن الرماني(٣٨٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد زغلول(ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن) طبع دار المعارف بمصر.

- النهاية في غريب الحديث والاثر، ابو السعادات بن محجمد الجزري ابن الاثير(٦٣٧هـ)، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناجي وطاهر احمد الزاوي، دار احياء التراث العربي، بيروت.

- نهج البلاغة، المختار من كلام أمير المؤمنين(عليه السلام)، لجامعه الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى(٤٠٦هـ)، تحقيق: السيد هاشم الميلاني، مطبعة التعارف، ط٣/٢٠١٠م.

- هكذا رأيتهم، تأليف الدكتورمحمد حسين علي الصغير، مؤسسة المعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م.

- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي(٩١١هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، والدكتور عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت ١٩٧٥ م.

السيرة الذاتية للمؤلف

الاسم: الدكتور محمد ياسين عليوي الشكري.

محل وتاريخ الولادة: جمهورية العراق / محافظة النجف الأشرف في ١٩٦٣/١/٥.

أكمل الدراسة الابتدائية في مدرسة الاقدام الابتدائية في النجف الأشرف عام ١٩٦٩- ١٩٧٠، وأكمل الدراسة المتوسطة عام ١٩٧٤- ١٩٧٥ في ثانوية الامام علي(ع)، والدراسة الاعدادية عام ١٩٨٢- ١٩٨٣في اعدادية الكندي في النجف الأشرف. وأكمل كلية الآداب في جامعة الكوفة عام ١٩٩٩- ٢٠٠٠م، قسم اللغة العربية وكان ثالثا على دفعته.

حاصل على شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب / جامعة الكوفة عام ٢٠٠٧م، وكانت رسالته للماجستير بعنوان(جهود الباحثين العراقيين في تيسير النحو من ١٩٥٠- ٢٠٠٠م دراسة وتقويم) وقد أجيزت الرسالة بتقدير(جيد جدا عال).

حاصل على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب/جامعة الكوفة عام ٢٠١٢ م، وكانت اطروحته للدكتوراه بعنوان(النحو الكوفي في تفاسير القرآن في القرون الثالث والرابع والخامس للهجرة) وقد أجيزت الأطروحة بتقدير(جيد جدا). وهي الكتاب الذي بين يديك الآن.

للمؤلف عدة بحوث منشورة في مجلات محكمة، منها:

❖ قراءة في: كتاب التفاحة في النحو لأبي جعفر النحاس(ت٣٣٨هـ) في مجلة اللغة العربية وآدابها التي تصدرها كلية الآداب في جامعة الكوفة، عام ٢٠١٣م.

❖ مديات النص القرآني عند ابن جني(ت٣٩٢هـ) في مجلة القادسيةفي الآداب والعلوم التربوية التي تصدرها كلية التربية في جامعة القادسية عام ٢٠١٣م

❖ آراء الكوفيين التي لم ينسبها ابن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ)في كتابه مغني اللبيب عن كتب الأعاريب في مجلة جامعة أهل البيت(عليهم السلام)في كربلاء المقدسة عام ٢٠١٤م.

❖ دلالة الجذر(س خ ر)في الاستعمال القرآني، منشور في مجلة جامعة كربلاء العلمية عام ٢٠١٤م.

وله مشاركات في مؤتمرات عديدة، منها عربية، ومنها محلية، من المؤتمرات العربية: المؤتمر الدولي الثامن لقسم النحو والصرف والعروض، وقد شاركت بالبحث الموسوم: مديات النص القرآني في خصائص ابن جني(ت٣٩٢هـ) في مارس ٢٠١٣م والمقام في كلية دار العلوم. ومشاركتي في في المؤتمر الدولي(التراث الحضاري بين تحديات الحاضر وآفاق المستقبل) التي تقيمه كلية الآداب - جامعة المنيا - جمهورية مصر العربية في نومفمبر ٢٠١٣، وقد شاركت بالبحث الموسوم(التراث النحوي في الكوفة وأثره في تفسير القرآن الكريم).ومن المؤتمرات المحلية: المؤتمر العلمي الأول لكلية العلوم الاسلامية /جامعة كربلاء، والمؤتمر العلمي الثالث، ومؤتمر الامام الحسين(عليه السلام)السنوي الثالث عام ٢٠١٣م، وغيررها الكثير المشاركات العلمية.فضلا عن تقويم عددا من رسائل الماجستير والدكتوراه لغويا.

❖ منذ عام ٢٠٠٨م والى الآن تدريسي لمادة النحو العربي في قسم اللغة العربية / كلية العلوم الاسلامية / جامعة كربلاء، للدراسات الأولية بمراحلها المختلفة.

نبذة عن الكتاب

يمثل هذا الكتاب دراسة مستفيضة للنحو الكوفي وأثره في تفسير القرآن في القرنين الرابع والخامس للهجرة، لأجل بيان مساحته وأثره في كتاب الله العزيز من جانب، ولعدم نيل النحو الكوفي نصيبا كالنصيب الذي ناله النحو البصري من جانب آخر، على الرغم من أن نظرية العامل عند الكوفيين مستمدة من المعاني والدلالات التي يتضمنها النص غالباً- وهذا يتضح من كتاب معاني القرآن للفراء- الذي كان ساعياً إلى معالجة النصوص عبر تفهمه لـدلالة النص وصولاً إلى الإعراب، لا أن ينجرَّ إلى قاعدة تحكمه ؛فهو يربط بين النحو والمعنى.

على أن هذه الدراسة تسعى إلى إكمال صورة النحو العربي من جانبها الكوفي، وذلك بعد ضياع أهم مصادره الأولى وعدم وصول أي شيء منها إلينا.إذ لم نحصل على كتاب للنحو الكوفي متخصص بالأبواب النحوية المعروفة كما هي الحال في كتاب سيبويه.

على أنَّ هذه الدراسة اقتصرت على التفاسير التي اهتمت بالجانب النحوي- ولو بشكل متوازن- لذلك كان الجانب النحوي في هذه التفاسير هو المعيار الذي يتحدد في ضوئه التفاسير التي تكوِّن المادة العلمية لهذه الدراسة وهي: جامع البيان المعروف بتفسير الطبري(٣١٠هـ)، وتفسير ابن أبي حاتم الرازي(٣٢٧هـ)، و بحر العلوم المعروف بتفسير السمرقندي(٣٧٣هـ)، ومختصر القرآن المعروف بتفسير ابن زمنين(٣٩٩هـ)، والكشف والبيان للثعلبي(٤٢٧هـ)والنكت والعيون المعروف بتفسير الماوردي(٤٥٠هـ)، والتبيان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الشيخ الطوسي(٤٦٠هـ)، وتفسير القشيري(٤٦٥هـ)، و(الوجيز والوسيط والبسيط) المعروفة بتفاسير الواحدي(٤٦٨هـ)، على أن الآراء والقواعد الكوفية كانت على قسمين:

الأول: ما حملوا في ضوئه النص القرآني على ظاهره.

الثاني: ما ذهبوا في ضوئه إلى القول بالزيادة والحذف اضطراراً، لأجل استقامة المعنى، حيث هناك نصوص قرآنية لو حُملت على الظاهر لكان التناقض قائماً في المعنى، وهذا ما اضطرّهم إلى القول بالزيادة والحذف، إذ حتى قولهم هذا هو الأقرب إلى روح اللغة من قول إخوانهم البصريين بالزيادة والحذف، أي أن الكوفيين حرصوا على وصف اللغة على ظاهرها للتيسير. وفي ضوء دراسة النحو الكوفي، سيترتب أثرا ما على تلك الدراسة، وهو واحد مما يأتي:

١-أثر فقهي: يترتب عليه خلاف فقهي بحسب التوجيه النحوي للآية القرآنية، وغالبا ما يكون هذا النوع من الأثر في آيات الأحكام كآية الوضوء{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ} المائدة ٦، وكذلك آية الحج والعمرة، وآية التذكية، وغيرها من آيات الأحكام.

٢ -أثر لغوي وبلاغي: فالأثر اللغوي يترتب عليه إضافة قواعد نحوية إلى قواعد النحو العربي، وكذلك إضافة آراء نحوية إلى القواعد الموجودة أصلاً، وفيه بيان للأثر البلاغي الذي هومن بلاغة القرآن وإعجازه بحسب التوجيه النحوي

٣-أثر عقائدي: يترتب بحسب التوجيه النحوي، فذهاب الكوفيين إلى القول بالحذف كان ساعيا إلى ترتيب أثر عقائدي عليه، فقولهم بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، ٢٢ قد ترتب عليه أثرٌ عقائدي تمثَل في عدم تجسيم الذات الآلهية. وهذا يعني أنه ليس بالضرورة أن ينتج عن كل توجيه نحوي تغيير حكم فقهي، إذ قد يكون الأثر لغويا أو بلاغيا أو عقائديا، والله أعلم.

Abstract

The impact of AL-Kufa grammar upon the explanation of Quran during the fourth and fifth century of the hegira.

This thesis is devoted to clarify the extent of the effect of AL-Kufa grammar on explanation of Quran in these two centuries.

It is shared study between grammar and AL-Tafseer (the explanation of Quran). In that period, AL-Tafseer became independent from AL-Hadeeth.

This was a milestone achieved by AL-Tabari(٣١٠H). He was considered as a father of AL-Tafseer ،that is one of the main reason beyond this study.

In addition to other reason like negligence of it(or most of the researchers kept away from a deep consideration of the opinions, terms and rules which AL-Kufa grammar added to the Arabic grammar.

In the light of what has been mentioned before.

This study tried to complet the image of the Arabic grammar from the side of AL-Kufa grammar after the loss of the most important of its references. what we have now of references of AL-Kufa grammar, are not considered a specialized books like the book of Sebawaih (AL-kitab).

The study consists of three chapters and an introduction preceded by a preface. then the research ends with a conclusion.

The preface clarifies the importance of the Arabic grammar in the explanation Quran, then we threw a light on the conceptions that used in the study.

The first chapter is devoted to study three issues:

-The adoption of what appears (the surface level of the meaning), what is meant by it, the attitude of AL-Kisa'ai, AL-Farraa and tha'alab.

- The second issue is to show thirty sites the grammarian of Kufa have suggested and have been followed by AL-Mufasireen.

- The third issue is explanation of the effect of AL-Kufa grammar on Tafseer of the fourth and fifth centuries.

Chapter tow, the effect of suffix and ellipsis on Tafseer concentrates on illustration of the meaning of suffix and ellipsis in the thought of the grammarian of AL-Kufa.

The important sites of suffix and ellipsis that effect in the books of AL-Tafseer.

- the effects of suffix and ellipsis in AL-Tafseer which appears justified in accordance with its cultic, rhetoric and linguistic significance.

As regards chapter three is dedicated to show the terms of the grammarians that appeared in AL-Tafseer's books at that period.

This chapter was divided into three topics:

- The explanation of each concept and the opinion of the grammarians about it.
- The most important terms which was added by AL-Kufeyoun.
- Showing the effect of AL-Kufa grammar on AL-Tafseer's books.

The conclusion contains some important points:

- The search certifies that the AL-Kufa grammar attempts to establish a grammar system in which the grammar rule is oriented toward the meaning of the Quran texts.
- AL-Kufeyoun tended to move away from the exaggeration of the interpretation.
- The terms of AL-Kufa overruled the Tafseer's books during that period and that assure the existence of AL-Kufa grammar.
- New terms and rules caused by that efforts of AL-Kufa grammarians emerged.
- Adoption as it appears is a aspect of many manifestations of grammar simplicity.

- The researcher believes that the word(AL-Mazeed) is better than the word(AL-zeyada or AL-Za'id) has extra meanings at the same time it saves us from saying there is increment in Quran.

- The research proved that AL-Sheikh AL-Tusi adopted AL-Kufa grammar.

Muhammad Y. A. AL-Shukri
The reseacher

فهرس المحتويات




www.masjid-alkufa.net